

# مؤلفات ثروت أباظة



مكتبة  
ثروت أباظة  
مكتبة



# مؤلفات شروت أباظة ٤

نقوش من ذهب ونحاس  
خيوط السماء  
طائر في العنق



المكتبة العامة لدراسات التراث الفلسطيني

١٩٨٦

الاخراج الفنى : عفاف توفيق



# نقوشِ منِ ذہب و نحاس

---



## نقوش من ذهب ونحاس

### ١

هي قصة ذات عروق بعيدة في أغوار الزمن ، لست  
بطلا من أبطالها ولكنني أحب أن أحكيها .. كيف أحكيها  
وأنا لست واحدا من أبطالها .. هل يهمك كثيرا أن أكون من  
أبطالها مادمت سأرويها لك .. لن أقول لك انها من واقع  
الحياة فلا أحب أن أكون سخيفا الى هذا الحد ولكنني في الواقع  
لست أدري ان كنت أنت تحب الرواية من واقع الحياة أم من  
واقع الخيال . يقول الروائيون ان أهم شيء في العمل الفني  
أن يكون مقنعا ولا يهم من بعد المصدر الذي يصدر عنه ولكن  
الحياة حين تؤلف لاتحاول أن تقنع ، انها تؤلف وتنفذ مؤلفها  
على الحياة وعلى صلات الناس بعضهم ببعض وعلى بدايات  
حياتهم وعلى نهايتها ولا يعنيها في شيء أن تكون مقنعة أو غير  
مقنعة والناس .. الناس جميعا في كل مكان شهود في كل

قصة وأبطال فى كل قصة وقد تلهيهم الأحداث عن محاولة الفهم وقد يفكرون • والذين يفكرون هم الاغبياء لانهم لن يبلغوا من تفكيرهم الى ماتصبو اليه نفوسهم من طمأنينة بل هم سيزدادون حيرة وقلقاً بل قد يزدادون سخطاً وتبرماً ولا تعنى الحياة فى كثير أو قليل بحيرتهم أو قلقهم أو سخطهم أو تبرمهم •

تجرب فيهم وما يعلمون كتجربة الطب فى الأرنب

ولكن هل تجرب فيهم الحياة حقيقة كتجربة الطب • ان الطب حين يجرب يحاول أن يصل الى نتيجة معينة من تجربته فالى أى نتيجة تحاول أن تصل الحياة ••• يبدو أننى سأصبح غبيا كهؤلاء الذين يفكرون •• عادة ساذجة عادة التفكير هذه •• وكلما ازداد التفكير عمقا يكون صاحبه أكثر سذاجة ••

فالأذكىاء وحدهم هم الذين يعرفون ألا أمل أن يصلوا بتفكيرهم الى نتيجة مؤكدة ، واضحة المعالم • ولكن هناك أنواع من التفكير لا بأس بها •• منها ذلك التفكير الجاد الخطير الذى كان يستغرق راشد بك برهان وهو جالس بمكتبه الضخم فى سرايه الواقعة بشارع خيرت •• كان راشد بك يريد أن يسافر الى أوروبا وهو يبحث عن مواعيد السفن المسافرة وهو حريص على أن يسافر على أول باخرة •• فقد تشوق الى باريس والى أصدقائه هناك ولست فى حاجة الى ذكاء لتعلم أن هؤلاء الأصدقاء انما هن صديقات ولكن الحشمة تحتم أن نكتبها أصدقاء • انهن كثيرات هؤلاء الأصدقاء •• كان اليوم هو السبت وقد وجد راشد بك سفينة فى طريقها الى مرسيليا فى يوم السبت الذى يليه وكان لابد له أن يبلغ السيدة والدته عن هذا السفر حتى تشرف على تجهيز ملابسه وترى ما الذى يحتاج اليه قبل أن يسافر ، وكان لابد له أيضا أن يستقل

القطار الى التفتيش ليلقى نظرة نهائية على حسابات الزراعة  
 ويأخذ ماحصله حمزة أفندى البلاشونى من ايراد الأرض .  
 وقام راشد بك الى والدته وراح يصعد السلم الى الطابق الأعلى  
 فى هدوء وفى تفكير عميق . كان السلم يقضى الى بهو عريض  
 شامخ الاعمدة عميق الفخامة تقوم فيه الارائك الضخمة عليها  
 القטיפىفة المزركشة القادمة من جنوا ، وكانت والدته قد أنشأت  
 لنفسها فى هذا الطابق غرفة للجلوس تستقبل فيها صديقاتها  
 وكانت أمه جلفدان هانم أفندى تحب أن تجلس فى هذه الغرفة  
 حتى وان لم يكن لديها صديقات تستقبلهن . وهكذا لم يكن  
 راشد بك محتاجا أن يتخلى عما يفكر فيه ليتجه الى الغرفة انما  
 هو يقصد اليها دون ومضة من تفكير . . انه يعلم أنه سيفتح  
 الباب وسيراها فى كرسيها الكبير المجاور للمرأة التى تواجه  
 الباب يعلم ذلك ولم يفكر فيه . . لقد كان مشغولا بما يحتاج  
 من نقود فى باريس وبما سيجده عند حمزه أفندى البلاشونى  
 ويفتح الباب . أمه بجانب المرأة والمرأة مازالت تواجه الباب  
 ولكن . . ما هذا الجمال الذى يقف بجانب صورتى فى المرآة  
 . . من هذه كيف لم أرها قبل اليوم وكيف كان يمكن أن  
 أراها . طبعاً سترفع اليشمك الى وجهها لقد بقيت العينان  
 . . تكفينى العينان . . جمال الدنيا كلها فى هاتين العينين  
 لم يحس راشد بك بالأعين الأخرى التى تعلقت به ولا أحس  
 بعينى أمه التى أدهشها وقوفه بعد تأكده من وجود حريم  
 معها ، لم يحس شيئاً من هذا وانما ظل رانيا الى العينين اللتين  
 تطلان من فوق اليشمك وطالت به الوقفة حتى اضطرت الأم  
 آخر الأمر أن تقول .

— فيه حاجه راشد بك

وانتبه راشد بك فجأة لينحنى قائلاً وهو يقفل الباب .

— عفوا هانم أفندى •

ويعود الى مكتبه ويجد جدول البواخر ينتظره فيطويه  
فى هدوء ويضعه فى الدرج الأسفل من مكتبه ويمد رجله  
على المكتب ويزيح طربوشه الى الوراء ويستغرق مفكرا فى  
لا شيء •



حين يسمع أقدام السيدات تعبر فناء السراى يقف الى  
الشباك وينظر اليهن وهن يركبن العربى التى تجرها أربعة  
خيول مطهمة ولم يلتفت الى العربى ولا الى الخيول وانما تثبت  
نظره على التى تسير خلفهن جميعا فلم يكن يشك لحظة أنها  
أصغرهن وأنه لابد لها أن تكون خلفهن جميعا •• ان قوامها  
أكثر جمالا من عينها •• أكان لابد أن يكون لهذه السراى  
سلم للحريم وآخر للرجال •• أكنت أريد أن أراها عن قرب  
•• وماذا ينفع القرب ان جمالها لا يحتاج الى كثير من انعام  
النظر •• انها جميلة •• أو هى فاتنة لاشك فى ذلك ولكن  
ماذا يمكننى أن أفعل •• أخطبها •• هكذا مرة واحدة وماذا  
يمكن أن أفعل غير هذا ••

— هانم أفندى

— أنها ابنة عثمان باشا فكرى •

— لا يفوتك شيء •

— وقفتك أمام الباب كانت طويلة •

— عيناها •

— نعم جميلة •

— أنت موافقة •

— لا مانع

سكت راشد بك ولم يسأل أمه عن شيء •• وعم يسأل  
•• ابنة عثمان باشا فكرى •• الأمر اذن لا يحتاج الى سؤال  
•• أما ثروته فمعروفة كانت ألفى فدان بقى منها بضعة  
فدادين بعد البذخ الذى كان يعيش فيه وراشد بك لا يحتاج  
الى مال فثروته لا يحصيها العد وان كان هو يجيد انحصاءها  
ويعرف كل خافية منها •• وعثمان باشا رجل ذو مكانة  
مرموقة فى الحياة المصرية ولاشك أنه تولى ابنته بالتربية  
المعهودة فهى تجيد التركية والفرنسية وعزف البيانو واختيار  
الملابس واستقبال الناس وتنسيق الأثاث واعطاء الأوامر  
للخدم •• ولاداعى اذن للسؤال ولكن أمه •

— لم تسأل عن خديجة •

— اسمها خديجة ؟

— يقولون انها متحررة فى آرائها •

— كم عمرها ؟

— بينك وبينها خمس عشرة سنة تقريبا •

— أنا لست كبيرا ••

— ولست صغيرا •

— ست وثلاثون سنة اكتمال الرجولة •

— وعشرون سنة بداية الانوثة •

— ولكنها ابنة عثمان باشا فكرى •

— الأنوثة لا شأن لها بعثمان باشا فكرى

— مارأيك •

— لن نجد خيرا منها •

— فلماذا المناقشة اذن ؟

— أريدك أن تعرف •

— اذن ؟ !

— أخطبها لك •



**المفروض** أن أروى لك فى هذا الفصل موقف خديجة  
من هذه الخطبة ويمكن أروى لك هذا الموقف بطرق عدة . .  
فمثلا أستطيع أن أقول أن خديجة كانت تحب ابن خالتها عزت  
بهادر الذى نشأ معها منذ الطفولة الأولى وكان يقاربها فى  
السن ومادمننا نتكلم عن هذه الطبقة من الناس فالمفروض أن  
أقول لك أنه يهوى ركوب الخيل ويجيده وأنه طلق اللسان -  
بالفرنسية طبعاً - وأن لغته العربية لا تكاد تستقيم وأنه  
ممشوق القوام تافه العقلية لا يفكر إلا فى أتفه الأمور  
وأسخفها . وأكون بذلك سائراً وراء كل من كتب عن هذه  
الطبقة .

أو كان من الممكن أن أقول لك مثلاً إن عثمان باشا فكرى  
دخل إلى ابنته فقال لها .

— أبشرى يا خديجة .. عندى لك أعظم خبر .

— صحيح يا بابا .

وطبعا حين تقرأ بابا لابد لك أن تشد البائين فهكذا  
تنطقها ممثلات السينما فى أفلامنا العربية .. نرجع الآن الى  
الحوار الذى كان المفروض أن أقدمه اليك .. يقول الأب  
وقد تهلل وجهه بالفرح .

— جاعك عريس لا مثيل له فى مصر .

وهنا كنت سأحتار كيف أكمل المشهد .. هل ستطرق  
خديجة فى حياء أم تراها كانت ستقول .

— من ؟

وعلى الحالين كان عثمان باشا يقول .

— راشد بك برهان .

وكنت سأحتار أيضا كيف تتصرف خديجة بعد هذا هل  
كانت ستسأل أباها عن العريس واحواله جميعا من شكل  
وعمر .. وطبعا لا داعى للسؤال عن الشهادة أو الثقافة فقد  
كانت هذه الأشياء فى ذلك الحين بعيدة عن مجال السؤال عند  
السيدات وتوشك أن تكون كذلك عند الرجال أيضا .

أم تراها كانت ستطرق حياء وخجلا وتقول الجملة التى  
لم يستطع كاتب حوار أن يغير منها شيئا على طول السنين .

— الى تشوفه يا بابا .

ولعلى كنت سأخرج من هذه الحيرة بوسيلة أكثر يسرا  
وأقرب الى منطق الأمور فأجعل خبر الخطبة ينتقل الى الابنة

عن طريق أمها وأنتهز هذه الفرصة لأقدم اليك كل مالم تعرفه  
بعد عن شاكر بك برهان على لسان الأم .

ولكن ما العجلة في تعرفك على شاكر بك برهان ولماذا  
لا تتكلم عن خديجة قليلا . . فانت لم تعرف عنها الا أن عينيها  
جميلتان ولكنك أنت لم تعرف مثلا أن قوامها فارغ رشيق  
لا تطنى عليه نحافة ولا يفرط عليه سمن ، وهى ذات شعر  
ناعم اذا أطلقت عنانه هذر على كتفيها فى عريضة طاغية ،  
وجبينها عريض فيه ذكاء ، وعيناها اللتان عرفت أنهما  
جميلتان فيهما جراءة وفيهما تطلع الى المستقبل فى وثوق  
الذكى وفى فتور الأنثى ، وأنفها دقيق مائل قليلا الى الخد  
الأيمن هذا الميل الذى يراه بعضهم جمالا ويراه بعض آخر  
عيبا فى جمالها الفاتن . . وان كنت من الذين يحبون أن  
يوصفوا بالمتقفين فلعلك تحب أن تعرف شيئا عن ثقافتها . .  
قرأت كورنى وراسين وفولتير وهيغو وفلوبير وروسو حتى  
اعترافات روسو قرأتها وقرأت شكسبير مترجما وقرأت ديكنز  
وهاردى وتولستوى ودستيوفسكى . . أظنك عرفت الآن أنها  
كانت تحب القراءة وكانت تعبد الشعر فقد كانت تحفظ  
روايات كورنى وراسين جميعا وتحفظ كثيرا من شعر هيغو  
ولم تكن تميل كثيرا الى مضحكات مولير . . كانت القراءة  
عندها هى الوسيلة التى تفتح لها النافذة على عالم لم يكن من  
الممكن أن تخالطه أو تندمج فيه . . فقد كان الحرير جزءا  
منفصلا عن المجتمع فى ذلك الحين . . يحركه من داخل البيوت  
ولكنهن لا يشاركن فى حركاته .

وكانت خديجة شأن كل فتاة تعرف أنها ستتزوج فى يوم  
من الأيام ، وكانت تعتقد أنها ستتزوج رجلا مثقفا تستطيع أن  
تشارك معه فى أحاديث طويلة عن الشعر والأدب ، وكانت

الحشية تخالجهما أن يكون هذا المثقف ذا ثقافة عربية وانجليزية وليس ذا ثقافة عربية وفرنسية . فالمثقفون في ذلك العهد كانوا جميعا يجمعون الى العربية ثقافة أجنبية أخرى . ولم يكن الغنى في ذاته أمرا ذا بال عند خديجة . فالغنى عند الأغنياء شيء مفروض يعتقدون هم أنه طبيعي . . . يصاحب التكوين البيولوجي لأجسامهم فالمال عندهم شيء من المقرر وجوده كما يوجد لهما عينان وأنف وشفتان . ولكن الثقافة هي التي كانت نادرة الوجود فاذا وجدت فهي عميقة راسية الأصول بعيدة الأغوار . وقد كانت خديجة لاتتصور أن يكون خطيبها غير مثقف . ولم يكن تفكيرها هذا مجافيا للصواب فان والدها الذي أتاح لها هذا التثقيف لايقبل أن ينالها شخص لايقف مع مابلغته من دراسة على درجة واحدة فان تفاوتت الدرجة فليكن هو في العليا لا في السفلى . وهي في سذاجتها الثقافية نسيت أن للمال عند الأغنياء نداء ولغة يفهمونها جميعا دون اتفاق بينهم . فمن الطبيعي ألا يتزوج الغنى الا ذات ثراء ومن الطبيعي أن يسارع الثرى بقبول الغنى خطيبا لابنته .

وهذا الاتفاق غير المكتوب بين الأغنياء يتضمن أن كل شيء غير الثراء يمكن اغتفاره أو تجاهله .

وهكذا لم يكن عجيبا أن يقبل عثمان باشا فكرى خطبة راشد بك دون ريث من تفكير . وخصوصا أنه أصبح غنيا سابقا ولكنه مازال يحمل اللقب «غنى» .

ومن الطبيعي أيضا أن تقبل خديجة الزواج فهي تعلم أنها نهاية محتومة لحياة البنت في بيت أبيها أو بداية محتومة لخلية جديدة من الحياة .

والاسم الذى تقدم لخطبتها اسم شهير فى عالم الشراء وليس شهيرا فى عالم الثقافة فقد كان المجتمع فى ذلك الحين لا يلقي ستارا من التجاهل على أى مهتم بالثقافة فلو كان على جانب منها مهما يكن ضئيلا لداغ صيته . بل ان الحياة كانت تتيح لمن يهوى شراء الكتب أن يصبح شهيرا فى عالم الثقيف حتى وان لم يقرأ هذه الكتب وقد كان أغلب هذا النوع من الهواه يكتفى من الهواية بالشراء دون القراءة . فالقراءة لها ناس وشراء الكتب له ناس آخرون . والذين يقرأون لا يهمهم مطلقا طريقة الطبع التى يهتم بها الشراءون . كل مايعنى أهل القراءة أن تكون الحروف واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض وقد يكون هذا الوضوح فى ذاته سببا فى رخص الكتاب لا فى غلو سعره .

ولا تنتظر منى أن أفيدك كثيرا فى الشروط التى لابد منها ليكون الكتاب تحفة أثرية ذات شأن فأنا من ذلك النوع الساذج الذى يحب أن يقرأ ولا يهمه أن يقتنى .

على أية حال لم يكن راشد من القراءين أو الشرائين المدمنين وان كان ملما بكثير من الكتب وكان غنيا مدمنا للغنى وان كانت خديجة فى آمال اليقظة وأحلام النوم ترجو أن يكون زوجها مثقفا يحب كورنى وراسين أو المتنبى وشوقي على الأقل الا أن هذه الآمال وتلك الأحلام لم تكن شروطا أساسية فى اختيار رجلها فقد كانت ثقافتها تتيح لها قدرا من الذكاء تعرف به أنها هى لا تملك من حرية الاختيار القدر الكافى الذى يسمح لها أن تضع الشروط ولو توفرت هذه الحرية فما كانت لتجعلها تضع هذه الشروط . فهذه الآمال والأحلام لم تكن الا خواطر تهفو الى النفس أو تهفو اليها

النفس ولكن خديجة تعلم كل العلم أنها أمل لايزيد أو حلم  
مصيره المؤكد التيقظ على الحقيقة •

وهكذا أعفتني خديجة من الحيرة التي خشيت أن تتولاني  
أمامك في بداية هذا الفصل ولم توجه الى أبيها الا سؤالا  
واحدا •

— هل أنت راض عنه

— وأين أستطيع أن أجد مثله •

— أمرك اذن •

لم تسأل كم عمره فالمجتمع لم يكن قد أتاح بعد للفتاة  
أن تسأل عن عمر زوج المستقبل ، وإذا كانت امتنعت أو  
منعتها التقاليد أن تسأل هذا السؤال الطبيعي المعقول وهي  
أيضا لم تكن تحب ابن خالتها عزت فالطرق اذن جميعها مغلقة  
دون أى أسئلة أخرى بل لعلها لم تكن تحتقر أحدا في حياتها  
قدر احتقارها لهذا العزت فهو فراغ تجسم في هيكل انساني  
يعنى كل العناية بشاربه وشعر رأسه ولكنه لايبذل أقل عناية  
برأسه هذا من داخله • فان رأيته رأيت تمثالا وان حادثته  
وجدت التمثال خيرا منه •

فأنا اذن لاأستطيع أن أقيم عقبة من أى نوع تمنع زواج  
خديجة من راشد وتم الزواج •

## ٢

**لو** كان المتزوج أحداً آخر غير راشد لكان من الطبيعي أن يكون شهر العسل في مصر ولكن راشد يحب أن يذهب إلى أوروبا ويحب أن يبهر زوجته بالحياة الباذخة التي يعيشها والفتاة على ثقافتها في بواكير العمر ومطالع الحياة فهي برعم يريده راشد أن يتفتح على يديه وهو صاحب الخبرة الواسعة عن الورود التي لا تعرف الذبول ولا يدركها ما يدرك الورود من شحوب \*

يريدها امرأة كاملة المعالم يدعو إلى بيتها كبار الناس فيبهرهم من بيته غنى وافر يصاحبه الذوق الرفيع وهو يعلم منها أنها في بيت أبيها كانت تهتم بالكتاب ولكنه أيضاً كان يقدر أن التي تهتم بالكتاب تستطيع أن تهتم بكل شيء وهو يريدها في حجرة نومه امرأة ناضجة خبير عالمة بما يرضيه ويطمئن غرور الرجل فيه ونزوته في وقت معا \*

وهو يريد لها اذا ذهبت لمجتمع من النساء اوقعت فى نفوسهن الحسرة والغيرة أو الاعجاب والاكبار ويريد منها أن تكون أنموذجاً للأناقة .

طراز عجيب راشد . فهو قد نال من التعليم المنتظم قدراً ربما اعتبره البعض ضئيلاً وخرج بعد ذلك الى الحياة فاذا هو يصاحب الحياة صحبة عميقة لصيقة ويوغل فيها ايغالا رفيقا فى بعض الأحيان وفيه عنف شديد فى بعض آخر من الأحيان . عرف الناس فى كل متجه من متجهات الحياة ودرس من القانون مايعنيه من القانون فاذا هو يفوق عتاة المحامين ومشاهيرهم وضارب فى بورصة الأوراق المالية والقطن فانسكب عليه المسال يزيده غنى . وأصبح راشد شخصية مرموقة فى المجتمع المصرى تضطر الأنظار أن تلتفت اليه . فلم يكن التعليم المنتظم هو المصدر الوحيد للثقافة فى ذلك الحين . بل ان المحامين كانوا يعملون بغير شهادة من الحقوق فى ذلك الزمان . وقد اختار راشد من الثقافة مايرى أنه يحتاج اليه . ولهذا لم يكن عجيباً أن يتقن الفرنسية لا ليقرأ بها كورنى وراسين وانما ليقرأ بها العقود وليضارب بها فى البورصة وليجتذب بها الأصـدقاء من الفرنسيين وتعلم الانجليزية وأتقنها ولكن شكسبير وملتن وهاردى وديكنز كانوا لايعنون عنده شيئاً الا أسماء يرددها على مسمع الانجليز الذين يتعرف عليهم .

قد كان نوع الثقافة التى يتمتع بها راشد من فصيلة أخرى بعيدة كل البعد عن تلك الثقافة التى أتقنتها خديجة حتى لنستطيع القول فى ثقة أنه من الطبيعى أن كلا منهما كان يعتبر الآخر غير مثقف .

وراشد يعتبر الحياة عملاً ومتعة وهو يمازج بينهما فى



مقدرة بارعة ، فلم يكن عجيبا أن يصحب زوجته الى باريس .  
كان راشد يريد أن يستغنى بزوجه عن كل نساء العالمين  
ولهذا كان يريد فيها كل نساء العالمين .

لم تكن خديجة تتصور أن ترى هذا الذى رآته فى فرنسا .  
وكان أبعد شيء عن ذهنها أن ترى هذا الذى رآته مع زوجها  
بالذات . فالأيام القليلة التى قضتها معه فى بيته فى مصر  
طالعتها منه مهابة لم ترفى حياتها رجلا يتمتع بها . فحديثه  
أمر وان تسربل بالرجاء ، ورأيه نهائى وان تزيأ بالتواضع .  
نوع من المهابة لا يعرفه الا صاحب الموهبة الكبيرة التى تجعل  
صاحبها كبيرا .

وفى الباخرة الى باريس

— تعرفين أننى عشت سنوات بلا زواج ؟

— نعم

— كان طبيعيا أن أعرف نساء أخريات

— مادام قبل الزواج فهذا شأنك .

— طبعا أنا لا أستأذن منك عن شيء صنعتته فى الماضى

— فلماذا تخبرنى

— لا أريد أن أخفى عنك أولئك اللواتى عرفتتهن فى

فرنسا

— أتريدهن أن يكن صديقات لك وأنت متزوج

— اسمعى ياخديجة . أنا فى صداقاتى الفرنسية لم أكن

أعرف الا فتيات الملاحى .

— اذن

— أنا أريد منهم أن يكن تسليتك فى فرنسا

— اذن

— سندهب الى الأماكن التى يرقصن فيها وسيقبلن على  
وقد يقبلننى

— يقبلنك

— وماذا يهمك ؟

— لا أريد

— كنت أستطيع أن أخفى عنك هذا وأذهب بك الى أماكن  
أخرى وأزورهن دون علمك

— لا بأس فلنذهب اليهن

— سيصبحن أداة تسلية لك •

— أنت عندى الآن كل نساء العالم وستجدين أنت عندى  
كل نساء العالم وأنا لا أحب أن أعد بأشياء سأنفذها • فانى  
أحب أن يكون التنفيذ هو الوعد وتحقيقه فى وقت معا •

• وكان عند الوعد والتنفيذ •

• ورأت فرنسا • • رأت منها باريس وغير باريس •

كانت فى خيالها مسرح أحداث الروايات ومعانى حب  
وحدايق هوى ونسمات قصص لبلزاك ودوديه وفلوبير وغيرهم  
وكانت فى أنحاء خيالها رؤى مجنحة لا يحيط بها تعريف  
واضح • • كانت تبدو فى خفى الوعى منها أحلاما • يشملها  
ضباب فهى بلا وضوح وتكسوها أستار شفيفة فهى فى نفسها  
عميقة ولكن بلا معالم ، موجودة ولكن بلا تثبت ، سماوية

أحيانا لعبوا أحيانا أخرى ، أو أرضية مسرفة فى عمق الواقع  
لما صنعه بها زولا وفلوبير وستندال والآباء الأوائل للواقعية  
الوليدة •

ثم رأتها وغاص بها زوجها فى عميق حناياها فازداد فى  
عينيه جمالها ولم ترفض نفسها الواقعية فيها فهي واقعية  
ان أسرفت فى الفجور فهي تعنى فى الوقت نفسه بتجميل هذا  
الفجور حتى يصبح نوعا من المتع البشرية التى تلتئم مع  
طبيعة الحياة فى باريس لا ترفضها باريس ولا من يزور باريس  
حتى اذا خرجت عن باريسها هذه أصبحت تهتكها تعافه النفس  
وترفضه وتحتقر كل من يلم به •

رأت الغوانى اللاتى كن صويحيات زوجها وقبلن زوجها  
أمامها فلم تحسن لدعة غيرة فى قبلهن •

لم تحسن أن اللواتى يقبلنه نسوة عرفهن وانما أحست  
أن ماضيه هو الذى يقبله • وكانت قد بدأت تحب زوجها فهي  
تحب أن يرضى عنه ماضيه كما يرضى عنه حاضره ، وكما  
ترجو أن يرضى عنه مستقبله •

والغريب أن فتاة منهن طلبت أن تجلس معها فى جلسة  
خاصة • كانت قد أحست من لقاء هذه الفتاة بزوجها أنها  
أقربهن إليه •

وقالت لها الفتاة عجباً

— أنت زوجته

— نعم

— حقاً

— وأى عجيب فى ذلك

- أردت أن أتأكد
- أنا زوجته
- أتعرفين كيف يظل زوجك
- أعرف كيف أخلص له
- هل أنت سخيقة الى هذا الحد
- هل الاخلاص سخي
- الاخلاص مفروض لا يحتاج الرجل أن يكافئ زوجته عليه
- ماذا ؟
- طبعا أنت مندهشة أن تسمعى هذا الكلام منى
- لا .. أبدا .
- بل أنت مندهشة .
- لنفرض .
- اسمعى .. لقد كنت فتاة زوجك فترة من الفترات .
- ربما أدركت ذلك من لقاءك به .
- ان مانصنعه فى الكباريه ليس هو الحب . اننا حين نحب لانهب هذا الحب الا لواحد . وكان زوجك يغيب عنى فترات قد تصل الى سنة ومع ذلك لم أكن أهب حبنى لأحد طوال فترة غيابه .
- ولكن ١٩٠٠ !
- ان مانهبه للزبائن انما هى أجسامنا فقط ..
- افهمى ما أقول . أنا أتكلم عن الحب .

— متى كان هذا ؟

— لم تتغلب على واحدة من زميلاتى .. أنت فقط التى  
تغلبت على ..

— أتكريهيننى ..

— لم يكن من الممكن أن يتزوجنى فهو شرقى وأنا أعرف  
ظروفه ..

— أشكرك ..

— أتعرفين كيف تحافظين عليه ..

— ربما ..

— ان لم تكن لك بضاعة الا الاخلاص فأغلب الأمر اننى  
سأستقبله قبل أن تمر على زواجكما بضعة أشهر ..

— الواقع أن هذه هى البضاعة الوحيدة التى أعرفها ..

— اذن فسأعلمك ..

وعلمتها ..

لقد رأت باريس وتعلمت فى أهم جامعات الحياة على  
أعظم أساتذة الحب والمتعة ومعرفة الرجال ..

ولم يكن مارأته من باريس وحدها هو حصيلة علمها ..  
انما مارأته من زوجها كان أعظم هذا الرجل المهيّب الذى  
سمعت عنه فى فترة الخطبة أن رجال المال العتاة لا يخشون  
أحدا فى البورصة قدر خشيتهم منه .. هذا الرجل الذى  
استطاع بهيبته الذكية الخارقة الذكاء أن يجعل حمزة  
البلاشونى وكيل أعماله فى الدائرة الزراعية .. رجلا فى  
غاية الأمانة .. كان هذا الوكيل كما سمعت عنه يقول ان

الانسان حين يسرق اى صاحب مال يعرف أنه قد يفصل من عمله فان كان صاحب المال قاسيا غاية فى القسوة فقد يذهب به الى السجن . اما مع راشد بك فلا يعرف اى مصير ينتظره فهو خليق أن يصنع به كل ما لا يتوقعه أحد .

راشد هذا ينكشف فى ملاهى باريس عن هذا الشخص الذى يستطيع فى مقدرة فائقة أن يجعل كل لحظة معه متعة حتى يصبح الجالسون والجالسات جميعهم وجميعهن مغمرين فى فترة من الحياة مليئة بالحياة تلفهم سعادة غامرة تزلزل أعماق أعماقهم فيزداد غوصهم فى لحظاتهم لا يريد أحد منهم أن يفكر فيما كان يصنع بأمره أو فيما قد يصنعه به غده وراشد هو روح هذه الغمرة الطاغية من الأمتاع وهو الينبوع أو هو ان شئت الشلال الهادر بالاسعاد . وهو فى الوقت نفسه يستطيع أن يجعل كل فرد من الموجودين يعتقد أنه هو لا راشد سبب هذه السعادة وهذا الأمتاع . كيف استطاع هذا الرجل المهيّب أن يكون خير متعة لا يدانيه فى خبرته المتخصصة من فتيات الملاهى فى باريس أو أصحابهن .

وتومض فى ذهن خديجة فكرة تعمل فيها النظر وتوشك أن تؤمن بها . ان معرفة الانسان كيف يكون سعيدا وكيف يعتصر لحظات السعادة اعتصارا لا يبقى من حقيقتها على قطرة ، موهبة لا تتأتى الا لعبقري يعرف كيف يعيش . ويعرف من مسالك الحياة فى جدها ولهوها ما لا يعرفه أبناء الحياة مجتمعين .

والذى لا تعرفه خديجة أن راشدا ترك فى مصر مشكلة يضيق بها أشد الضيق تهدد قدرا من ماله ولكنه مع ذلك

أقنع نفسه بأنها مسألة هيينة ميسورة وأنها لا تستحق حتى أن يؤخر سفره من أجلها .

لقد اغتاله صديق له فى عشرة آلاف جنيه .

والذى لا تعرفه أيضا أن سبب اغتيال صديقه لهذا المبلغ هو زواجه منها ومعرفته لسيدة من سيدات مصر لها أهمية كبرى فى المجتمع المصرى والذى لا تعرفه أيضا أنه فجع فى صديقه وفى ثقته به فجاعة ان لم ترد على فجاعة المال فهى تستوى معها .

ولكن أهذا الحديث يناسب لحظات المتعة التى يعبرها راشد ويسقيها صرفا غير مشوبة لزوجته الحبيبة خديجة . سننسى كل هذا الذى يضيق به راشد ونتيح له ما أتاحه لنفسه من شهور صاحبات بالهناءة فى ربوع فرنسا جميعا .

وعرفت خديجة عن زوجها شيئا لم تكن تتوقع أنه يتخلق به فهو لا يلعب القمار مطلقا . قد يشرب مع الشاربين ولكنه لا يقرب مائدة القمار .

— ولكنك تضارب فى البورصة .

— البورصة خبرة وبعد نظر مالى ولا يصاب فيها الانسان الا اذا حدثت أشياء لم تكن فى الحسبان ولكن القمار تسليم أموالى كاملة ليد غير أمينة ولا مخلص ولا صديق لها وهى أيدى الحظ . أنا لا أقبل هذا لكرامتى ولا لثقافتى ولا لعقلي .

— فهل المقامرون جميعهم أغبياء .

— بل ان كثيرا منهم أذكىاء .

- فما لهم يقامرون .
- لقد أخطأوا الطريق الى المتعة فتلمسوها على مائدة القمار أما أنا ..
- لا تكمل .. لقد رأيت .. نعم ان أحدا لا يعرف طرق المتعة كما تعرفها أنت .
- ولكن هناك شيئا لم تقله .
- وهو ؟
- وهو اننى مع كل هذه المتع ظللت مخلصا لك لا أهب نفسى الا لك .
- وهذا حق أيضا .



## ٤

**لماذا** يتوقف العقل عند بعض الناس ويتصرفون تصرفات حمقاء مع أنهم من ذوى العقل الراجح الذى استطاع أن يمكن لهم وينزلهم منزلة محترمة عند الناس .

لو أن أحدا سأل زكريا باشا حسام الدين على سبيل الاستشارة مارأيك فى زيجة الزوج فيها فأت الخمسين منذ ست سنوات وهو يحث الخطى نحو الستين . والزوجة فيها تمشى الهوينى الى العشرين من عمرها لم تكملها لكان جوابه متمسما بالعقل والرزانة وبعد النظر . فالمسألة لا يختلف فيها عقلا على شيء ان الرجاجة أو على الأقل لاينعمان بالغيباء الشديد .

ولكن العجيب أن زكريا باشا حسام الدين هو نفسه

تزوج الأنسة سهير ممدوح كريمة ممدوح عزت باشا أما زكريا باشا فهو مستشار فى محكمة الاستئناف عرف بعلمه الواسع بالقانون بل وعرف أيضا بحبه للأدب وكثيرا ما كانت أحكامه قطعا أدبية يتغنى بها المحامون خاصة الذين صدر الحكم فى صالحهم وهو موسع عليه فى الرزق واسع الأفق عميق النظرة ولهذا لم يكن عجيبا أن يصبح وزيرا • وقد سر بهذا لأنه كان يفكر منذ زمن أن يترك القضاء الجالس الى القضاء الواقف • ولعله فى ذلك تأثر بالقصة التى تروى عن أحد مشاهير المحامين فى فرنسا وكان ابنه يعمل فى القضاء وكانت سمعة ابنه أيضا عظيمة فقد عرف عنه أنه من أحسن القضاة • وفى يوم سأل أحد الصحفيين المحامى •

— لماذا تعمل أنت فى القضاء الواقف بينما يعمل ابنك فى القضاء الجالس •

فأجاب المحامى الذكى •

— لو استطاع ابنى الوقوف ماجلس •

وأغلب الأمر أن الأب كان يريد ابنه أن يعمل معه فى المكتب الكبير ليظل محتفظا بمكانة المكتب بعد وفاته والراجح أن الابن كان يفضل العمل فى القضاء بطبيعة مواهبه أيا ماكان الأمر فالمؤكد أن زكريا باشا تأثر بهذه القصة وأراد أن يقف عن كرسى القضاء ليصبح محاميا واثقا من عمله القانونى ومن لفته فى وقت معا •

وهكذا جاء تعيينه فى الوزارة خير طريق يخرج منه الى مقاعد المحامين • كان زكريا باشا قد تزوج فى أول حياته نعيمة هانم شهاب بنت مجدى باشا وقد أنجب منها ابنتهما عدلى •

ولكن زكريا باشا كان يحب النساء وكان بارعا في  
الحصول عليهن . والطريق تجمع أصحاب القصد الواحد  
فلم يكن عجيبا أن يجمع طريق النساء بين الباشا زكريا  
والبك راشد فكانت صداقة . قوامها الأول وقد يكون الأهم  
النساء .

ولكن «راشد» صاحب مصالح كبيرة والباشا زكريا حين  
ترك الوزارة الى المحاماة أصبح يتمتع بنفوذ كبير وأصبحت  
الأبواب التي لا تفتح لغيره من المحامين تفتح له . ولراشد  
عين يقظى كمين الصقر تدرى أين يكمن الخير لها فقضايا  
راشد تنتقل اذن من تلقاء نفسها الى مكتب الباشا وتزداد  
الصداقة وثقا .

لعلك الآن تعجب ان ذكرت كل شيء عن الباشا أو أكاد  
ولم أذكر شيئا عن زوجه الأولى نعيمة هانم شهاب ولا عن  
زوجه الثانية الأنسة سهر حمدي .

وما كان لي أن أذكر شيئا عن واحدة منهن دون تفصيل  
لا يقبل الاجمال . فنعيمة هانم شهاب هي الابنة الوحيدة  
للغنى الشهير مجدى باشا شهاب . وهى سيدة علمها الغنى أن  
تأمر فطاع . وليس زكريا باشا بأقل منها غنى أو أدنى  
حسبا وإنما تعلقه بالنساء وعلمه بأنه لاشك سيخونها جعله  
يسمح لها بأن تأمر فتجاب وأن تبدو وكأنها هى رجل البيت .  
وكان ذكاء زكريا ومعرفته أنه آخر الأمر يستطيع دائما أن  
يفعل ما يريد داخل البيت أو خارجه يجعله يتيح لها هذا  
المظهر المتأمر الصلب تفرح به هى ولا يخسر هو شيئا . .

ولكن شيئا واحدا فات زكريا باشا . وما هذا بعجيب  
فالأذكىاء أيضا تفوتهم أشياء .

لقد استولت نعيمة هانم على ابنتها عدلى منذ ولادته فهي وحدها صاحبة الشأن فى تربيته وهى التى تدخله المدرسة بل انها هى التى اختارت له الكلية التى يدخل اليها والعجيب أن هذه الكلية لم تكن الحقوق التى تخرج فيها أبوه والثى تخرجت فيها الغالبية العظمى من وجوه البلاد ووزراؤها وحكامها . لقد اختارت له كلية الهندسة وقد نشأ عدلى فكرة من أمه وخطره منها وإشارة من يدها فهو لا يعرف أن يختار ولا يريد أن يعرف فالذى لم يعرف الحرية يوما لا يفكر فيها بل لعله اذا منحها تمثلت له شيئا بغيضا لا يطيقه ولا يحتاج اليه . فالاختيار فى الحياة شئ صعب ومهمة شاقة لا يتعرض لها الا من لا يتمتع بأم كأم المهندس عدلى التى تختار عنه كل شئ يتعلق به وكل طريق ينبغى له أن يسير فيه .

وحين تخرج عدلى فى كلية الهندسة اختارت له نعيمة هانم زوجته وتزوجها وكان عدلى على غناه دميم الحلقة وأصبح بفضل السيدة والدته كرية الخلق ضعيفا تافها . وحين تزوج وانسلخ كيانه عن كيان أمه فى السكن وخلا به وبزوجته بيت تجلى على حقيقته البشعة أمام زوجته أنه لا يجيد فى الحياة الا أصناف الطعام فما كان له فى بيت أبيه بعد أمه الا الطاهى يلزمه فتعلم عنه أصول الطهى حتى أجادها وأحس بالرضاء عن نفسه واطمأن أنه صاحب موهبة وسبحان رب العرش فى علياء سمائه يهب لكل عبد من عباده مهما يكن تافها شيئا تطمئن اليه نفسه أنه يملك ما لا يملكه الآخرون .

وربما كانت هذه الموهبة بالنسبة لزوجته فى الأيام الأولى من زواجهما مثار ضحك ومزاح ولكن ويل للزوجة

وللزوج معا اذا تبينا ان الضحك والمزاح انما هما جد كل  
الجد . وان عبقرية المهندس ليست فى شيء الا فى طهو  
اصناف الطعام .

ضاقَت الزوجة راوية بزوجه اشد الضيق ولما كان لابد  
للضيق أن يتمثل فى عمل فما هو الا شهر أو بعض شهر حتى  
كان عدلى مطية وزوجه راكبتها ويبدو الأمر من النظرة  
السطحية أن مثله فى ذلك مثل ابيه ولكن وهلة من انعام  
النظر سرعان ما تعود بها العين الخيرة أن هدوء أبيه عن ذكاء  
وعن محاولة لاعفاء ما يصنمه خارج البيت أما هدوء الابن  
فعن غباء ولأنه لا يعرف الا أن يكون هادئا . وحلت الزوجة  
محل الأم ولم يقم بينهما أى خلاف فراوية ذكية تعرف كيف  
تبدو أمام حمايتها دائما طيبة ذلولا لاتخالف لها أمرا. أو ترد  
لها كلمة فملكت بذكاؤها الأم والابن جميعا .

وهكذا وقع زكريا باشا فى خطأ لم ينبه منه ذكاؤه  
المتوقد وبدلا من أن يكون ابنه جديرا بأن يحمل اسمه أصبح  
هزوة لكل هازىء وأغلب الأمر أن زكريا باشا أراد لابنه أن  
يلهى زوجته عنه فيستطيع هو أن ينصرف الى نسيائه ماشاء  
له الانصراف . فان زوجته تعرف عنه ميله للنساء بل لقد  
حدث بينهما حادث تدافعت أصداؤه فى مصر جميعا يوم أن  
دعت زوجته سيدات كثيرات فى ليلة شاع فيها الأنايس  
والسرور بمناسبة عودتها من الأراضى الحجازية بعد أن حجت  
بيت الله وزارت قبر نبيه .

وكان الباشا يوم ذاك فى البيت ولكنه كان فى حجرته  
بعيدا عن مجتمع النسوة .

لم تكن نعيمة هانم تعرف أن صديقتها صالحة هى رفيقة

الباشا فى هذه الأيام فلم يكن عجيبا أن تدعوها . وكم كانت المفاجأة صعبة حين تفقدت صالحة فى أثناء الحفل فلم تجدها فإذا خادمتها مبروكة تشير لها بأصبعها الى أعلى وتصعد نعيمة هانم الى حجرة الباشا فتجدها خالية فتكمل صعودها الى السطح لتجد صالحة فى أحضان زوجها وإذا بها تصرخ صراخا يتعالى على صوت المغنية فى الطابق الأدنى وإذا بها تخلع حذاءها وتنهال به على معالى الباشا وكان يومذاك وزيرا جديدا . وتصبح القصة حديث مصر جميعا . وتطلق صالحة من زوجها وتنقطع صلة الباشا بها .

ولكن الباشا لا يستطيع العيش من غير أخرى ويتعرف فى هذه الأيام على المستشار ممدوح بك عزت وهو رجل اقترب من المعاش وذهب الى معالى الوزير يرجوه أن يسعى له أن ينال رتبة الباشوية وهو فى طريقه الى مقهى المعاش .

وممدوح بك اعزت رجل تزوج وهو كبير السن من سيدة مات عنها زوجها. هى السيدة نبوية الباجورى وقد أنجبت لزوجها فتاة كان عمرها يوم ذهب والدها الى وزير العدل يدور حول العشرين .

فى غمرة التقرب الذى يسعى به ممدوح بك الى معالى الوزير دعاه الى الغداء فى منزله وهناك رأى الباشا لأول مرة بيت ممدوح بك ورأى أيضا ابنة ممدوح بك . أما البيت فكسير متواضع يدل على أن سعادة المستشار شريف وفقير وأما البنت فتدل على أن سعادة المستشار أحسن اختيار زوجته وأن الله جعل الابنة تشبه الأجل فى والديها .

راقت شهير فى عين الباشا ولكن هذه فتاة فى حضن

أبيها فلا سبيل اليها أو على الأقل الطريق الذى تعود أن  
يسلكه لا يصلح معها •• مع هذه الفتاة ليس هناك الا طريق  
واحدة •

— سعادة الباشا ابنتك سهر غاية فى الجمال •

— لاتنس يامعالى الباشا أن صدور الرتبة منك يوشك  
أن يكون براءة للباشوية فأنت الوزير المختص باقتراح  
الرتب للمستشارين •

— سعادة الباشا أنا أعرف اختصاصاتى كل المعوفة •

— اذن •

— أظن جلالة الملك لا يرضى أن يكون أبو زوجتى بك •

— ماذا •• ماذا قلت معاليك •

— أنا ياأخى أخطب ابنتك لنفسى •

— هذا شرف يامعالى الباشا •

— ولى شرط •

— أنا تحت أمر معاليك •

— أن يظل الزواج سرا حتى أجد الفرصة مناسبة  
لاعلانه •

وتم الزواج ونال ممدوح باشا رتبة الباشوية •

لم يكن عجيبا أن يقبل ممدوح بك أو باشا خطبة ابنته  
فقد كانت المناصب والرتب ذات شأن أسطورى فى ذلك  
الزمان ولكن العجيب أن شخصا فى ذكاء زكريا باشا يخطب  
فتاة تصغر ابنه بعشر سنوات • من المؤكد أنه ماكان ينصح

أى انسان ينتصحه أن يفعل مافعل ولكن الانسان دائما يظن أنه شىء آخر غير الناس وأن مالايجدر بغيره يجدر به فزكريا مثلا كان يظن أن شبابه دائم وأن المجاذبية التى يتمتع بها تستطيع أن تعوض سهر عن فتوة العشرين وأن اللقب والمكانة أهم بكثير من تقارب السن .

ولم يكن الأب يسأل ابنته فى شأن زواجها ولهذا لم تحاول سهر أن تمتنع فسادام أبوها قد اختار لها هذا فلا ترد ارادته ولكنها فى شبابها المتفتح كانت تعرف الطريق الذى فرشه لها أبوها برتبة الباشوية التى نالها .

وظل الزواج سرا .

شخص واحد كان الباشا يصحبه الى بيت زوجته الجديدة هو راشد بك برهان . فقد عرف فيه الباشا قدرته الفائقة على سكب حياة كاملة فى لحظات متعة . وقد كانت السرية التى تحيط بالزواج تجعل الصلة بينه وبين زوجته يحيط بها جو المغامرات الذى كان يحيط بصلاته مع رفيقاته السابقات وقد كان الزواج يحصن العلاقة اذا هى افتضحت من أن تلوك الألسنة اسمه كما لاكتها فى حادثة الحذاء وفى أحداث أخرى مشابهة .

أعجب راشد بزوجة الباشا وأعجبت به . رأت فيه الشخص الذى تستطيع معه أن تمارس شبابها وتحس بجمالها الأسر مقدرًا عند خبير نساء . وهو وان كان يكبرها فى السن الا أن الفارق أقل من ذلك الفارق الذى يفصلها عن زوجها .

أحست سهر فى عينى راشد الاعجاب وكانت تعلم أنه له يقدم على مغاللتها على مرأى من زوجها فالزوج لماح



الذكاء وراشد يعرف مقدار لماحيته وذكائه اذن فلتقدم  
هى .

حين انتهت السهرة وحان الموعد لراشد أن يترك  
الزوجين قام واستأذن وصافح الباشا وصافح سهر واذ  
بشئ أدرك أنه ورقة تتكور فى يده فيطبق عليها يده .

ويقرأ راشد على ضوء سيارته الداخلى .

« تعال غدا فى الساعة السابعة الباشا لن يأتى غدا »

ويضع الورقة فى جيبه ولا يتولاه عجب كثير فقد كان  
يعلم أنه اذا لم يقيم هو بدور العشيق لهذه الزوجة الشابة  
فسيقوم غيره ولا بأس أن يخون صديقه الذى ائتمنه على  
حريمه فهو خير ألف مرة من غيره فقد يكون هذا الغير محبا  
للظهور وقد يكون شابا فيه رعونة الشباب وزهوه فيفتضح  
من أمر الباشا ماينبغى أن يكون سرا .

فهو اذن يقوم بدور العشيق لزوجة صديقه حماية  
لمرض هذا الصديق أن تنتاشه السنة حداد وفى ميدان  
السياسة يباح كل شئ .

ذهب الى بيته فى هذه الليلة فاستقبله بدوى خادمه  
الجديد بعد أن أحال خادمه السابق على المعاش . فقد كان  
عم محمد بن كما كان يسميه قد بلغ من الكبر عتيا فطلب  
اليه أن يظل فى البيت يشرف على المآكل والمشرب ويترأس  
الخدم دون أن يقوم بأى عمل وطلب اليه أيضا أن يستقدم  
خادما له جديدا يقوم على خاصة شأنه ويتولى شأن ملابسه .  
فكان بدوى .

خلع راشد حلتته وألبسه بدوى الجلباب واستلقى راشد

على سريريه . . . لقد بدأت مغامرة جديدة . لم يكن الى ذلك  
الحين قد رأى خديجة بل أنه لم يرها الا بعد ذلك بحوالى  
عامين استمرت فيهما علاقته بسهير وطبعاً لم يعرف الباشا  
شيئاً فكان كثيراً ما يقضى مع الزوجة وزوجها السهرات .

\*\*\*

اغتالت البورصة فهمى عبد الحميد . صديق راشد  
اللسيق وجاره فى الأرض الزراعية وشح المال فى يده  
وأوشك أن يبيع عزبته المجاورة لأرض راشد الواسعة  
فاستدعاه راشد .

- كم تحتاج .
- لماذا لاتشترى أنت العزبة .
- هذا كلام فارغ .
- المبلغ كبير .
- ولكن البورصة لاتستمر على حال واحدة .
- وهى أيضا بلا قلب .
- اذا كانت خانتك اليوم وأعطت غيرك فليس بعيدا أن  
تخون غيرك فى غد وتعطيك .
- اذا أعطتنى أشتري أرضا أخرى أو أسترد منك  
الأرض .
- أنا لن أشتري .
- أبحث عن مشتر .
- وانت لن تبيع .

- غير معقول أن تسلفنى مبلغا كبيرا كهذا •
- اذا لم أحتمل أضمنك فى البنك •
- أريد عشرة آلاف جنيه •
- عندى •
- أبيع العزبة أحسن •
- العزبة تساوى أكثر من هذا • • خذ •
- وأعطاه شيكا بالمبلغ وكتب فهمى كمبيالة مستحقة الدفع
- عند الطلب وضعها راشد فى حافظة نقوده •

\*\*\*

فى سهرة عند الباشا أو عند سهير أيهما شئت قال  
راشد •

- معالى الباشا عندى خبر لابد أن أقوله •
- وهل تحتاج الى مقدمات •
- ولعل سهير هانم يهملها أن تعرفه أيضا •
- خيرا •
- ربما أصبح من العسير على أن أكثر من زيارة معاليك
- بعد ذلك •
- اذن فالخبر هام حقيقة •
- أنا أيضا سأتزوج •
- واربد وجه سهير هنيهة ولكن سرعان ما استجمعت
- قوة الأنثى •
- ألف مبروك •

- وقال الباشا .
- نعرفها •
- يامعالى الباشا لو كنت تعرفها لما تزوجتها أنا أبدا •
- وقهقهه الباشا بصوت مرتفع •
- وتبسمت سهير وقال راشد مستطردا •
- نعرف أباهما والى هنا والمسألة سليمة والحمد لله •
- من •
- ابنة عثمان باشا فكرى •
- لقد اخترت •
- حقا يا باشا ؟
- سمعت عنها كل خير •
- الحمد لله • • معاليك متأكد أنه سمع فقط •
- نعم • • نعم • • لا تخف • • وماذا تريدنا أن نقدم لك هدية لهذا الزواج •
- معاليك خير من يختار •
- اننى أعد لك مفاجأة منذ بضعة أشهر أظن أنها تصلح هدية لزواجك •
- هل لى أن أسأل •
- الآن أستطيع أن أقول لك •
- عظيم •
- أنت تعرف صلتى برئيس الوزراء •
- نعم ولو انك رفضت أن تشترك فى الوزارة •

– الوزارة بالنسبة لى خسارة كبيرة فهى تجعلنى أترك  
الشركات التى أعمل بها •

– ربما كنت على حق •

– اعتذرت عن عدم قبول الوزارة ولكن تستطيع أن  
تعتبرنى مشتركا فيها فرئيس الوزراء يستشيرنى دائما وقد  
طلبت أجرا لاستشارتى هذه •

– طبعا استشارة زكريا باشا لابد أن تكون مكافأتها  
كبيرة •

– لقد طلبت لك الباشوية •

– حقا •

– وأظن أن اسمك سيظهر فى انعامات العيد •

– لم يبق الا أشهر قلائل وتصبح راشد باشا برهان •

– اسمح لى أن أقبلك يامعالى الباشا •

\*\*\*

حين ذهب الى بيته راح خادمه الجديد أدريس يخلع عنه  
ملابسه فقد غضب عم محمدى على بدوى واتهمه بأن يده  
طويلة وحرامى فطرده وجاء بأدريس بدلا منه ولم يكن راشد  
بك يرد لعم محمدى أمرا يأمره فى البيت فقد كبر على يديه  
وهو يعتبر مربيا له ••

لاحظ ادريس أن راشد بك سعيد حالم وان كان لم  
ينطق بحرف واحد وبينما هو يخلع عنه بنطلونه اذا بعم  
محمدى •

- - سعادة البك
- وقال راشد في نفسه بعد بضعة أشهر ستقول سعادة
- الباشا يا عم محمد
- - نعم يا عم محمد
- - فهمى بك تحت
- - الآن
- - لما زأى دهشتى قال انه يريدك فى شىء مهم
- - اللهم أجعله خيرا •• البسنى يابدوى آسف أقصد
- يا ادريس
- وحين لبس قال لمحمد
- - هات دفتر الشيكات من درج الدولار يا عم محمد
- ونزل راشد الى حجرة مكتبه
- - خيرا يا فهمى
- - أين الكمبيالة ؟
- - يارجل •• أمن أجل هذا تأتى فى هذه الساعة
- - ان الحديث الذى أريدك فيه لاتصلح له الا هذه
- الساعة
- - هل رد الدين يحتاج الى هذه الساعة
- - انى سارده نعم ولكن ليس بالطريقة العادية
- - ماذا ؟
- - معى ورقة تحتاج اليها

- وهل تريد أن تبيعها لى •
- نحن نعمل فى البورصة وأنت قلت ان البورصة لا قلب لها •
- ولكن نحن لنا قلوب •
- نحن أبناء البورصة •
- بل نحن أبناء الانسان •
- المهم ألا تريد أن ترى الورقة •
- لا بأس •
- وأخرج فهمى الورقة وفتحها لحظة ثم أقفلها وأعادها حيث كانت •
- ودارت الدنيا براشد واستمر فهمى •
- انك على وشك الزواج وفضيحة كهذه تقضى على زواجك •
- هل هذا معقول •
- وقد عرفت أنا بتحرياتى أن الباشا تزوج سهير ممدوح وطبعا الورقة منها •
- أيمكن هذا !
- تصور لو وقعت الورقة فى يد ابنه عدلى • لقد جه حين أخبرته أن أباه تزوج وحاول أن يخبر أمه ولكنها فى مرض الموت ولا تعى شيئا •
- أهذا فهمى الذى يكلمنى •

- تصور أن عدلى ينوى رفع دعوى سفته على أبيه فكر  
فى اثر هذه الورقة فى القضية •
- فهمى المبلغ لايهمنى وسأعطيك الكمبيالة ولكن كيف  
تصنع أنت هذا •
- ألم أقل لك ان البورصة لا قلب لها •
- ولكن أنا أيضا ابن البورصة وأنا •• أنا •
- أعرف ماتريد أن تذكره من شهامتك ولكن الناس  
معادن • أنت شهم وأنا نذل أظن أن هذا يوفر عليك كثيرا  
من الكلام •
- هات الورقة •
- هات الكمبيالة •
- لك حق فأنت تظن الناس جميعا مثلك نتبادلها فى  
وقت واحد •
- وتمت المبادلة ••
- هل اطمأنتت الآن •
- كنت أستطيع أن أطلب ضعفى هذا المبلغ وكنت  
ستدفع •
- الآن أعلم أنك أنت الذى ستدفع •• وستدفع أضعاف  
ماأخذت •
- أتظن ذلك •
- سترى •



**وهكذا** سافر راشد الى أوروبا مع عروسه فى ذهنه كثير يشغله فقد ترك زوجة زكريا باشا نعيمة هانم بين موت وحياة وابنه عدلى كاد يجن من خبر زواج أبيه وهو لا يجد من أمه أذنا أو فهما ليبيثها هذا الخبر فتتقضى على هذا الزواج قضاء مبرما وهو وان كان قد تجاوز الثلاثين الا أنه غبى قاصر العقل هزيل التصرف ، وليس ببعيد أن يرفع دعوى السفه على أبيه فجعله يحول بينه وبين معرفة هزل هذه القضية وعدم جديتها • وكل ما يعرف عن أبيه أنه زوج أمه الذى يطيعها فى كل شئ ولو كان على شئ مهما يكن هينا من الذكاء لعرف أن أباه لا يطيع أمه الا فى تافه الأمور فلو قد فكرت أن تتعرض لآرائه الفقهية أو السياسية لكان له معها شأن آخر •

وليس راشد بالذى يفكر هذا التفكير جميعه فى شأن زكريا لمجرد الاهتمام بأمره وانما خشى أن يشغله شأن ابنه هذا عن السعى الى الباشاوية التى وعده بها •

وهو يخشى أيضا أن تؤلمه سهر عليه فقد قطع علاقته بها تماما منذ ذلك اليوم الذى أعلنها فيه أنه سيتزوج ولل سيدات الى هذه الأمور مداخل لا يلج منها سوى ذكائهن .

ولكنه مع كل ذلك كان يفضل السفر فهو لا يحب أن يظهر أحدا على اهتمامه برتبة الباشوية ثم لا تأتى وهو يفضل أن يعرفها الناس من المرسوم لا منه وأن له أصدقاء خلص وهو يخشى - وان كان يعرف نفسه - ان تفلت منه كلمة تنبئ عما يدور بنفسه من آمال .

وقد حرص راشد ألا يخبر زوجته بما ينتظر ، فالرتبة عند السيدات لها مكانة خاصة وهو يخشى ألا تأتى فتهتز مكانته فى نفسها .

لم يستطع شئ من هذا جميعه أن يحول بينه وبين أن يعيش الساعة فى فرنسا ساعات مكثفة من البهجة يشيعها من نفسه الى قلب زوجته والى قلب كل من يشاركهما فى لياليهما أو فى بياض نهارهما .

فهو من أولئك القلة التى تعرف لكل لحظة حقها فلا يعدو التفكير على المتعة ولا تعدو المتعة على العمل .

وهو أيضا كان يعلم أن ليس فى القاهرة شئ يستطيع أن يفعله فالانتظار وحده ليس عملا .

أما عن فهمى فانه لم يبت ليلته التى زاره فيها ليعرض سفالته الا وقد أعد له عدته وعرف تفاصيل ماسيفعله بشأنه . ولم يكن الموعد الذى حدده قد جاء بعد .

حين عاد راشد الى القاهرة فى أوائل سبتمبر كان الباشا قد أعلن زواجه من سهر بعد أن ماتت نعيمة وأصبح الباشا يخرج مع زوجته فى كل مكان .

وكان عدلى قد رفع دعوى السفه على أبيه فجعل من نفسه أضحوكة بين الناس . فان كان لابد من دعوى ترفع كان الأجدر أن يرفعها الأب العالم الذكى على ابنه الغبى الجاهل .

وكان زكريا باشا كبيرا كشأنه فاكتفى بإرسال أصغر محام فى مكتبه وهو يعلم أن مهمة المحامى غاية فى السهولة واليسر . ولم يكن عجيبا ألا يفكر زكريا باشا فى حرمان ابنه من الميراث وما كان أيسر من هذا بالنسبة اليه ولكن لعله بروح القاضى العادل ، والفقيه القانونى قد أدرك أنه هو الذى أهمل شأن ابنه وجعل منه هذا السخيف الذى أصبح بهما هيات له أمه من مجالس فارغة مع نسوة جاهلات وماهيات له طاهى المنزل من ثقافة مطبخية .

ولم يشأ زكريا أن يعاقب ابنه على خطأ ارتكبه هو نحوه ويعتبر نفسه مسئولا عنه .

وبقدر ما كانت أحاديث القاهرة تسخر من سخافة عدلى بقدر ما كانت تكبر موقف أبيه وتعاليه عن الصغار وعن أن يجعل نفسه فى كفة ميزان مع ابنه السخيف .

كان العيد قد اقترب وذهب راشد الى القرية ومعه زوجته وراح يوزع على الفلاحين الملابس والنقود مضاعفة هذا العام مدعيا أنها من أجل زوجته فانطلقت الألسنة تدعو لها وله بكل هناء وان كان هو فى خبىء نفسه يدبر لأمر ويعد له بهذه المنح عدته .

ظهرت أسماء الذين أنعم عليهم برتبة الباشاوية وانفجر الخبر فى البلدة حيث أحب راشد أن يكون فى الريف تصبح الأقراح والأحزان أكثر جلاء ووضوحا من المدينة .

فى الرىف ینطلق الفرء فى کل بیت • توشك  
تراه فى الشمس وفى القمر وفى الزرع وعلى وجوه الأنعام  
مع زغارید النساء ورقص الرجال وقرع الطبول وهتاف  
المزمار •

وأعاد راشد المنح مرة أخرى بمناسبة الباشوية وركب  
سیارته مع زوجته لىقید اسمه فى دفتر التشریفات ثم لىذهب  
بعد ذلك فوراً الى زکریا باشا لىشعره أنه یعرف الفضل  
لأهله وأخبره زکریا باشا بالأسماء التى ینبغى أن یمر بها  
لیقدم الشکر مثل رئیس الوزراء ورئیس الدیوان وكبیر  
الیاوران وغيرهم •

لم یمكث الباشا راشد فى القاهرة أكثر من یومین ثم  
أخبر خدیجة أن لیه عملاً فى القرية وقد یضطر أن ینغیب  
بها یومین ولم تكن الزوجات الى ذلك الحین یناقشن رغبات  
أزواجهن وخدیجة لها من ثقافتها ما یجعلها تعرف تماماً متى  
ینجمل بها أن تسأل ومتى ینبغى لها ألا تتدخل فهى تدرك أن  
أعمال زوجها لیست مجال أسئلة لها أو تدخل • •

وهكذا أخذ حاضرة صاحب السعادة راشد برهان باشا  
طریقه الى قریته •

٦

• في زيارته الأولى سأل

– متى نجمع القطن ؟

– بعد بضعة أيام •

– والعزب التي تجاورنا ؟

– بعدنا •

– كلها ؟

– كلها نحن أول من زرعنا القطن في الجهة •

– عظيم • • سأحضر معكم الجمع هذا العام •

– نزداد شرفا ياسعادة الباشا •

في زيارته الثانية ركب راشد حصانه وراح يمر  
بأرضه مع حمزة البلاشوني وكيل زراعته • وبدأ وكأن  
«راشد» أخطأ الطريق فمر على حدود الأراضي المجاورة وسأل  
حمزة •

- كم فدان قطن هذه ؟
- ثلاثمائة فدان •
- ولم يعقب •
- وحين عاد الى البيت قال لحمزة •
- أريد متولى الفراش •
- سعادتك تقصد متولى صاحب الفراشة •
- نعم •
- سعادتك تنوى أن تقيم لنا ليلة بمناسبة الباشوية •
- ستكون ليلة وأنت بطلها •
- ياليت يأسعادة الباشا لو كنت أعرف كيف أغنى لغنيت للمصبح •
- ستغنى يا حمزة .. ستغنى للمصبح ولكن بأصوات أخرى •
- سعادتك تتوقع أن أفهم ؟
- مؤقتا المطلوب ألا تفهم •
- وسأل متولى صاحب الفراشه •
- كم كلوب عندك ؟
- أمرك يأسعادة الباشا •
- أريد ثلاثين •
- أمرك سعادة الباشا •
- خذ .. اشتر ما ينقصك وحين تنتهى الليلة خذها لك

- ربنا يطيل عمر سعادة الباشا •
- متى تكون مستعدا ؟
- عندما تأمر
- الليلة •
- أمرك •
- وقال حمزة •
- أريد كل نظار العزب •
- أمر سعادة الباشا •
- بعد ساعة •
- أمرك •
- ومعهم الخوليه •
- أمرك سعادة الباشا •
- قال لهم راشد •
- أريد أطفالا وشبابا ونساء في سن جمع القطن •
- وقال حمزه •
- كم تريد •
- لو كنت أريد عددا ضئيلا ماجمعت كل هؤلاء الرجال
- أريد كل من تستطيعون أن تجمعوه • وأريد عربات نقل
- وجمالا وحميرا أيضا بقدر ماتستطيعون •
- ونظر الرجال بعضهم لبعض وقال أحدهم •
- القطن عندنا لا يستحق الجمع الآن •

— لا عليك يا حاج جوده ستعرف كل شيء فى حينه ..  
أنا أعرف أن أحدا لم يفتح فى الجمع حتى الآن .. كم نفر  
تستطيع أن تجيئنى به .

— أمرك أستطيع أن أحضر أكثر من مائتين .. فالجميع  
الآن لا يصنعون شيئا .

— وهذا بالضبط ما قصدت اليه .

— وهو كذلك .

وراح كل ناظر وكل خولى يدل بعدد الأنفاس التى  
يستطيع جمعهم واكتمل العدد الفا ومائتين أدرك الباشا أنهم  
لن يتجاوزوا الألف وهذا ما اراد .

— متى تستطيعون أن تحضروهم .

— أن أردت الآن .

— أنا فعلا أريدهم الآن .. ان انتظرونا الى الغد فشل  
كل الترتيب الذى أصنعه .

— أمرك .

— متى تحضرون .

نظر الحاج جوده حوله لحظة ثم قال .

— صفار شمس ياسعادة الباشا .

وأمنت الأصوات على الموعد .

قبل ان تغرب الشمس كانت الأرض الفضاء الواقعة  
أمام سراى راشد باشا برهان تغص بالناس منهم من جاء



تلبية للطلب ومنهم من جاء ليعرف السر وراء هذه الدعوة  
الغريبة للناس والأنعام جميعا وفي نفس الوقت كان الباشا  
مجتمعا مع حمزه ونظار العزب في حجرة مقفلة لم يسمح  
لغيرهم بدخولها • وسأل الباشا حمزه •

— هل خسر العزب معكم •

— طبعاً •

— هل معهم أسلحتهم •

— طبعاً •

— كم بندقية عندنا •

— كان عندنا عشر بنادق اثنتان منهما الآن في الإصلاح  
• • عندنا الآن ثمان •

— لا بأس ما سأقوله الآن سينفذ دون أن يعرف أحد  
في الخارج شيئاً الا وأنتم في المكان الذي أحده •

— أمرك •

— ستأخذون الانفار جميعا الى أرض فهمى عبد الحميد •

ونظر الرجال بعضهم الى بعض وأكمل الباشا •

— في ساعة زمن سينزل الجمعية الغيط مع كل جماعة  
كلوب وحول الأرض الخفراء مع بنادقهم • • يهددون فقط  
لا أريد عنفا وقد تكتمت الخبر وأعتقد أن أحدا لن يأتي  
اليكم وفهمى عبد الحميد غير موجود وحين يأتي ستكونون  
قد جمعتم القطن •

الأكياس ياحمزه التى آتينا بها لقطننا أنا اشتريتها  
لهذه العملية •

— أمرك ياسعادة الباشا •

— تخرجون وتأخذون الأنفار دون أن تقولوا الى أين  
حتى يجدوا أنفسهم أمام القطن ياحمزه هذا أجر مضاعف  
للأنفار وكافىء كل من يبذره همة •

الناس فى القرى لا يسمحون لفرصة كهذه أن تمر دون  
أن يعرفوا أعماق أعماق الأسرار التى تقف وراءها انهم  
واثقون أن هذا المشهد الذى يرون سيصبح تاريخا يتحاكون  
به ويجعلون منه على الأيام بصمة كعام الفيل الذى خلده  
التاريخ • فكل حدث ضخم فى القرية عام فيل ونراهم  
يقولون فى سليقة موالية وكان هذا قبل حكاية الباشا وفهمى  
عبد الحميد بأسبوع أو بعدها بشهر وهكذا ستصبح علامة  
زمنية يرويها أب الى ابنه وابن الى حفيده •

فهيئات هيئات أن يتركوا الجموع تذهب ولا يقصوا  
أثرها ويتبعوها الى حيث تذهب وان كانت جهنم هى المقصد  
والمتجه •

وهكذا تجمع مئات آخرون حول الجمعية الذين أنافوا  
على الألف وساروا يتبعهم كل من رآهم حتى اذا بلغوا أرض  
فهمى وقف حمزة وألقى أوامره فى حسم وفى اختصار  
وتفرقت الأضواء وأحاط الخفراء بالأرض وتسلم كل نفر  
خطا وبدأ جمع القطن • ووقف المتفرجون لحظات وقد عقدت  
الدهشة ألسنتهم ولكنهم مالبثوا أن تبينوا مقدار الجرة  
والابتكار فى هذا الذى يحدث وهم مطمئنون أن سندهم  
الباشا فما لهم لا يشاركون فيما أخذ فيه الجمعية وتصبح

زوايتهم بعد ذلك مؤيدة بأنهم جمعوا مع من جمع وتمكنوا  
أن يجمعوا ثلاثمائة فدان. بدأوا فيها بعد أذان المغرب  
وانتهوا منها وصلاة العشاء مازالت حاضرة .

حتى السرقة فى القرى توقت بأوقات الصلاة . وهكذا  
نستطيع أن نقول انه حين وجبت صلاة الفجر كان قطن فهمى  
عبد الحميد فى مخازن راشد باشا برهان مستقرا وكأنه فيها  
منذ أيام طويلة .

\*\*\*

أصبحت هذه القصة أحداث المديرية كلها يتناقلونها  
بشئء أثير من الدهشة . فراشد حسن السمعة لم يمد يده  
فى حياته الى ماليس له وفهمى عبد الحميد ليس فوق مستوى  
الشبهات وهكذا سرعان ما ابتدعت الاشاعات قصة عن  
السبب وصدقها الناس .

فالناس لا يحكمون على أحد من حادثة واحدة وانما هم  
ينظرون فى ماضيه جميعا ويقارنون ويقدمون الحيثيات ثم  
يصدرون الحكم .

لقد أكل فهمى عبد الحميد على راشد مبلغا من المال  
وأبى أن يرده اليه فلم يجد راشد أمامه سبيلا الا هذا فهو  
لا يحب أن يستلب أحد أمواله مادام هو لا يحب أن يستلب  
أموال أحد .

وهكذا أصبح فهمى عبد الحميد المجنى عليه ظالما لا  
مظلوما ولا اشفاق عليه فهو الذى صنع اسمه هذا وسيرته  
تلك بين الناس فليس عجيبا أن يكون هذا هو حكم الناس  
عليه . وأن من يقدم على ما أقدم عليه نحو شخص أكرمه

وأقال عشرته وحفظ عليه ماله وأرضه ليس غريبا عليه أن يكون اسمه بين الناس غير كريم • فهذا الاسم يتكون عند الناس من أشياء صغيرة غاية في الصغر • يأتيها ذو النفس اللثيمة عن غير قصد ويستقبلها الناس في كثير من الأحيان وبنوع من النفور قد لا يعرفون سببه وليس غريبا أن تسمع من الناس عن فلان منهم أنهم لا يرتاحون إليه وربما عجزوا عن ابداء الأسباب ان سألتهم أسبابا فهمى عبد الحميد هو هذا الفلان من الناس عند الناس •

عرف أهل المديرية مما تواتر عن هذه الحادثة أن «راشد» في القرية فتوافدوا إليه من كل البلاد يهنئونه بالبشوية ويسخرون من فهمى عبد الحميد وربما حاول أصدقائه المقربون أن يعرفوا منه مادعاه الى مافعل ولكنه كان يقول في حسم •

— هو يعرف وهذا يكفى •

وقصد الى بيت راشد باشا مدير المديرية والمأمور والحكمدار وقال الباشا المدير •

— جاءتنا شكوى من فهمى عبد الحميد •

وقال راشد في نوع من التجاهل •

— خيرا •

— لا تحاول معنا تجاهلا • • فقد حققنا الشكوى •

— مم يشكو •

— المهم أن كل رجاله رفضوا أن يشهدوا ضد أى أحد

من رجالك • فأشجع من فيهم الذى قال ناس لانعرفهم • • وأغلبهم قال ليسوا من الناحية ولا من الجهة •

- مازلت لا أعرف عم تتحدث يا سعادة الباشا •
- والله وأنا الآخر لا أعرف عم أتحدث •• اطلب لنا القهوة يا سعادة الباشا •
- انها عادة تأتي دون أن أطلبها يا سعادة الباشا شرفت •• شرفت يا سعادة الحكمدار وانت يا سعادة البك المأمور •
- انتهزنا الفرصة لنهنئ سعادتك بالباشوية •
- أكرمك الله يا سعادة الحكمدار •• ان شاء الله نهنئك بها قريبا •
- والتفت الى الباشا المدير •
- سعادة الباشا يحب النارجيلة •
- وقد أحضرتها معى فى السيارة •• أتأمر باحضارها
- لا يا سعادة الباشا فى هذه المرة ستشرب فى نارجيلة أخرى ومعها دخان استقدمته لسعادتك خصيصا من تركيا ••
- وصفق راشد باشا وأصدر أوامره ومالبثت أن جاءت شيشة ذات مبسم من المرجان وقد أحكم عليها دخان واضح الفخامة وماهى الا أن جذب منها الباشا المدير جذبة فاذا هو يقول :
- سعادة الباشا ليس فى مصر رجل مثلك يعرف كيف يحيى الناس فى أناقة وترفع •
- ويضحك الجميع •
- لقد كانت ملاحظة المدير غاية فى الصدق •• فمن يستطيع أن يقول ان مديرا عظيما يرشى بنارجيلة انما هى

هدية من ناحية الثمن لاتساوى شيئاً ثم هو يقدمها اليه على  
الملأ والرشاوى لاتقدم على الملأ .. انما هى هدية من  
صديق ولاتحمل أى تأويل آخر .. ثم هى هدية تحمل فى  
طواياها أن مقدمها يهتم بمن سيقدمها اليه ويبحث عما يسره  
من الهدايا ويقدمها اليه .

ذكى سعادة الباشا الجديد .. ذكى لاشك فى ذلك .

**شهرة** سيدة عجيبة . . إنها ابنة عم خديجة وأبوها  
 وجدى باشا عزت وقد تظن أنى أخلط الأنساب فجعلت أختا  
 عثمان باشا فكرى اسمه وجدى باشا عزت ، ولو أنك سألت  
 واحدا من أبناء هذا الجيل لعلمت أن المدارس فى ذلك العهد  
 العهيد من الزمن كانت تسمى تلاميذها بأسماء تركية غير  
 تلك التى يردون بها الى المدرسة ولم تكن هناك شهادات  
 ميلاد فى ذلك الحين .

فوجدى باشا عزت هو أخو عثمان باشا فكرى كما شاعت  
 المدرسة أن تسميه . وان كان عثمان باشا فكرى قد نال  
 الباشوية عن طريق غنى سابق تبدد فأصبح أقرب الى الفقر  
 فان وجدى باشا عزت نال الباشوية عن طريق السياسة فقد  
 كان عضوا بالتجمعات البرلمانية التى كانت تسمى المجلس  
 التشريعى أو مجلس شورى القوانين ولم تمهله الحياة أن يرى  
 مجلسى البرلمان اللذين نبثا عن دستور عام ١٩٢٣ وكانا  
 يسميان مجلس النواب ومجلس الشيوخ . ولكن وجدى باشا

ترك مع ذلك سيرة طيبة وترك أيضا بقية من مال تجعل  
ابنته شهيرة تنسلك بشيء من الصعوبة والعسر مع طبقة  
الأغنياء الا أنها كانت تعيش عيشة سمحة لا عنت فيها  
ولا ارهاق .

وكانت شهيرة تستطيع أن تستغنى باسم أبيها وبما  
تركه من مال عن تعلقها بأصحاب الألقاب وأصحاب الشهرة  
فهى مثلا لم تزر خديجة الا زيارات نادرة تستر بها واجبات  
القراية . فلم يكن راشد ذا شهرة فى المحيط الذى تحيا فيه  
شهيرة وابنة عمها لاتمثل عندها الا أنها ابنة باشا وباشا غير  
ذى شهرة بل وغير ذى مال أيضا .

وهكذا لم تجد شهيرة داعيا أن تزورها حتى اذا نال  
راشد الباشاوية أصبحت شهيرة لاتترك بيت خديجة بل  
وأصبحت لاتخفى عنها سرا من أسرارها .

كانت شهيرة تجد متعة فى نطق كلمة باشا وتحس لها  
مذاقا فى فمها وموسيقى فى أذنها وتكاد تشم لها رائحة  
فواحة العبير فى خياشيم أنفها . ونفس هذا الشعور من  
النشوة كان يلفها اذا ذكرت اسما من أسماء المشاهير فى أى  
متجه تحققت له الشهرة فيه . وانى لأعجب لها ولاشك أنك  
ستعجب معى ان النساء الشهيرات فى عالم الليل وفى غير  
مايشرف المرأة ان تشتهر به كن يثرن فى نفسها نوعا من  
التوفز حتى اذا تعرفت بواحدة منهن اتخذت منها صديقة  
مقربة توشك لاتفلت يوما لاتزورها فيه أو تتصل بها .

رحبت خديجة بصداقة ابنة عمها الجديدة . والحقيقة  
أن شهيرة أنيسة الجلسة طيبة الحديث يمر معها الوقت لاتكاد  
جليستها تحس به . وقد سعدت شهيرة أن توثق صلتها



بجلفدان هانم والدته راشد باشا وقد كان الجميع يناديها  
هانم أفندى كما سمعت ابنها يناديها فى أول هذا الحديث  
الذى أسوقه اليك •

فكلمة هانم أفندى ذات رنين عند شهيرة بل أنها  
تجد فى نطقها انها تختلف عن الأخريات اللواتى لا يعرفن  
سيدة يقلن لها هانم أفندى • ولا يهمها أن سبب هذه التسمية  
أت من أن السيدة جلفدان كانت ابنة لحدى حريم السلطان  
عبد الحميد وزوجها لواحد من أتباعه وقد خطبها زوجها  
والد راشد من تركيا وشفع له غناه فنسى أصهاره أو أرادوا  
أن ينسوا أنه ليس الا فلاحا لا يرقى الى سماواتهم •

ليس شئ من هذا يقع موقع الأهمية عند شهيرة المهم  
أن تقول هانم أفندى والمهم أن هانم أفندى أحببتها وتجمع  
الجلسة ثلاثتهن •

— ألا ترين طريقة لقريبتك هذه شهيرة هانم •

— مالها هانم أفندى •

— لا تريد أن تأتى لنا بمولود •

وكانت خديجة تحب حماتها حبا طاغيا فهي قد تركت  
لها شئون المنزل تصنع فيه ماتشاء وقد قدرت لها خديجة  
هذا فجعلت اشارتها أمرا فهي تنفذ لها أوامرها قبل أن  
تنفذها لزوجها ولهذا لم تكن أحاديث حماتها عن الانجاب  
تثير فى نفسها شيئا مما يغضب له النساء عادة اذا طالعتهن  
الحموات بمثله وعلى كل حال فقد كان لها مع حماتها فى  
يومها ذاك شأن آخر •

— وهل بيدي هانم أفندى •

- كل شيء بأمر الله هانم أفندى .
- ولكن يا ابنتي يا شهيرة انها لا تريد أن تسمع كلاما فى هذا الشأن .. علينا أن نحاول ..
- نعم فى هذا أنت محقة هانم أفندى ماذا جرى لك يا خديجة .. لابد أن نحاول .. أعرف داية ..
- اسكتى يا شهيرة .
- ألا تريدان حتى أن تسمعى .
- هانم أفندى .. انى حامل .. وأنا أخبرك الآن قبل أن أخبر الباشا وسقط الصمت على الحديث المتحمس وارتسمت ابتسامة على فم خديجة ، واندلعت دهشة وفرحة فى عيني جلفدان وانعقد لسان شهيرة .. لحظات .. بدت بطيئة ولكنها لحظات ثم انتفضت هانم أفندى الى دولا ب نقودها وقبضت منه قبضة وصاحت :
- يا بنات .. يافهيمة يا وهيبة ياسنية يا حبيبة ..
- وتقاطرت الخادومات الى السيدة الكبيرة .
- خذن .. خذى أنت وأنت وأنت .. زغردن زغردن جميعا .. افتحن الشبا بيك .. افتحن الشبا بيك أنا أمر بهذا .. افتحن الشبا بيك وزغردن ولا تتوقف منكن الزغاريد حتى يأتى الباشا ويسمعه منكن .
- وأخذ الضحك السعيد بمجامع خديجة وأحست شهيرة لأول مرة أنها لا تجد شيئا تقوله أو تفعله .
- وخرجت جلفدان هانم من الحجرة وراحت تصدر الأوامر أن يبلوا الشرابات وطلبت محمدين وأمرته أن يفرق عيشا ولحما عند مقام السيدة زينب وسيدنا الحسين .

وقالت شهيرة لخديجة فى اهتمام :

— جاءنى عريس •

— من

— سامى حسنين •

— ابن خالتك • متى جاء من أوروبا ؟

— منذ شهر •

— أخذ الشهادة ؟

— فى الهندسة •

— وأنت مارأيك ؟

— تريدن الحق •

— أريد الحق

— هو بلا شخصية •

— بالنسبة لك ليس هذا عيبا •

— ماذا تعنين ؟

— أنت لاتحبين أن يكون هناك رأى بجانب رأيك •

— وهو أيضا فقير •

— وهذا أيضا أحسن لك •

— أعوذ بالله منك

— أنت غنية وغناك وفقره سيجعل كلمتك دائما هى

النافذة •

• - دمه ثقیل

• - یخف

• - یعنی

• - توکلی علی الله

وارتفعت الزغارید فعرفتا أنها تستقبل الباشا بالبشرى

## ٨

**انصبت** أخبار القطن على فهمي عبد الحميد ترادفها  
الدهشة والسجب ولعل بعض الندم ألم به • وسأله الناس  
فتظاهر بأنه مظلوم وإن لم يبد سببا • خشي أن يختلق سببا  
فيحل به عقاب آخر وخشي أن يقول الصدق فيحتقره الناس •  
لقد أدرك أن راشد قد اصطنع ما ليس من خلقه ليرد عليه  
تصرفه • لقد انتهب هو أموال راشد آمنا إلا أن راشد لن  
يتخذ نفس الطريق ليسترد أمواله •

لم يستطع فهمي عبد الحميد أن يذهب إلى راشد بعد الحادث  
بفترة قصيرة وإنما أثر أن يترك الأيام تنسى الناس ما حدث  
وأثر أن يشعر راشد أنه انتقم فلا يجاريه في الحديث • حتى  
إذا مر من الوقت ما أراد فهمي أن يمر ذهب إلى راشد في

بيته في مصر فقد حرص ألا يرى رجال راشد ورجاله ذله  
وانكساره خاصة بعد أن عرف ماكان من زيارة المدير ورجال  
الادارة لبیت راشد بالبلدة • وفي القاهرة •

— لم أتوقع هذا •

— لأنى عشت عمرى كله أكرمك وأكرم جوارك •

— فلماذا لم تكرم خطئى ؟

— أنا لا أستطيع أن أكرم سفالتك • لا أكرام عندى  
للسفالة •

— كلنا فى الهوى سوا ياسعادة الباشا •

— كذبت •

— حين تستحل صلة غير شريفة بصديق قريب لك تسمى  
هذا خلقا •

— أنا غير مستعد أن أدافع عن نفسى أمامك •

— ولقد حميتك أن تدافع عن نفسك أمام زكريا باشا •

— لو كنت أعطيتنى الورقة دون استغلالها لجاز لك أن  
تقول هذا •

— وما البأس أن أستغلها وأنا فى فقرى هذا •

— لقد وقفت الى جانبك فى فقرك • وأنا لم أطالبك •

— فرصة لاختر لى •

— فرصة قدرة •

— ألا يجوز لى وأنا ابن البورصة أن أستغل ضربة حظ •

- لقد صنعت أنت هذه الضربة واشتريتها من خادم لي •
- كيف عرفت •
- الأمر لا يحتاج الى ذكاء • ولو كنت ذكيا حقا لقد رت ذكاء الآخرين •
- لكل منا أن يبحث عن مصالحه أينما وجدت •
- ولكن يجب علينا أن نكون على شيء من الخلق •
- بإسعادة الباشا اننا نلعب على مائدة واحدة •
- ربما أكون قد أخطأت ولكنني أعرف أنني كنت مخطئا وقد تبت •• اننى منذ تزوجت لم آخذ زوجتى •
- ولا خنت صديقا لك •
- رددت خيانة أحدهم ولم أخنه •
- بإسعادة الباشا لقد خنتك فى مالك وخنت أنت صديقك فى عرضه فلا أعتقد أنك الشخص المناسب للحديث عن الشرف •
- أنت خنتنى فى مالى وفى اكرامى لك •
- لم تذهب بعيدا عما ذهبت اليه •
- أما أنا فقد تبت •
- الله وحده يعلم ما فى القلوب •
- ولكننا نحن البشر نعرف الظاهر • من الأعمال •
- ظاهرا الأعمال أنك استوليت على قطنى بغير حق •
- أليس لى حق عندك •

- أمام القانون لا حق لك •
- لو كان القانون يعطينى حقى ما لجأت الى تحطيمه •
- وثرى هذا عملا شريفا •
- ألم تقترح أنت ألا نتكلم عن الشرف •
- هذا حقك • • وماذا تنوى أن تفعل •
- أما أنا فقد فعلت •
- يخيل الى أن عملك لم ينته •
- لن أسمح لك بزراعة أرضك حتى أسترده مالى الذى  
عندك •
- أكتب لك كمبيالة جديدة •
- معنى الكمبيالة أننى أقبل تسليفك وأنا لا أقبل • •
- فى هذه المرة لابد أن أسترده أموالى نقودا مثل التى أعطيتها  
لك •
- ولكن • • ولكن هذا مستحيل •
- لماذا • • لقد غطيت خسارتك بالمبلغ الذى أعطيته لك  
ثم كسبت من أسهم الشركة الحديدية مبلغ عشرين ألف جنيهه  
وكسبت من صفقة اتحاد البنوك ثلاثين ألف جنيهه • • لو لم  
أكن أعرف أنك تستطيع رد أموالى لبحثت عن طريقة أخرى  
لاستردادها •
- تعرف عنى كل شىء •
- لقد قلت الآن اننا نلعب على مائدة واحدة •
- نخصم ثمن القطن وأعطيك الباقي لك •



- أى قطن •
- راشد بك •
- باشا اذا سمعت •
- راشد باشا •• أتتوى ••
- لقد نويت •
- وهل هذا معقول •
- وهل ما فعلته معقول •
- ان لى أولادا •• هذا حرام عليك ••؟
- وهل لابد أن يكون لى أولاد حتى أنال حقى وعلى كل حال ياسيدى اطمئن فان ابنى فى الطريق •
- فمن أجل خاطره اذن ياسعادة الباشا ارحمنى ••
- أعرف أنك قادر ولكننى أعرف أيضا أنك تعفو اذا قدرت •
- بشرط واحد •
- لقد أحضرت معى المبلغ •
- اسمع يافهمى سأقبل المبلغ الذى أحضرته على أن ننسى كل شىء حدث بيننا فى هذه الفترة •
- هذا شرط أبحث أنا عن تحقيقه اذا رفضت أنت •
- وهو كذلك هات المبلغ •
- شكرا ياسعادة الباشا •• ألف شكر •

**جاء** المولود الأول لراشد باشا وقد حلاله أن يسميه اسما عربيا عريقا ، فسماه أسامة وحاولت هانم أفندی أن تعترض لتخلد أسم أبيها نيازي ولكنها وجدت من ابنها اصرارا وقد صاحب مجيء أسامه فرح كبير فى الأسرة استبشرت خديجة واستبشرت به هانم أفندی ولم يجد راشد باشا بأسا أن يستبشر به أيضا فقد تحدد يوم زواج شهيرة من ابن خالتها سامى حسنين • وكان اليوم محددًا بعد ميلاد أسامه بعشرة أيام وقد تصادف أن تم تحديد الموعد والميلاد فى يوم واحد •

وفى المساء وبعد أن استطاعت خديجة أن تسمر مع المهنئين وهى فى سرير ولادتها قالت شهيرة •  
— والله لا أتزوج حتى تستطيعى انت حضور فرحى •

– هل جننت يا شهيرة •

– أكون مجنونة لو فعلت غير هذا •

وهكذا تجدد تحديد الموعد على يد الطبيب الذى أشرف على ميلاد أسامه فالأطباء فى ذلك الحين كانوا يشرفون على الولادة ولا يقومون بها • فانه لا ينبغى للسيدات ان يلدن بمشهد من رجل حتى ولو كان طبيباً • فكان الطبيب يحضر الولادة جالسا مع الرجال وكانت الداية التى يرشحها الطبيب هى التى تقوم بعملية الولادة نفسها • فاذا حدث خلل يستدعى تدخل الطبيب فانه حينئذ يتولى بنفسه العمل مباشرة • فقد كان ذلك الجيل لا يؤمن أن الوقاية خير من العلاج مادامت هذه الوقاية ستعظم عرفاً عريقاً كان يكشف الحريم على غير الزوج • وقد كان راشد جديراً أن يحطم هذا العرف لولا أن الطبيب طمأنه أن الولادة ستكون طبيعية وأنه لا يوجد ما تخشى عواقبه • لم يكن راشد من هؤلاء الذين يحبون أن يحطموا التقاليد لمجرد تحطيمها وانما كان يحطمها اذا تعارضت مع منطق الأمور ومعقوليتها وأن قضاءه شهر العسل فى أوروبا والطريقة التى أظهر بها زوجته على باريس لتدل على أنه لا ينتمى لهذا الجيل الذى يسلكه فيه زمانه ومولده وأسرته •

ولعل من العجيب أن راشد كان بهذا التحضر العقلى فى خاصة شأنه وأن يحافظ فى نفس الوقت على العرف والتقاليد محافظة صماء اذا لم تكن تتعارض ، مع رغباته وأهوائه ومزاجه الخاص •

فصلاته النسائية فى عصر قبل الزواج مستورة لا يعرف عنها أحد شيئاً ولولا خطأ نسيان لما أتيح لفهمى ما أتيح له من الحصول على هذه الورقة •

أما صلاته النسائية في باريس فقد كانت صاخبة عريضة يستره في علانيتها أن أحدا لا يعرفه هناك .

كان راشد شخصين متناقضين وهما مع ذلك متوائمان في نفسه متفاهمان لا يعارض واحد منهما الآخر ولا يعترض أحدهما على ما يأتيه الثاني كتوأمين اختلفت أخلاق كل منهما عن الآخر وتآلفهما في الوقت نفسه الحب العميق والاعجاب . . كان كل من الراشدين في نفس راشد يعجب براشد الآخر ويحبه ويشيد في همسه به ولولا خشية أن يقال نرجسى يحب نفسه لأعلن عن حب الراشدين أحدهما للآخر المكتم في نفسه التي تبدو أمام الناس راشدا واحدا . بل لقد كان هذا الحب المكتم هو في ذاته صانع الشخصين وسر حياتهما معا .

كان راشد العربييد يعجب براشد الجامد الصلب المحافظ على التقاليد المعتنى بملبسه عناية تقليدية فلا ينسى ، أن يمسك العصا وأن تكون الياقة منشأة انقلب طرفاها الى أعلى وتوسطها رباط عنق أنيق يتوسطه هو الآخر دبوس ماسي عريق .

ويعجب راشد العربييد براشد في المحافظ العامة رافضا اختلاط الرجال بالنساء ورافضا عمل المرأة الا أن تكون خادما بالمنازل ورافضا كل ماتريد الحضارة أن تدخل به الى العصر .

ويعجب راشد العربييد براشد مقيم الصلاة في مواقيتها وذاهبا الى المسجد من يوم الجمعة حتى اذا كان في القرية سبقته السجادة ليصلي عليها . واذا عرف في القرية أن شابا من شبابها يغازل امرأة أو يحاول أن يعتدى عليها استقدمه

وانهال عليه ضربا حفاظا على الشرف وردعا لكل من يحاول  
أن يحطم تقاليد الدين وعرف الآباء والأجداد .

ويعجب راشد العرييد براشد فاتح بيته فى القاهرة  
والريف كل لىالى رمضان ومشاهير المشايخ يتبادلون قراءة  
القرآن ويؤم البيتين الناس يباركون هذا العرف العظيم الذى  
يصر راشد أن يحافظ عليه .

أما راشد هذا التقليدى فهو يعجب براشد العرييد فى  
كل ما يأتية راشد العرييد سواء كان ما أتاه تاريخا لا يعود أو  
واقعا يعيش فيه . وسواء كان ذلك فى باريس مفضوحا هناك  
محبيا لإعلان العريبة حيث لا يعرف أحد من ذلك العرييد أم  
فى القاهرة يأتى من يأتية من النساء فى محافظة على التقاليد  
وفى عريبة صامته وقور لا تتفاضح ولا تعالن وانما تستمتع  
فى داخلها فتحتوى المتعة جميعا غير ذائعة ولا بادية . ولكل  
من الصنخب والصمت والعريبة والوقار متعته فى نفس  
راشد .

ولكن راشد حين جاء أسامة أحس أن راشدا ثالثا وفد  
على الراشدين وأحس أن هذا الثالث لن يجعل الأمور تجرى  
فيما تعودت أن تجرى فيه .

كان «راشد» براشديه يحس أنه حر وأن لديه من المال  
ما يكفيه لارضاء نفسه فيرضى بها الراشدين جميعا .

كان المال عنده وسيلة يحقق بها ما تصبو اليه نفسه  
سواء كان هذا الذى تصبو اليه مريحا ومتعة أم كان تعاظما  
ووقارا . فملبسه دائما أفخم ملابس وأثاث منزله أعظم أثاث  
وسيارته أحدث طراز .

والمال متعة لا مثيل لها مادام عند صاحبه وسيلة

لغاية .

والمال نقمة لاتماثلها نقمة ان أصبح هو فى ذاته غاية

لا وسيلة وهدفا لا طريقا وأملا لا سبيلا لأمل .

أى شيطان ركبه فجعله يظن أنه ينبغى له أن يترك لابنه

مالا أكثر مما يملك .

لقد أحس فجأة أنه لابد له أن يضاعف الثروة التى ورثها

حتى يرضى ابنه هذا الذى مازال فى سنوات الرضاع .

أصبح أحس بهذا أم تراه هيا لنفسه أن يحس هذا

الاحساس . هل يقلب الأبناء آباءهم رأسا على عقب .

أيمكن لهذا الطفل الذى يلوح طيفا قادما على المستقبل لم

تكتمل معالم وجهه أو جسمه . . مشروع الانسان هذا يستطيع

أن يقلب شخصا فى جبروت راشد ، وفى اكتمال عناصره من

شخص يريد المال ليستمتع به الى شخص يريد المال للمال !؟

أنا لأصدق . أغلب الظن أنها رغبة خفية فى نفسه تبحث لها

عن باب يبدو مشروعا لتنقلب حقيقة ولتجعل من صاحبها الذى

عاش سيدا للمال الى عبد من عبيد المال . فالذى يريد المال

ليعيش به يظل سيدا لماله ولزمنه فاذا أصبح المال فى ذاته هو

الغاية لذاته لا لما يحققه لصاحبه من عيش رغيد ينقلب المال

حينئذ سيدا شرها قاسيا جبارا متسلطا بلا رحمة ومن أين

الرحمة وهو جماد بلا عاطفة ومن أين وهو هو أكبر أعدائه ،

العاطفة وباسمه هذا المادى تسمت كل المذاهب البعيدة عن

روحانية البشر وعن انسانية الانسان . انه يمثل الجانب

الصلب الحاقد البشع فى البشرية جميعا . .

أكان راشد في دخيلة نفسه يريد الغنى للغنى وليمتنع  
بنفسه بمتعه الظاهرة والخافية حتى اذا جاء أسامة بدا ماكان  
يخفيه .

من يستطيع أن يقول ؟ علماء النفس هؤلاء أبعد الناس  
عن معرفة النفس وشر ما يخادع النفس نفس وصاحبها . .  
تلهو به ، وتعميه عن حقائقه ، وتجليه عن مواقفه من الحياة ،  
ويظن بذاته غير حقيقة ذاته ، ويمضى الى مسالك من الحياة  
لاتطبيقها نفسه ولم تهيتها لها ، فهو ماعاش متخبط وان ظن  
بنفسه العلم والثبات ، فان صادفه شيء من النجاح ظن أنه  
عرف الطريق وهيئات هيئات أن يعرف . فان كان ذلك  
الفيلسوف قد طلب الى الانسان أن يعرف نفسه في كلمتين  
اعرف نفسك كأنهما بديهة من البديهيات ، فقد كان يدرى  
أو لعله لم يكن يدرى أنه بهاتين الكلمتين قد طلب الى الانسان  
أصعب ماتطلبه الحياة من الانسان .

مسكين أسامة اتخذه أبوه سببا وماكان سببا وجعل من  
مجيئه مستدار حياة وما يدرى أسامة ولو درى لجثا على ركبتيه  
لأبيه يرجوه أن يظل كما عاش حياته سيد المال لا عبد  
المال .

اذا أصبح المال هو الهدف انعدم الهدف فالأرقام لاتعرف  
نهاية ومادمت لاتعرف لهدفك نهاية فأنت ومن لا هدف له  
سواء ، وويل لانسان انعدم من حياته الهدف . بل لعل الذى  
يحياها مصادفة يترك لأيامها أعنة قياده ومتجه أحلامه ومسار  
أماله أعظم سعادة من انسان جعل جمع المال هو الهدف وهو  
الحياة فان هذا الانسان المسكين جهل أو أراد أن يجهل أن  
الهدف قد انعدم فى حياته وأنه كان قد وضعه أمامه . فالمال

المال والسعار السعار والحياة اذن جحيم لا ينتهى الى نعيم  
ونيران لا برد لها ولا سلام والانسان يومئذ يجهل الرقم الذى  
يريد أن يقف عنده فان قدره وبلغه أغراه المال بما بعده  
وتنهار حياة الانسان تحت نعال المال ويصبح السيد عبدا  
وباختياره \*



**خسر** عدلى القضية ضد أبيه وربما كان يعلم أنه سينسرها على أية حال فإن كان عقله قد حال دون هذه المعرفة فالذى لاشك فيه أن راوية زوجته كانت تعرف ذلك وإنما حلا لها أن يصبح اسم الباشا وابنه على كل لسان - فالحياة مع عدلى راكدة وراوية ليست خائنة بطبيعة تكوينها فهي لم تخن زوجها ولا تنوى أن تخونه وهي لهذا ضيقة بحياتها معه ضيق ملالة وهو نوع من الضيق يجعلها تبحث دائما عن تسلية قد تكون هذه التسلية كبيرة كقضية الباشا أو صغيرة كأنضمامها الى مجموعتين من السيدات احداهن للحديث وهذه تضم خديجة وشهيرة ومجموعة أخرى للعب الكونكان لعبا لا تلقى فيه بكثير من الأموال فهي ليست مغامرة بطبيعتها وهي تعلم مقدار الغنى الذى انسكب على زوجها بعد وفاة أمه

خاصة وأن أباه فى ترفعه أبى أن يأخذ نصيبه من تركة زوجته وترك ذلك النصيب لابنه الذى رفع عليه دعوى السفه فزاد هذا من اكبار الناس لذكريا ومن احتقارهم لعدلى . على أية حال لم يكن هذا الغنى سببا يجعل راوية تنفق المال فيما لايفيد فهى تقدر أن ابنتها التى جاءت بها والتى لاتنوى أن تجيء بغيرها لن تغفر لها تبديد أموال أبيها . وقد كانت ابنتها هالة هى كل شىء فى حياتها .

فمادامت حياتها قد خلت من الزوج فلا أقل من أن تعمرها

• لابنه

وهكذا استطاعت راوية أن تتواءم مع حياتها وتقبلها وتخلق فيها المتعة التى حرمتها بزواجها من هذا الأبله .

وقد كان عدلى خليقا أن ينعم بحياته هو أيضا فهو يستطيع دائما أن يجد أصناف الطعام التى يطهوها ويستطيع دائما أيضا أن يجد مجالس النساء ويشاركهن الحديث . كان يستطيع هذا جميعه ولكن قضية أبيه حطمت كل المتع التى كان يستطيع أن يخلقها لنفسه . لقد وهم أن القضية ستحطم سمعة ابنه . فإذا هى لاتمس أباه فى شىء وانما تحطم حياته هو تماما .

لقد وجد نفسه بين أصدقائه مجال سخريه لازعة كانوا يخفونها عنه فأصبحوا يبدونها . بل لقد وجد السيدات من صديقات أمه يشحن عنه بحديثهن . حتى لقد أحس فجأة أنه لايجد فى حياته شيئا أو انسانا . زوجه لاتحدثه الا بصيغة الأمر وهو بأوامرها هذه مطمئن أن شئون البيت لاتحتاج منه الى رعاية .

ولكن هو . . هو عدلى ماذا يصنع بحياته . . ان أموال

أمه كلها عمارات فهي لا تحتاج الى ادارة وانما هي الدائرة  
يذهب منها موظفان كل شهر يجمعان الايجارات ثم لاشيء بعد  
ذلك وهو يذهب الى دائرة أمه كل يوم ولكن بلا عمل .

تاه عدلى فى الحياة وتاهت به الحياة .. لا يرافقه فى  
التيه الممتلئ بالحسرة الا صديقه عزت بهادر .. لملك  
لاتذكره فقد مر ذكره عليك مرورا لا يريق فيه ولا امان .

وماذا بى أن أمعن عنده النظر والحياة نفسها خلقتة فى  
عجلة فلم تجعل له عمقا يقف عند محب للتعلم .

انه ابنة خالة خديجة . وكان طبيعيا أن تقوم بينه وبين  
عدلى هذه الصداقة التى تجمع السخفاء والضائعين فى مواكب  
التفاهات يزيدهم الغنى تفاهة ولا يستتر عليهم حقيقة أمرهم،  
ومن عجب أن تصحب فضيحة عدلى مع أبيه فضيحة لعزت فى  
الدوائر التى تحيط بهما .

كان عزت على صلة بسيدة طلقت حديثا من زوجها .  
وأعجبها جمال عزت وربما أعجبها أيضا فراغه . فالسيدات  
فى أحيان كثيرة يستطعن أن يعجبن بما لا يعجب به آخرون  
ولم يكن عزت فى صلته بهذه السيدة يطلب منها وفاء أو  
ولاء فلقد عرف أنها اتصلت بعد أن عرفتة بباشا عجوز  
أرغمته ظروف خارجة عن ارادته أن يعمل فى الحياة السياسية  
فاذا هو يتصدر منصبا خطيرا وليس له فى نيل منصبه سابقة  
فضل ولا عرف عنه الذكاء لا قدر الله وانما هو منصب يتمنى  
كل حزب أن يكون شاغله من أعضائه وحتى لايزيد هذا  
المنصب الخلافات بين الأحزاب استقر رأى أن يشغله شخص  
لا ينتمى الى أى حزب ولا يعرف عنه أنه يميل الى حزب بعينه

وبين شخصيات مصر جميعا لم يكن هناك الا عبد المحسن باشا  
وفيق فشغل المنصب .

وتعرف في احدى الحفلات بنجاة طلبة وفي خبرة أدركت  
نجاة أنه طلبتها ، فعزت وان يكن غنيا الا أن غناه ليس بالقدر  
الذى يتيح لها أن تنال ماتشاء أما عبد المحسن باشا فغناه  
لا نهاية له .

كان الباشا في السبعين من عمره وحين خرج من هذا  
الحفل كان موعد لقائه بنجاة قد تحدد .

والتقيا .

كانت نجاة حاملا منذ لقائها الأول بالباشا ، وكانت قد  
أخبرت عزت أن يحدد موعدا مع طبيب يعرفانه ليخلصهما من  
الجنين في شهره الأول . ولكن بعد أن تعرفت بالباشا اتجه  
رأيها الى تفكير آخر .

— أنت لاتعرف منذ متى وأنا أحبك .

— هل كنت تعرفيننى .

— ومن فى مصر لايعرف عبد المحسن باشا وفيق .

— لم أكن أتصور أن سيدة فى جمالك تحب رجلا فى . .

— لاتكمل . . ان أجمل سيدات مصر يتمنين منك نظرة .

— انت تبالغين . . اننى رجل عجوز .

— عجوز . . أنت عجوز . . فليسألنى من لايعرف وأنا  
أدله على الخبر اليقين .

— فأنت تُرين أننى .

- شاب فى العشرين .. صفة تاكل الحديد . ولكن  
هناك شرط .
- أأمرى .
- تحتفظ بهذه الصلبة لى أنا وحدى .
- أنت تعرفين أن زوجتى ماتت .
- وأنا من أين أعرف .. ربما لك زوجات أخريات  
تخفيهن .
- زوجات بالجمع .
- صحتك هذه لا يكفيها عشر نساء .
- طمأنك الله .
- احلف .
- احلف .
- انا لا أصدقك .
- لاتصدقين يمين الباشا .
- أنت معى لست الباشا . أنك هنا الولد الشقى الذى  
لا أضمن كلمة من كلامه .
- وماذا تريدن حتى تضمنى .
- هناك حكاية لم أؤكد منها .. اذا تأكدت سأخبرك  
ما الذى أريده .

\*\*\*

- اليوم لا بد لنا من حديث .

- أنا تحت أمرك .
- لابد أن نتزوج .
- ماذا .
- لاشك أنك سمعت .
- لماذا .
- أولاً هذا هو الوضع الطبيعى . . فأنا سيدة مطلقة وأنت مهما تكن فأنت غريب ومقابلتى لك ستثير الأقاويل .
- ولكن مركزى . . ماذا سيقول الناس إذا أنا تزوجت .
- أتخاف أن يقال تزوج بسنة الله ورسوله ولا تخاف أن يقال اتصل بسيدة عن غير طريق مشروع .
- ولكن . . ولكن .
- ولكن ماذا أنا لست من أسرة بسيطة .
- هذا مؤكد فأنا أعرف المرحوم والدك وليس هذا هو الاعتراض مطلقا . إنما أخشى أن يضحكوا من رجل فى السبعين .
- سنك هذا شأنى أنا وحدى . . وأنا وحدى التى أعلم حقيقة سنك حين تخلو بنا الحجرة .
- يا حبيبتى .
- ومع كل هذا فأنا لم أقل لك الخبر المهم .
- وهناك أيضا خبر مهم .
- انى حامل .
- ماذا .

– الذى حصل •

لقد عشت مع زوجتى أكثر من خمس وأربعين سنة  
ولم أنجب منها فأرا •

– ولكنك فى شهور قلائل ستنجب منى طفلا وانى واثقة  
أنه سيولد بهذه الشوارب التى تحلى وجهك والتى يرسمها  
رسامو الكاريكاتير بدلا منك ويقهقه الباشا من فرح أو من  
«سعادة» أو من النكتة فقد اختلط عليه الأمر ولم يعد يدرى •

ويعود الى الجد لحظة •

– ولكن اسمعى •• اسمعى •

– قل •

– ألا يحسن أن يكون الزواج عرفيا •

– ولماذا •

– أنت تعرفين أن ثروتى كبيرة والطامعون فيها كثيرون  
وإذا عرفوا أنني تزوجت سيرفعون دعوى سفه على إذا كان  
الولد الأهل عدلى رفعها على أبيه وهو أبوه • وإذا كانت  
دعوى السفه رفعت على زكريا باشا عبقرى السياسة والقانون  
ألا ترفع على • أما الزواج العرفى المستور فانت تنالين به  
حقوق ابنك •

– بعد الشر •

– اسمعى الكلام ومع ذلك لا يشعر به أحد •

– أنا موافقة •

وتم الزواج بشهادة عبود عبد القادر السفرجى ،  
وسمهان عبد المولى السائق •

واستطاع الحمل بعد ذلك أن يظهر للعيان فى غير خجل  
وقد أصبح هذا الحمل مزحة صويحبات نجاة تشباركهن  
السخرية منه كما أصبح حديث الدوائر التى لا عمل لها الا  
الحديث .

وعلى وعزت يضحكان مع الضاحكين .

وقبل أن يفرح الباشا بقدوم ابنه انتقل الى العالم الآخر  
وانفجرت قضايا الميراث .

والعجيب أن الطفل جاء نسخة طبق الأصل من عزت فقد  
أبت السماء أن تشارك الخاطئين فى جريمة اختلاط الأنساب .  
والأعجب أن عزت أصبح هو الذى يدور مع نجاة عند المحامين  
ليتمكن من اثبات بنوة ابنه الى رجل آخر ولكن شهادة الميلاد  
على كل حال قد كتبت اسم الطفل وجدى عبد المحسن وقيق  
.. وذهبت الشهادة فى طريقها القضائى واستمرت علاقة  
عزت بوضعها هذا العجيب واستمرت معها القضايا توشك  
لايبين لها نهاية . فالثروة ضخمة وأبواب الطعن والتلاعب  
بالقانون هيات أن تعرف حدا تقف عنده .

وهكذا أصبح عزت مثل عدلى سخرية الساخرين فما  
بعجيب أن تتوثق بينهما الصداقة . وكلاهما غنى وكلاهما  
فارغ بلا عمل .

فى هذا الفراغ وفى هذا الشعور من كل منهما أنهما  
يعيشان الحياة ، ولا يعيشانها بدأ ذهابهما الى السباق يكون  
منتظما وبدأ أيضا جلوسهما الى مائدة القمار يكون يوميا .

ويحدث ما لا يتوقعه أحد . تحاول راوية أن تمنع زوجها  
من اللعب فاذا هى ولأول مرة تواجه من عدلى عصيانا .



كيف استطاع أن يعصى • لم يكن القمار قد تمكن منه  
الى درجة الادمان • ولكنه أحس فجأة أنه يجب أن يعصى •  
ويحدث شيء آخر لا يتوقعه أحد • لقد بدأ عدلى يتوارى بقبحه  
فى جمال عزت ويبحث عن النساء ويحاول أن يتعرف بهن  
فان رفضته واحدة لاتطيق قبحه قبلته أخرى يغريها ماله •

ليس لعزت زوج ولا ولد رسمى فهو حر يفعل بماله  
مايريد أما عدلى فله ابنته وله زوجته •• ان ذهب عنه هذا  
المال فأى مصير يمكن أن ينتظرهما أو ينتظرانه •

أصبحت راوية تنظر الى الحياة فى هلع وأصبحت فجأة  
تتمنى أن تعود الى حياة الملالة ، ولكن مازال هناك أمل يمكن  
أن تلجأ اليه •• وما لها لا تحاول •

**أصبحت** سهر ممدوح حرم الباشا رسميا وتصدرت بيت زوجها وأحست بمكانها هذا الجديد وخشيت العيون الرواصد حواليهما سواء كان ذلك في المنزل أو في خارجه فأمرها اليوم وهى الزوجة الرسمية التى تصحب الباشا فى كل مجتمع غير أمرها فى بداية الزواج يوم كانت تتستر عن العلن . لقد كان شعورها يومذاك يغريها بهذه الصلة التى أتاحها لراشد فقد كانت تحس أنها عشيقة وليست زوجة أما اليوم فالوضع مختلف كل الاختلاف . ومادامت هذه الصلة بينهما وبين رشاد قد مرت لم تملكها الألسنة فالحمد لله وأصبح لابد لها أن ترعى مكانتها الجديدة ومستقبلها .

ولهذا لم تجد بأسا أن تلبى دعوة راشد لزوجها الى العشاء ولم تجد بأسا أيضا أن توطد صداقتها بخديجة .

وبطبيعة الحال وجدت شهيرة فى اسم زكريا باشا ذلك الطين الذى تهواه فسعت الى صلتها هذه بسهير تزيدتها ثبوتها ورسوخا وقد وجدت سهير فيها خير صديق فهى تماما التى تصلح ل صداقتها فان تكن الثقافة والقراءة والاطلاع قد أفست عقل خديجة وجعلتها فى جلوسها الى السيدات تبدو غريبة وان بذلت غاية الجهد أن تبدو موائمة مع الجلسة . فان شهيرة سيدة كما يجب أن تكون السيدات التى تحبهن سهير . . حكايات الآخرين والتعليقات ، الخبيثة أحيانا والفاجرة أحيانا أخرى والمذكية الطريفة غالبا .

كان أقصى أمل تسعى اليه سهير أن تأتى لزوجها الشيخ بمولود وقد سألت الأطباء فوجدت أن ماتعلم به أمر يمكن الحدوث .

وهكذا ازدادت صلتها بشهيرة توطدا فهى رفيقتها الى كل المظان التى يمكن أن يحقق أملها وحذار أن توحى اليك هذه الجملة بتفكير غير شريف فهى فعلا تريد مولودا لزكريا على أن يكون زكريا أبوه فهذه المظان هى الأطباء غالبا وفى أحيان قليلة تكون هذه المظان بيوت الله تتلمس البركة عند المشايخ الأطهار وآل البيت . وفى مرة واحدة صحبتها شهيرة الى أجد السحرة ولم تكررهما ؟ فقد خشيتا أن يفضب الباشا اذا علم .

وكان حمق شهيرة سببا رائعا لتكون زيارتها للأطباء طبيعية وكانت صداقتها لسهير تجعل رفيقها بهذه الطبيعة نفسها .

وقد دلت بعض دلائل لا تكفى للتأكد أن أمل سهير وشيك التحقيق .



كانت راوية تريد أن تقصد الى سهر مباشرة ولكنها  
لا تعرفها وقد خشيت من لقاء خشن ستكون سهر معذورة فيه  
بعد الذى فعله عدلى مع أبيه .

ولم تفكر راوية كثيرا وانما قصدت الى خديجة فهى  
تعرف حسن مدخلها للأمور وذكائها وحكمتها عند  
التقدير .

— مطلب غريب سأطلبه منك .

— على كل حال أنا لست غريبة وتستطيعين أن تطلبى منى  
ماتشائين بلا استثناء .

— حتى ولو كان مطلبها شاذا .

— ان لم تقصدى صديقتك المخلصة بالمطلب الشاذ فمن  
تقصدين .

— أريد أن أصلح ما بين عدلى وزكريا باشا .

— أرى مطلبك حكيما وعاقلا بل ورائعا أيضا .

— أنت تعرفين أن عدلى انغمس فى القمار وقد فشلت  
معه كل وسائله ويخيل الى أن شعوره بغضب أبيه عليه هو  
الذى يجعله يندفع هذا الاندفاع .

— اسمعى ان تفكيرك كله صائب ولكن لى رأيا .

— قولى .

— أنا سأسافر غدا الى الحجاز مع الباشا لنحج ولن يتاح  
لى أن أقابل زكريا باشا الا بعد عودتى ولكن لى رأيا .

— وما هو ؟

— ما سبب خلاف عدلى مع الباشا ؟

— زواج الباشا •

— سأترك الحقائق وأنزل معك الآن الى سهير أعرفك بها

• وسترين أنها تستحق كل خير •

— أتظنين ذلك ؟

— هلمى بنا •

\*\*\*

كانت سهير جالسة مع شهيرة وأصبحت كل دقيقة تمر على سهير دون أن يحدث جديد فيها يدينها من أملها • وكانت السيدتان تتوقعان أى زيارة إلا أن تكون راوية •

ولكن سهير سيدة تعرف كيف تستقبل من يأتى الى بيتها حتى وإن لم يكن متوقعا • • بل حتى وإن لم يكن كريما معها •

• قالت راوية •

— أظن ياسهير هانم لم تكونى تتوقعين هذه الزيارة • منى •

— على العكس كنت أتوقعها من زمن بعيد •

**وقالت شهيرة :**

— طالما قلت لك أن سهير مندهشة أنك لم تأتى اليها •

— كنت خائفة ياسهير هانم •

— أظن هانم هذه ليست فى محلها •

— أنت مكان حماتى •

– ولكنى أقاربك فى السن • ونحن أقارب وقد فرحت  
بهذه الزيارة فرحاً لا يستطيعين أن تتصورى مقدارَه فقد كان  
بعد ابن الباشا وبعدك عنه ينفصنى دائماً وليس له فى الدنيا  
الا أنت وزوجك •

– البركة فى حضرتك •

– أنا لا أستطيع أن أعوضه عن ابنه وزوجة ابنه التى هى  
فى مكان ابنته وحفيدته التى لم يرها حتى الآن •  
وقالت خديجة فى ذكاء لبق •

– يا أختى لقد أحضرتنى بلا مناسبة • لا لزوم لى فى  
هذه الجلسة أبدا •

– لم أكن أعرف أن سهر هانم • •

وقالت سهر مقاطعة :

– هيه ؟!

– سهر لطيفة إلى هذا الحد •

وقالت خديجة :

– وعرفت أروح أنا لأكمل حاجات السفر •

وقالت شهيرة :

– حج منبروك ياستى والله لولا الذى أحمله لذهبت  
معه •

وقالت خديجة :

– فلماذا لاتأتين أنت ياسهر وها أنت لاتحملين شيئاً •

وقالت شهيرة فى تخابث مقصود .

– وكيف عرفت .

وقالت خديجة فى فرحة مندهشة :

– ما هذا . . . أصحيح هذا الكلام ؟

وأطرقت سهرى وقالت شهيرة :

– ولماذا لا ياستى ألسينا مثل الأخريات ؟

وتحمست خديجة .

– ردى ياسهرى صحيح هذا ؟

وقالت سهرى فى جمجمة :

– والله أخشى أن أقول نعم وأنا لم أتأكد بعد .

– يا اختى قولى نعم ولا يهملك . . ألف مبروك .

وقالت راوية فى فرح صادق فهى تتمنى أن تنجب سهرى

فوجود طفل لها سيجعلها تزداد حبا لابنتهما هالة .

– ربنا يجعل دخلتى عليك مبروكة ان شاء الله . ولو

كانت غيرك وانت أول مرة تريننى فيها لظننت أننى فرحانة

من وراء قلبى واننى كنت أتمنى أن يفوز زوجى بثروة أبيه

ولكن المال والحمد لله كثير ولا ينقصنا وليس لنا الا هالة

ولاننوى أن نجىء بنيرها وكم أتمنى أن يأتى لها منك عم

قريب من سنّها فيصبح لها كاخ من دمها ولحمها تستطيع أن

تعتمد عليه وفرحى بهذا الخبر فرح واحدة أحبتك من أول

زيارة وفى نفس الوقت تريد أخا لابنتها . فصدقينى أنا

فرحانة .

— يعلم الله يا راوية لقد صدقتك • وأنا لم يكن يهمني  
أن يكون المولود ولدا أم بنتا ولكن بعد الذى قلته أصبحت  
أتمنى أن يكون ولدا •

— سادعو لك عند شباك النبى ان شاء الله ياسهير  
وسيكرمك الله باذن الله ••

أفوتكم بعافية ••

هل أرسل لك السيارة يا راوية ؟

وردت سهير :

— سيارتنا ستوصلها لاتعملى هما •



حين قصت سهير على زكريا باشا ما حدث •

— ألم تعرفى ان كانت جاءت بعلم عدلى أم بغير علمه •

— هى لم تقل ولكن الذى اتصوره أنها لم تقل له •

— أنا أمامى حل واحد •

— ماهو ؟

— أنا أستطيع أن أعين عدلى فى وظيفة خارج القطر •

— خارج القطر ؟!

— نعم مثل فرنسا أو سويسرا فهو مهندس وعليه أن

يمارس هذا الذى تعلمه فى المدارس ليحس أنه يصنع شيئا  
فى الحياة •

— ولكن يا زكريا ان له ابنة فكيف يكون الأمر ••



- هذا ما أريد الكلام فيه •
- ماذا تريد ؟
- أريد أن أربى أنا البنت •
- وماله !
- أنا أعرف أنك تتمنين طفلا وحفيدتى عندك ستكون مثل ابنتك •
- أنا أريد أن أربى حفيدتك لأنها حفيدتك لا لاني أريد طفلا •
- وما البأس أن تجمع هالة بين صفتين حفيدتى وابنتك فى وقت واحد •
- أنا عندى طفلى وولست ••
- ماذا •• ماذا قلت ؟
- كنت أريد أن أتأكد قبل أن أقول لك ولكن ليس من المعقول أن تعرف صاحباتى وأنت ••
- هل أنت جادة ؟
- وهل يمكن أن أهرز فى مثل هذا ؟!
- وهل أنت متأكدة ؟
- أكاد •
- وجم زكريا باشا وجلس مفكرا •
- ماذا يازكريا أكثر على طفل منك ؟
- ياسهير فكرى فى الحكاية •• ما هذا الكلام الذى تقولين ؟

— والله أنا زعلت •

— يا بنتى لقد ظلمتك حين تزوجتك وبهذا الطفل يكون  
ظلمى لك قد تضاعف •

— وهل شكوت لك ؟

— سهر أنا لا أحتاج أن أسمع منك شكوى حتى أعرف  
الحقيقة •

— الحقيقة أنك تخاف أن يغضب عدلى ان جئت له بأخ  
فانت مهما يفعل بك تحبه •

— اسمعى ياسهر • عدلى أنا ظلمته لأنى شغلت بنفسى  
وبالسياسة ولم أعن أقل عناية بتربيته ولهذا أنا أشفق عليه •  
أما الطفل الجديد فأنا أحبه أكثر من عدلى لأنى لن أرى منه  
مارأيته من عدلى •• حتى لو أصبح فى خلق عدلى فإن الحياة  
لن تتيح أن أرى منه شرا • أما تفكيرى الذى رأيت ووجومى  
فهو أننى أهملت ابنى الأول بزحمة الحياة وهأنذا سأهمل ابنى  
الثانى بفعل الموت •

— زكريا ماذا تقول ؟

— لقد جاوزت الخامسة والسبعين ياسهر فكيف يمكن أن  
تتيح لى الحياة تربية ابن مازال جنينا فى عالم الغيب •  
— أهذا ما يحزنك ؟

— ومع ذلك فأنا لست حزينا ففرحك بطفلك يجعلنى  
فرحا به أنا أيضا •• كل ما فى الأمر أننى أفكر •• أعجب  
على رجل فى مثل سنى أن يفكر •  
— اتركها على الله يازكريا •

— ان الله سبحانه لديه الكثير الذي يشغله هل كان لابد  
لرجل مسن أن يشغله هو أيضا بطفل يأتي به وهو في آخر  
العمر •

— لاتحاول أن تفكر لله أيضا يازكريا •

— أستغفر الله العظيم •

— أستغفر الله العظيم •

## ١٢

**لم** يكن ذهاب راشد الى الحج خطرة عابرة ، ولكن الحقيقة أنه مع كل العريضة التي صغبت بها حياته مؤمن عميق الايمان وهو منذ تزوج استطاع أن يجعل من خديجة أنسه الصاخب حين يشاء وزوجته حين يقتضى الأمر ، فهو **ثائب** .

وحين أتى اليه أسامة أراد أن يقفل من كتابه صفحات يخشى فى فترات ملل أن يغرى بفتحها ويعود اليها .

فصحب خديجة واتجه الى بيت الله واستلم أركان الكعبة وتفشاه ذلك الرهب الأمين الذى يعرفه من يعرفون الله وانسريت من عينيه الدمعات والتفت الى خديجة تظللها صفحة البيت الحرام فرأى فى وجهها الخشوع حيا فواحا بأريج من

العطر حسب للمحظات أنه يراوحتها من سماوات صاحب البيت  
واستغفر الله وأطرق وظلت هي رانية العينين الى الكعبة  
يوشك من يراها أن يظن أنها تستشف من وراء الأشياء وجه  
عزيز كريم .

طافا وأديا مناسك الحج وانتقلا الى بيت النبي وما أن  
وقف في رحابه راشد حتى ذهل عن الدنيا وتولته خفقة أرعشته  
فاذا هو بكاء وبكاء ، يكاد جسمه يستحيل الى عبرات ، وارتقى  
على أعتاب النبي كأنه صديق قديم يلقي بنفسه الى أحضانه  
وراح يصيح هذا مكان الخطائين يا رسول الله فاشفع ..  
اشفع فربما أخطانا لتشفع .

وأحست خديجة أن بينها وبين النبي سببا فهي سمية حبه  
الأول وحضن رسالته الدفء وهي منذ عرفت الحياة تركع في  
ايمان وتسجد في صدق مع نفسها ومع الله .. ان القبر الذي  
أمامها يضم من الدنيا أحب الدنيا اليها ويضم من الآخرة  
وسيلتها الى أجمل ماتعد به الآخرة من لقاء وجه الله .

نسى راشد أن بجانبه زوجته بل نسى أنه زوج ونسى أن  
له ابنا ينبغى أن يدعو الله له في هذه السدة الزكية .

ونسيت خديجة أنها في صحبة زوجها بل ذهلت عما  
يحيط بها ونسيت وهي الأم ابنها .

حتى اذا هدا بعض الروح من الزوج والزوجة أشار  
المطوف في هدوء صوته وكأنه أمر عادي ليس له ماله من  
جلال وسمو .

هنا كان ينزل الوحي على رسول الله .  
وانتفض راشد وكأنما مسه المس .. هنا .. هنا التقت

السماء بالأرض أكرم سماء بأكرم من فى الأرض فى آخر لقاء عرفه الكون • هنا انقلبت موازين العالم من الجبروت الى المساواة ، ومن العزة بالاثم الى عبادة رحمن السماوات والأرض ، ومن الفجور الى العفة ، ومن الوهم الى الحقيقة ، ومن عبث الحياة والموت الى مجد الدنيا والآخرة ، ومن الحضيض الى القمم الشامخات • ارتمى بجانب مكان الوحي وراح ينظر اليه فى خشوع وحب ثم استجمع وقام فصلى صلاة لله وحين ختم الصلاة أفاق الى خديجة تنهى صلاتها هى أيضا •

لقد زار راشد العالم أجمع • ولكن شيئاً لم يزلزل كيانه جميعاً كما زلزل فى رحاب الله وفى حضرة النبی الأعظم • ليس متصوفاً وانما هو مؤمن فماً هذا الذى لقف نفسه جميعاً وهزها فانتفضت كشجرة فى بواكير حياتها ثناوحتها ریح عاتية تقتلع شم الأشجار وعواليها ولكن العجيب أنه أحس شجرته ازدادت ثبوتاً فى سموات الايمان وفى أحضان الخلود •

أحس أنه يريد أن يذوب تخشعاً وحمداً لله أنه مؤمن فبهذا الايمان تفجرت فى نفسه هذه الاشعاعات النورانية فعانق نوعاً علوياً من السعادة لم يعرفه فى أية لحظة من لحظات حياته • عرييدة كانت هذه اللحظات أم لحظات مؤمنة قانتات •

مساكين أولئك الذين لا اله لهم ولا دين ترسو على شواطئه الآمنة المجازعات من أيامهم • والهالع من مضطرب حياتهم يقطعون حياتهم هباءة هائمة تقطعت أواصرها بأصولها وانعدمت طرقها الى المستقبل لاتدرى من أين ولا

تدرى الى أين • باختيارها ألقت بنفسها الى الضياع فشمل  
الضياع ماضى حياتها ومستقبلها وما بعد المستقبل •  
ودع راشد وخديجة الأراضى المقدسة واستقبلتهما على  
الباخرة جماعة من الأصدقاء •

وحين استقر بهما المقام فى بيتهما بالقاهرة أقاما حفلا  
كبيرا دعوا اليه من تعودا أن يدعوهم ولكن الرهط المدعو  
فوجيء بشيئين لو لم يكن الداعى هو راشد لكانت المفاجأة أعظم  
وطأة وأشد غرابة • لقد أقام راشد بمناسبة حجه وحج زوجته  
الى بيت الله الحرام حفلا غنائيا أحيته أم كلثوم والأعجب من  
ذلك أن الخدم داروا فى الحفل بكؤوس الويسكى والكونياك  
وكل ما تعود راشد أن يقدمه فى ولائمه • الشيء الجديد الوحيد  
الذى خجل أن يعمل فى يومه هذا أن يشارك أصدقاءه فى  
شرب الخمر •

## ١٣

**انقلب** زكريا باشا الى انسان آخر بعد أن وهب الله له يحيى وجاءت حفيدته هالة لتعيش معه بعد أن سافر أبواها الى سويسرا ليعمل عدلى مهندسا فى شركة عالمية للكهرباء .

لم يصبح زكريا باشا ذلك الرجل الوقور الذى لا ينطق كلمة الا بعد أن تمر بمئات المرشحات فى عقله الكبير وثقافته الواسعة التى جمعت ثقافة السياسة والقانون والأدب والمجتمع جميعا فى بوتقة واحدة هى رأس ذلك الرجل .

أصبح الآن لايفادر بيته فرحا بعبط الطفل الوليد وسداجة الطفلة التى تتحطم على شفتيها الكلمات .

والأعجب من ذلك أنه حين يجلس فى مجتمعه لايفوته أن



يذكر شيئاً من ضحكات ابنه أو بكائه وشيئاً آخر من انقلاب  
الكلمات الى الغاز على لسان حفيدته .

اصبح الرجل الذى لم يهتم بابنه فى بواكير الشباب  
فجعلله يخرج الى الحياة مثقفا ثقافا امرأة جاهلة أو ثقافا  
أمه على أكثر تقدير . يحاول اليوم أن يثقف ابنة هذا الابن  
أعظم ثقافا بل انه فى تعجله للأيام وفى خشيتته أن تعاجله  
بالنهاية قبل أن يتفد لابنه وحفيدته ما يهفو اليه راح يحاول  
محاولات تدعو الى السخرية أن يثقف يحيى نفسد وهو على  
كتف أمه أو كتف مربيته .

ويوم تصبح سن هالة صالحة لأن تذهب الى المدرسة يذهب  
هو شخصيا معها الى مدرسة السكركير وتشعر الراهبات  
بأهمية الطفلة عند جددها ويقصد هو أن يؤكد هذا الشعور .  
فيذهب بعد ذلك كل أسبوع ليكون على متابعة تامة لتقدم  
حفيدته فى الدراسة .

وتدرك سهير أن فى ارضائها لهالة ارضاء للبasha فتحرص  
على أن تدللها دائما ولم تكن سهير غبية فلا يفوتها أن تجعل  
الطفلة تخاف جددها حتى لا تكون حياتها كلها تدليلا ويحمل  
البasha مسؤولية التأديب بقلب خافق ولكنه يدرك أنه لابد من  
ذلك لتكون هالة كما ينبغى لها أن تكون .

ويوم يصبح يحيى صالحا للذهاب الى المدرسة يقضى  
البasha ليلة بيضاء فلا يزوره النوم حتى بواكير الصباح .

لقد عاش حتى دخل يحيى الى المدرسة فما الذى يخبئه  
الغد لهذا الطفل وأى مصير يلقي اليه اذا هو ذهب الى لقاء ربه  
قبل أن يشب الطفل ويصبح جديرا بمواجهة الحياة مواجهة  
جديرة بالحياة وبانسان الحياة . لقد كان شبح عندى يخيف

زكريا باشا فهو يخشى أن يصبح الأخ مثل أخيه بل أشد ما يخشاه أن يصبح عدلى مسؤولاً عن يحيى ويحيى يعد قضيباً لنا يسهل تشكيله وويل ليحيى إذا شكل أخاه على شكله هو .

ان سهر طيبة سمحة النفس وقد ينفع هذا فى أن يجعل يحيى نقى الضمير قريباً الى نفوس الناس ولكن هذا بالتأكيد لا ينفع يحيى فى أن يكون مثقفاً فليست سهر على شئ من الثقافة . . ليتها كانت مثل خديجة ان راشد لاشك مطمئن على ابنه فقد جاء به وهو فى سن باكرة ثم هو لا يخشى عليه الغد اذا اختار هذا الغد أن يسلك راشد طريقه الى الله . طالما نادينا بأهمية تعليم المرأة وظنوا بنا الظنون وحسبوا أننا بما ندعو اليه نحاول أن نتقرب الى الغرب فى عماية ودون نظر الى ديننا وراثنا . وأنا لا أعرف فى الدين شيئاً يمنع تعليم المرأة . بل ان ديننا أول دين جعل لها كياناً وذمة مالية مستقلة عن ذمة الزوج .

أهذا وقته من ليحيى فى غده .

لقد تجاوزت العمر وأنا أعلم أنى اليوم أقف على مشارف الجانب الآخر من الحياة .

أرأيت . لا يستطيع العقل أن يحل كل المشاكل . لا بد من هذه الغرفة المضيئة من الايمان لنحيا بها فلولاها لجزعت أيامى كلها وقضيت مابقى لى من الحياة مجنوناً ملهوفاً على مستقبل ابنى هالعا من الغد وحينذاك أبعد أيامى الباقية فى الخوف ويسلمنى الخوف الى سوء الراى . . ليس لى الا أن أكل الأمر الى الله . والموت والحياة بيده . وبهذا الموت أو الحياة يتحدد مصير ابنى يحيى وحفيدتى هالة . . اذن فهل نحن مخيرون أم مسيرون . نحن لانتحكم فى مولد أو موت واذن !؟

ما بين هذين نحن فيه مغبرون • ومصير يحيى ألا يرتبط  
ارتباطا وثيقا بموتى وحياتى •• أهو بعد هذا مسير أم  
مخير •

لقد اخترت أنا أن أجيء به وأنا فى هذه السن وهذا فى  
ذاته اختيار ثم حين يشب عن الطوق هو مخير فيما يفعل •  
أهو مخير أم تحكمه تربيته وكيف سار نهجه فى الحياة وكيف  
رباه من رباه • ولكن الذى رباه أيا كان سواء كنت أنا أم  
كانت أمه أم كان أخاه قد اختاروا له الطريق فالاختيار اذن  
يحكم حياته •• سواء كان ذلك اختياره هو أم اختيار من  
أشرف على نشأته لا يعقل أن السماء وهى العدل المطلق تجبر  
الانسان ثم تحاسبه لا محاسبة الا مع الاختيار وبهذا يختلف  
جبار السماوات والأرض وهو العدل فى قمم العدل الشامخة  
وبين الجبارين فى الأرض الذين ينزلون حكمهم على من  
لا يملكون الاختيار •

أجبر واختيار ومدرسة يحيى غدا وأنا لا أدري ما مصيره  
وما مستقبله •

اننى تاركها الى الله •• وهل بيدي الا أن أتركها لله •  
ومن يدري لعل يحيى •• أعوذ بالله •• ليس لى غير الله  
•• أنا لم أقصر •• ولكننى قصرت •• أتزوج فى هذا السن  
وأتى به أيضا ثم أزعم أننى لم أقصر •  
لقد أخطأت وابنى •• لهفى عليه •• هو الذى سيتحمل  
الخطأ لا أنا •

أخطأت مع عدلى حين أهملت شأنه ••  
وأخطأت مع يحيى حين جئت به •• وحسبى الله ••

ولكن أكنت أملك ألا أجيء به .

طبعاً .

وأمه .

ماشأنها .

ماذنبها . . انها شابة وتريد أن تصبح اما .

فليكن اذن أبو ابنها غير هذا الكهل الذى هو انا .

الخطأ يبدأ يوم تزوجتها .

اذن .

لا سبيل لى اذن . . لقد أخطأت وعلى وحدى . . ياليت

على وحدى يقع العباء . وانما ولدى هو الذى سيعمل العباء

ولا ذنب له فيه ولا حول ولا قوة الا بالله .

**نظرت** شهيرة الى ابنتها طويلا . . لم تكن تدري لهذه النظرة سببا ، وانما هي ألقت عينها على بهيرة ثم ثبتتها يحسب من يراها أنها نظرة بلهاء خالية من أى معنى الا أن نظرها اتجه الى هذا المتجه ثم شرد ذهنها وهى فى هذه اللحظة . ولكن لو انزاحت عن الانسان فيها مايتغلف به الانسان من أسرار لراينا فى جوانحها هلما على ابنتها أو اذا شئت الدقة فى التمبير وما لك لا تشاء مادمت قد التزمت أنا أن أقص عليك وأن أكون دقيقا حين أخاطبك - كان هلع شهيرة على نفسها لا على ابنتها ، لقد قبلت زواجها من سامى وحسبت أن الزوج بلا شخصية هو أصلح زوج لها ثم ما لبثت أن تبينت أن الزوج بلا شخصية لا يصلح للحياة مطلقا فهو مايلبث مع الأيام أن يصبح شيئا بلا طعم ولا لون ولا رائحة قد يكون مريضا

لزوجته ولكنها تلك الراحة التي تسعد بها المرأة من خادم في البيت وتشقى بها غاية الشقاء من زوج يفترض المجتمع أن يكون هو السيد .

وسامى مسكين لا يستطيع أن يكون سيدا أبدا . فالسيد لابد أن يكون مهيا بخلقه الشخصى أو بما له أو بهما جميعا .

يمكن أن يكون السيد سيدا أو رجلا ذا وجود اذا كانت الطبيعة قد وهبت له هذا السر العجيب الذى يجعل الانسان معترزا بأنه انسان . وبأن الله كرمه على العالمين فلا ينبغى له أن يذل الانسان الذى كرمه الله فيه .

يمكن أن يكون رجلا ذا وجود اذا استطاع أن يروض أقدامه أن تسير على هذه الشعرة الواهية التى تفصل بين الانسان الذى يحافظ على كرامته وبين الانسان التافه الذى يحاول أن يحجب تفاهته بغروره .

وتلك موهبة ينميها البيت والمجتمع الذى يعيش فيه الانسان وليس من الحتم أن يكون المرء غنيا لتنمو هذه الموهبة وانما من الحتم أن يكون هذا الانسان نابتا بين أناس يعرفون كيف يكرمون أنفسهم وكيف يكونون كراما على الناس يستغنون عن الغنى بالعفة وعن الغرور بلبين الجانب وحسن المعاشرة .

وقد يستطيع المال أن يحجب عيوب الشخصية المتلاشية ولكن قليلا ماتحجبها ثم مايلبت الأقربون أن يدركوا الحقيقة ويسقط حجاب المال وتبقى الشخصية الزائلة .

وكان سامى يجمع بين الشخصية الضائعة وبين قلة المال وابتكر لنفسه أيضا ، عدم العفة فهو يريد أن يلبس أحسن

ملبس ويأكل أحسن مأكلا ولا يجد حرجا من نفسه ولا من كرامته أن يلقي بهذا الثقل أيضا على زوجته غير مكثف أنها تقوم بشأن البيت وحدها .

وقد يكون غيب سامي هذا شيئا لا يصيب الا خاصته الأقربين ومن يلاصقونه في الحياة ومن أقرب اليه من زوجته ومن ألصق به منها ! ولكن ألا يكفي أن يصاب منه هؤلاء . . وما الناس جميعا اذا كان هؤلاء لا يكونون له الاحتقار .

حين تسقط قيمة الزوج عند زوجته يصبح كل شيء لها مباحا . ربما تكون شريفة الجوهر . . وربما تكون هي نفسها أبية تنأى بشرفها عن الألسنة اللاهية التي تتميز بالمجتمع لتجعل السر فيه جهرا والخفي علنا والخبيء شهيرا والمستور مفضوحا .

ولكن زوجا كزوج شهيرة كفيف بأن يجعلها تنتقم منه حتى ولو كان عرضها هو أداة الانتقام وقد تنازعها الرغبة عن العفة وقد تغلب العفة آخر الأمر . أو قد تنتظر المرأة انتظارا غير لهيف وغير مكترث ولكن انتظارا ترقب وقد تعرض لها سائحة الخيانة وقد تتردد وقد تقبل أيضا .

كانت شهيرة وهي تنظر الى ابنتها في هذه الفترة التي تتردد فيها والتي توشك فيها أن تقبل .

وكان الذي يعرض الفرصة صديقا لزوجها جمعت بينهما صداقة طبيعية فهو رئيس زوجها في العمل . ويتمتع سامي برضاء شكرى بك الكيلاني فهو يحسن أن يكون مطيعا .

ومرض سامي بضعة أيام فزاره شكرى . . ورأى شهيرة

فتوثقت الصداقة بين شكرى بك الكيلانى و . . . .  
وسامى .

وكان طبيعيا ان تؤدى هذه الصداقة أن يطلب شكرى بك  
شهيرة هانم كل يوم ويتحرى أن يكون هذا الطلب وسامى فى  
مكان العمل .

وتنظر شهيرة الى ابنتها بهيرة .

أى غد ينتظرك ؟!

أب موجود بلا وجود .

وأم لاتمنع غير زوجها أن يتصل بها . . ولا ترى بأسا أن  
توغل العلاقة الى أبعد من ذلك .

بهيرة . . أى مصير ينتظرك ؟!



**نزل** راشد باشا من سيارته والتفت الى السائق عبده  
خليل في هدوء .

— سيأتى أحدهم لتسلم السيارة . . سلمها له .

— أمرك سعادة الباشا .

ودخل راشد باشا الى حجرة مكتبه وجلس الى المكتب  
البالغ الأناقة الذى ينتمى الى عهد لويس السادس عشر والذى  
يقال ان بعض وزراء هذا العهد كانوا يجلسون اليه ولكن  
راشد لم ينظر الى المكتب الأنيق وانما كل ما فعله أن خلع  
الطربوش وجلس على كرسى المكتب ورفع رجله ليستقر بهما  
على مكتب لويس السادس عشر . ونظر الى سقف الحجرة  
ورحلت عيناه فى تهاويل السقف التى تصور ملائكة السماء

يدفون بأجنحتهم حول ملاك كبير تباعد جناحاه ، المذهبان  
 وارتسمت على شفثيه ابتسامة وادعة مطمئنة لاتستطيع أن  
 يفزعها أو يشغلها عن اطمئنانها مفزع أو شاغل . . انها  
 ابتسامة ترنو الى السماء وتطمئن اليها ومادامت بالسماء قد  
 تعلققت فلا شيء يعنيه بعد ذلك . . لا شيء . وحين توغل  
 العين فى الابتسامة وفى عيني الملاك تجد صفاء وتجد مرحبا  
 لكل بنى الانسان يؤكد لها هذان الجناحان اللذان يفرشان  
 السماء كأنهما ذراعان تتهيآن لاحتضان عزيز عائد .

كان راشد باشا ينظر الى هذا جميعه ولكن عينيه كانتا  
 لاتتبينان من التهاويل شيئا .

يراها ولا يراها تتماوج الصورة فى عينيه فتبين وتختفى  
 وتلوح حتى تبدو وكأنها مجسمة واضحة وتتلاشى حتى  
 ليعلوها الضباب أو كأنما تمحوها أفواج من الظن وأستار  
 من الأوهام . يفكر راشد باشا ولكنه لايفكر ، ويندهش ولكن  
 لا يبدو المتعجب على وجهه . تتزاحم صور وجوه مع صور  
 السقف فلا يتضح رسم ولا تتبلور صورة ولا يتحدد وجه .

ربما توسط أمواج الطيوف أسامه فى وجهه البريء وفى  
 كلامه الجديد الطازج الذى يقع من اذن أبيه وأمه موقع النغم  
 السماوى المنسجم . يذكر ماتعلم فى المدرسة ويباهى به  
 وكأنما تعلمه وحده ولايعرفه أحد من الناس غيره . ولاتغيب  
 صورة أسامة وانما يزحف عليها وجه خديجة ويتقلب على مدى  
 السنوات التى تزوجها فيها غير حريص فى تقلبه على الترتيب  
 الزمنى ولا على ترتيب ظهور هذه التجاعيد القليلة التى بدأت  
 ترتسم فى نبل على صفحات وجهها . قد تبدو أمامه وهى فى  
 المرأة أول يوم رآها ثم قد تقفز السنوات الى يوم بشرته  
 الزغاريد بمجىء أسامه أو قد تبدو وهى تتكلم معه فى خاصة

أمورهما أو وهى تتكلم فى المجتمعات العامة فتحيط بها حالات من الاعجاب أو قد تحيط بها أيضا حالات من الحسد . وقد تبدو أمه وقد يذكر مرضها وتشبهها بالفراش وقد يثب وجه حمزة البلاشونى ثم فهمى عبد الحميد يكبر وجهه ويكبر حتى لايتيح لأحد ، ولا حتى لأسامه أن يبقى معه فى اطار الصورة بل العجيب أنه يزيح أسامه أول ما يزيح ، والأعجب أنه مايلبث أن يضمه ويحتويه وكأنه يهدد أحلامه . ويغمض الباشا عينيه ولكن صورة فهمى متشبهة بالظلام تشبهها بالنور ويهز الباشا رأسه فتمحى الصورة مرغمة .

ويعود نظر الباشا فلا يرى الا تهاويل السقف وتعود الصور الى الوضوح ثم تریز عليها أستار من الوهم أو أستار من الضباب .

وكانما يثوب شاكر الى مكانه فتعلو وجهه فترة من الأسى وقد تفكر دمعان أن تستميجا عينيه الشامختين ثم ماتلبث الدمعتان أن ترتدا هالعتين يزجرهما كبرياء العينين أن تظهرا الا فى العميق العميق فى نفس الرجل الأشم . رافضا أن يبدو منه للعيان ألم حتى وان كان خاليا الى نفسه . فهذا المكتب بما يضم من أثاث وماتحويه جدران وسقفه من نقوش أشياء خارجة عن نفسه لايجوز لها أن تعرف ما بداخلها أو تطلع عليه .

لم يكن يخبى أن هذا الذى يطالعه اليوم أمر يقع لكل من يعمل فى ميدانه ولكن الذى كان يدهش له أنه كان يتقى هذا اليوم بكل ذكائه وكل خبرته . وفى سرحة تفكير استعاد بها الأحداث الأخيرة أدرك أنه تخلى عن ذكائه وعن خبرته جميعا يوم أراد أن يجتاح أسواق البورصة ليكون لابنه أعظم قدر من

الشراء • وفى انشغاله بالنظر الى الهدف عمى عن الطريق  
وغفل عن مزالقه •

لقد أصبح «ميداس» ملك الذهب الاسطورى الذى أحب  
الذهب حتى انقلب الى ذهب • واذا انقلب العقل وتجاربه  
الى جماد - حتى وان كان ذهباً - كف عن العمل الأصيل الذى  
خلق من أجله • وانهار الانسان لأن الانسان تركيب يختلف  
تماماً عن تركيب الذهب • • هكذا الاسطورة أما فى الحياة فان  
العقل يتوقف والتجارب تنزوى ذليلة وينهار الانسان ولكن  
شيئاً من العقل أو التجارب أو الانسان لا يصبح ذهباً •

لقد استعبده المال ففقد الاختيار واذا فقد العقل  
الاختيار فقد معه سبب وجوده فى الحياة • والعجيب ان  
الانسان صاحب هذا العقل لا يدرك هذا لأنه لا يستطيع ان  
يدركه الا بالعقل الذى توقف عن العمل أو من هنا أجد نفسى  
مخطئاً اننى بدأت هذه الجملة بالتعجب بينما العجيب حقاً  
ألا يحدث هذا • لقد فقد حضرة صاحب السعادة راشد باشا  
برهان كل مايملك ومادمننا نريد الدقة فى التعبير فقد أصبح  
كل مايملكه سعادة راشد باشا برهان مرهونا رهنا حيازياً  
لدائنتين مختلفتين من بينهم فهمى عبد الحميد • وجود هذا  
الدائن بين الدائنين يجعل راشد على ثقة مؤكدة أن الدائنين  
لن يتجاوزوا يوم البيع بيوم واحد •

لو أمعن راشد التفكير لكان الحل الطبيعى الذى يؤدى  
اليه المنطق الآخرين الجامد الذى لا يعرف السماء أن ينتحر  
سعادة الباشا • فهذا هو أسهل الطرق التى يستطيع أن يسير  
فيها • فهو لا يطيق أن يرى زوجته تلبس أخلاق الثياب أو  
يرى ابنه يتكفف الناس يسألهم ما يرد به الجوع •

ولكن فكرة الانتحار هذه هي الفكرة الوحيدة التي لا تجرؤ أن تقترب من ذهن الرجل الصامد راشد برهان . لقد عاش غنيا وسوف يثبت لنفسه وللناس أنه يستطيع أن يعيش فقيرا . ويظل على الحالين كريما على نفسه ومن كان كريما على نفسه فهو كريم على الناس وان رغمت من بعض الناس أنوف .

في لحظة تلك لم يكن يعرف الا أنه سيستطيع أن يعيش ولكنه في لحظة تلك لم يعرف كيف سيعيش . كان يدري كل الدراية أنه مؤمن بالله وأنه لن يذهب الى رحابه الا في طريق يرضاه الله لمن يؤمنون به .

والعجيب أنه في لحظة القاتمة القاسية العاصفة بل التي سكنت فيها العاصفة عن خرابه الكامل في هذه اللحظة كان يغبط نفسه . . لقد وجد فيها شيئا أكرم من الغنى وأغلى من المال . لقد وجد الطمأنينة الى السماء والايمان بالله . ماذا يفعل غير المؤمنين لو تعرضوا لما يتعرض له كان شامخا ان استطاعت نفسه أن تقر وهي تحس أن في ثنايا نسيجها تنداح هذه النفعة الزكية الآمنة الحانية التي لا يستطيع أن يبقياها في نفوس العباد الا اليد التي ابرأت هذه النفوس ، وحنّت عليه حنوا يتقاصر عنده حنو الأمهات على الفطيم .

تلك اليد الرؤوم التي تشفع الكارثة باللفظ ، والمجزع بالأمن ، والفاجعة بالايمان .

أسلم نفسه لها واتضحت له الحجرة كما عهدا خالية من الطيوف بريئة من الأخيلة وانكشفت له تهاويل السقف عن فنها الرفيع الذي طالما بهره اذا ماسمت اليه عيناه . . . أهذه الرسوم محجوز عليها هي أيضا . . انها فن رفيع لا يقدر

يمال ولكن الدائنين لا يرون فيه الا سقفا لا يكمل البيت بدونه  
والبيت محجوز عليه • لا حياة للفن في صراع المال •

• دخل ادريس الى حجرة المكتب •

— فهمي بك عبد الحميد •

ولم ينزل الباشا قدميه عن المكتب ولم يجزع وان كانت  
بعض الدهشة قد ثولته •

— ما له •

— فى الخارج يريد مقابلة سعادتك •

وصمت الباشا • • ليس من المعقول أن يأتى ليتشفى  
والجرح جديد • • اذن •

— دعه يدخل •

وأنزل الباشا قدميه واستعد للقاء الرجل فمهما يكن  
البيت محجوزا عليه الا أنه حتى الآن بيته •

دخل فهمي عبد الحميد وأسى صادق مرثسم على وجهه •

— سعادة الباشا •

— أهلا فهمي • • • اقعد • • • اقعد أولا •

— سعادة الباشا أنا لا أعرف ماذا أقول لك •

وعجب راشد أن رأى بواكير دموع تطفر الى عيني الرجل  
وكأنها تودع دموعا أخرى سبقتها • • وأصبح الموقف أكبر  
من الانسان • وأوشكت دموع راشد العصية أن تطفر الا أنه  
زجرها • • فقد تكون دموع فهمي وفاء لصداقة قديمة أو  
اعتذارا عن موقف سابق أو اخوة صمدت فى وجه الأحداث

أما دموع راشد فلن تكون الا ذلة واستكانة وضعفا ولن يفهم  
فهمي أنها انما انهمرت اكبارا للانسان حين يعلو على  
الانسان .

— لقد أصبح هذا البيت من نصيبي مقابل دين في  
الأوراق مقداره عشرون ألف جنيه . هذه أوراق الرهن  
اقرأها سعادتك .

— وتريد البيت الآن .

أريدك أن تقرأ الأوراق ياسعادة الباشا .

ونظر راشد في الأوراق نظرة سريعة كانت كافية لمن  
هو في مثل خبرته . وقال وهو يرد الأوراق الى فهمي .  
— نعم فعلا .

— هل ينقصها شيء ؟

— لا أظن .

— أعد النظر اليها ياسعادة الباشا واقرأها على مهل .  
ربما كان ينقصها شيء .

— أعتقد أنها كاملة يا فهمي لا ينقصها شيء . .

— سعادتك متأكد .

— طبعا متأكد . . وأنا على استعداد أن أسلمك . .

— سعادة الباشا . . أرجوك تأكد من الأوراق .

— يا أخى اذا كنت تريد أن تتسلم البيت الآن فأنا على  
استعداد .

— سعادتك تقصد أن تخرج من بيتك الآن ومعك أسامه  
والسيدة والدتك المريضة والسيدة حرمك .

— هذا ماتقوله الأوراق ومايقوله حقك .. الرهن  
حيازي لمجموعة الدائنين .

وقد قسمتم الرهن على أنفسكم فيما بينكم وأصبح البيت  
من نصيبك بموافقة جميع الدائنين .. هذا لاشك فيه .

— وهذه هي أوراق الدين والحيازة ياراشد باشا .  
وفى حركة ثابتة واثقة مزق فهمى الأوراق ثم أعاد  
تمزيقها .

— فهمى ماذا فعلت .. انت بهذا تضع حقك فى  
الدين .

— وما عشرون ألف عندك .. ادفعها حين تشاء أو  
لاتدفعها اذا شئت انما أنا لا أخرج راشد باشا وأسرته  
ووالدته من البيت الذى عاشوا فيه عمرهم كله .

— فهمى أهذا معقول .

— هذا هو المعقول . فلنختلف أحاربك وتحاربنى ولكن  
راشد أدهم لا يخرج من بيته أبدا .

— فهمى هل هناك كلام يوفيك حقك .

— حاولت أن تكون السيارة ضمن دينى فلم أستطع .

— لايهم .. لايهم شيء .. أنت كما أنت الآن أمامى  
أعز من كل المال الذى فقدت .

— أنا لن أبقى لأسمع هذا الكلام .. السلام عليكم .

— والقهوة .

— ستصبح شربات حين أرى الوقت مناسباً .





ان للسماء طرقا عجيبة • قد اتصور أن يفعل اى دائن ما فعل فهمى عبد الحميد الا فهمى عبد الحميد • لو أن الانسان عرف السبل التى تستعملها السماء لأصبح الها • ولكن السماء تحب أن نذكره دائما انه انسان لايزيد وهناك من فوق سبع سموات رحمة تربل حنانها وشعاعها بالطريق الذى تراه مناسبا أو طبيعيا لا الطريق الذى يتصوره مجرد الانسان • • وهيهات لمجرد الانسان أن يفهم •

كيف يمكن لفهمى عبد الحميد ان يكون ذلك الملاك وهو هو نفسه الذى ارتكب من الأعمال ما يعف الشيطان عن ارتكابه •

كيف يستطيع الملاك والشيطان أن يعيشا معا فى كيان واحد والذى يسمو الى ماتصنعه الملائكة هو نفسه الذى يتردى الى ما لا تهوى اليه الشياطين • • ألهمها فجورها وتقواها •

فالذى يصنع الخير هو خير من الملائكة لانه يصنع الخير باختياره لا بالطبيعة المواتية التى لاتعرف الملائكة غيرها والذى يتردى الى فجورها يهوى الى حضيض أسفل من حضيض الشياطين لأنه هو نفسه كان يستطيع أن يختار الطريق الآخر الذى لا يستطيع أن يختاره الشيطان • • وألهمها فجورها وتقواها • قد يقلب الفجور مرة وقد تغلب التقوى مرة ويصبح الانسان تركيبا عجيبا لا هو شر كله ولا هو خير كله وانما يتمازجان فيه فى غير تنافر ويصبح كل من العنصرين مادة فى كيان الانسان ليظل الى الأبد ذلك اللفز الذى حارت فيه مراحل البشرية على مر التاريخ •



قالت خديجة :

- أبيع مجوهراتي •
- هي في البنك باسمي وأغلب الظن أنها حجز عليها  
عني أيضا •
- أكلّم أبي •
- اياك ؟
- انه أبي •
- اسمعي هذه المشكلة ملكي أنا وأنا الذي صنعتها وأنا  
الذي يجب أن أتولاها وحدي •
- لتكن أنت من صنعتها ولكن أنت رب بيتي مسئوليتي  
عنك قدر مسئوليتك عني •
- لو كان لك مال مستقل لكان الذي تقولينه طبيعيا •
- ولكن أبي مسئول عني •
- سقطت عنه هذه المسئولية منذ تزوجتك •
- العلاقات الانسانية ليست عقودا تسجل في المحكمة •  
يغضب أبي أشد الغضب اذا لم أقل له •
- غضبه سيكون أكبر اذا قلت له •
- منك •
- من نفسه
- من نفسه ؟
- انه لا يستطيع أن يصنع شيئا • • دخل أبيك يكاد  
لا يكفي •

- ما هذا الذى تقول .
- حقيقة أنا أعرفها قبل أن أتزوجك وتأخرت أنت فى معرفتها .
- ولكن لابد أنه سيعرف كل شيء عن حكايتنا .
- أنت طيبة يا خديجة . . هل تظنين أن أحدا فى مصر سيجهل ما حصل لى .
- فهو الذى سيكلمنى .
- ربما .
- اذن فسيغضب لأننى لم أكلمه .
- أعلم ذلك .
- ماذا أقول له .
- قولى انك عرضت على مساعدته فرفضت ذلك رفضا قاطعا .
- ولكنه سيكلمك .
- لا تخافى فان كنت فقدت مالى فانى لم أفقد لباقتى .

\*\*\*

- وقالت أمه وهى فى فراش مرضها .
- راشد لا تخف .
- أنا غير خائف .
- مصاريف بيتك على .
- وأنت ما ذنبك ؟

- كنت أستطيع أن أعطيك أرضي فتبيعها ولكنى أخاف أن تأكلها ديونك . سأبقى أرضي لأصرف منها على البيت .
- هانم أفندى لأدرى ماذا أقول لك .
- لا تقل شيئا . لن أعيش طويلا والآفدنة القليلة التي ورثتها عن أبيك . ستؤول اليك ولكنى أريد أن أعيش كما تعودت أن أعيش لا أسأل أحدا شيئا .
- سيكون لك هذا على كل حال .
- انك لأول حياتك تنفق على وعلى ملابسى وكنت أنفق أنا إيرادى على من يستحقون الصدقة . . . وعندى بعد ذلك بقية وإيراد الأرض سيكفى مصاريف البيت فلا تحمل هما من هذه الناحية ودبر أنت حالك فى غير هذا .



- وقال عثمان باشا فكرى .
- لقد أكرمت خديجة منذ تزوجتها وأصبح بينكما الآن أسامه وهو حفيدى وأنا مسئول عنه وعن ابنتى وسمى وتصرفاتك الكريمة مع ابنتى تتيح لى أن أكون مسئولا عنك أنت أيضا فدعنى أقدم مساعدتى .
- أنا دائما أعتبرك أخى الأكبر ان لم أعتبرك والدى وأنت فى مكانه عندى ولكنى أحب أن أقوم بنفسى بهذا العبء .
- أساعدك فى أيامه الأولى .
- وأصبح أمام زوجتى شخصا ضعيفا لا يستطيع أن يواجه الأحداث .

- لقد عشت عمرك غنيا •
- فدعنى أجرب أن أكون فقيرا •
- أمرك •

\*\*\*

- وقال أسامه
- بابا ماذا حصل ؟
- ماذا حصل ؟
- فى البيت حاجه غريبة •
- مثل ماذا ؟
- لا أعرف !
- هل نقص شئ ؟
- السيارة •
- وانت مالك بالسيارة •
- أنا فقط لا أراها •
- أصبحت قديمة •
- اشتريت سيارة جديدة •
- ليس الآن •• هل هذا هو كل التغيير •
- طبعاً لا •
- وماذا أيضاً • ؟
- لا أعرف •• ستى ليست كما تعودت أن أراها •

- مريضة .
- أنها مريضة من زمان ولكنها ليست هي .
- وماذا أيضا ؟
- وكفاية .
- وماما .
- لا ماما لم تتغير
- وانا .
- انت ؟ .. انت ؟! لا أعرف .
- والخدم .
- لا أعرف .. يمكن .. ربما .. نعم .. افكرت  
كانوا دائما يهزرون معي .. الآن دائما التكبشيرة على  
وشهم .
- كل هذا رأيته .
- لا أعرف .. تعرف يا بابا ساعات أحس بأشياء  
ولا أعرف كيف اقولها .
- مثل ماذا .
- لو كنت أعرف كنت قلت .. لا أعرف .. فيه شيء  
ولكن ماهو .. لا أعرف .
- ستعرف يا أسامه .. سيأتى يوم وتعرف .

\*\*\*

بدأ حياته الجديدة بداية لم تر مثلها القاهرة ولا أحسب

أنها ستراها . . كانت هناك عمليات تجارية صغيرة تعود أن يتركها ولا يعنى بها ليهتم بعمليات أكبر عاد الى هذه العمليات . ولكنه كان يريد أن ينتقل بسرعة . . . وكان قد انتوى أمام نفسه ألا يستغنى عن أحد من الخدم أبدا . فقد استقروا فى البيت منذ سنوات طوال وأصبح من غير الممكن أن يستغنى عن أحد منهم . كان هناك شعور يجمعهم أنهم أسرة واحدة لعل احدا منهم لم يفصح للآخر بهذا الشعور ولكنه راسخ فى نفوسهم ربما الى درجة عميقة وثابته ومؤكده حتى ليصبح من العبث ان تكون موضوع حديث .

وهكذا بقى عبده خليل سائق السيارة دون أن تكون هناك سيارة وسرعان ما نبتت الفكرة فى ذهن راشد باشا .  
والذين كانوا يعيشون فى القاهرة هذه الأيام أصبحوا يرون منظرا عجيبا .

سعادة الباشا يركب موتسيكل له مقعد جانبي الذى يطلقون عليه سيدكار يقود الموتوسيكل سائق غاية فى أناقة المظهر يلبس البذلة التى كانوا يطلقون عليها بذلة طلب وهى تمتاز بسترة مقفلة عند الرقبة زرقاء داكنة الزرقة على حوافها قطان أحمر والبنطلون منتفخ من أعلى تلقفه بعد ذلك رقبة طويلة لحذاء جلدى فاخر . . هكذا كان ملبس عبده وهو يقود السيارة الباكار نفس ملبس عبده خليل وهو يقود الموتوسيكل السيدكار الذى يركب سعادة الباشا فى مقعده . حتى اذا أراد الباشا أن ينزل فى مكان ما لبعض شأنه سارع عبده خليل يفتح باب السيدكار فى عظمة ووقار ونزل الباشا فى سمته المهيبة الذى تعود أن ينزل به من السيارة الباكار .

والباشا وهو يصنع هذا لا يفكر لحظة أنه يفعل شيئاً  
يدعو إلى الدهشة - وفيهم الدهشة أن الباشا يعتبر السيارة  
وسيلة لا غاية - والموتوسيكل وسيلة تؤدي الغرض نفسه -  
وراشد باشا برهان الذي كان يركب السيارة الباكار هو  
نفسه: راشد باشا برهان الذي يركب الموتوسيكل السيدكار -



دق جرس التليفون بمنزل زكريا باشا .

— أنا عبد القادر ابراهيم وكيل وزارة الخارجية يامعالى

الباشا .

— أهلا عبد القادر بك أهلا وسهلا .

— متى أستطيع أن أرى معاليك .

— وقتما تشاء .

— فى أسرع وقت اذا أذنت سعادتك .

— الآن اذا شئت .

عشر دقائق أكون عند معاليك .

السن والثقافة والتجارب جعلت زكريا باشا يبدو هادئا

وهو ينتظر وكيل الوزارة ولكنه كان واثقا أن شيئا يتصل  
بأبنة عدلى فى طريقه اليه . . وقد تعود منذ سنوات ألا يصل  
شيء سعيد بأبنة عدلى . ابت عليه تجاربه أن يفكر فيما  
يمكن أن يكون هذا الشيء .

وجاء وكيل الوزارة .

عدلى يسهر كل يوم الى الفجر يلعب القمار فى جنيف  
ولا يكفيه أى مال بل ان صحته وهو الشاب لم تعد تستطيع  
أن تتحمل ما يصنعه بها .

مرتبته وإيراده الذى يذهب اليه هناك يقذف به جميعا  
على مائدة القمار . بل انه حتى لا يتناول من الطعام ما يقيم  
أوده فهو يفضل أن يلعب القمار عن أن يتناول الطعام الذى  
يحتاج اليه جسمه . فهو لا يذهب الى الفندق الا بعد الظهر  
لينام ساعتين ثم يستأنف وكل هذا ما كان يحتاج الى وكيل  
الوزارة ليأتى به الى زكريا باشا .

لقد نضب المال من يد عدلى فاذا هو يطلب من الفندق  
الذى ينزل به أن يصرف له شيكا يقدر بالنقود المصرية  
بحوالى خمسمائة جنيه وقد قصد أن يطلب صرف الشيك فى  
يوم سبت حتى تكون البنوك مقفلة فى يوم الأحد ظانا أنه  
يستطيع أن يكسب فيودع المبلغ فى البنك قبل أن يقدمه  
الفندق .

لم يكسب .

وطرده الفندق وطالب السفير المصرى بالشيك وحساب  
الفندق .

دفع السفير . ولم يشأ أن يخبر الوزير لانه يعرف  
أنه صديق الباشا وأخبر وكيل الوزارة :

طبعاً دفع الباشا كل ما أخبره به وكيل الوزارة وما أن  
ودعه الى الباب حتى عاد الى التليفون ملهوا .

— راوية .

— أفندم سعادة الباشا .

— تعالى حالا .

وحين جاءت

— كم ترسل لك دائرة عدلى كل شهر .

وتسمرت عيننا راوية على الباشا وتقلصت خلجات  
وجهها وحاولت أن تتماسك بكل ما يطيق البشر أن يتماسكوا  
ولكن هيهات لدموع مثلها أن تغيض ، لقد طفرت الى سكب  
وراء سكب .

— لا عليك يا ابنتى .. لا عليك خذى .

— لا آخذ شيئاً ياعمى .. لا يمكن .

— ستأخذين .

— ألا يكفى انك تربي هالة وانك رفضت أن تأخذ

نصيبك من تركة نينا نعيمة هانم .

— هذه أشياء ليس من شأنها أن تسقط واجب زوجك

فى الانفاق عليك .

— هذا خطأه وليس من المفروض أن تتحمل أخطاءه .

— ومن يتحمل أخطاء الأبناء الا آباءهم .

— ألا يكفى ماتحملته أنت من عدلى .

— أنا لم أتحمل شيئاً .

— بعد كل هذا .

- هذه كلها أخطائي أنا .. مادمت لم أحسن تربيته  
فعلى أن أتحمل كل مايفعل ..
- من قال هذا .. ياعمى الناس طبائع .. وعدلى  
طبعه هكذا ولا ذنب لك أنت ..
- يابنتى أنا لم أقم بواجبى نحو عدلى .. وأنا الآن  
أحاول أن أستدرك الخطأ الذى وقعت فيه .. خذى ..
- لايمكن ..
- أنت تعرفين الى أى حد يحترمنى أبوك ..
- أعرف ..
- لا تضطريننى ان أدعوه وأعطيه مايجب أن تأخذه  
أنت ..
- وقبلت رواية المال .. وأنصرفت ..
- ولكن قصة عدلى لم تتم فصولا ..

\*\*\*

- ماهو الا شهر وبعض شهر حتى جاءت الأنباء أن عدلى  
سقط مريضا بعد هذا الجهد الذى أنهك به جسمه واضطر  
الباشا أن يصحب راوية الى سويسرا ..
- وهناك وفى حجرة من فندق فقير التقى الباشا مع ابنه  
عدلى لأول مرة بعد ما صنعه عدلى تجاه أبيه ..
- وهناك لم يجد الباشا من ابنه الا بقية حطام لم يترك  
القمار منه شيئا ..
- كان موقف الابن ذليلا حتى لم يحاول أن يعتذر وكان

موقف الأب اليما حتى لم يذكر من هذا الشيء الذى امامه  
الا أنه ابنه وأنه مريض .

سرعان ما عرف الأب وعرفت راوية أن مرض الصدر هو  
ما يعانى به عدلى .

فى مصحة فى ليزين على جبل بالقرب من لوزان استقر  
عدلى ودفع الباشا نفقات العلاج وأعطى راوية مايكفى لفترة  
أخرى وسافر الى القاهرة بالباخرة .

وفى القاهرة استقبلته من راوية برقية . . . لقد مات  
عدلى .



منذ ذلك اليوم أصبح زكريا انسانا آخر . . . كان يخشى  
أن يبدي حبه ليعيى ابنه ويخشى أن يظهر ضعفه لهالة حفيدته  
فاعتزل عنهما الحياة بعد أن أصر أن يقيم معه ومع زوجته  
زوجة ابنه راوية .

ومنذ ذلك اليوم أصبح زكريا باشا يمثل لأبنه وحفيدته  
شيئا مقدسا لا سبيل الى الحديث معه وانما تصل اليهما الأوامر  
منه والنقود وكأنه طيف غير انساني لاصلة له بالبشرية .  
وكان يحيى فى تلك السن التى يتشكل فيها الانسان  
ليصبح رجل الغد .

وأما هالة فلاهية يصغر عندها كل شيء ليصبح مجرد  
حدوته أو أداة تسلية .

لم يكن زكريا يتوقع أن تطول به الحياة حتى يفقد عدلى  
وأصبح يخاف على ابنه وابنته . . . أن يتعلقا به ثم يخذلها

ويتركهما فينهار صرح فى نفسيهما كبير . كان يريد حياته أن تكون على هامش حياتهما . ولو أنه أراد أن يجتمع بهما لأعجزته نفسه فقد كان موت عدلى بالنسبة اليه فى سنه هذه نكبه لم يحتملها .

كان يدري انه لم يحسن تربيته وكان يدري انه لا يصلح لشيء ، وكان يدري أنه طعنه أو حاول أن يطعنه بهذه القضية التى رفعها . ولكنه أيضا كان يدري أنه ظل لفترة طويلة من حياته ابنه الوحيد . وان أهميته قد زادت حين أتى بهالة وحين أتى هو ببيحى . وكان يجعل فى حياة عدلى من بعده اداة أمن تصعبه فى رحلته الى الحياة الأخرى . ولكنه مات .

وفى لحظة ينهار هذا الأمن ولا يبقى من عدلى الا انه مات يكفى هذا . وسنة الحياة ان يدفن الأب ابنه وويل للأباء أو قل ان شئت ويل للحياة كلها اذا اختلفت هذه السنة فدفن الأب ابنه .

ينسى زكريا كل شيء الا أن ابنه مات فتصبح مسالك الحياة أمام عينه مهوشة شائهة لامعنى لها .

لا يختلف عنده طريق عن طريق . بل انه حتى لم يعد يريد أن يختار ولا أن يدلى برأى .

هو لا يشارك فى السياسة . وهو لا يذهب الى مكتب المحاماة وهو لا يجد فى مجلس الأصدقاء أنسا أو ترفيها . لم يبق من الأصدقاء الا من يصغرونه أما أتراب حياته ورفاق طريقه فقد ماتوا واحدا بعد الآخر وأقفرت من حوله الحياة التى كانوا يصنعونها معا .

حتى السياسة التى كان من أعلامها اختلفت دروبها

وتغير رجالها فأصبح لا يفهم عنهم ولا يفهمون عنه وحتى اذا فهموا فإنه لا يريد أن يدلى برأى \*

وكيف يدرى زكريا باشا أنه اذا أبدى آراءه فى تربية ولده وحفيده يـكون قد قال الرأى الصواب \* ومن يعرف والخطأ فى عصر هؤلاء \* وكيف يستطيع أن يشارك فى تربية الأحفاد - فيحیی وان يكن أبنه خلیق أن يكون حفيده - وهو لم يوفق فى تربية ابنه حتى يفكر فى تربية حفيده \*

فى حجرته زكريا باشا أن غادرها فساعة أو بعض الساعة يحس بها أنه حى لم يمت ثم الى غرفته يعود \*

ومن هذه العزلة اتخذت سهر وراوية أداة ارهاب للطفلين وعند يحيى أصبح سمت الرجل كما ينبغى أن يكون هو هذا الباشا المنعزل هكذا أصبح الأمر عند يحيى \* أصبح يعتقد ان الرجل لا يكون رجلا الا اذا لم ير أحدا ولم يره أحد وأصبح يظن أن الرجل العظيم - ومن اعظم من جده - يجب ان يكون صموتا لا يتكلم فاذا تكلم فكلامه أمر وإشارته لا يصحبها الا الطاعة من الآخرين \* هكذا صورت أمه أباه وهكذا أكد أبوه هذه الصورة بوجه ارتمى عليه الحزن واحتضنته تجاعيد السنين فأصبح بمزاج الألم والأيام تكشيرة لا انبساط لها \*

ربما استطاعت راوية أن تنجو بهالة من هذه الصورة \* وهالة على كل حال بطبيعة جنسها لاتصوبو أن تكون رجلا .. ورجلا مرهوبا \* ولكن راوية خشيت على ابنتها أن يجعلها موت أبيها جانحة الى الحزن فى حياتها فراحت تتيح لابنتها كل فرصة للبهجة ولم تكن تستعمل اسم الجد الا حين ترى أن هالة تبـالغ فى طلب البهجة \* وكان ذكر اسمه

مصحوبا بالرغبة التي تريدها الأم وتلصقها به وهو فيها  
مظلوم كافيا ان يرد هالة الى ماتبتغيه الأم من الاعتدال .

\*\*\*

كان يحيى فى السادسة عشر حين مات ابوه زكريا  
باشا .

وفجأة وجد يحيى نفسه قد انتصب رجلا على رغم أنه .  
فالخدم لا يذكرونه الا بلفظ البك . هكذا مفردة دون اسم  
يحيى يسبقها أو صفة الصغير تلحق بها .

أصبح هو البك . ليس «بك» وانما البك . . كاملة  
خالصة له . فقد أرادت سهير أن تجعل منه رجل الأسرة الجديد  
ولم يكن بد من أن تحيطه بكل هالات التوقير اذا كانت سنه  
وثقافته لاتستطيعان أن تحيطاه بشيء .

وحين مر بعض الوقت قالت راوية .

— ألا ترين من الأنسب أن أرجع الى بيتى .

— لماذا .

— أنت تعرفين أن بيتى مغلق ومن الطبيعى أن أعيش

فيه مع ابنتى .

— وما الطبيعى فى ذلك .

— كانت هالة مع جدها . . أما الآن .

— شأنك عجيب ياراوية هى الآن مع عمها فى القرابه

ومع أخيها فى السن . فأى عجيب فى ذلك .

— ربما يحب يحيى أن يعيش وحده .



— أسمعى .. أنا وانت لم تختلف طوال هذه السنوات  
وأصبحنا كأخوات . وهذا البيت بيتى وبيت يحيى معا وقد  
تعودت الحياة معك كما أعتقد أنك تعودت الحياة معى .  
وليس من الطبيعى أن تعيشى وحدك مع هالة وبيت عمها  
موجود . واذا كان الباشا قد مات فاننا نستطيع أن نجعل  
من يحيى رجل البيت ونعيش معا .. ودعينا لا نعود لهذا  
الحديث .

— على شرط .

— قبلته .

— أتعرفينه .

— كنت لا تشاركين فى نفقات البيت والآن تريدان أن  
تشاركى .

— فهل تقبلين ؟

— نعم أقبل .

\*\*\*

من حسن حظ هالة ومن حسن حظ يحيى أو من سوء  
حظه لا أدري أن هالة جاء لها خطيب .

اما أن هذا من حسن حظها فلاشك فى ذلك فان هالة  
لم تستطع أن تتصور يحيى هو البك . فقد عاش عمره  
رفيق الملعب وكانت تسخر سخرية شديدة من جو التوقير الذى  
تشيعه حوله أمه وتشتد السخرية بها اذا رأت أمها تشجع  
هذا التوقير ولم تكن تحتفظ بسخريتها لنفسها دائما كانت  
تفجرها كلمات لا تتحرز أمام من تنفجر وكثيرا ما كان ذلك

يحدث أمام الخدم فترتسم على أفواههم بسمات تنال - لاشك -  
من الهيبة الصارمة التي ينبغي أن تفرش تحت أقدام الأمير  
الصغير . . البك . .

وكان يحيى يجن من سخرية هالة وكانت أمها تحاول  
- عبثا - أن تردعها .

ولكن هالة مسكينة فما تستطيع أن تتصور يحيى كما  
تريد السيدتان أن ترسماه ، دون أن تضحك ضحكا ساخرا  
يتشكل في كثير من الأحيان كلمات لاذعة .

وهكذا لم يكن عجيبا أن يرحب الجميع بذلك العريس  
الذي تقدم للزواج من هالة .

ولم يكن عجيبا أيضا أن تكون التحريات التي أجروها  
عنه مبتسرة تتسم بالتعجل أكثر مما تتسم بالجدية  
والتمعق .

كل ما عرفوه عنه أنه خريج التجارة العليا وأن آباء  
تاجر من أواسط التجار لا هو بالفنى الفاحش الغنى  
ولا بالفقر المدقع .

العريس اسمه جابر عبد البديع الشحات فى السابعة  
والعشرين من عمره ويعمل مع أبيه فى التجارة .

له أخ أصغر منه بسنة واحدة وقد تخرج فى كلية  
الحقوق واسمه حامد وحامد يعمل بالأعمال الحرة فى غير  
تجارة أبيه بجانب عمله بالمحاماة . والحقيقة فى أمر حامد  
أن مكتبته ستار لأعماله التجارية فاسم المحامى ومكتبته يخلقان  
حوله جوا يستطيع عمله التجارى أن ينتفع بهما . وهو فعلا  
يعمل بالمحاماة ولكنه يختار قضاياها ، ولجابر وحامد بعد ذلك

أختان تكبرانهما ومتزوجتان ولهما أبناء أما الكبرى فاسمها حميدة وأما الصغرى فاسمها رشيدة .

وحين جمع الفرح الأسرة فى منزل زكريا باشا أحست راوية أنها تعجلت ولكن هالة لم تفكر فى عقد مقارنة بين أسرتها الجديدة وأسرتها التى عاشت فيها وانما هى سعيدة أن تتزوج فى هذه السن الباكرة ويعجب بها شاب أنيق مثل جابر ولم تكن تجربتها تسمح لها بأن تقدر معنى هذه السلسلة الذهبية الضخمة السمكية المتوحشة التى يعلقها أبوه عبد البديع الشحات على صدره ولا معنى الفستان الأحمر الذى يسمون أحمره بالأحمر الانجليزى الذى ترتديه حميدة ولا معنى الفستان الفستقى اللامع الذى ترتديه رشيدة .

أما راوية وسهير فقد فهمتا تماما أى أسرة ناسبتها ابنتهما المسكينة هالة ونظرت كل منهما الى الأخرى نظرة تقول «لماذا» لو أن هالة فقيرة وبحثت عن بعض غنى لكان ذلك مفهوما لو أن السن تقدمت بها فشارفت الثلاثين لكان هناك بعض العذر لو أنها أحبت جابر وأحبها لأصبح الأمر لا يحتاج الى تبرير .

ولكن هكذا وبدون أى أسباب . لماذا ؟

وفى لحظة واحدة اتجهت العيون منهما الى البك . . الى يحيى . . ودمعت عينا راوية ولم تخف الدمعات فالأمهات اللواتى يفقدن أزواجهن مباح لهن دائما أن يبكين فى أفراح أبنائهن أو بنائهن . ولكن سهير فهمت معنى الدموع من راوية ووثقت من فهمها وأطرقت خجلا . . لقد جعلها حرصها على أن تجعل ابنها «بيكا» لا تكتنفه السخرية تنصح بتعجيل هذا الزواج دون ريث من تأمل أو بحث ، أو تفكير .

كان فى الفرح كل أصدقاء راوية وسهير فلم يكن عجيبا  
أن تكون شهيرة سيدة مرموقة فى الفرح تذهب وتجيء وتدعو  
الى الطعام وتمر بجانب الخدم وهم يقدمون الحلوى  
والشربات • بل لقد تولت هى نفسها تقديم علب الحلوى الى  
المدعوين مع راوية وسهير •

وفى الفرح تعرف شباب بشباب •

تعرف حامد بيحى وبشهرة وبهيرة وتعرفوا به ضمن من  
عرفوهم فى ليلتهم تلك •

كان يحيى فى فترة هذا الفرح قد اتخذ قرارا خطيرا  
وزاده هذا القرارا شعور ابالأهمية أن كان هذا الشعور عنده  
يحتاج الى مزيد •

كان يحيى يتعثر فى التعليم حتى بلغ الثالثة الثانوية  
وهو فى التاسعة عشر من عمره وكان مازال المدى أمامه بعيدا  
فقد كان لابد له أن ينال الثقافة ثم التوجيهية • وأدرك أن  
هذا أمر بعيد المنال ان لم يكن مستحيلا •

وهنا يقف علماء النفس حائرين • فهناك من يقول ان  
جو الأهمية الذى تفجر حول يحيى كان خليقا أن يجعله يذاكر  
ويصبر نفسه على الجهد لأنه لايليق بالرجل المهم أن يسقط  
أمام الخدم والأتباع الذين لايقولون عنه الا البك •

وهناك فريق من هؤلاء العلماء يقول ان هذا الشعور  
بالأهمية مع عدم الادراك لقيمة الثقافة يجعله يظن أن التعليم  
شئ ثانوى لا يستحق هذا المعناء وأن البك لايجوز له أن يصنع  
مايصنعه عامة التلاميذ ويذاكر كما يذاكرون وينجح كما  
ينجحون •

وهكذا تجسد أن علماء النفس هؤلاء كثيرا مايزيدون  
الأمور تعقيدا وكثيرا ماتنلق أمامهم المسالك فلا أحد منهم  
يعلم ان كان على خطأ أم كان على صواب .

ولكن يحيى لم يفكر على كل حال أن يسأل علماء النفس  
ولا أن يستخير كتبهم وهو أيضا - وهو البك - لم يكن محتاجا  
أن يستشير أحدا فحزم أمره وقرر رأيه وأصدر قراره . . .  
لا تعليم . . .

وقرار البك لا مرد له . . وأدركت أمه أنها لن تستطيع  
أن تجادله فهي تعلم أن البك الذى صنعتته وجعلت من حولها  
يصنعونه معها لم يعد صالحا للنقاش .

وهكذا أصبح البك بك رسميا وان لم يصدر بشأن رتبته  
براءة من القصر الملكى . وهو أيضا فى غير حاجة الى براءة  
القصر الملكى لأن الوهم الذى يحيط به ضخمة الحقيقة  
نفسها فالبراءة بالبكوية لن تزيد حقيقة تكوينه ثبوتا لديه  
أو لدى المجتمع الذى يحيط به .

وهكذا تثور حول يحيى بك مشكلة أعيت الأجيال ، هل  
الحقيقة هى مايعتقده الانسان أم أنها معنى مجرد ليس يعنى  
بمن يعرفه أو من يعارضه . وان كانت معنى مجردا فما  
قيمته اذا لم يجمع عليه الناس . ولكن هل كل حقيقة يجمع  
عليها الناس . ودعنا نسأل أيضا هل كل مايجمع عليه الناس  
حقيقة . ومالنا لانسأل أيضا وهل أجمع الناس على شيء .

فاذا قلنا ان هناك غالبية كاثرة تجمع على أمر معين وأن  
هناك أقلية لاتوافق الاجماع . فانه لايد لنا أن نسأل مرة  
أخرى هل من الحتم أن تكون أغلبية الناس معتنقة الحقيقة وأن  
الأقلية لا قيمة لها ومن يحكم فى هذه القضية . . إن هناك

رأيا معروفا أن الحقيقة واحدة لا تتعدد . ولكن هل عرف أحد هذه الحقيقة الواحدة ومادام أحد لم يعرفها فأين نجدها . المؤكد أنها متعددة وأنها واحدة ولكن أحدا لا يستطيع أن يعرف أين - الحقيقة الخالصة فى هذا العدد الكبير من الحقائق ليس غريبا إذن أن تكون الحقيقة ضائعة بين البشر الذى ركب من عقل وشهوة ومن فكر وعاطفة ومن حكمة وهوى . فبين التيارين المتعارضين تنزوى الحقيقة ويعتقد كل انسان أن الحقيقة التى استقر عليها رأيه هى الحقيقة فلا يأس إذن أن يعتقد يحيى أنه بك فعلا رغم افتقار رتبته الى براءة رسمية .

وعرف حامد أن البك فى هذا البيت معناها يحيى وعرف شهيرة وأعجب كل الاعجاب بابنتها بهيرة .

وكان بين المدعوين أيضا وجدى فان أردت أن أذكرك به فلا بد أن أنسبه الى أمه لأنها الجانب المجمع عليه من أبويه انه ابن نجاة . وهو عند كل من يعرف نجاة ابن عزت بهادر وعند القضاء الذى أصدر الحكم فى قضيتته ابن عبد المحسن باشا وفيق .

وكان وجدى فى نضارة الشباب وفى فتوته يتمتع بجمال أخاذ سامق ويتمتع أيضا بذكاء خارق يعرف هو بخلقه الخاص وظروفه التى أحاطت بولادته ونشأته والقضايا التى وجدها تتلقفه مع مهد الطفولة كيف يستعمل هذا الذكاء وأين يستعمله . وهو فى أعماله لذكائه هذا يستعمل كل ماله من أصل ممزق بين الحقيقة التى يكاد يلمسها بالشبه بينه وبين الذى يناديه بعمة عزت وبين الوهم الذى أكسبه القضاء حجية الشئ المحكوم فيه . كما يجعل ذكائه يستخدم هذا

الجمال الذى لاتستطيع عين أن تعبده دون أن تقف عنده  
وتطيل الوقوف .

وكانت خديجة وراشد باشا وأسامة بين المدعويين .

راشد باشا قد عادت اليه ثروته ولكنه حولها الى عمارات  
باسم أسامة مباشرة وقطع ما بينه وبين الريف تمسما فباع  
عزبته التى استخلصها من أيدي الديانة وابتاع بثمانها  
عمارات فقد أدرك أن وحيدته الذى ربي بالقاهرة لن يستطيع  
أن يستنبت من الأرض ريعها كما أدرك أن ابن خديجة التى  
عاشت عمرها بالقاهرة لن يكون فلاحا يفهم كيف يعامل  
الأرض وقد حقق أسامة ظن أبيه فاذا هو طالب يحب العلم  
واذا هو شاب يحب القراءة وهكذا لم يكن غريبا أن يجد نفسه  
بين شباب الفرح يقف على جزيرة مستقلة به وان كان ذكاؤه  
قد مكنه أن يشارك الشباب من أمثاله أرضهم ودنياهم .

جمع الفرح قوما كثيرين وتعارف منهم من لم يكن من  
قبل متعارفا والتقى الأصدقاء يصلون حديثا كان بينهم ثم  
انقطع أو يبدأون حديثا هو آخر الأمر الى انقطاع .

## ١٧

**اتصلت** نجاة بشهيرة فى التليفون وتحدد بينهما

موعد .

– نحن بيننا صداقة عمر .

– مالزوم هذا الكلام يانجاة . . أنت تعرفين مكانتك

عندى .

– أريد هذه الصداقة أن تصبح قرابة .

– هى الآن أكثر من قرابة .

– من غير لف أو دوران أريد بهيرة لوجدى .

– والله يا حبيبتى أنا تحت أمرك ولكن بنات هذه الأيام

لهن رأيهن الخاص . وأكذب لو قلت لك ان لى رأيا أو أن

لأبيها رأيا .



— أنا عارفة . . . وعارفة أيضا أن جمال وجدى لا يماثله  
جمال وانت عارفة غناه .

\*\*\*

وقالت شهيرة لزوجها سامى حسنين .

— الولد غنى وحلو ولكنه دائما مع النسوان وسمعت  
أنه يلعب القمار . . . وحكاية المحكمة هذه ستظل تلاحقه .

ولم يكن سامى فى حاجة أن يقول لها الأمر أمرك فقد  
كان يدرك أنها تكلمه لتفكر بصوت مرتفع وليس لأنها تريد  
رأيه . فهو عندها بلا رأى .

لم تشأ شهيرة أن تخبر ابنتها عن هذه الخطبة فهي لا تحتاج  
الى رأيها هى أيضا وان كانت قد أنبأت بهيرة أن رأى رأى  
ابنتها فما كان هذا منها الا لتعطى لنفسها فرصة لتفكر .

وقالت بهيرة لأُمها :

— لماذا لم تقولى لى شيئا حتى الآن .

— وماذا تريد أن أقول .

— ألم يخطبنى أحد .

— اذن فقد عرفت .

— طبعا .

— من قال لك .

— أنا موافقة على هذا الزواج .

— لن أخبرهم بالموافقة حتى تفكرى .

— لقد فكرت .

— وماذا علينا أن ننتظر .

- ولماذا ننتظر .
- يتهيأ لي أن هناك خيراً منه .
- الذى أريده أنا هو أحسن زوج لي .
- لايفرك الجمال .
- لاشيء يفرينى .. كل مافى الأمر أننى أريده وهذا يكفى .
- ومع ذلك سأنتظر .
- شأنك .



- وطلب عبد البديع الشحات موعداً من سامى حسنين .
- توكلنا على الله .
- على الله التوكل .
- مد يدك .
- تحت أمرك .
- نقرأ الفاتحة .
- على ماذا ؟
- فاتحة بهيرة بنتك على ابنى حامد .
- آه هكذا .
- وماذا فى هذا .. لقد ناسبنا زكريا باشا حسام الدين
- ومن غير نسب زكريا باشا انتم ناس أفاضل
- ياعبد البديع بك .
- كتر خيرك فما التردد اذن .

- أليس لهذه البنت أم • وهى أليس لها رأى •
- ومنذ متى يكون للحريم رأى ياسامى بك •
- نعم •
- كانت الكلمة بعيدة كل البعد عن حياة سامى فاطرق قليلا ثم قال :
- لابد من رأى الست والبنت ياعبد البديع بك ••
- الدين يقول هذا •
- أمرك •• ولك أن تسأل عن حامد • محامى قد الدنيا وأيضاً تاجر واع يكسب من الهوا •
- ربنا يهيا الخير ان شاء الله •



- وثبتت شهيرة الى خديجة فحكى لها عن العريس اللذي  
جاء فى وقت واحد تقريبا لبهيرة واستطاعت أن تصوغ  
الحكاية وكأنها تستشعرها •
- وفهمت خديجة الاشارة •
  - قالت للبك •
  - يعنى أليس من الطبيعى أن تتزوج
  - حين أجد البنت المناسبة •
  - عندى •
  - من •
  - مال وجمال وأصل •
  - أعرفها ؟

- كل المعرفة
- فمن هي ؟
- خمن
- بهيرة
- عجيبة • كيف عرفتھا
- أنا لست غيبا
- لا • الحكاية وراءها سر • هل تحبھا
- أخطببھا لی

\*\*\*

ودون أن تستشير شهيرة ابنتها أو زوجها أعلنت الموافقة وأدركت بهيرة أنه لا سبيل لها أن تعارض •• وان كان وجدی قد استطاع أن يبهرها بجماله ويكلمها بضع مرات في التليفون فالأمر لم يصل الى الحب الذي يجعلها تقف من أمها الذي يتبعها أبوها موقفا فيه تعنت • وكان اعلان القبول ليعبى يحمل في ذاته اعلان الرفض لوجدی وحامد معا •• وتم الزواج •

## ١٨

**حين** أعلن قانون الاصلاح الزراعى كان راشد باشا قد  
لقى ربه فلم يتح له أن يشهد نتيجة تصرفه الذى استبدل  
الأرض فيه بالعقارات ولكن أسامه قرأ الفاتحة على روح  
أبيه شاكرًا له ما صنع فقد استطاع أن ينجو به من الاستيلاء  
على أمواله •

أما يحيى فقد كان يملك أرضا كثيرة وكان قد أنجب  
ولديه باسل وشهاب وكان من الطبيعى أن يبحث عن محام  
ليقوم له بعمل الاقرارات • ولكن قبل أن يبحث كان حامد  
عبد البديع بين يديه •

— سعادة البك النسب له حقوق •

— طبعا •

- بمجرد نشر القانون جئت لأقوم عنك بعمل اللازم .
- ألف شكر . . فكرت أن أتصل بك ولكن مسألة الأتعاب جعلتني . .
- مسألة ماذا ؟
- وهذا ماكنت أخشاه .
- لاتقل هذا الكلام ياسعادة البك . . عيب . . لا يصح .
- اذا لم تأخذ أتعابك فاسمح لى لن أستطيع أن أوكلك .
- وهل بيننا أتعاب . . انما بيننا نسب .
- هذا لا يمنع هذا .
- وماذا يقول أخى وماذا تقول بنت أخى سعادتك هالة .
- لن يعرف أحد منهم شيئاً .
- على كل حال هذه مسألة نتكلم فيها فيما بعد .
- وهو كذلك .
- كم فدان عند سعادتك .
- مايقرب من ستمائة وستين .
- كل هذا .
- نعم فقد اشترى أبى أرضا كثيرة .
- وكم عمارة .
- هل القانون ذكر شيئاً عن العمارات .
- لم يعد شيء مؤكدا .

- عندى ست عمارات •
- العمارات تكتبها سيادتك باسم باسل وشهاب •
- وأظن أكتب لكل منهما خمسين فداناً •
- طبعاً ولكن الأرض الزائدة لها عندى ترتيب آخر •
- ماذا ؟
- ليس من المعقول أن تسلمهم ثلاثمائة وستين فداناً •
- وماذا يمكن أن أفعل •
- القانون أتاح لنا شهراً للبيع •
- نعم •
- أنا - إذا سمحت - سأذهب إلى العزبة وأبيع بقدر  
الامكان •
- لا بأس •
- غداً تكتب لى توكيلاً •
- وهو كذلك •
- والباقي بعد البيع سأصرف فى شأنه •
- ماذا ؟!
- سأصرف فى شأنه •
- ماذا تعنى •
- أعنى أنك لن تسلم فداناً واحداً للحكومة •
- ماذا تعنى •
- يحبى بك هل سعادتك محام ؟

— لا

— إذن اتركنا نشوف شغلنا •

\*\*\*

كان وجدى جالسا فى بيته وحوله جماعته عجيبه • •  
كيف عرفهم ومتى عرفهم • • هذه هى عبقرية وجدى وعبقرية  
ناهد • •

وكانت ناهد فكرى تزين الجلسة ومعها الراقصة الذائعة  
الصيت سوسن • وما أظننى بحاجة الى أن أذكر اسم والد  
سوسن فشهرتها قامت باسمها وحده دون اسم السيد والدها •  
وعلى كل حال فاسم أبيها اذا قالت له لن يكون الاسم الحقيقى  
فليس من المعقول أن تقول أن اسم أبيها هو عبد الدايم •  
ومادامت قد غيرت اسمها الأصلى الذى كان شلبية فقد كان  
لابد لها أن تبحث لعبد الدايم عن اسم آخر يضرب الى التركية  
أو الى الارستقراطية ، وعلى كل حال هى فى غير حاجة الى هذا  
البحث • • والذين يلتفون حولها لا ينعنون فى قليل أو كثير  
باسم أبيها فمادامت هى بهذا الجمال وهذه الرشاقة ومادامت  
تستطيع دائما أن تضحك هذه الضحكة ذات الصليل فهى فى  
غير حاجة الى أب على الاطلاق •

فى بيت وجدى الكؤوس تدور حتى لقد أصاب الكؤوس  
نفسها دوار من الخمر أو التنقل • • لايهم •  
وتلف أيضا على المدعوين غابة ينفذ من خلالها الدخان  
المخدور والغابة لا تكف عن الدوران •

يعددها لهم فتى توسط حلقتهن ان أنعمت فيه النظر  
وأنت محتاج الى انعام النظر فالدخان ضباب كثيف والرؤية



ليست ميسورة وماهم فى حاجة الى رؤية ميسورة • ولكن أنت  
لا بد لك أن تنعم النظر فاذا فعلت وجدت الفتى الجالس الذى  
يعد المخدر هو جابر عبد البديع • أتذكره • • ما أخالك الا  
تذكره • • انه زوج هالة وهو هو نفسه أخو حامد •



باع حامد من أرض يحيى تسعين فدانا وكان القانون  
يبيع للأسرة ثلاثمائة فدان فكان لابد أن يستولى الاصلاح  
الزراعى على مائتين وسبعين فدانا •

- اذن نسلم الأرض •
- يحيى بك أهذا كلام •
- وهل هناك كلام آخر •
- هذا شغلى أنا •
- وهل هناك شغل أيضا فيما يفرضه القانون •
- القانون صديقى وأنا أعرف كيف أتصرف معه •
- حتى القانون أصبح صديقك •
- مؤكد •
- كيف •
- من الذى يطبق القانون •
- القضاة •

— هذا فى القضايا العادية أما فى الاصلاح الزراعى  
فهناك جهات كثيرة قبل أن نسمع كلمة القضاء هذه •

- آه فهمت .
- ومن يفهم اذا لم يفهم يحيى بك .
- اذن نتفق على الأتخاب .
- أنت مصر على تسميتها أتعابا .
- سمها أنت كيف تشاء .
- أحب أن أسميها هدايا .
- لتكن أذن هدايا .
- كم أهديتني عن الأرض التي بعثها عنك .
- ثلاثون جنيها عن الفدان .
- ستكون الهدية في هذه الفدادين .
- وقبل أن يكمل جملته دخلت بهيرة .
- أتعاملان .
- نعم .
- اذن أترككم .
- وهل هناك عمل يخفى عليك تفضلي يا بهيرة هانم .
- وهو كذلك .
- وقال يحيى .
- لم تقل هدية الفدادين الباقية .
- أقولها لك غدا في التليفون .
- كنت على وشك قولها .

- لم أكن أنوى ان أقول الرقم .
- فماذا كنت تنوى أن تقول .
- كنت سأقول اننا سنجعلها هدية واحدة لكل الأرض مرة واحدة .
- لا بأس .
- ولن آخذ شيئاً الا بعد أن تطمئن الى قبول التصرف من الجهات المختصة .
- موافق .

\*\*\*

- حين دق جرس التليفون ردت بهيرة .
- بهيرة هانم ؟
- أنا .
- أنا حامد عبد البديع .
- مرحباً يا أستاذ .
- أنا سعيد الحظ جداً .
- كذا .
- وهل فى هذا شك .
- شك كبير .
- لماذا لا قدر الله .
- بالأمس أنهيت الحديث بمجرد دخولى .
- وهل تهملك هذه الأعمال .

- أليست أعمال زوجي •
- يا أستاذ حامد زوجي لا يخفى عني شيئاً أبدا •
- وهل معقول أن شخصا له زوجة مثلك يخفى عنها شيئاً •
- أهذا رأيك •
- هذا جزء من رأيي يا أفندم •
- الجزء الأول •
- لا • • هذا الجزء العشرون والأخير •
- وماذا عن الجزء الأول •
- الجزء الأول خاص بالجمال والأنوثة •
- كفى كفى •
- حضرتك التي سألت يا أفندم •
- من معك •
- وهل معقول أن يكون أحد معي وأنا أتكلم عن هذه الأجزاء •
- متى سنراك ؟
- أمرك •
- الليلة •
- تحت أمرك •
- يحيى بك موجود •
- أيهمك وجوده •
- المهم وجود حضرتك •
- الساعة السادسة اليوم •

**ناهد** فكرى سيدة عجيبه فى المجتمع المصرى . أنها ليست من طبقة الأمراء . وأبوها ليس وزيرا ولا هو رئيس وزارة انما هو رجل عاش عمره يؤدي عمله كموظف فى وزارة المالية .

وكان طريقه فى الحياة يفرض عليه أن يعرف ذوى الشأن فى السياسة والمجتمع ولكنه هو نفسه لم يكن يحب أن يخوض المجتمع أو يدعى السياسة . هو رجل موظف . وهو موظف أمين شريف لم يسمع أحد عنه شيئا يشوب سمعته بسوء . وزوجته هى ابنة عمه وجدان هانم قرنى وقد كانت سيدة من خيرة السيدات ليس لها فى الحياة الا زوجها وبيتها وابنتها ناهد وابنها سعيد ، وكانت السيدة لا تترك

سجادة الصلاة الا لتقوم بشؤون بيتها وكان من الطبيعي أن يرسل ابنه وابنته الى المدرسة فقد كان من هذا الجيل الذي اعتبر التعليم ضرورة لا غنى عنها للفتى أو الفتاة على السواء .

وأتم سعيد الدراسة واشترى له أبوه سيارة فان موارده لم تكن قائمة على مرتب الوظيفة وانما كانت الوظيفة لمجرد أن يكون موظفا فقد كان يجلب نفسه أن يكون بلا عمل مهما يكن غناه هذا الغنى الفاحش الذي تركه له والده .

لقد كان فكرى الزينى يملك ثمانى عمارات الى جانب تسع قطع أرض فضاء جميعها صالح للبناء وكانت كل قطعة منها لا تقل عن العشرين فدانا ويصل بعضها الى خمسين فدانا . ولكن فكرى لا يتصور أن تكون وظيفته فى الحياة مالكا فقط .

فقد كان يرفض أن يرود المجتمعات ويرفض كما ذكرت لك أن يعمل بالسياسة فاذا خلت حياة الغنى من مجتمع أو سياسة أصبحت فراغا لا يطيقه أحد .

لم يكن عجيبا اذن أن يشتري فكرى لابنه سعيد سيارة، ولم يكن غريبا أيضا أن يختار سعيد أفخم سيارة فى ذلك الحين وقد كانت «باكار» وكان لها غطاء يرفعه عن نفسه أو يسدله كيفما يعن له .

ولكن فكرى لم يقدر أن ابنه حين اشترى السيارة كان قد أعد لنفسه الوسيلة التى يموت بها .

هكذا شاء القدر ونزلت الفاجعة عليه وعلى زوجته قاصمة توشك أن تخلع جذورهما من الحياة ولولا أن تعلقا بالايمان ولولا هذا اللطف الخفى الذى تبطن به السماء

الفواجع لكان الجنون أقل ما ينتظر الرجل الطيب وزوجته المتوكله على الله .

وهكذا انفردت ناهد بوالديها فكانت تصنع كل ما تستطيع فتاة فى سنها وفى مجتمعها أن تفعله .

الملابس غاية فى الفخامة . السيارة دائما من آخر طراز . الزينة يقوم بها أعظم المتخصصين وأدوات الزينة تأتى من أعظم الأنواع وإذا لم تسعفها بها القاهرة - وقد كانت من أعظم الأسواق العالمية - أسعفتها بها باريس أو لندن أو أى بلد فى العالم .

وامتدت صداقات ناهد مع كل رواد المجتمع الذين كانوا حينذاك من بنات وأبناء الأمرء فان تواضعوا فمن أبناء وبنات رؤساء الوزارات أو الوزراء أو وكلاء الوزراء وقد كان لهم فى هذه الأيام دوى وطنين ويمكن أن يكون رواد هذه المجتمعات من مجرد الأغنياء ولكن حتم عليهم حينئذ أن يكون آباءهم وأمهاتهم هم أنفسهم من رواد الصالونات يدعون الى بيوتهم كما يدعوهم الناس ، والا فلا مكان لهم أو لاولادهم فى هذه الأبهاء . .

ولم يكن فكرى ولا كانت الست وجدان ليفكرا أن يرودا هذه الصالونات ومن المؤكد أن أحدا منهما لم يكن يفكر أن يدعو الى مثل هذه الحفلات .

ولكن العجيب - وهذا ماجعلنى أبدأ هذا الفصل - أن السيدة ناهد سيدة عجيبة فى المجتمع -

كيف يسمح أبوان لاشأن لهما بصالونات المجتمع ومبازله لابنتهما أن ترود هذه المجتمعات ولا يمنعانها .

وكيف استطاعت هذه الفتاة بمفردها ودون عون من دعوات توجهها مثل الدعوات التي تتلقاها أن تفرض نفسها على المجتمع بهذه القوة وهذا الجبروت .

لايستطيع المجتمع أن يدعو جميع أعضائه فى كل دعوة . . وانما هناك دائما نوع من الاختيار . والذي دعى هذه المرة عند فلان يستطيع فلان آخر الا يدعوه فى المرة اللاحقة .

ان أى بيت من البيوت التى تصطنع هذه الدعوات لاتستطيع أن تحتل أكثر من عدد معين يمثل على احسن تقدير عشر هذا المجتمع أو واحدا على عشرين منه .

ولكن مهما تكن الدعوات قليلة ومهما يكن البيت صغيرا فلا بد أن تتصدر الليلة ناهد فكرن .

أى سحر فيها ؟

انها جميلة . لاشك فى ذلك ولها هذا العطر السحري الذى يجتذب العيون والقلوب فهو عطر ممزوج بجسمها تكون معها وهى بعد جنين لاتشترىه ولايستطيع أحد أن يشتريه ، فيه هذه الخاصية التى لم يستطلع أحد أن يكشف سرها وانما هى تأسر فى غير عقل وتستولى على المشاعر فى غير منطق وكل ماعليها من عطور وملابس وباصنعه البشر بشعرها من تلافيف أو بوجهها من زينة لا قيمة له مع هذا العطر الذى منحته لها الطبيعة والذي لايعرف أحد مأتاه والذي نتمنى الله أن أحدا لايعرف مأتاه والا أصبح الرجال جميع الرجال عبيدا أو مجانين ، وأصبحوا جميعا - ولاشك فى هذا - عصاه .

ولكن أهذا العطر هو الذى يجعلها تتصدر الفيلات



جميعا • • كيف • • اذا قبلنا ذلك فى الحفلات التى يقيمها الرجال فكيف بنا أن نقبله فى الحفلات التى تقيمها النساء • • انها هناك مهما يكن جنس الداعى رجلا كان أو كانت امرأة • عجوزين كانا أو كانا من الفتیان • •

وهذا السحر فيها متماز به اثنتان أو ثلاث فتيات أخريات • وهن أيضا يستقبلن الدعوات وحين يجتمعن ينشق الحفل عن مباراة فى الجمال والأنوثة لايهم أحد من الكاسب فيها ومن الخسران • فالمؤكد أن المدعويين جميعا هم الكاسبون •

ولكن أولئك الفتيات كثيرا ماتؤجل دعوتهن وكثيرا ماتخلو منهن الحفلات الا ناهد • • انها دائما هناك • • هذا هو العجب • •

والمجلات تتابع هذا المجتمع فى اصرار ومازالت تتابعه • • لم تستطع ثورة حطمت كل المعايير والمقاييس والقيم القديمة أن تحطم أهون ما فى هذا المجتمع من متابعة المجلات لأخبار الصالونات •

وقد هشمت الثورة من كان يؤم هذه الصالونات ولكنها فى نفس الوقت أخرجت للصالونات قوما آخرين •

وان كان المجتمع المهشم قد أدرك معنى الصالون ومعنى الابیوسون والشينوا ومعنى الرفق فى الفزل والكلمة تهمس ولا تقذف واحتساء الخمر بحذر حتى لايفلت الزمام الا قلة هزيلة منهم كانوا مرضى • وان كان المجتمع الذى هشمته الثورة يعرف معنى الموسيقى الحاملة أو الصاخبة ويعرف كيف يمسك بأدوات الطعام الفضية أو الكريستوفل أو المستجلبة من شيفيلد وميبل أندوب ويجيئها على الأطباق السفرة أو الليموج فلا تسمع لها الا همسا كهمس المحبين •

فان المجتمع الجديد يعرف كيف يشتري أغلى الأشياء  
ويقذف بها فى صالونات لا يفكر فى مواءمة بعضها لبعض .  
فهذان كرسيان حديثان فى غاية الغلاء موضوعان الى جانب  
أريكة أبيسون . وهذه منضدة من النوع الحديث المرتفع  
الثلث الى جانب كرسى مرسوم على نمط لويس السادس عشر .  
والخمر فى المجتمع الجديد أنهار والشاربون يعجبون عبا ويعلمون  
وينهلون ولا يحتسبون فهم يريدون أن يسكروا لا أن يشربوا ،  
والمجتمع الجديد يخصص حجرات للمخدر ذى الدخان أو  
المخدر الذى يتلع . فالسكر عندهم هو الغاية وهم يملكون  
اليه الوسيلة .

والأطباق غالية الثمن والأدوات مازالت فضية ولكن اذا  
مد الطعام نشبت أمامك معركة بين أدوات الطعام والأطباق .  
وعلى الحالين المجالات عندنا تهتم بهذا المجتمع . كانت  
تهتم بالمجتمع الراحل وهى اليوم تهتم بالمجتمع الذى أخذ  
مكانه .

وفى أى مجتمع تسطع ناهد فكرى لتكون نجمة كل  
المجلات فاذا هى فى بعض عام أعظم شهرة من كواكب السينما  
جميعا .

وحين أقبل الاصلاح الزراعى كان أبوها قد انتقل الى  
العالم الآخر بعد أن جعل ناهد مالكة لكل مايملك وحين أصبح  
المجتمع الجديد هو المجتمع المعتمد المعترف به راح مجتمع  
ناهد القديم يللمم أذياله ويتخفى فى التاياع ، ويبتعد عن  
أضواء آلات التصوير بل عن أضواء الشمس اذا استطاع .

والمعجب أن ناهد استطاعت فى مقدرة فائقة أن تغرب  
من المجتمع القديم لتشرق فى المجتمع الجديد ، وان كانت فى

المجتمع القديم شمساً مع ثلاثة شمس أو شمسين فهي  
 فى هذا المجتمع شمس الرفيعة المتألقة التى تنفرد بسمائه •  
 تلك هى قصة ناهد مع المجتمعين ماذا عن ناهد فى بيت  
 أبيها ذلك الرجل الجاد وأمها تلك السيدة الودود التى لاتعرف  
 الا البيت والصلاة •

كان أمر الوالدين عجباً • حاولا بكل مايملكان من جهد  
 أن يقفا بين ابنتهما وبين الطريق الذى اختارته ولكنها كانت  
 كالفرس الجموح • وحين طالت المناقشات بينها وبين أبيها  
 وأوشكت أن تضيق بها وجدت وسيلتها من قريب •

كان وجدى موجوداً فى كل دعوة تلبىها ناهد • وكان  
 جماله الواضح يجعله دائماً ملتقى اهتمام • وكان وجدى  
 قد أعد نفسه لهذا المجتمع فعرف كيف يكون سهلاً فى حديثه  
 يسير به على سطح الأمور ولا يغوص فى أعماقها • ان دخل  
 فى نقاش استطاع أن يقنع كل من يحادثه أنه صاحب الحق  
 الأصيل وهكذا كان يترك الآراء تشتجر وتتشابك وهو يقف  
 منها موقف المؤيد لكل رأى فقد أدرك من المجتمعات التى  
 هيأتها أمه أن من لا رأى له هو أقرب الموجودين الى قلوب  
 الحاضرين •

ولكل انسان فى الحياة هدف ومتجه وماكان وجدى ليفكر  
 مطلقاً أن يكون صاحب مكانة فى الحياة العامة وانما كان هذا  
 المجتمع بالذات هو غايته وهدفه حتى شهادة الحقوق التى حصل  
 عليها كان يعتبرها وسيلتها الى هذه المجتمعات وليست وسيلتها  
 — لا قدر الله — الى قضاء واقفا كان هذا القضاء أو كان  
 جالساً •

وحين شب وجدى عن الطوق وعرف قصة ميلاده تقبلها  
 فى هلع أول الأمر ثم أمعن النظر فيها فاذا هو يخرج بها الى

رأى استقر عليه وارتاح له . لقد أعجب بأمه غاية الإعجاب  
فليس عليها من بأس فى رأيه أن تصل بينها وبين أبيه عزت  
وهو من هو جمالا . لقد رآه وقد زحفت الغضون الى وجهه  
ولكنها لم تستطع أن تعدو على جماله . وحين مات عزت فكر  
أن يسير فى جنازته ولكنه خشى أن يتغامز عليه المشيعون  
فاكتفى بدموع تحدرت من عينه فى طى الكتمان ولم يكن  
يدرى يومذاك لماذا يبكى فأبوة عزت له أبوة أساءت اليه أمام  
الناس ثم هو لم يشعر منه بحنان . وجمود الأبوة يجعل  
الأبناء يكرهون آباءهم أكثر من كراهيتهم لاعدائهم .  
فالمفروض أن العدو لا يرحم والمفروض أن الأب ، رحمان  
وعطوف وحنون كله اشفاق وقلب يخفق بابنه وروح ترفرف  
حيث يتحرك أبناؤه .

فاذا لم يرحم فقد خرق نواميس البشر واذا قسا بغير  
عدالة فقد قلب مواقع الأفلاك أما اذا جحد ابنه فكان عنده  
هملا لوجود له فهو قد مزق أستار البشرية وانحط عن درك  
الحيوان .

ولكنه بكاه . .

كان وجدى يرى ألا بأس على أمه ان تقيم بينها وبين  
أبيه عزت صلة فشأن السيدة المطلقة أن تبحث عن سند لها فى  
الحياة واذا لم يتوفر السند الشرعى فان وجدى يرى ألا بأس  
عليها أن تبحث عن سند غير شرعى . فاذا كان جميلا فالعذر  
اذن ممهد لها .

ويرى وجدى أن أمه كانت ذكية حين ألحقت نسبه الى  
عبد المحسن باشا فهى تختار لابنها . . ومن حقها أن تختار  
له . . الأب الأحسن . . ومن أحسن من عبد المحسن باشا . .  
وجعلت الطفل شرعيا .

وليقل الناس بعد ذلك مايقولون . . لقد فاز بناء على حكم القضاء باب باشا وبثروة جديدة بالباشاوات وهكذا استطاع وجدى فى قدرة لانتأتى الال نوع خاص من البشر أن يعجب بأمة لأنها ذكية ويعجب بأبيه الذى صنعه له المحكمة لأنه باشا وبأبيه الذى فرضته عليه الحقيقة والطبيعة وأحاديث الناس لأنه جميل ولأنه قادر على أن يجعل النساء يحببنه . فوجدى فى نظر نفسه يجمع المجد من ثلاثة أطراف ان كان أهل المجد والشاعر الذى تحدث عن أطراف مجده يجمعون المجد من طرفين اثنين على أكثر تقدير والغالبية العظمى ان كان لهم مجد يتفاخرون به فهو لايزيد عن طرف واحد .

وخاض وجدى المجتمع بهذه الثقة الهائلة بنفسه وبميلاده وكثيرا ماكان يغبط نفسه لأن الكثيرين ممن يخوضون هذا لمجتمع يحتاجون الى جهد جهيد من ثقافة خاصة ودربة فى التعامل وممارسة لهذه الحياة واختلاط بالأسرات وزمن طويل حتى يتحقق لهم آخر الأمر شهرة بين أبناء هذه المحافل أما هو فقد وجد شهرته سبقتة الى محافل هذا المجتمع جميعها ولم يكن يضيق حين تعرفه بعض السيدات بأخرى قائلة وجدى ابن نجاة مقنعا نفسه أن الأم صديقة السيدات ومن الطبيعى أن ينسب اليها عندهن ولا يريد وجدى أو هو لايهمه أن يتشكك فى السيدة التى تقدمه على هذه الصورة انها انما تتخلص من حيرة بين الحقيقة القضائية والحقيقة التى تعرفها هى ويعرفها الجميع ويؤكد هذا الشبه بين الابن وبين آبيه الحقيقى .

قالت له ناهد :

— أظن أننى كبرت وأنت أيضا على هذا اللف والدوران

— أى لف ودوران .

- وكبرنا أيضا على الاستمبات •
- والنتيجة •
- قل أنت ماذا تريد •
- مادمننا قد وضعنا شروطا للعبة فيجب علينا أن نلتزم بها جميعا •
- حسنا .. لن ألف معك .. أهى محاولات منك لاجتدابی اليك أم أنت جاد فى هذا الغزل وهذه النظرات التى أصبح الجميع يتندر بها •
- هذا يتوقف على معنى الجدية •
- لا يختلف اثنان فى معناها •
- ولكن نحن قد نختلف •
- أمختلفان نحن عن الناس •
- المؤكد أننى لم أسمع أن مثل هذا الحديث دار بين اثنين قبلنا •
- لآنك دائما تدير أحاديث أخرى •
- وأسمع أحاديث أخرى أيضا •
- استطعت فى فرح هالة فقط أن تقيم علاقة بينك وبين بهيرة •
- أمازلت تذكرين ؟
- أنا لست مثل بهيرة •
- هذا مؤكد •
- أنا أعرف أنك طلبت أن تتزوج بهيرة •

- أمى التى طلبت •
- لم يكن حبا اذا •
- بداية استلطاف •
- والذى تفعله معى الآن •
- ماذا تريدينه أن يكون •
- أنا لا أمانع فى الزواج •
- وأنا أرحب به •
- على شرط •
- كل الشروط مقبولة •
- أن يعيش كل منا بالطريقة التى تروق له •
- أمعقول أن تقولى هذا •
- هذا ما سأفعله •
- فى استطاعتك أن تفعليه دون أن تذكره •
- لا أحب الخداع •
- ربما كنت أحبه •
- لعلك احتجت اليه •
- كل الناس تحتاج الى بعض الخداع •
- ولكن بعض الناس تحتاج الى الخداع الدائم •
- لقد قبلت الشرط •

ولم يتردد فكرى بك فى قبول خاطب ابنته رغم أنه  
يعرف كل شئ عن تاريخ حياته بل ان وجدان هانم رحبت

بوجدى • فقد كان الأب والأم كليهما يخافان كل الخوف  
ألا تتزوج ابنتهما بعد أن أصبحت حديث المجلات وأبواب  
المجتمع • وكان فكرى بك فى أخريات أيامه وكان يخشى كل  
الحشية أن يترك ابنته بلا زوج فيزداد سفورها على الحياة  
وهكذا تم الزواج فى سرعة واستقلت ناهد ببيتها ولم تعد  
رقابة أمها أو أبيها تلاحقها •

وسرعان ما استقرت الحياة بينها وبين وجدى بل سرعان  
ما تفاهما • لم يكن طريقاهما متباعدين كان الهدف واحدا  
ولكن كلا منهما كان يسلك الطريق لحسابه الخاص •

لم تمض شهور على الزواج حتى كان فكرى الزينى قد  
لقى ربه • ولم تمض شهور أخرى حتى صدر قانون الإصلاح  
الزراعى • وشمر وجدى عن ساعد الجد وشمرت معه ناهد  
فاذا بيتهما ملتقى الأرباب الجدد أو أنصاف الأرباب من  
الأتباع • واستعملت ناهد كل وسائلها من سحر الأنوثة وعطر  
السماء ، وتخاضع اللفظ ، واختيار الإشارة ، ورسم  
الابتسامة وافتعال الغضب ، واصطناع الحفلات ، وصناعة  
الابهار •

واستعمل وجدى كل ماحبته به الطبيعة من اصطناع  
الغباء وقبول كل الأوضاع وتوطيد الصداقات مهما يكن ثمن  
الصداقة من عرض أو سمعة • فما يعنيه العرض ولا قيمة  
عنده للسمعة • فهو من هو عرضا وسمعة بحكم الميلاد •

لقد كانت ثروة أبيه من الأرض الزراعية وقد استطاع  
بمواهبه هذه أن يبقى عليها كاملة لم يتسلم منها الاصلاح  
الزراعى شيئا وقد أعانه على تلفيق الأمور حامد عبد البديع •



ومن هذه الأبواب التي تفتحت لحامد على يد وجدى وأخيه  
جابر الذى كان على صلة قديمة ببعض الأرباب الجدد استطاع  
حامد أن ينقذ أرض يحيى \* ويتقاضى ثمننا لذلك عشرين  
فداناً من أرض يحيى يصحبها أيضاً عرض يحيى \*

## ٢٠

**لم** يكن أسامه يتصور حين حصل على شهادة الحقوق أن يتجه الى ما اتجه اليه فقد بدأ حياته بأن تمرن في مكتب المحامي الكبير صديق والده مهرا ن باشا عبد الفتاح وقد استطاع أن يعرف في هذا المكتب الكبير كيف يكون المحامي كبيرا . فأسامه يجيد الفرنسية وهكذا كان يستطيع دائما في كل القضايا أن يرجع الى أعظم المصادر وقد علمه مهرا ن باشا كيف يتناول القضايا ويتعامل معها ويغوص في أدق ماتخفيه أوراقها .

وماهى الا شهور حتى تبين مهرا ن باشا أن أسامه يملك موهبة المحاماة . وأدرك أن أسامه يستطيع أن يكون امتداد الأجيال العباقرة من المحامين امثال عبد العزيز فهمى ومرقص حنا والهلباوى ووهيب دوس وعلوبة ومرعى الى آخر هذه

الأسماء التي وطدت دعائم المهنة الخطيرة وأرست أركانها في مصر والشرق العربي .

وقد أدرك أسامه أن عمله باللغة الفرنسية سيمكنه أن يكون محاميا عملاقا في القضايا المدنية . فهي التي تحتاج الى البحث والرجوع الى المصادر الأصلية للقانون .

وراح أسامه يخطو خطواته الأولى ولكن قليلا ما خطا . . . فقد سرعان ما انقلبت موازين المجتمع كلها . . . ولم يصبح للقانون المدني مكان . فالقانون المدني يقوم أساسا على أن للمال حرمة والدولة هي التي تحمي هذا المال ان يستلب بطريق غير مشروع .

فحين تستلب الدولة نفسها هذه الأموال وتصدر القوانين بالحراسة والمصادرة لاستلابها تسقط حرمة المال ويصبح اختطافه والاستيلاء عليه بغير حق هو الأصل وتصبح ، حرمة واحترام حق الانسان فيه استثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه .

وفي ظل هذه الشرائع الجديدة من سقوط الشرعية ينزوى القانون خزيان ينظر ويتحسر وتدمى جراحه ولا ينطق . فالقانون هو الشرعية فاذا استبيحت الشرعية اندثر القانون وهكذا أصبح القانون المدني تاريخا يروى عنه كفترة من الزمان كانت ولم تصبح ومرت ولم تعد توجد . وتخلو الحياة من القانون . وتخلو أيضا من العاملين في القانون .

وهكذا كان من الطبيعي أن يبحث أسامه لنفسه عن عمل جديد . لم يتصور أنه يستطيع أن يتوظف فقد تعلق بالمحاماة وأحبها ورسم مستقبله وحياته على أن يكون محاميا . وقد

قضى السنوات التى عمل بها فى المحاماة فى توطيد أركانه فى ميدان القانون ٠٠ والقانون المدنى بالذات فحين رأى القانون المدنى يحتضر حار به الطريق واشكلت أمامه المناهج ولم يعد يدرى الى أى مصير يصوب غايته ٠

كان قد خلف مهران باشا فى المكتب فى صفقة مالية معتدلة جديرة برجل كبير مثل مهران باشا وبشباب غنى مثل أسامه وفى الأيام الأولى لاستقلاله بالمكتب بدأ الانهيار القانونى فى الحياة المصرية وأصبح أسامه يتابع القضايا القديمة فى المكتب ويقيه يزداد كل يوم أنه لن يجد قضايا جديدة ٠

فاسم المكتب كبير ولا يؤمه الا أصحاب القضايا الكبيرة وهؤلاء زالوا تماما من الحياة المصرية مضيعين بين المصادر والحراسة ٠ وباسم الحراسة والمصادرة اغتالت الدولة الغالبية العظمى من أصحاب المال بقانون فكان شأنها مع هؤلاء شأنا فريدا فالسارق يعاقبه القانون ويسترد منه المال اما اذا اغتصب القانون نفسه المال فى حماية من قوة الدولة وسلطانها فانه حينئذ يصبح اللص أشرف من الدولة وتصبح السرقة أشرف من القانون فلم يكن غريبا أن يدرك أسامه أن المكتب الى افلاس ٠ وان كان هناك بعض محامين صغار يروحون ويجيئون فى المحاكم فان هؤلاء انما يترافعون فى قضايا صغيرة لاتستطيع أن تقترب من باب المكتب الكبير ٠

كان أسامه واثقا انه لايد له أن يبحث عن طريق آخر وكان وثوقه هذا يزداد فى كل يوم ايقانا ٠٠ اين أذن الطريق ٠٠ فكر ان يكتب لجميل فى الكويت أو لصبحى فى السعودية لعل واحدا منهما يستطيع أن يجد له عملا هناك فهو لا يطيق البطالة حتى وان كان موفور المال ٠٠ كان فى ذلك اليوم

أوشك أن يصمم على كتابة الخطاب ولكن وكيل المكتب يدخل إليه .

- زوجة محمد بن تطلب أن تراك .
- عم محمد بن .
- قالت أنت تعرفها .
- أدخلها فورا .
- وقام أسامه وراء وكيله وفتح باب مكتبه وهو يصيح .
- أهلا أمه مرسيله .
- أهلا بك يا ابني .
- أين أنت .
- فى الدنيا .
- تفضلى .

وتدخل السيدة المعجوز ويجلسها أسامه على كرسى قريب من مكتبه ويجلس أمامها كما يفعل مع كبار الزوار . أنها زوجة عم محمد بن الذى كان مع أبيه وجدته والذى لقفه على كتفيه . وكان عم محمد بن قد مات منذ سنوات وسأل أسامه زوجته هذه التى يناديها أمه مرسيله أن كانت تريد مرتبا شهريا أم تريد مبلغا واحدا مرة واحدة ففضلت المبلغ الواحد فأعطاه ألفى جنيه وطلب اليها أن تقصد اليه فى أى لحظة إذا احتاجت اليه وكانت والدته منذ فترة تطلب اليه أن يسأل عنها وذهب فعلا الى البيت الذى كانت تقيم فوجدوا قد تركته ولم يعد يعرف عنوانها فكان فرحه بمجيئها طبيعيا فقد كان يريد أن يطمئن على أحوالها وهى فى هذه السن المتقدمة كما كان يريد أن يطمئن أمه عليها .

— لقد وقعت من السماء •

— أثلثاك بعيني يا أمه مرسيلة • • أين أنت لقد ذهبت  
الى • •

— سأحكى لك • • حين أخذت منك المبلغ كان عمك  
محمد بن قد اشترى أرضا بعلوان وهو يعمل مع المرحوم  
والدك قلت أضع المبلغ فى بناء بيت يسترنى ، أنا وابنى  
راشد وزوجته •

— راشد تزوج •

— لم يكن أيامها متزوجا ولكن قلت فى نفسى أنه لابد  
سيتزوج •  
— معقول •

— وتزوج فعلا • واسم النبى حارسه تعلم ميكانيكى •  
— سيارات ؟

— سيارات وكل الماكينات واستطاع واحد من صحابه  
ان يعينه بشركه من شركات الحكومة •  
— عظيم •

— أنا أجرت شقه فى حلوان لآكون بجانب البيت وهو  
يبنى وراشد تعين والحمد لله أصبحت الحالة مستورة وتزوج  
راشد بنت حلال من أربع سنوات ، وعنده الآن ولدان على  
وحسين •

— بسم الله ماشاء الله • •

— تعيش • • ما أدري من يومين الا وواحد من صحاب  
راشد يدخل الى ويخبرنى أنهم قبضوا على راشد •

- ماذا .. لماذا .
- قال صاحبه أنه كان فى مظهره .
- مظاهرة .. وهل هناك مظاهرات الآن .
- يا ابنى والله لا أعلم .. قال عن البتاع الاشتراكى
- وانه قال فى الاجتماع كلاما جعل الرؤساء يزعلون .. المهم
- الولد محبوس .
- أين .
- لا أدرى .
- كيف ؟
- ليلتين الآن لم يأت الى البيت ولا أعرف له طريقا .
- من الذى قبض عليه .
- سبحان العالم .
- طيب يأمه مرسيلة تعالى أنت معى الآن الى البيت .
- أروح يا ابنى البنت مرأة راشد فتها فى البيت حالها
- ملخبط ولا يصح أن أتركها وحدها .
- اسمعى .. تعالى معى وسأرسل السيارة تأتى بزوجة
- راشد وبعلى وحسين أيضا .
- يخليك .. يطول عمرك .. يعمر بيتك .
- قومى يأمه مرسيلة .. قومى .. هيا .. نينا
- ستفرح جدا لما تشوفك .. وأنت أيضا ستفرحين لما تشوفى
- مراتى نادية وابنى راشد وفهمى .

— محفوظ باسم الرحمن الرحيم تعيش الأسمى ..  
ولا تدعوني ياسى أسامه لقد شلتك على كتفى ولا أحضر  
فرحك ..

— ربنا يعلم .. بحثت عنك بلا فائدة .. على كل  
نصلح الخطأ اليوم .. هيا بنا ..



## ٢١

**الخيانة** ليست وليدة منطق وانما هي طبيعة فى بعض الناس أو ان شئت الدقة هي طبيعة فى أكثر الناس مثلما تجد الأمانة طبيعة أيضا عند قلة من الناس .

وقد تعاني المرأة من زوجها ماتعانى ولكنها مع ذلك تظل شريفة دون أى منطق يدعو لهذا الشرف الا أنها هي بطبيعتها شريفة ، ولا تتصور أن الحياة فيها طريق آخر غير الشرف .

وليس صحيحا أن البنت لامها كما يقول هذا المثل السخيف الذى يكفى القدره على فهمها دون أى داع ودون أن يكون للقدرة أى دخل فى الموضوع الا أن تكون مقدمة دون معنى لنتيجة لا صلة لها بالمقدمة ثم هي نتيجة خاطئة .

فكثيرا ما عرفت الحياة فتيات شريفات غاية الشرف وهن من أمهات لا يعرفن الشرف فى أى شىء وكثيرا . . بل وكثيرا جدا ما أصبحت بنات غير شريفات وهن فى ذلك من أمهات كلهن شرف وهكذا تجد نفسك فى غير حاجة أن تكفى القدره على فهمها لتطلع البنت لامها كما يقول هذا المثل العامى الساذج .

ولكن لا بأس أيضا أن تتعرض البنت لظروف مثل ظروف تعرضت لها أمها فتجد البنت نفسها سائرة فى الطريق الذى سبقتها فيه أمها .

ولكن الموقف مع بهيرة ابنة شهيرة مختلف كل الاختلاف وان كانت النتائج متشابهة كل التشابه .

فشهيرة خانت زوجها لأن زوجها كان يدعو الناس الى احتقاره بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة . فلم يكن غريبا اذن أن تبحث شهيرة عن أحضان تحترمها فخانت .

أما بهيرة فزوجها يفرض احترامه على الناس بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة . أو هو فى الواقع يصطنع الوسائل غير المشروعة فى فرض هذا الاحترام . ذلك أنه يطالب بالاحترام بالتكبر لا بالكبرياء وبالتظاهر لا بالحقيقة . فهو أجوف بلا علم ومن أين العلم وبلا تجربة ومن أين التجربة وقد وجد نفسه فى بواكير الحياة من كبار بكوات المجتمع المصرى بغير ثقافة أو علم أو تجربة فى الحياة . وكانت البكوية التى صبتها عليه أمه بقوة المال وجبروته لا تتيح له أن يخالط أبناء جيله ويحيا الحياة الطبيعية التى تجعل الانسان حين يكبر انسانا طبيعيا شأنه شأن الآخرين له تجاربهم وله أيضا أخطاؤهم .

اعتزل يحيى الحياة قابعا بين جدران بكويته الباكرة  
وتكبره الكاذب فأصبح فراغا • ولهذا لم يكن عجيبا أن يمنع  
بالاحترام الزائف من ظاهر الناس وان خالطه الاحتقار بل  
وان خالطته السخرية فى أعماقهم •

وبهذا التكبر وبهذا الارغام على الاحترام الموهوم عامل  
يحيى الحياة وعامل أقرب الناس اليه زوجه بهيرة وابنيه  
باسل وشهاب •

وهكذا راح ثلاثتهم يبدون له الاحترام غاية الاحترام  
ويكنون له الاحتقار غاية الاحتقار •

أما الزوجة فهى تحتقره للتكبر السخيف الذى يلزمه  
فهو دائما منفوخ الصدر يتكلم وكأنما كلامه وحى من  
السماء ويخاطبها وكأنما يتنازل كل التنازل أن يمتد بينهما  
حديث •

وكم كان سهلا على بهيرة أن تبدى له الاحترام وتشبع  
الغرور العجيب الذى ركب فيه ثم هى بعد ذلك تصنع ما تشاء  
لتشعر أنها تنتقم من غروره وأنها قادرة دائما على تحطيم  
كبريائه ولو فى نفسها • والحب لا يستطيع أن يماشى الاحتقار  
مطلقا وهكذا أصبح من المستحيل أن تحب بهيرة زوجها •  
واذا انعدم الحب من البيت فكل شئ غير شريف معقول  
وطبيعى •

أما ابنه فهما لم ينتهيا الى احتقار كبريائه الا حين  
تقدمت بهما السن وعرفا آباء آخرين لأصدقائهما •  
وبالمقارنة تبين لهما أن أمر أبيهما عجيب •

لقد وجدا الآباء الآخرين يحبون أبناءهم ويبدون هذا  
الحب فى شتى صور • قد يبدو منهما الحب فى كلمة اشفاق أو

حتى فى كلمة تأنيب حانية • أو قد يبدو فى منحة مالية أو قد يبدو فى اهتمام بدراسة أو اشفاق عند مرض أما أبوهما فلا يبدى ، لأى منهما أى عاطفة • انه يحبهما لاشك ولكنه بصلفه وتكبره يختزن حبه ويضن به أن يظهر • • انه يستكبر أن يبين منه حب لعله كان ينتقم لنفسه أن أباه لم يظهر له حبه منذ بدأ هو يدرك الأشياء • أو لعله كان يظن أن الأجدد بالأب ألا يظهر منه حب فمادام أبوه قد صنع هذا فهذا اذن هو المثل الأعلى أما حب أمه له وتفخيمها لشأنه فهذا أمر مفروض ، لانه يرى نفسه فوق البشر وأمّه لم تزد على أن اعترفت بتفوقه وسموه وهو بعد اذا سأل نفسه فيم هذا التفوق أو ذاك السمو سارعت اليه نفسه بالكثير الكثير من توافه الأمور التى تجعله يتأكد أنه صنف فوق البشر وأنه انسان يسمو على الانسانية •

وهكذا شب باسل وشهاب فى منزل قاتم ، الأم فيه تبدو تابعة للأب وهى فى حقيقة الأمر الشخصية المتبوعة لا التابعة لأنها استطاعت فى مهارة أن تجعل زوجها يصنع ماتشاء أن تصنع ببعض كلمات بسيطة من اشباع الغرور • ثم هى بعد ذلك تسحبه خلفها كيفما تريد • ويسير الأهل خلفها وهو يظن نفسه يقودها وينفذ كل ماتشاء وهو يظن أنها هى التى تنفذ كل مايشاء والابنان يكبران ويدركان هذه الحقيقة فتقلب موازين الحياة عندهما • ويكرهان آباهما لأنهما لم يريا منه شيئا يستحق الحب ويعجبان من أمهما لأنها جعلت من أبيهما هذا المسخ الشائه وحين توثقت صلة الأب والأم بحامد عبد البديع وجد باسل وشهاب فى حامد شخصية كريهة •

وربما كانت هذه الكراهية لأنه دخل البيت الذى لم

يتعود أن يستقبل أحدا فقد كانت الأم تريد أن تستولى على الزوج وكان الناس بطبعهم ينفرون من الزوج وهكذا كان البيت مقفل الأبواب دون الآخرين • ولو لم يكن فى البيت مع الأب والأم ، سهر أم يحيى لكنت حياة الطفلين فى البيت جحيما • فالأم مشغولة بخططها المشروعة وغير المشروعة والأب مشغول بغروره ولا أحد يسكب على الطفلين حنانا الا سهر • وربما أحست سهر أنها هى التى جعلت ابنها مرسوما بهذا الجفاء والغرور وكانت تعزى نفسها أنها لم تكن تتصور أن يتمادى فيه الغرور الى هذا الحد ولكن تلك هى مصيبة المشاعر فى نفوس الناس • • فانها قبيحة كانت أو حميدة لاتعرف ، أين ينبغى لها أن تقف • وهكذا تصبح المشاعر القبيحة بالغة القبح ، وتنقلب المشاعر الحميدة الى شئ يدعو الى الضجر أحيانا أو السخف أو الملالة فتتقلب فى أحيان كثيرة الى شئ كرهه هى الأخرى •

وحين ماتت سهر كان الطفلان يشبان الى بواكير المراهقة وانقطع عنهما ذلك المنهل من الحنان فى وقت كانا فى أشد الحاجة اليه •

وحينئذ دخل الى حياتهما حامد • وأحسا نحوه بذلك المقت وان لم يدريا لذلك سببا وأغلب الأمر أن السبب كان فى داخلهما ولكن حامد استطاع فى مهارة فائقة أن يتقرب منهما • وقد كانت السبل مهيأة له من قريب •

لقد عرف كيف يعاملهما كرجلين وراح يصحبهما معه الى مزارع أبيهما كلما ذهب لعمل فى مزارع أبيهما أو فى مزرعته هو بعد أن أصبح مالكا لعشرين فدانا هناك •  
— وعرف أيضا كيف يكون واسطة لهما عند أبيهما فاشترى كل منهما سيارة وهو يدخل الى الجامعة •

وأصبح حامد قريبا كل القرب الى قلب باسل وشهاب  
ولم يكن ذلك غريبا فقد كان هو الانسان الوحيد الذى يدخل  
البيت دخول الأقارب . وقد استطاعت معاملة حامد هذه أن  
تفتح عين الأم على تلك الهوة التى تفصل بين الولدين  
وأبيهما بل انها فتحت عينيها المروعيتين على تلك الهوة بينها  
هي وبين ولديها .

وهكذا راحت تتقرب اليهما وتعمل على اسعادهما بكل  
ما تملك من قوة ، ولكنها حرصت كل الحرص أن تكون مصادر  
هذه السعادة بعيدة عن الأب فهى لم تكن تريد للولدين أن  
يحبها أباهما فهى حريصة أن يدرك الأب أن أحداً لا يحبه فى  
هذا الوجود الا هى .

وكان الولدان يحسان بحنوها ويحسان أيضا بهذا الحنو  
ينقلب الى قساوة طاحنة كلما اقترب واحد منهما الى ساحة  
الأب .



كان الوقت شتاء . وكان شهاب فى حجراته الخاصة يشاهد  
التليفزيون ، الذى أحضرته له أمه فى عيد ميلاده ولم يكن  
معه باسل . ولم يكن ذلك عن جفاء فقد كانت العلاقة بين  
الأخوين صداقة صحيحة فرضتها عليهما طبيعة الحياة فى  
بيت أبيهما أو قصر أبيهما اذا شئت . ولكن باسل كان قد  
اختار أن يتجه الى الهندسة حين اختار شهاب أن يتجه الى  
الحقوق فان الصداقة بينهما لم تستطع أن توحد طريقهما فى  
الحياة .

وكان لكل منهما حجراته فى البيت وكانت هذه الحجرة  
مجهزة بكل ما تصبو اليه نفس شاب . فلكل مكتبته الخاصة

ولكل جهازه الخاص للتليفزيون وجهازه الخاص للراديو . فلم يكن غريبا أن يفترق الاخوان في الساعات الأولى من الليل ليصنع كل منهما في حجرته ما يحلو له .

كان التليفزيون في تلك الليلة يعرض فيلما أجنبيا وكان شهاب مستغرقا في مشاهدته بعيدا عن واقع الحياة كل البعد .

وانتهى الفيلم وانتهى الارسال أيضا وقام شهاب الى الباب ونظر الى غرفة أخيه فوجد أنوارها مطفأة فقد كان يحس أن النوم بعيد عنه . خاب أمله في السهر مع أخيه وأقفل الباب وعاد الى مكتبته فوجد كتابا كان قد اشتراه ولم يفتحه وراح ينظر في صفحاته . الفكر الماركسي والاسلام . وكان عنوان الكتاب هو الذى أغراه بالشراء فقد كان يحس كأبناء جيله أن النفاق من حوله يمكن أن يقلب جميع القيم والموازين ولم يستبعد أن يجد منافقا يزعم أن الاسلام يبارك الماركسية وكان هذا النفاق هو الحديث الذى لا ينقطع مصادره كلما اجتمع شباب . واعتقد شهاب أن هذا الكتاب سيمده بمادة لاتنفد عن سيطرة النفاق المطلقة على الحياة المصرية بل على الدين أيضا .

أعاد الكتاب الى المكتبة فقد كان في نشوة لاتقبل أن تواجه هذا الانحطاط بحسب الانسان المصرى أن يواجه النفاق فى الصحف وفى الحياة لأن الانسان لابد له أن يقرأ الصحف وأن يعيش الحياة . فاذا خلا الى نفسه وأحس بنوع من النشوة فينبغى له أن يحاول نسيان الصف والحياة العامة وما يسودهما من نفاق والا أصبح شخصا مولعا بتعذيب ذاته دون مبرر . بحث عن رواية لكاتب يحترمه ووجدتها ووجد فيها ما تصبو اليه نفسه من انطلاق . واستلقى على السرير وبدأ

يقراً • • لم ترق له بداية الرواية • أقفلها وأطفأ نور  
السريير وترك نفسه ترود ما يحلو لها من وديان الخيال أو  
الحقيقة أو هما معا متمازجان تتماوج المعالم منهما متناغمة  
أو متنافرة وهو ملق نفسه الى الدفاع لا يكبح جماح الخيال  
ولا يهتم بحقائق الواقع • ولم يكن يدرى أطلال به الوقت أم  
لم يطل حين سمع همسا وخطوات وعجب • فان لكل حجرة من  
حجرات القصر حمامها الخاص وليس هناك ما يدعو الى صوت  
فى الليل أبدا •

قام الى الباب وفتحه فى غير حذر وفى اللحظة نفسها  
سمع صوت باب يقفل ثم رأى شخصا ينزل السلم المفروش  
بالبساط السميكة وعلى ضوء القمر الذى ينفذ كسهم القدر  
من شبك السلم رأى وجه حامد • هم أن يلحق به ولكن قدميه  
تسمرتا • وحين استطاع أن يجرحهما كان حامد قد خرج من  
الباب الرئيسى •

ذهب الى حجرة أبيه وفتح الباب ولم يفكر •

— بابا •

وقام الأب مفزوعا • • هذه هى المرة الأولى فى حياته  
التي يتجرأ فيها أحد أن يفتح عليه الباب دون إذن سابق •

— من • • ماذا • • من •

— هل أنت نائم •

— هذا هو الطبيعى فى ساعة مثل هذه •

— فماذا كان حامد يفعل هنا •

— من •



- حامد •
- حامد من ؟
- حامد الذى لا يدخل بيتنا غيره •
- أجننت ؟
- ياليتنى جننت •
- وجاعت الأم •
- ماذا ؟
- اسمعى مايقول ابنك •
- حامد نزل الآن من هنا •
- من ؟ !
- كنت أظنه يعمل مع أبى أو أنا على الأقل تمنيت أن  
أجده يعمل مع أبى ، ولكن أبى نائم •
- أى امرأة غير بهيرة كان يمكن أن تنهار ولكن بهيرة شىء  
آخر • • من المؤكد أنها طبيعة أخرى غير طبيعة البشر •
- اسم الله عليك يا شهاب مالك يا ابنى ؟
- وراحت تجس جبهته •
- آه قل هذا •
- ماذا ؟
- الولد نار • • ضع يدك يا يحيى •
- ووضع يحيى يده والعجيب العجيب أنه قال :
- فعلا • • فعلا عنده جمى •

— تعال يا شهاب استند على •

وفغر شهاب فمه ولم يستند على أمه وانما استندت هي عليه وسحبته ولكن من ينظر اليهما يخيّل اليه أنه هو الذي يسحبها وذهبت به الى حجرتها وقبل ان تدخلها سمعت باب حجرة زوجها وهو يقفل عليه ودخلت مع شهاب الى حجرتها وأغلقت الباب وأرادت أن تلتقى به الى الفراش ولكنه كان قد أفاق من ذهوله •

— ماما • ماذا تفعلين ؟

— تنام وتستريح وحبّة أسبرين تصبح بكرة فى أحسن صحة •

— ماما كيف استطعت أن تقنعيه أننى محموم •

— لأنك محموم فعلا •

— ماما !!

— انتظر قليلا حتى أحضر لك الأسبرين وبعض الثلج •

— أخرجى من هنا •

— ماذا تقول ؟

— أخرجى حالا قبل أن أعمل ما أريد أن أعمله ••

— شهاب •

— أخرجى •

وأمام نظراته القاتلة خرجت سهر •

\*\*\*

مسكين يحيى •• لم يكن مقالاه ابنه جديدا عليه ••  
كان يعرفه •• وفكر كثيرا •• كيف يمكن أن يعالج الموقف

.. أيطلقها فتصبح الحقيقة مدموغة بورقة الطلاق الرسمية  
.. وهل تحتل كبرياؤه هذا .. ايكلمها .. وتعرف أنه  
يعرف .. سكت واحتمل وكان كل أمله ألا يعرف أحد  
آخر .

واليوم عرف شهاب .. ماذا سيفعل شهاب ؟  
استطاع هذا السؤال البسيط أن يبقى يحيى مؤرقا حتى  
الصباح .

\*\*\*

لم يقل شهاب شيئا لأبيه ولكن العباء كان أكبر من أن  
يحتمله وحده . قال لأخيه .. وارتمى الأخوان في دوامة  
قاتلة من الخزي والشعور بالمهانة .

— أبلغ تأثيرها عليه الى هذا الحد .

— اسمع أن أبى يعرف .

— ماذا تقول ؟

— لا يمكن لا بد أنه يعرف .

— على كل حال إن لم يكن عارفا فقد عرفته أنا. ورفض  
أن يعرف .

— شهاب ماذا ستفعل ؟

— لانعرف .

— كيف سننظر الى أم عاهر ، وأب ديوث وصديق  
خائن ؟

— نحن الآن لانستطيع أن نفكر .

- لابد أن نفكر .. ماذا سنفعل .
- نطلب منهما أن نعيش فى بيت وحدنا .
- ربما يرفضان .
- لا تتكلم عنهما .. تكلم عنها وحدها انها تفعل ما تريد .. هو لاشيء .. بكل صمته المهيب وبكل عظمتة المتجهمة هو لاشيء .
- اذن سترفض .
- لا تستطيع أن ترفض لنا شيئا الآن .
- لماذا ؟
- بعد الذى رأيته .
- انها متأكدة أنك لن تقول لأحد .
- فعلا . ولكن لماذا ترفض .
- بماذا تبرر خروجنا من القصر .
- اذن لا يدخل حامد هذا بيتنا .
- ولا هذا . الظاهر أنك لاتعرف قيمة حامد .. انه صديق الحكام اليوم وهو الذى يحمى بيتنا أن يؤخذ ويحمى ابنى أن توضع عليه الحراسة .
- حراسة .. أيقبل هذا الوضع خوفا من الحراسة .
- لا تبالغ فى ظلمه ربما قبله حتى لا يعرفه أحد .
- اسمع لابد أن نجد حلا .. لن نستطيع العيش فى هذا البيت بل لن نستطيع العيش فى مصر كلها .
- وجدتها .

- ماذا ؟
- نسافر الى الخارج •
- نهرب ؟!
- نهرب
- ولكن الحقيقة التي نعرفها أنستطيع أن نتركها هنا •
- هناك دنيا أخرى •
- ولكنها لن تستطيع أن تبتلع الحقيقة التي نعرفها •
- على كل حال هذا خير من أن نرى هؤلاء الناس •
- أى شيء خير من أن نرى هؤلاء الناس •
- أى شيء خير من أن نرى هؤلاء الناس •
- الى أين نسافر •
- الى فرنسا •
- ولماذا فرنسا ؟ نسافر الى انجلترا •
- أولا لأننا نتقن الفرنسية •
- وهذا سبب يجعلنا نسافر الى انجلترا حتى نتقن الانجليزية أيضا •
- الحقوق دراستها فى فرنسا والهندسة أيضا أما فى انجلترا فستكون دراسة الهندسة فقط هى الممكنة فالقانون الانجليزى بعيد كل البعد عن القانون المصرى •
- لولا الظروف التى نمر بها لكنت تركتك تسافر الى فرنسا وسافرت أنا الى انجلترا أما الآن فلا بد أن نكون معا دائما •

— ومسألة اللغة بسيطة يمكن أن نقضى الاجازة الصيفية  
كلها في انجلترا لدراسة اللغة •

— فكرة •

وسافر الأخوان وتركوا القصر العظيم يضم بين أحنائه  
تكبره وخيئته وجراحه وخيائته • ولم يقدر • • وكيف لهما  
أن يقدر أن القلب المتكبر الكسير لذلك الرجل الذى استطاع  
أن يكرهه انصدع حطامه بسفرهما صدعا الموت أهون منه  
ولكن أطول التكبر منه عوده تلبس الكبرياء فانحنى على  
صدوع قلبه الذى أمسى شظايا • • وصمت •

**لا يستطيع** أحد أن يقدر أثر الرواية المقروءة  
المعرضة على مسرح أو شاشة السينما أو التلفزيون أو  
المذاعة التقدير الصحيح .

فان هذه الروايات أفسدت حياة الناس ونفست عليهم  
عيشتهم تنغيصا فريدا حتى لا يجرؤ شيء آخر أن يسابقها في  
هذا المضار .

فقد ظلت هذه الأعمال التي نطلق عليها أعمالا فنية ترسم  
البيت السعيد رسما غاية في السذاجة والعبط . فالزوجة  
تطعم زوجها بيدها وتأتي له بالخداء وتتولى شئون ملابسه  
وتحاول دائما أن تضحك معه ولا تطلعه على شيء يكدرها أبدا  
حتى لا يمتد الكدر اليه وهي طبعاً تطيع أوامرهم مهما تكن هذه

الأوامر سخيقة • وتحرص هذه الأعمال الفنية أن تجعل حياة الزوجين جميعا على هذه الوتيرة الواحدة التى يتخيلها الكتاب السذج سعادة لاتدانيها سعادة وهناءة لا يماثلها هناء •

وأغلب الأمر أن هؤلاء الكتاب يلقون من زوجاتهم عنتا ورهقا يجعلهم يهربون من واقع دنياهم تلك التى يصطنعونها دنيا مبهولة تفيض سخافة وعبطا •

ولو وقف الأمر عند هذا لأصبح مقبولا وأى خير أن يهرب كاتب أو أى شخص من واقع مريير الى حلم وهم سعيد مادام بهذا يقر عينا ويسعد •

ولكن الكارثة الكبرى أن المنتجين والمخرجين يأخذون الأمر مأخذ الجد ويعرضون هذه الأعمال على الناس •

وهكذا تقولب الحب فى حياتنا فى هذا القالب المضحك فالزوجة التى لاتطعم زوجها بيدها ولاتطيع كل سخافاتة ولا تأتى له بالحذاء أو النعل ولا تطبخ له كل مباتهفو اليه نفسه تصبح عند الأزواج الذين شاهدوا هذه الأعمال أو قرأوها امرأة لاتعاشر وهى فى عرفهم تكرهمهم ولاتحبهم • ومن الزوجات من صدقت هذه الصورة وحاولت أن تنفذها فى أيام زواجها الأولى ولكن قليلا ماتستطيع أن تغل على حالها هذا ثم تعود الى طبيعة البشر • وهكذا تنقلب حياة الزوج الى جحيم وليس هذا منه بعجيب • فقد رسمت له الأعمال التى رآها الجنة بهذه المعالم المضحكة فحين يصطدم بغيرها يصبح من الطبيعى أن يرى حياته جحيما • فنقص أى معلم من معالم هذه الجنة الفنية هو عنده جحيم • وويل للزوجين اذا كانا ثحابا قبل الزواج فان كلا منهما سيتوقع من الآخر أن يقتل نفسه وهو سعيد ليقدم لحيه كل مايمكن أن يخطر ببال هذا



الحب • حتى اذا تم الزواج وعاد كل من الزوجين الى طبيعة البشر انكشفت الحقيقة الرهيبة أن الرجل انسان بشر وان المرأة انسانه بشر وتصطرع الحياة على أنغام نفير الحروب بعد أن كانت ساجية بين المحبين على أنغام موسيقى الملائكة • وفى أتون هذه الأوهام تحطم كثير من حب كان صادقا ولكنه كان مجدونا ودمرت زيجات كان يمكن أن يفوح منها عبير يانع عن أيام مخضله بندى الحنان والمودة ولكنها جهلت الواقع ولم تستطع الأيام أن تنقلب عندها الى أحلام وأوهام ورؤى •

ولكن أسامه كان محصنا ضد الأوهام فلو أن الحياة سارت بأبيه رخاء كلها ولو أنه ترك لأمه وحدها لواجه فى كل متجه من حياته ذلك الحلم الباسم المستبشر الذى ينقلب الى واقع كشر متجهم ذى أنياب ونصال ومدى •

لقد صاحبت نمو أسامه تلك الأزمه التى تعرض لها أبوه ووعى أبوه وهو يركب الموتوسيكل السيدكار وهو ما يزال يذكر أمه وهى تعتذر عن عدم قبول الدعوات حتى لا تصبح مضطرة أن ترددها بمثلها ورأى بيته والطعام فيه محدود بقدر الأشخاص بعد أن كان دائما موفورا لايخصيه حجما ولا عددا حتى لقد كان الخدم يدعون من يشاءون من خدم الجيران • ورأى أمه تمكث السنه بأكملها لاتدخل بيتها خياطة ورأى أباه لا يفكر فى شراء قماش جديد لنفسه سنوات ولكنه أيضا يذكر أن ملابسه هو دائما كانت تتجدد فلم يعد على مظهره اشارة من ضيق يد • وادرك كيف كان أبواه يجنبانه دائما ان يحس بما يمران به • وحسب الجانبان أن ابنهما لم يشعر بشيء ونحننا هو عليهما فلم يشعرهما أنه أحس بشيء •

ومرت بهم هذه الأيام النكدة الماجدة واستطاع أسامة

بضربة حظ أفلس فيها أبوه أن يصبح هو من أغنى الناس  
نفسا واستطاع أن يعرف أن الحياة التى تعطى تستطيع أن  
تمنع وأن الإنسان اذا لم يعرف من الحياة حالتها صار فيها  
هشا هينا جاهلاً أو أحمق تصرعه أى ريح من رياح الحياة •

ورياح الرخاء والغنى والدعة والهناء تحمل من طواياها  
نفس الأخطار التى تحملها رياح الفقر والحاجة والعوز  
والشقاء •

وإذا كان الانسان يحتاج أن يكون قويا لمواجهة الحياة  
وهى تطحن وتفترس بمخالب الفقر فهو محتاج أن يكون أكثر  
قوة لمواجهة الحياة وهى تبتلع وتمحو من الانسان انسانيته حين  
تفرش الذهب والماس تحت الأقدام •

استطاعت هذه الفترة النكدة أن تجعل من أسامة انسانا  
يعرف تقلبات الحياة الأمر الذى لم يستطع المسكين يحيى أن  
يعرفه • فلو كان يحيى قويا فى لقاء الغنى لما انهدمت به  
الحياة ولما تصدعت جوانب نفسه ولما خلت الحياة عنده من كل  
معنى للحياة •

فى هذه الأيام النكدة التى شهدها قصر راشد باشا كانت  
أسرة فهمى عبد الحميد من الأسرات النادرة التى تأتى للقصر  
أغلب أيام الأسبوع • وتوطدت علائق الصداقة بين خديجة  
وبين نعمات زوجة فهمى • وفى فناء القصر لعبت جميلة مع  
أسامة كانت تصفره بعام وبعض عام ولكنه لم يكن رآها قبل  
أن تصبح أمها صديقة لأمه •

لم يكن حبا ذلك الذى نما بينهما وانما كان ألفة وكان  
يأنس اليها وكان يخيّل له أنها تأنس اليه • ولم يكن يدرى

يومذاك شيئاً عن الصلات التي تجمع بين أبيها وأبيه • وما كان يستطيع أن يعي هذه الصلات ولا أن يفهمها • • وكيف لمثل من كان في سنه أن يفهم هذه الحرب وهذا العداء ثم هذا الحب وذلك الايثار وكيف يستطيع أن يعي في براءته الانسان يسفل الى هذه الخسة ثم يعلو هو نفسه الى هذه السموة •

لم يكن يدرى شيئاً. دائماً كان يأنس الى جميلة وكان يالفها • وكان يحب أن تاتي ويحب أن يلعب معها طفلين ثم أصبح يحب أن يحكى مايجرى له في المدرسة ثم أصبح يحب حين باكرته الرجولة ونهدت هي الى الأنوثة أن يحادثها عن كل شيء ويستمتع منها عن كل شيء • • وكانت تحس أن مايقوله لها لايقوله لسواها وكانت تعرف أن ماتقوله هي له لاتقوله لسواه على براءة مايقول وماتقول •

وحين تزوجا كانت بينهما هذه الألفة الحنون التي تكون بين الزوجين • ولم تكن الناحية المالية تشكل لهما أى عقبة فقد استعاد راشد ثروته وكتبها جميعاً باسم أسامة ولو أن هذا لم يكن يعنى شيئاً بالنسبة لأسامة في حياة أبيه فقد كان راشد هو الذي يتصرف في كل دخله •

وقد تزوج أسامة وراشد مازال على قيد الحياة وكان راشد سعيداً بهذه الزيجة أشد السعادة كما سعدت بها أيضاً خديجة • • وحين استقر الزوجان ، الصغيران بالمنزل تنازلت خديجة عن سيادة البيت وجعلت لجميلة اليد الطولى والوحيدة في ادارة البيت وحلا لها أن تأخذ المكان الذي أخذته منها هانم أفندى حين تزوجت هي راشد وسعدت خديجة بمكانها هذا الجديد وقد استطاعت جميلة في ذكاء أن تجعل خديجة دائماً في مكانة عليا وأوامرها مقدسة وراحتها موفورة قبل أن تتوافر لزوجها أو حتى لحميها •

وحين مات راشد كان أسامة قد عمل فى المحاماة ووجد نفسه فى مهنته فاستطاع أن يكون حكيما فى تصرفاته المالية يعيش عيشة كريمة ولكنها بعيدة عن السفه .

وكان من الطبيعى أن تختلف خديجة وأسامة فى أيام زواجهما الأولى ولم يكن أسامة يدهش أن يجد أباه وأمه يقفان الى جانب زوجته حتى وأن لم تكن محقة فقد وجدا عندها طاعة الأبناء وحبهم هذه الطاعة وذلك الحب الذى يصبح موضع اكبار ان جاء من غير الأبناء .

وحين مات راشد ظلت جميلة التى أصبحت ست البيت فعلا لا تفضلا أكثر عناية بحمايتها وأكثر رعاية لها وحديا عليها .

وحين تتابعت قوانين الاصلاح الزراعى ابتلعت الغالبية العظمى من ثروة فهمى عبد الحميد فلما مات كان ما تركه من مال يكاد لا يقوم بشأن أولاده فكان أسامة يعوضهم عما أصابهم كلما سنحت فرصة لاتجرح كرامتهم . وأصبح يبحث زوجته أن تعطى أخويها كل ما يحتاجان اليه حتى لا يحسا بعنت الحياة الا أن الأخوين ، وجدا أن الأمر لا يمكن أن يستمر على هذا المنوال فكتب كل منهما توكيلا لأسامة ليدير مابقى من أرضهما واتجه الأكبر جميل الى الكويت واتجه الأصغر صبحى الى السعودية ومرت الحياة بالزوجين أسامة وجميلة طيبة لايشوبها الا مايشوب البيوت السعيدة من خلافات يمحوها الحب أو شجار يعصف به الحنان .

وأنجبا راشد وفهمى وراحت الحياة تكرر نفسها مع الطفلين ليدرجا فى طريق درج فيه أبواهما من قبل قد تختلف تفاصيله ولكن المعالم الأساسية فيه واحدة .

وحين كسدت سوق المحاماة المدنية وفكر أسامة أن يتجه  
كما اتجه كثير غيره الى البلاد العربية جاءت أم مرسيلة لتغير  
متجه حياته جميعا .

فمنذ ذلك اليوم الذى قصدت فيه الى مكتبه أصبح أسامة  
من أكبر المحامين فى القضايا السياسية ولم تكن هذه القضايا  
وحدها تكفى مكتبه ولكن ذيوخ اسمه فيها جعله بعيد الصيت  
فى القضايا الجنائية وانتعش المكتب واستقر أسامة وأصبحت  
الحياة أمامه هائلة سعيدة ومن أسعد من رجل بارع فى عمله  
يعترف الجميع ببراعته ؟ .

وهل هناك اعتراف أعظم من تلك الدعوة التى جاءت  
اليه عن طريق ضابط دخل الى مكتبه بغير اذن ليقول له فى  
محاولة فجأة للتلف .

— سيادتك مطلوب .

— أنا ؟

— نعم .

— من الذى يطلبنى ؟

— ستعرف حين تذهب .

— اذهب ؟

— سأذهب معك .

— الى أين ؟

— ستعرف .

— لماذا ؟

— ستعرف ذلك أيضا .

- أهو قبض ؟
- لا المسألة لن تصل لهذا •
- لقد وصلت فعلا •
- انها مجرد دعوة •
- هل أستطيع الاعتذار ؟
- طبعاً لا •
- فهي أمر بالقبض وليست دعوة •
- سيادتكم تستطيع أن تسميها كما تشاء •
- ألا أخبر البيت •
- لاداعى •
- مجرد مشورة أم هو أمر ألا أتصل ؟
- لاداعى والسلام •
- ومن أين يأتي السلام ؟
- تفضل •
- حاضر •

## ٢٣

**حين** وقعت هزيمة ٥ يونية كان باسل وشهاب في باريس وشاهدا الفضيحة العالمية على شاشات التليفزيون وراح كل منهما ينظر الى الآخر تحجب صورة كل منهما عن الآخر دموع غزار لا تريد أن تنضب • ولم يكن عجيبا أن يفكر كل منهما أنهما كأنما يواجهان حادثة أمهما مرة أخرى ولكنهما في هذه المرة أحسا أن العالم أجمع يعرف السر الذي ينطويان عليه بل أحسا أن التاريخ أيضا أصبح يعرف هذا السر الذي لم يصبح سرا •

لم تصبح علاقة أمهما الآثمة حادثة يخفيها جدار بيت وانما أصبحت مشار اهتمام العالم أجمع •• التليفزيون والسينما والاذاعة والصحف لاحديث في العالم لها الا عن أمهما •• وتتكرر النصال على النصال •

لقد كانا يغفران للحكم المصرى كل ما يسمعانه من قهر  
الآدمية وقتل الأبرياء وخنق الكلمات ومحق الرأى وهدم  
الانسان فى سبيل أن يكون هناك جيش قوى يواجه العدو .  
ثم وفى ساعات تصبح مصر والعروبة جميعا أهزوة  
التاريخ على يد الجيش المصرى .  
قلباننا عليك يا مصر . . عرفنا أن أمهما أصيبت بالسرطان  
وأنها تنتظر الموت فى أية لحظة .

— نذهب .

— أتريد أن نذهب ؟

— أمام الناس .

— وأمام نفسينا كيف سنراها ؟

— وأبى .

— هل نستطيع أن نصنع له شيئا ؟

— الكثير .

— سيتجههم .

— ولكن قلبه سيفرح حين يرانا .

— هل رأيت قلبه ؟

— لا . . لم أره .

— كل الأبناء رأوا قلوب آبائهم فى ابتسامة ، فى فرحة  
لقاء ، فى اهتمام بمرض ، فى سعادة بنجاح . . هل رأيت قلب  
أبيك .

— ولكن له قلبا .



- كيف نعرف ؟
- لقد ستر على أمنا •
- يخشى على كبريائه •
- كان يستطيع أن يطلقها ولا يبدى الأسباب •
- لقد تعود أن تكون بجانبه •
- وهى لغيره !؟
- انه مشغول دائما بنفسه •
- لعله خاف أن يذكرنا أحد بسوء •
- تحاول أن تجعل لنا أهمية عنده •
- اننا جزء منه •
- شهادة الميلاد فقط •
- انه يخفى مشاعره •
- كان يستطيع أن يجعل مشاعره تخونه مرة واحدة مادام استطاع أن يجعل زوجته تخونه دائما •
- اننا لانستطيع أن نعرف ما بداخله •
- مادمت لم أر له ظاهرا كيف أعرف داخله •
- هو الآن جازع •
- مرض زوجته قاتل •
- مصر كلها تعاني نفس المرض •
- فهو يعاني مرض مصر ومرض زوجته •
- أتريد أن تسافر •

- لا أعرف •
- فكر •
- أريد أن أرى أمي وأريد أن أرى مصر ولا أريد أن  
أرى أمي ولا أريد أن أرى مصر •
- لم يبق لنا إلا أنفسنا •
- أخشى أن نقتل أبانا بما نفعله •
- وأنا أخشى أن نقتله إذا رأنا ونحن على هذه الحال •
- لا نذهب اذن •
- لعلنا نكون أشفق عليه لو لم نذهب •
- ومصر •
- سنكون أشفق بنفسينا اذا لم نذهب •
- لعل مصر تحتاج اليها •
- انما تحتاج للمنافقين والدجالين والهتافين والهازلين •
- لعلها الآن تحتاج للجادين •
- لو كانت ماسمت الهزيمة نكسة وكأنها أنفلونزا •
- اذن •
- نبقي • • فما بقي لنا الا أنفسنا •
- معك حق نبقي • • فما بقي لنا الا أنفسنا •

**استطاع** وجدى أن يغرى زوجته بالاكثار من الحفلات يدعو لها كل صاحب سلطة . . وهذه الحفلات لا تكلف المأكول والمشرب فقط وما هو بقليل وإنما تكلف معها ملابس لكل حفل وقد استطاعت ناهد فى غمرة هذه الحفلات أن تبيع أملاكها جميعا وراحت تشتري بأثمانها مجوهرات لا يعرف زوجها عنها شيئا ودبرت ناهد امرها أحسن تدبير وراحت تفحص الأشخاص الذين تعرفت بهم فى حفلاتها واختارت أخطرهم شأنا وساعدها الحظ فكان أيضا أشدهم غباء فألقت عليه شباكا قناصة لا تفلت صيدا .

وكان من الطبيعى أن يظن نفسه ساحر نساء ، وهادم قلاع ، وفاتح حصون . وما كان ذا فكر ليمعن به النظر

وليتبين أن التى يتوهم أنه سحرها إنما هى التى سحرته وأن  
القلاع التى هدمها كانت بلا جدران إلا بابا على الصحراء فهى  
مفتحة من جميع جوانبها ومن ثم فلا حصون هناك لتفتح •  
أغرته ناهد وقبل الاغراء وأعد لها — وما كان أيسر هذا  
بالنسبة اليه — شقه كانا يلتقيان بها •• وما هى إلا لقاءات  
قليله حتى واجهته ناهد •

— لا يمكن أن يستديم الحال هكذا •  
— لماذا ؟

— أتحسب أن أمرنا لن يعرف ؟  
— لا يمكن ان يعرف •

— اذن اطمئن •• لقد عرف فعلا •  
— كيف ؟

— انت فى نومه •

— أنت التى تتوهمين أشياء لا ظل لها من الحقيقة •  
— يا حبيبى فكر •• أنت شخصية مهمة جدا •• كيف  
يمكن أن تكون تنقلاتك مطلقة هكذا من غير عيون حواليك •  
— ماذا ؟

— أتشك فى هذا ؟

— انتظرى •• انتظرى •• يظهر أنك على حق •  
— كيف ؟

— بالأمس •• نعم لك حق •• فعلا •  
— ماذا حدث بالأمس ؟

- قال لى كلاما مبهما فيه هذا المعنى .
- مثل ماذا ؟
- مثل ماذا ؟ - مثل .. كل واحد منكم حر .. وأنا عارف أن كثيرين منكم لهم ليلى يهيم بها .
- رأييت ولكن ماذا يعنى بليلى ؟
- لعله يقصد ليلى المجنون .
- أو غيرها .
- سألته أحدهنا أى ليلى تقصد ؟
- قال .. لك حق .
- ماذا قال ؟
- قال ليلى .. ناهد .. أو جواهر .. لا يهيم .
- رأييت ؟
- فعلا .
- اذن ماذا ترين ؟
- طالما أنا فى مصر لا أمان لنا .
- وماذا تريددين ؟
- أسافر .
- الى أين ؟
- الى الخارج .
- وأنا ؟
- أنت ستجد أن الاتصال بى فى الخارج أسهل من

الاتصال بى هنا • الطيارات كلها تحت أمرك • • أقيم فى  
فرنسا أو سويسرا أو انجلترا • • وكل شهر تأخذ أسبوعا أو  
أكثر أو قل أجازة ونكون على حريتنا •

– متى تستطيعين السفر ؟

– الآن اذا استطعت أنت •

– ووجدى ؟

– أتركه لى •

– سأسافر •

– مع السلامة •

– الى الأبد •

– ماذا ؟

– وهل تعتقد أننى أصرف هذه المبالغ لأبقى فى مصر •

– وأنا ؟

– أنت حر •

– أنا مستقبلى فى مصر •

– مع من •

– مع هؤلاء الذين نعرفهم •

– انت مستقبلك الحقيقى فى بيع رجولتك •

– ماذا تقولين ؟

– لاتدعى الدهشة • • أنا عارفك وأنت تعرف أننى

• عارفك

- وافرضى .
- الستات اللواتى يشتريين رجولتك تركن مصر .
- بعضهن مازال هنا .
- هؤلاء لا يدفعن مايكفيك .
- مع وظيفتى فى الاتحاد الاشتراكى .
- والمخابرات .
- وتعرفين هذا أيضا .
- أنت لا يكفيك هذا جميعه .
- اذن .
- سافر .
- وأرضى هنا .
- وماذا سيجرى لها . . ستبقى وستظل تدخر ريعها
- وتنفق من ريع أعمالك .
- أسافر معك .
- لا . . فى الخارج لا يمكن .
- لا يمكن ماذا .
- كنت هنا أشتريك لتكون ستارا أما فى الخارج أنا
- لا أحتاج لهذا الستار . والنقود فى الخارج لها قيمة أخرى
- . . انها فى الخارج عملة صعبة .
- ماذا تعنين ؟
- العقد بيننا انتهى .

- ولكنك لاتستطيعين السفر من غير اذنى .
- وجدى هل أنت جاد .
- طبعا لا .
- اذن .
- تكلمين الذى سهل لك السفر يرفع درجتى .
- فى المخابرات أم فى الاتحاد الاشتراكى .
- المخابرات أهم .
- لامانع .. العشرة على كل حال لاتهون .
- تظاهرى أننى لن أوافق على السفر .
- تقصد الطلاق .
- كله واحد ..
- هناك فرق .
- لم نختلف قولى اننى لن أوافق على الطلاق الا اذا
- أرضانى هو وضحك على بترقية .
- أثظن أننى أحتاج لدروسك .
- آسف .. نسيت نفسى .
- فعلا .

\*\*\*

وسافرت ناهد وحمل حقيبة المجوهرات صديقها ذو  
السلطان وسلمها لها فى الطائرة .. وكانت التذكرة الى لندن  
.. وكانت هذه التذكرة هى نهاية العلاقة بينهما فقد قدر



لصاحب السلطان أن يفقد سلطانه فلم يعد يستطيع السفر  
والشيء الذى مات دون أن يعرفه هو أنه باليقين والقطع كان  
لن يجدها فى ذلك العنوان الذى اتفقا على اللقاء فيه بلندن .  
لم يكن عجيبا اذن أن يستقبل أسامة عند اعتقاله وجدى  
جالسا على مكتبه فى مبنى المخابرات العامة .

ولما كان أسامة يعرف وجدى ويعرف قصته جميعا البادية  
بمولده والمارة بزواجه والتي لم تنته بعد لم يجد أسامة أى  
غرابة فى هذه الابتسامة الفاجرة التى لا تبالي بشيء والتي فى  
نفس الوقت توضح أى درك من الوضاعة ابتدع صاحبها .

— أهلا أسامة بك .

— أهلا .

— ألا تذكرنى .

— آسف .

— أنا وجدى . . . وجدى عبد المحسن . . . والذى ووالدك  
كانا صديقين ونحن تقابلنا كثيرا ولكنك تنسى .

— فعلا كثيرا .

— أم تراك تنسى حين تحب أن تنسى .

— المؤكد أن طريقة الدعوة أو الاستدعاء التى تفضلت  
بها على تجعل الانسان ينسى أشياء كثيرة حتى التى لا يحب أن  
ينساها وهل كثير علينا أن تعطينا بعض وقتك .

— يا أستاذ . .

وأدرك وجدى أنه يصر على تجاهله ولكنه لا يعنى كثيرا  
ببرأى الآخرين فهو يكمل فى ابتسامته الفاجرة .

- - وجدى .. وجدى يا أخى •
- - المؤكد أن هذا ليس هو موضوع الحديث الذى تريدنى فيه •
- - طبعا هناك ما أريد أن أكلمك فيه •
- - أنا تحت أمرك •
- - أصبحت المحامى الأول فى كل القضايا السياسية. يا أسامة بك •
- - وهل هذا ممنوع •
- - المظهر لا يلىق •
- - ما المظهر الذى لا يلىق •
- - كأنك تأخذ من العهد موقفا مضادا •
- - ياسيدى أنا أترافع فى القضايا التى يرى العهد أن يسمح للمحامين بالتترافع فيها والقضايا الأخرى لا يترافع فيها. أحد فماذا يضير أن أكون أنا المحامى أم غيرى •
- - خفف من قبول هذه القضايا .. يكفيك قضايا الجنايات وخصوصا قضايا المخدرات •
- - يكفينى من أى جهة تقصد •
- - القضايا الجنائية وخاصة قضايا المخدرات أتعابها كبيرة •
- - سيادتك شهادتك فى القانون ؟
- - وأوشك وجدى أن يغضب بهذا التجاهل الكامل من أسامة فهو واثق أنه يعرفه كل المعرفة .. ولكنه تماسك •

- فى القانون .. أنا خريج دفعة ..
- لايهم .. المهم أنك خريج حقوق .. أترى أن المحاماة أتعاب فقط .. ألا ترى فيها أى شىء آخر .
- طبعاً .. طبعاً .. هذا لاشك فيه .. واجبك نحو العدالة ونحو موكلتك ..
- الذى تقوله صحيح ولو خلا من رنة السخرية يصبح هو الحقيقة .
- أنا لا أسخر أستغفر الله .
- المهم .. المطلوب منى الآن ألا أقبل قضايا سياسية .
- والله يستحسن .
- أهذا كل شىء .
- ألف شكر .
- تسمح لى .
- تفضل .
- وقام أسامة وأوصله وجدى الى باب الغرفة وصافحه مرة أخرى وأغلق الباب وأخذ أسامة طريقه الى الباب الخارجى . ولكن ماهى الا خطوات قلائل حتى وجد نفسه محاطا بقوة من الشرطة ثم أغلقت عليه أبواب السجن .

\*\*\*

مكث أسامة فى السجن لايعرف شيئاً عن تهمته ولا تعرف أسرته عنه شيئاً .

كان الذى رآه أسامة فى السجن بعضاً مما كان يسمعه . لم يقع عليه هو تعذيب جسمانى فهو لم يكن يخفى شيئاً يريدونه أن يبيديه ولكنه عومل كما تعامل الكلاب الجرباء

وكانت هذه المعاملة مع ما يرى الآخرين يجرعونه نوعاً من  
التدليل والرفاهية .

انصب عذاب الآخرين على نفس أسامة حتى لقد كان  
يخيل إليه أنه يعذب عذابهم أجمعين . . ولم يكن يشعر  
بنسمة فرح إلا حين يموت أحد المسجونين فيحس أسامة أن  
إنساناً أنقذه الله من براثن الغيلان المتشعبة بجلود الأدميين  
والعجيب أن أسامة كان يحس أن الذين يقومون بالتعذيب  
في حاجة إلى الشفقة لأنهم هم أنفسهم ما هم إلا أصابع الحاكم  
يفترس بها آدمية البشر وإنسانية الإنسان . ويتمنى الموت  
للمسجونين جميعاً ولنفسه قبلهم ويذكر قول المتنبي .

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً  
وحسب المنيا أن يكن أمانياً

وكان يعجب . . يستطيع الحاكم أن ينام . . أتستطيع  
أصابعه هذه أن يهدأ لها ضمير . . وماهى إلا أيام حتى رأى  
فى وجوه الذين يقومون بالتعذيب علامات لم يكن قد تعرف  
عليها أول الأمر . وكيف لإنسان أن يرى على وجه وحش  
قسمات آدمى ويتعرف عليها . علامات لم يشهدها على وجوه  
بشر قبل اليوم .

لقد تغيرت ملامح البشرية فى وجوههم . . انقلبوا إلى  
جنس من المخلوقات غريب عن الأجناس التى يعرفها الكون  
ولا يألؤها الناس . . نوع من المخلوقات لا هو إنسان ولا هو  
حيوان ولم يستغرب هذا الذى تبينه . فالإنسان لا يستطيع أن  
يصب هذا العذاب جميعه على مخلوق آخر إنساناً كان هذا  
المخلوق أو كان حيواناً .

والحيوان حين يهاجم الفريسة لا يقدر أنها إنسان أو هى

حيوان وانما يرى فيها طعامه وهو يريد أن يأكل أو يرى فيها عدوه وهو يدافع عن نفسه فالحيوان المفترس المتوحش طبيعي ومعقول في كل هجوم يقوم به وعمله جميعه له مبرره ومعقوليته . فما هذا الجنس اذن الذى يعمل فى هذه السجون وأين صنعه العهد وكيف ركبـه ومن أى مادة تكون هيكله وضميره . ان المتفرس فى وجوههم يرى مادة جديدة من المخلوقات يشك كثيرا أن تكون يد الرحمن قد مستها . . انما هم كالحاكم الذى يأمرهم سرطانات بشرية . . خلايا تفجرت من طين بلا روح . . ومن شر بلا خير ومن مادة متوحشة عجنها ابليس وخلا تركيبها من ضمير أو قلب أو شعور .

مر بأسامة شهر وثان وأوشك الثالث أن يكتمل فاذا لفظ يشب فى السجن وهمهمات وجمجمة وهمس يفضى الى همس ورؤوس تميل فى براءة وتعتدل فى أسى وجزع . . انها حرب يونية . . وفتحت أبواب السجون لا لتخرج أحدا وانما لتبتلع آخرين عرف منهم أسامة كثيرين . . ورآهم وهم يجلسونهم القرفصاء فلا تحتمل سيقانهم فأغلبهم جاوز الشباب وأصبح يتوكأ الى الشيخوخة وما تحتمل سيقانهم ما يريدونهم عليه ولكنهم جلسوا القرفصاء ورفعوا أيديهم فوق رؤوسهم كقرود يدر بها عفريت من الجن .

الوجوه غير البشرية وغير الحيوانية فيها رعب وفيها حيرة وفيها جزع . . انها تخاف من المسجونين . . المسجونون عزل وبلا سلاح وهام أولاء جالسون القرفصاء وأيديهم فوق رؤوسهم والسجانون بيدهم الأسواط وبيدهم أدوات التعذيب الكهربائية والحديدية وبيدهم دائما الأسلحة النارية والمدافع السريعة الطلقات .

ولكن المسلحين بآلات التعذيب وبالأسواط وبالبارود

والمدافع يخافون من هؤلاء العزل الجالسين القرفصاء  
والواضعين أيديهم فوق رؤوسهم \*  
أهو موقف الحق الأشم أمام الظلم الخسيس .. أم أن  
الخلايا السرطانية من أعوان السرطان الأعظم قد أصابتها  
روح من البشرية ألقتهما الى نفوسهم أنباء الحرب .. لأحد  
يُدري \*



مرت أسابيع قلائل بعد الخامس من يونية وأفرج عن  
بعض المسجونين وكان أسامة من بينهم ..

خرج فوجد أمواله جميعا تحت الحراسة والبقية الباقية  
من أموال زوجته \* بل ان أموال خديجة وضعت تحت  
الحراسة وصدر الأمر الخاص باسم حرم المرحوم راشد  
برهان \* ولست أدري هل ارتجفت يد المارد الرعديد وهو  
يضع تحت الحراسة أموال ميت أصبح فى ذمة الله أم أنها كانت  
ثابتة متبجحة \* أغلب الأمر أنها لم ترتجف فالرجفة لا يبتعثها  
الا بقية من آدمية .. وهيهات \* ولو عرفوا الحق لتبين لهم أن  
خديجة لم تثرث عن زوجها شيئا وانما كان مالها هو مابقى لها  
عن أبيها ولكن ما الفرق؟! والعجيب ولو أن أى شىء لم يكن  
عجيبا فى ذلك الزمن أن أمر الحراسة يقول حرم المرحوم ..  
كيف تجرأ مصدر الأمر وخط كلمة توحى بالرحمة ليقع بها  
قرارا لا يتصل بأى رحمة \* ان أغلب مواد القانون تقضى بأن  
يعاقب المذنب بغرامة قدرها كذا من المال أو بسجن قدره كذا  
من الشهور أو السنين .. فالغرامة المالية اذن تستوى عند  
القانون مع العقاب الجسمانى وهكذا يصبح الاستيلاء الكامل  
على مال شخص ما حكما بالاعدام المدنى \* وبلا محاكمة \*

ومن عجب أن يصدروا حكما بالاعدام المدنى على شخص

مات فعلا .. كيف يريدون أن يقتلوا من مات ، القانون يسمى  
هذا الجريمة المستحيلة لأن القتل لا يكون الا حياة ولا سبيل  
لأحد أن يقتل ميتا .. ولكن ذلك العهد لم يكن شئ  
مستحيلا عنده .

لم يأبه أسامة وانما عاد الى مكتبه وواصل طريقه في  
الحياة وواصلت الحياة طريقها الى جانبه .. صعبة عنيفة  
ولكنها شريفة .. وتسير .



حين تفجر الحق في مصر ، وحين أعاد الحكم أموال الناس  
اليهم وحين انشرخ الظلام عن الصباح وحين عادت الحياة الى  
الحياة أحس أسامة أنه استطاع أن يجتاز الأزمة الطاحنة ..  
ربما استطاع أبى أن يركب الموتسيكل السيدكار وربما  
عجزت أنا أن أجد فى بعض القترات دراجة أتنقل عليها ..  
ولكن أبى استطاع أن يسير فوق الأزمة على موتسيكل  
واستطعت أنا أن أسير عليها بقدمى .

ولم ينكس أبى رأسه ولم أنكس أنا رأسى للطغيان ..  
عجبا ألم يكن هو أنا وأنا أربأ بشرفى أن يدنسه ذهب  
الطغيان أو يذله تعذيبه .. من يدرى لعل روحه تلبستنى ..  
أو ربما .. لأدرى .. ربما كنت أنا شجاعا .. من يدرى  
.. من سيدكر أننى لم أنحن .. لم أنافق .. لم أذل ..  
وماذا يعينى أن يذكر ذلك أحد .. يكفى أننى أنا أذكر هذا  
لنفسى .. وحسبى وفوق الحسب أننى أستطيع أن أواجه نفسى  
لا أخافها ولا أستخزى .

٢٥

قال شهاب •

— اليوم نعود •

— نعم نعود •

— لقد انتصرت مصر •

— انى أحس أن أمى التى ماتت ذهبت الى الأبد وعادت

لى أم جديدة شريفة مثل هذا الانتصار •• أم لا صلة لها بتلك

التي تشردنا لنبتعد عنها •

— هناك أبونا •

— لعلنا نجده قد تغير •

٢١٠



- لا أظن .
  - وهل كنت تظن أن مصر ستنتصر .
  - اسمع لماذا لا تتغير نحن .
  - كيف .
  - ان أبانا لم يشعروا أنه يحبنا .
  - فهل أشعرناه نحن أننا نحبه .
- ونظر باسل الى أخيه طويلا وراحت ابتسامة تنداح على شفثيه لتعلو الى وجنتيه ثم الى جبهته وخيل اليه وهو ينظر الى أخيه أنه كأنما ينظر الى مرآة ولف الأخوين عبير مصرى له ذلك الأريج الخاص الذى لا يعرفه الا من نبت فى أرض مصر ومن ماء النيل ترن فى أذنيه منذ ولادته الله أكبر . . الله أكبر . . لا اله الا الله .

(تمت)



خيوط السماء

---



## خيوط السماء

### ١

**بكالوريوس التجارة** .. ! ثم ماذا .. ؟ من أين له  
يعمل بمصر تعاني والحكومة لاتعين أحدا فإذا فعلت فبمقدار ..  
وهذا المقدار لا يناله الا من يعرف صاحب نفوذ .. صاحب  
نفوذ ..

أن أباء عامل التلغراف بمحطة الديميرية .. وأقرب عزبة  
لمحطة الديميرية هي عزبة الباشا .. وليصحب معه صديقه  
نديم .. نديم .. لابد أن نديم يعرف الباشا .. فنديم من  
عائلة فيها أغنياء ولاسمها طنين لا تخطئه الأذن .. نديم  
الطوبجى .. أكان جده طوبجيا فى جيش محمد على .. لابد  
أنهم فى العائلة يدعون هذا على الأقل فكل عائلة تحاول أن  
تجعل بينها وبين عائلة محمد على صلة .. أى صلة .. حتى  
الشماشجى لم تغير عائلته اسمها على ضالة الوظيفة التى كان

يشغلها جدها فى عهد محمد على لقد كان مجرد خادم فى حشم  
الوالى ومع ذلك يتشرف أحفاده بهذا العمل المهين .. وأغلب  
الظن أن هذا الطوبجى كان خادما لأحد الضباط ورافقه فى  
حرب من حروب ابراهيم وعاد ليدعى أنه كان طوبجيا ..  
ياعم .. وانا مالى .. المهم أن أجد نديم وأجد والده على  
معرفة بهذا الباشا الذى يعمل أبى بجوار عزبته .. انه يعرفه  
لاشك وقد ذكره لى فى بعض احاديثه وعلى كل حال فاننى حتى  
إذا لم أسافر لأجعل أبى يتوسط لى عند الباشا فلا بد لى أن  
أسافر لأخبر أبى أنى حصلت على الشهادة وأحاول أن أقيم  
هناك بضعة أيام حتى يتأكد أبى اننى مفلس فلو علم أن معى  
مالا لانقض عليه .. هو لا يحب أن أقيم معهم ولا يحب أن  
يرانى وكذلك أنا ولكن فى هذه المرة لابد مما ليس منه بد ..  
معذور أبوه فهو كلما رآه تذكر ما صنعت به أمه ..  
ويل له من أمه وأبيه معا .. ولكن هذه قصة أخرى .. فماذا  
علينا إذا روينها .. وهل وأمتع من التسلية بأحاديث الناس  
وأخبارهم وأسرارهم ..

أيجب أهدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ..

ولكن القرآن ينهى عن كل المتع .. والنبي كان يعرف  
هذا فليس عجيبا أن يقول أن الجنة حفت بالمكاره ..

وعلى أية حال أتظنون انكم ستعرفون عن أحكى  
ماهى الا أسماء سميتها فاذا أنت عرفتها وفككت عنها طلاسما  
وأمتد بك عقلك الى حقيقتها فالذنب عليك يقع فانا لن أذكر  
أسماء ولن أتحمل وزر النميمة فاذا ساء منك الظن بالناس  
ورحت أنت تحمل أسمائى مالم أصرح به أنا فانت وحدك  
المسئول ..

وعلى كل حال فانت تعرف أن هوايتي وحرفتي في الحياة  
أن أحكى فإذا لم احك فماذا أفعل .. والحكاية في ذاتها  
لا تعترض عليها الأديان فكل الكتب السماوية لها قصصها وكل  
الكتب السماوية تتخذ من هذه الحكاية وسيلة لتضرب بها  
الأمثال لعلهم يعقلون .

فأى بأس على أن أحكى أنا أيضا . وأن كان القرآن  
لا يحكى الا صدقا فان الذين مثلى لا يحكون الا ما يؤلف  
الحياة .

أحكى أذن لك حكاية أمه ..

من البداية ؟

لا بأس من البداية ..

ولكن البداية بعيدة تتحجب بالسنين الطوال وبالأحداث .

وماذا وراعتنا ؟

على رأيك .. ماذا وراعتنا .

كان ذلك في مولد الشيخ السمالوطى بالصعيد وكان فهميم  
الحوت حديث التعيين فى مصلحة السكة الحديد وكان يعمل  
خفير مزلقان يومذاك فما كاد ينتهى من عمله حتى سارع الى  
المولد .. كان التورك وهو المسرح الرسمى للمولد واضعا  
صورة ضخمة فخمة على واجهته .. وكانت الصورة تمثل امرأة  
رأها فهميم جميلة غاية الجمال .. واذا عرفت أن فهميم هذا لم  
ير فى حياته أمراه الا أمه وهى امرأة غاية فى القبح تزوجها  
أبوه دون أن يراها وأختيه وهما أقبح من أمهما لادركت  
سبب اعجابه بالصورة وصاحبتهما .

وهذه قصة أخرى ولكنها قصيرة .. كان أبوه خفيرا وكان

حريصا على وظيفته كل الحرص فلم يجد وسيلة خيرا من أن يخطب ابنة شيخ الخفراء دون أن يسأل عن شيء من حقائقها فالحقيقة الوحيدة عنده أنها ابنة شيخ الخفراء .

ولم يكن يتصور أنها بهذا القبح كله حتى لقد كان كثيرا ما يرى أنها أجدر من أبيها بالوظيفة من حيث الرجولية والأخشوشان . ولكنه رضى مرغما بما وقع فيه . . . وولدت له فهم أول ما ولدت ثم اتبعته بثلاث رجال وبنتين جمعوا جميعا أقبح ما فى الأم وأقبح ما فى الأب .

إذا عرفت هذا جميعه استطعت أن تتصور نوع الجمال الذى يمكن أن يعجب فهم .

كانت أمه وأختاه عجفاوات كأنهن عصا الخفراء وكانت الراقصة توحة سمينة مفرطة السمن . كانت أمه وأختاه ذوات أنوف فطساء وكان أنف توحة واثبا من الصورة كأنه نفي من فم نافخ وأستقر عند الأنف . كانت أمه وأختاه . . . أرانى سأطيل المقارنة . . . كل هذه تفاصيل لا تعنيك ولا تعينى فى شيء المهم أن فهم اشترى التذكرة ودفع المليمين ودخل الترك .

وأنتهى العرض وخرج فسأل .

— أهذا آخر عرض .

— بل أول عرض .

— وكم مرة ستعرضون .

— خمس مرات .

— فأعطينى لكل عرض تذكرة .

ودفع قرشا صاغا كاملا .



كيف السبيل الى توحة • كان هذا هو السؤال الذى انفجر فى كيانه ولم يكن هذا مجرد سؤال وانما خيل اليه فى لحظة تلك أن الوصول الى توحة يمثل له كل الآمال التى يمكن أن يتعلق بها مستقبله •

وبماذا يمكن أن تتعلق آمال مستقبله • • خفير مزلقان أقصى ما يحلم به علاوات ثم تتوالى الأيام عقيمة مكرورة حاسرة الوجه لا تستطيع أن تحجب فى ثنايا خفاياها أى جديد تجعل من الانتظار متعة ومن الغد توقعا ومن السنوات أمنيات • اذا لم يتزوج من توحة فما الحياة • • توحة هى الابتسامة المشرقة التى تستطيع أن تجعل فى حياته الترتيبة الضجرة شيئا يتوارى خلفه من ملل الأيام • قد تسخر منه القرية أنه تزوج راقصة ولكن ما القرية وماذا يلقي منها أو من أهلها • ستصبح توحة هى حياته جميعا •

ظل يتردد على الترك كل يوم وكانت توحة تمر بالجالسين بعد كل رقصة تجمع النقطة • ومن هذه النقطة وجد فهيم وسيلة اليها • كان يشهد كل العروض وكان الجميع يلقون فى منديل توحة قرشا أو نصف قرش وكان هو يلقي خمسة قروش • وكان حريصا أن يريها القروش الخمسة قبل أن يلقي بها فى المنديل وكان طبيعيا أن تفرج توحة فمها عن ابتسامة من فئة الخمسة قروش • وحين تكرر الذهاب من فهيم أصبحت الابتسامة تزداد • حتى كان يوم أحس فهيم من غمزة عين مدربة أنها تدعوه • فدعى • وفى كواليس توحة عرض عليها الزواج وقبلت توحة • • فقد كان مثل هذا الزواج هو المصير الذى تعرف انه ينتظرها فسارت اليه مدركة أنه قدرها الطبيعى لا عجب فيه ولا غرابة ولا يحتاج حتى أى تفكير • عادت توحى الى أسمها تحية الملوانى •

ولم تهتم القرية بالتعليق على هذا الزواج فلم يكن فهم  
 ذا شأن يحتاج الى تعليق وسواء عند القرية أن يتزوج من  
 «غزية أو يتزوج من غيرها • كل ما يستطيعون أن يفعلوه  
 هو أن يمنعوا نساءهم عن بيت فهم • • وقد فعلوه وكان  
 فهم يتوقعه •

وتفرح الأيام وتتألق في عيني فهم • • ثم يخبو الفرح  
 وينطمس التألق شيئاً فشيئاً وتعود الى الحياة ملالاتها وتروح  
 الأيام تدفع بعضها بعضاً في فتور وتكاسل • عادت الأيام  
 تتشاب وهي تمضي مثقلة بالضيق ولولا أن اليوم الحالى يدفعه  
 اليوم القادم ما مضى يوم ليحل آخر •

قد يومض يوم أو بعض يوم ثم تسترخى الأيام بعد  
 ذلك • فقد أومض مثلاً اليوم الذى أتم فيه تعلم الضرب على  
 آلة البرقيات وأصبح عامل تلغراف وأومض اليوم الذى عرف  
 فيه أن توحة حامل • • ولكن ماهى الالمعة برهة ثم تذكر  
 ماسيكلفه الولد من عنق وجهه فراحت الفرحة تتراجع بين  
 ظهور واستخفاء فما جاء الليل حتى استقر رأى الفرحة على  
 التوارى والاختفاء لتترك وراءها قلقاً وخوفاً لم يستطيعا حتى  
 أن يبدا الملالة وتحجر اللحظات وكان هذا الملل أشد وطأة على  
 تحية بعد أن انسلخت من ملابس توحة •

وكانت وهى تعمل فى المولد تنظر الى المستقبل فى ذعر  
 يرادفه الأمل وكان العمل الذى يفرض عليها الفرح يفرض  
 معه نسيان الخوف • وكانت الأيام عندها متجددة • • سواء  
 عندها ان كان هذا التجديد بخير أو بشر فهو على كل حال خير  
 من هذه الوقفة الغبية التى تراها من أيام زواجها بخير  
 المزلقان أو حتى عامل التلغراف • كان التصفيق يوقظ  
 لياليها وكانت الوجوه المتغيرة ترد عنها الملالة • وكان الصراع

بينهما وبين أفراد الترك يجعلها مشغولة وكانت بهذا الشغل تستطيع أن تنسى الذعر من الغد والقلق من المستقبل وهكذا كانت تستطيع أن تنسى ماشهده من نهاية الراقصات اللواتى سبقنها فى هذه الحلبة وكيف زحف جليد الشيوخوخة على نضارة الشباب فيهن فانطمرت حياتهن وهن مازلن على قيد الحياة •

وللنفس أمام الحياة سراديب وطرق خفية تمكنها من قبول هذه الحياة واحتمال لحظاتها البطيئة الثقيلة العاتية والسريعة الرعناء والعابثة فى آن • تمر السنوات سريعة وامضة وتمضى الأيام بطيئة وكأنها لا تمضى • وينشغل الانسان باليوم عن السنة وبالحاضر عن الآتى وتلهيه اللحظة عن الدقيقة والدقيقة عن الساعة والساعة عن اليوم واليوم عن العام • ويمضى العمر وأيامه جامدة كأنها لا تتحرك وسنواته كأنها خفقة طائر أو طرفة عين أو سراب مظهر حتى أمضى •

والانسان فى لوثة الحياة ينظر الى الآخرين وكأنه ليس منهم وكأنهم ليسوا منه فهو دائما يرى نفسه فصيلة غير الفصيلة وجنسا غير الجنس فتجارب الآخرين عنده متعة وليست عبرة وما يحدث للانسان الذى ليس أنا لا أتصور أنه سيحدث لى • وهكذا استطاعت الحياة التى يواجهها الانسان بالسراديب والطرق الخفية أن تحاربه هى أيضا بسراديبها وطرقها الخفية • وانها لأشد مكرًا وأعظم حيلة فتجاربها معلنة مشهورة يعرفها الناس جميعا ولكن الحياة تقنعهم بسحر لها عجيب أن هذا الذى يحدث للآخرين لا يمكن أن يحدث الا لهؤلاء الآخرين • ولهذا لم يكن غريبا أن تضيق تحية بحياتها الجديدة ولم تعد تفكر فى الأخريات من زميلات راقصات المولد حين عبرتهن

الحياة دون زواج فانتهى بهن الأمر وقد اجتمع عليهن ذل  
الحاجة وذل الرفض من المجتمع .

ولم يستغرق انقلابها من قبول الزواج الى الضيق به  
غير بضعة أشهر ولولا أن فاجأها هذا الجنين لربما كان لها  
تفكير آخر .

ولكن الجنين جثم على ارادتها ورضخت له وخضعت لسنن  
الزواج .

ومرت الأيام الثقيلة فولدت ومرت السنوات الجارية  
فشب الطفل وبدأ يذهب الى مدرسة القرية . ويل له من تلك  
المدرسة . . انها اليوم بالنسبة اليه نوع من الماضى عبر به  
ولا يريد أن يذكره ولكنه يفرض نفسه عليه فرضا محموما  
لا نجاة منه . . طفل هو فى السنوات الخضر وفى الأيام البله  
الساذجة من حياته خرج من حصار البيت الى سعة المدرسة  
طفرة واحدة كحيوان حبيس لم ير الى الحياة ولم يعاشرها  
وانما كل دنياه غرفات البيت وكل مراحه هذه الباحة تشب  
فيها معه الكتاكيت تتوالى عليها الألوان حتى اذا استوت  
فراخا اختفت لتأتى بدلا منها كتاكيت أخرى وليس يدري من  
مصدر الكتاكيت الذاهبة شيئا فهو حتى لا يكاد يربط بينها  
وبين هذه الفرخة التى يظل يأكل جزئيات منها أياما .

ومعه فى هذه الباحة جاموسة تبقى أحيانا بالبيت اليوم  
بأكمله وفى فترات أخرى تخرج مع أبيه فى الصباح الباكر  
وتعود معه والشمس تميل نحو المغيب .

وفى صدر هذه الباحة حجرة ليس بها الا قرن مبنى  
تخبز أمه فيه العيش وقد يصيب فى يوم الخبيز رغيفا عليه  
بيضتان وقد لا يصيب .

تلك هي دنياه - لا يدري هو أن الأطفال تخرج الى القرية وتلعب بها وتجوب الشوارع والحواري والأزقة وتقفز على اكياس القطن في موسم القطن وتركب النورج في موسم القمح أو موسم الأرز - حبيس البيت هو تمنعه أمه أن يرى الى الدنيا - وان خرجت هي لبعض شأنها فهي تصحبه مرتبطا بيدها لا تفلته حتى يتم لها ماتشاء من عمل خارج البيت وتعود به ويسأل هو أمه ويلحف في السؤال لماذا لايجرى في الطرقات مثل هؤلاء الأطفال الذين يمر بهم وتروعه أمه بالاجابة القاسية حيناً أو تلاينه أحياناً ولكن الاجابات دائماً عمياء لايبصر منها سبباً يقنعه أو سبباً يرتاح اليه .

وماذا يمكن أن تقول له أمه انها أيضاً معذورة - لقد كانت تجاهد أن تؤجل لقاءه بقدرة قدر ما تتيح لها الحيلة أن تؤجل -

لم يعد يذكر ان كان قد عرف السبب الذي جعل أمه تخفيه عن الحياة في أول يوم ذهب الى المدرسة أم لم يعرف - ولكن الشيء الذي لم ينسه ويحاول دائماً أن ينساه أنه لقي هولاً .

أحس في الوهلة الأولى أنه من فصيلة أخرى غير فصيلة هؤلاء التلاميذ لم تأت الكارثة من أنه لم يكن يعرف أحداً من التلاميذ فهذه السن عند البشر لاتفصل بين الكائن البشرى والكائن البشرى الآخر وانما الأطفال جميعاً كتلة واحدة متعارفة وان لم يسبق بينهم تعارف كتلة تحتويها الصداقة وان لم يسبقها لقاء كيان بكيان ومتى يبدأ التعارف تبدأ الصداقة وان لم تسبقها البواكير الأولى التي تسبق أنواع الصداقات الأخرى فعدم معرفته بالأطفال الآخرين وعدم معرفتهم به لم يكن أمراً ذا بال في حد ذاته فقد كان يمكن أن

يكون صديقا لهم جميعا فى لحظة اللقاء الأولى • ولكن الكارثة  
أنه وجد نفسه كيانا مستقلا وهم جميعا كيانا مستقلا  
آخر •

ودخل الى الفصل وهذا الشعور بأنه منطقة منبوذة من  
الحياة يملأ نفسه ويهشمها تهشيمًا • وفى الحصة الأولى بدأ  
المدرس يقرأ أسماء التلاميذ حتى بلغ اسمه •

– فرغلى فهيم الحوت •

– نعم •

– انت •

– نعم •

– تشرفنا •

وانفجر الضحك •

– اسمع انت هنا تنسى البيت تماما •

– وماله البيت •

– لاشأن لنا به المهم أن تنساه تماما • المهم أن تكون  
تلميذا مضبوطا •

– على الواحدة • •

وسارع المدرس يقول للتلميذ الطويل الذى ألقى القنبلة  
الأخيرة •

– أخرس يا خليل •

ولكن التلميذ لا يخرسون وانما هم يضحكون لا يريد أن  
يسكت وهو واقف مكانه لا يدري ما هذا الذى يحيط به  
وينقذه المدرس أخيرا •

— أقعد يا فرغلي •

وقعد • • ولكن ما هذا الذى يجرى حوله • • ما هذه  
الواحدة التى ضحكوا منها • ظل ذاهلا طول الدرس وما تلاه  
من دروس • وفى الفسحة ظل يحاول مرة أخرى أن يكون  
قطعة من هذا النسيج الذى يكون تلاميذ المدرسة لكنه أحس  
أنه قطعة مستقلة عن قماش التلاميذ • شئ لا ينسجم معهم  
ولا ينسجمون معه • انتبذ مكانا قصيرا أمن اليه وأطمأن انه  
مخفيه عن الآخرين وراح يفكر فيما حدث له فى يومه الأول  
هذا فى المدرسة • أى شئ فيه يجعله كيانا لا يلتئم مع كيانات  
الآخرين • أية عجيبة تجعل منه صنفا منفردا غير مقبول من  
ابناء مدرسته • أنه طفل مثلما هم أطفال • له أب وله أم  
ولا شك أن لكل منهم أبا وأما أيضا • لابد من خافية لا يدرها  
وهم يدرونها •

ماهى ؟ لماذا ينقبض عن كل أمثاله ليصبح مادة معزولة  
غير صالحة أن تذوب فى الكل كما يذوب جميع هؤلاء الأفراد  
فى كل واحد •

هو لا يدرى • أنما كل الذى يدره أنه عجيبة أخرى أو  
أنهم جميعا من عجيبة مغايرة لطبيعته •

أكمل اليوم وأنتهب الطريق الى أمه وأرتمى على ركبته  
وبكى كما لم يبك من قبل ورفعت الأم وجهه اليها • • ونظرت  
الى عينيه • رأت ذلة وانكسار ودهشة حائرة وألما عاصفا  
وطوفانا من الأسئلة يتفجر فى رأسه وقلبه ومشاعره ولكنه  
لا يدرى كيف يبدأ وبماذا يبدأ • • ترك الدموع والبكاء  
العالى الضجيج يتولى عنه السؤال وصمت هو •

وحين ألتقت عيناه بعيني أمه وجدها قد فهمت عنه مالم

يقلبه فتخافت صوت البكاء شيئاً فشيئاً ثم أنتحى من البيت جانباً وتكوم فيه وألقى برأسه الى ركبتيه فى ذلة وهوان لا يدري مأثهما ولكنهما يعصفان به عصفاً أخيداً وينتاشان قلبه فى عنف صاحب وبيل •

ما أن دخل فهيم من باب البيت حتى سارعت تحية تقول له فى حسم •

— فهيم •• فرغلى من بكرة يروح مدرسة البندر •

كان فهيم يقفل باب البيت حين انفجرت هذه القنبلة حتى إذا استدار ورأى وجه تحية جال بعينيه فى الحجرة ورأى فرغلى فى كومتة البشرية ورآه وهو يرفع اليه فى جهد رأساً تجاهد الذل لترتفع ورأى عينين تجاهدان الهوان يطل أصرار ساطع لا لبس فيه •

ولم يسأل فهيم لماذا فقد كان ينتظر هذا اليوم ويكاد يوقن أنه ملاق فيه ما يلاقيه فى لحظته تلك •• ونكس فهيم رأسه •

— حاضر •

وكان فى هذه اللفظة أشياء كثيرة تتعاقب فى حروفها القليلة •• كيف استطاعت كلمة واحدة أن تحمل كل هذه المعانى •• معجزة هذا الانسان كيف يستطيع فى تلويحة صوت أن يجعل كلمة واحدة تحمل كل هذا الألم والشعور بالذنب والخضوع والأسف لابنه ، والضيق بزوجته ، والهلع لمستقبل أبنه والامتنال لقدر هو نفسه الذى قدره على نفسه •



## مدرسة جديدة

**كان** وجود فهميم بالسكة الحديد يجعل ذهاب فرغلى الى مدرسة البندر أمرا ميسورا فقد كان الكمسارية جميعا يعرفونه وكان من الطبيعى أن يركب فرغلى القطار مجانا فكان أبوه يصحبه فى باكر الصباح الى القطار الأول وكان ينتظره حتى يعود فى قطار الخامسة من بعد الظهر \*

وكان القطار فى ذاته مصدر متعة لفرغلى والعجيب أنها متعة لم تنل منها الأيام أو ينقصها التكرار \*

وفى الأيام الأولى استطاع فرغلى أن يصادق التلاميذ وصادقوه وفرحوا بهذه السداجة التى طالعتهم منه فقد تكشف لهم عن انسان لا يعرف شيئا من المعلومات التى يعرفها الأطفال

فى هذه السن الباكرة • أنها تلك المعلومات التى جعلت أحد الفلاسفة الكبار يقول لست صغيرا لدرجة اننى أعرف كل شىء •

كان الأطفال يعرفون كل شىء أو خيل لهم ذلك على الأقل فى حين لا يعرف فرغلى شىئا على الإطلاق وكما ينبت الخير من الشر فى كثير من الاحيان أصبح هذا الجهل من فرغلى هو أهم العناصر التى تجعل صداقته محببة لزملائه •

وأن يجد التلاميذ فرصة مثل هذه الفرصة التى يهيئها لهم جهل فرغلى • لقد أصبحوا جميعا له أساتذة فى علم الحياة فعرف منهم خفايا الجنس واللفظ الجارح قبل أن يعرف منهم لعب الكرة أو لعب البلى •

وأصبحت المدرسة عند فرغلى متعة بعد أن كانت وبالا عليه • وأصبح التلاميذ يقبلون عليه فى لهفة يضحكون من سذاجته ثم يمارسون عليه استاذية لا يتيحها لهم تلميذ آخر • ولكن أترك الأيام فرغلى ينعم بهذا الاقبال • • ولماذا وماذا يكون هو حتى لا يواجه من الحياة ما يواجهه أمثاله • • وكيف يمكن أن ينشغل عنه مجتمعه ولا يصيب منه ما يصيبه من الآخرين ألما وعنتا •

حين أنقضت الشهور الأولى لأيامه فى المدرسة بدأت تتضح أشياء لم يكن من الممكن أن تتضح الا اذا مر بها الوقت • فالملابس التى دخل بها الطلبة الى المدرسة كانت جديدة فى بدء العام الدراسى • ولا بد لكل جديد أن يصيبه القدم •

والملابس بالذات تتأثر بالاستعمال اكثر مما تتأثر بالزمن •

وضحت الفوارق بين التلاميذ وعرف الأغنياء بعضهم بعضا • وعرف الأغنياء الفقراء والفقراء الأغنياء •

وفى هذه السن لا ينظر التلاميذ الى هذه الفوارق • حتى اذا عرفوها فانها لا تعنى شيئا بالنسبة اليهم • فعلاقتهم بعضهم ببعض فى هذه السن النظرة النقية الشفيفة لا تعترف بالفقر والغنى • وحين استبان حقائق كل تلميذ لم يكن لهذه الحقائق أى أثر عند الأغلبية الكاثرة منهم ولكن فرغى بالذات كان من هذه القلة الضئيلة التى عرفت مامعنى أن يكون الانسان غنيا وما معنى أن يكون الانسان فقيرا • وما معنى أن يملك التلميذ اكثر من بدلة يأتى بها الى المدرسة وما معنى الا يملك الا بدلة واحدة ماتلبث أن يحيط بها القدم فتتمزق وترتق أو يزداد بها القدم فتظل رائحة جائية من الرفا الى البيت ومن البيت الى الرفا •

ادرك هذا جميعه وأحس فى نفسه لذعة ألم ونار غيظ وبدأت براءته التى أتى بها الى المدرسة ساذجة نقية تنتابها القتامة شيئا فشيئا ووجد نفسه ينأى بعيدا عن مواطن التجمع من التلاميذ التى تسبكهم جميعا فى كل واحد لا يعرف الفقر ولا يعرف الغنى ولا يعنى بأمره •

فى هذه المرة فرض هو الوحدة على نفسه • وكلما سعى اليه زملاؤه يلتمسون منه هذه السذاجة التى عرفوها فيه وأحبوها منه أجابهم تلك الاجابات التى تغلق عليهم مسالك الحديث وتقفل دونهم دروب المسامرة •

وقد كان فرغى فى وحدته هذه أشبه بنواة خلية • وكما تنقسم الخلية فى نظام ربانى فريد لا يدرك سره الا خالق

النفوس كذلك تتكون خلايا متقاربة متشابهة متماثلة بطبيعة  
الاخلاق التي جلبت عليها الطبائع .

وبسر هذه الجاذبية النفسية تكون حول فرغلي أربعة طلاب .  
لم يكونوا اصدقاء فى بداية دخوله المدرسة وهم بطبيعة الحال  
ليسوا من قريرته فالمدرسة ليس بها أحد من قريرته والا لذاع  
السر الذى لا يعرفه هو والذى يعرفه أهل القرية جميعا والذى  
من أجله ترك مدرسة القرية الى مدرسة المدينة .

وهم أيضا يضحكون من سداجته فهم أنفسهم كانوا  
قريبين من هذه السداجة حين جاؤا الى المدرسة أول ما جاؤا .  
فقد كان أبائهم أو كانت أمهاتهم يمنعونهم أن يختلطوا بابناء  
القرية وما يرد على ذلك المنع استثناء .

تكون هؤلاء الأربعة حول فرغلي وأصبحوا وحدهم فريقا  
فى المدرسة .

ما الذى جمعهم حوله ولماذا لم يكن هو واحدا من الأربعة  
ليجتمع هو معهم حول آخر ؟ لماذا كان هو النواة وليس جزئية  
من الجزئيات التى تتجمع ولا تجمع .

كان فرغلي جامد الوجه صموتا قاسى القسومات لم تعرف  
عضلات وجهه استرخاء الطفل وليانه وطراوته . لقد كان  
ذلك من مكوثه فى البيت لا تطالع عيناه الا وجه أمه وقد  
فرضت ولادته على أمه أن تمكث فى البيت لا تبارحه الى ما كانت  
تهفو اليه نفسها من مرح الموالد وانطلاقة الغوازي فاذا  
قسوماتها تتطلب وتتشنج لهذا الذى فرض عليها فاذا بهذا  
التشنج يلتصق بوجهها واذا ابنها ينمسخ وجهه على نمط  
وجهها . واذا هو يفقد ما يكسب الطفل جمال الطفولة .  
وكانت عينا أمه بعد ولادته قد انقلبتا الى كراهية فيهما عينا

يحقدان على ميلاده الذى حرمها من تحقيق ما أرادت أن ترجع اليه من حياة • فلم ير فى عينى أمه ما يراه الأطفال الآخرون من حب أو أشفاق أو وداعة أو هناء أو رضى •

لم يكن يرى الا عينين تقدحان شررا لا يعرف لفته أهو شرر الحقد أم شرر الغيظ أم شرر السخط • • لم يكن يعرف • وكذلك لم تعرف عيناه الا هذه النظرات التى تجمدت على شعاعها ألوان شتى من الكراهية والحقد والغیظ والسخط لاتتيح فسحة من مكان لبصيص عطف أو رضى •

وكانت أمه لا تثرثر بالحديث مع أبيه أو معه فهى لا تتكلم الا لتقول شيئا يحتاج الى كلام • لم يسمعها فى حياتها تتكلم لمجرد الكلام لمجرد هذه الشرثرة الفارغة التى يستمتع بها النساء وكثيرا ما يستمتع بها الرجال أيضا •

كانت أمه فى عيشها التى أجبرها ميلاده عليها ترى نفسها سجينه فى سجن منفرد لا يدرك أحد مقدار الغضب الذى يغتلى فى نفسها • ولا سبيل للغضب أن يثرثر وغضبها هذا من نوع خاص فهى لا تستطيع ان تبين عنه أو تكشف خوافيه بل هى تخشى أن يطلع عليه أحد ولهذا لم يكن عجيبا أن تزعم شفتيها كضلفتى باب لسجن تغتلى بين جنباته ألوان من عذاب •

وهكذا أنغلقت شفتاه مشدودتين كأوتار من آلة من آلات التعذيب تأبى أن ترن بغير أصوات الحقد والكراهية والام والهوان •

هذا التركيب الذى صنعتته طبيعة الحياة التى يحيها فرغى جعلت منه تلك النواة التى اجتمع عليها عمران الفوال وشلبى المبعوع وعطية سيد أحمد وفرحات عبد الباسط •

ودون أن يتم بينهم اتفاق ودون تعاقد تكشف عنه  
الألفاظ ثم التعاهد • لقد تقاربت أرواحهم وتمازجت  
وأحسوا أنهم يستطيعون هم الأربعة أن يكونوا نسيجاً متميزاً  
عن هذا النسيج الضخم الذى نسجت خيوطه من كل التلاميذ  
الآخرين •

انهم يكرهون هذا النسيج الآخر فى تكوينه الكامل  
وفى خيوطه التى صنعتها • انهم يكرهون التلاميذ الآخرين  
جماعة وأفراداً • ويشعرون أنهم هم • • وهم فقط فى  
خمسهم المديرين بالحياة حين ينبغى أن يحرق جميع هؤلاء  
التلاميذ • هؤلاء التلاميذ ما هم الا أبناء الأغنياء الذين  
يستطيعون أن يلبسوا أكثر من حلة وأكثر من حذاء وما  
الآخرون الذين يصادفونهم الا الأغنياء الذين يسمحون لهم  
بهذا الغنى ولا يحاربونه كما يجب أن يحارب كل شيء  
لا يملكونه •

وما هى الا أيام حتى راح هؤلاء النفر الأربعة بزعامه  
خامسهم فرغى يصنعون ما يعتقدون أنه الواجب الأول لمن  
كان فى مثل حالهم •

ودهش ناظر المدرسة والمدرسون والفراشون والتلاميذ  
حين جاءت فسحة الغداء فاذا هم يجدون صناير الشرب جميعها  
مكسورة والماء يتدفق فى شكل سيل ويأمر الناظر فتقفل  
محابس المياه ويبحثون عن الفاعل ولكن هيهات • ولا تمر أيام  
كثيرة حتى تتواتر الشكاوى الى الناظر من طلبة بعينهم أنهم  
حين أقاموا عن مقاعد ادراجهم كانت بنطلوناتهم مليئة بالحبر  
الذى كان ملقى على المقاعد بشكل خفى لا يلحظ ولو كان عند  
الناظر أى فكرة عن عصبه فرغى لاستبان أن هذا لم يحدث  
الا فى الفصول التى كان هؤلاء الخمسة من بين تلاميذها ولعل

أسوأ ما صنعتته العصابة هو ذاك الذى تولاها فرغلى شخصيا  
بمساعدة شلبى المبعوع فقط • لأن الفرصة لاحت حين كانا هما  
فقط أمامهما ولم يتسع لهما أن يستدعيا الآخرين •

كانا يمران أمام مصلى المدرسة وفجأة استرعت نظرهما  
كمية الأحذية المرصوفة أمام الجامع •

— معك مطواه •

— معى •

وفى لحظات سريعة حاسمة شقا فردة واحدة لكل زوج من  
الأحذية والفكرة بقدر جراتها تدل على عمق التجربة فى  
الأيداء فان شق فردة واحدة يستغرق نصف الوقت وهو مع  
ذلك يقضى على الأحذية جميعا قضاء مبرما •

وبقدر الذكاء الذى تنكشف عنه هذه التجربة نلمح الغباء  
فى ثناياها • خرج التلاميذ من الجامع وجابهتهم الجريمة  
قاعة الافواه بشعة تدعو الى الحيرة والغيظ فى وقت معا •  
وكان ناظر المدرسة بين المصلين • ترك حذاءه الذبيح وذهب  
الى غرفته وأعلن الأحكام العرفية • كلف المدرسين أن يفتشوا  
جميع التلاميذ بحثا عن موس أو مطواه •

وشاع الخبر وبدأت فرق التفتيش عملها •

وفجأة أدرك فرغلى أنه وقع على فرصة لا تعوضها الأيام  
كثيرا — تسلل من الفصل فى هرج تناقل الأخبار والتعليق  
عليها وقصد الى غرفة الناظر •

— انا أعرف ذابح الأحذية •

— من ؟

— شلبى المبعوع •

— كيف عرفت ؟

— أرانى مطواته فى الصباح وقال انه سيصنع بها انقلابا  
فى المدرسة •

— ولماذا لم تأت قبل الآن •

— كنت متعبا ولم أترك الفصل فى فسحة الظهر وحين  
عرفت الخبر سارعت أقول لحضرتك •

وجاء شلبى المبعوع واعترف ولكنه وقد وجد الاتهام موجها  
اليه من فرغلى أفشى الأسرار كلها والكلمات التى تبادلها وهما  
يقومان بمهمتهما وأتضحت الحقيقة أمام الجميع حتى أصبحت  
لا تحتاج الى شك •

وفصل شلبى وفرغلى من المدرسة •

كان فرغلى فى السنة النهائية من المدرسة الالزامية وكان  
الدخول الى المدرسة الابتدائية لا تحتاج الى شهادة تدل على بقاء  
التلميذ بالمدراس الالزامية فترة معينة لأن دخول المدرسة  
الابتدائية كان لا يتم الا بامتحان فلم يكن لهذا الفصل وقع  
على فرغلى أى أثر عدا أنه ذهب مرة أخرى الى منعزله ببيت  
أمه ولكنه طمأن نفسه أنه كان على أية حال عائدا الى هذا  
المنعزل فقد كانت السنة الدراسية موشكة على الانتهاء • وكان  
قد أعد لاجازة الصيف عدة •

— أمه • • لماذا لا أخرج الى قرية •

— وما الداعى •

— أنا الوحيد من أبناء القرية الذى لا لعب مع الأطفال

— البيت بعيد عن القرية •

— وهل هذا ذنبى •



- لقد بنى أبوك بيته بجانب عمله •
- وما ذنبى انا ؟
- لو لم تعمل عملتك المهيبة لكنت الان فى المدرسة •
- المدرسة لم يبق على آجازتها الا بضعة أيام •
- أحسن من قعدتك فى البيت •
- ولو كنت مثل كل الأمهات ماكنت أنا فى البيت •
- وأحست تحية كأن طعنة خنجر حاد الشفرتين قد أصابتها  
من لسان ابنها • واختلطت فى نفسها حميا الألم مع رعب  
القلق • • أ يكون قد عرف أنها ليست مثل الأمهات •
- وله • • انت شايفنى اختلفت عن كل الأمهات •
- طبعاً •
- فيم اختلف عنهن •
- أولادهن جميعا فى الطرقات يلعب بعضهم بعضا الا  
أنت • • فهل مثلهن أنت •
- وانهدمت جالسة •
- تبدد ألمها وزال قلقها الى اطمئنان واستطاعت بلسان  
جاف أن تقول :
- من خوفى عليك •
- وهن ألا يخفن على أبنائهن •
- كل شيخ وله طريقة •
- الا شيخك فطريقته عجيبة •
- وكان ريقها أصبح دمعا وهى تقول :

- ولكنك لاتعرف شيئاً يافرغلى •
- بالتأكيد هناك شيء لا أعرفه •
- بل أنت لاتعرف شيئاً على الاطلاق •
- أنا على وش الدخول الى المدرسة الابتدائية وأعرف القراءة والكتابة والحساب •
- ومع ذلك لاتعرف شيئاً •
- عرفيني •
- ستعرف •
- قولى •
- ستعرف • • من المؤكد أنك ستعرف •
- ومادمت سأعرف فلماذا لاتقولين أنت •
- سيأتى الوقت •
- والى أن يأتى الوقت الذى أعرف فيه سابقى محبوبى هكذا فى البيت •
- ليس الأمر بيدى •
- فالأمر اذن بيدى أنا •
- ودقت صدرها فى عجب •
- كسر يدك • • أتريد أن تخالف أمرى ياوله •
- من غير مخالفة •
- ماذا تريد أن تفعل ؟
- رأيت من فى سنى يعملون فى المركز •

- ماذا يعملون ؟
- أعمالا كثيرة
- مثل ماذا ؟
- صبى فى قهوة مساعد بقال أى شىء •
- ونظرت اليه مليا ••
- ألسنت صغيرا على هذه الأعمال •
- رأيت زملاء لى كثيرين يقومون بهذه الأعمال •
- اذن فانت تستطيع أن تعمل •
- مادمت لآستطيع أن ألعب مثل العيال فلماذا لا أعمل  
مثل الكبار •
- الحكاية هذه لآأس بها ولكن •
- لآتكملى •• أعمل وآساعد أبى على المعيشة •
- وأطرقت تحية وصمت فرغلى وتوهجت حكمة الله العلى  
القدير فى صمتهما •• فقد شاء سبحانه أن تلتقى العيون  
وتتقارب الأرحام ولكن أحدا لآيستطيع أن يكشف مايفكر  
فيه الآخر •
- فلو أن فرغلى رأى مايدور برأس أمه لرأى عجباً ولما  
صدق ماتهمس به نفسها الى نفسها • ولو أنها هى رأت مايدور  
بعقل ابنها لهالها أن يجتمع كل هذا الجشع فى كيان هذا  
الطفل الصغير •



استطاع زملاء فهيم أن يجدوا لفرغلى عملا بسهولة • فهم

منتشرون ولهم أصدقاء كثيرون وميسور عليهم أن يجدوا لابن زميلهم عملا هزيلا وقد شاعت الصدقة أن يكون عمل فرغلي في مقهى الحرية بميدان الساعة • وقد كان موقع المقهى عظيما وكان زبائنها يملأونها أغلب ساعات النهار •

ونشط فرغلي في عمله الجديد وكان البقشيش الذى يناله أعظم من مرتبه بكثير • فقد حدد له صاحب المقهى ستين قرشا مرتبا شهريا ولكنه يحصل على ضعفى هذا المبلغ من الزبائن • والعرف فى المقاهى أن يضع العاملون فى المقهى كل ما جمعه من بقشيش فى وعاء خاص ثم يقسم بينهم وقد اضطر فرغلي أن ينفذ هذه القاعدة فى الأيام الأولى من عمله بالمقهى فقد كان كبيرهم يفتشهم جميعا عند فتح المقهى فى الصباح ويستولى على ما معهم من نقود لتكون أمانة فى ظرف خاص يحمل اسم كل منهم على حدة حتى اذا أنتهى العمل فى المقهى فتشهم جميعا وتقاسموا البقشيش وكان مسموحا لفرغلي أن ينهى عمله مبكرا بعض الشيء لصغر سنه وليتمكن من اللحاق بآخر قطار يعود به الى القرية • فالقطار وحده هو الذى يستطيع أن يركبه مجانا بوصفه واحدا من أسرة المصلحة •

بعد أيام من العمل بالمقهى وجد فرغلي أنه ينال الكثير ولكنه لا يحصل بهذه القسمة الا على القليل •

ذهب الى صانع أحذية واشترى منه آبرة أحذية وخيطا فكان يفتق الحذائين فى الصباح وهو ذاهب بالقطار • وكان يضع بهذا الجيب السرى العجيب الكثير من القروش التى يحصل عليها وفى المساء كان يخيط الحذاء سرا ويعود بجزء كبير من البقشيش وهكذا أستطاع أن يخفى القروش على كبير القهوة حسنين ولم يكن حسنين يتصور أن هذا الطفل

الذى لا ينفثق وجهه عن ابتسامة يستطيع أن يفتق حذاء عن جيبين •

ولم يكن أبوه يسأله عما أصاب من مال مكتفيا بأنه هو الذى يقبض مرتبه جميعا آخر الشهر •

أما أمه كانت منذ عمل فرغلى مشغولة بأشياء ألهتها تماما أن تسأله عما يربح •

الشيء الذى لا يعرفه فرغلى ولا يملك أن يعرفه أن هذا الذى يناله سواء بالتهرب أو بالحق أقل كثيرا مما كان يستطيع أن يحصل عليه لو أنه عرف فقط كيف يضع على محياه ابتسامة تكسب وجهه براءة الطفولة وجمالها • ولكن هذه الابتسامة كانت بعيدة عن تفكيره كل البعد • ومن أين يأتى بها وقد عاش عمره مع أب يأتى الى البيت وقد طحنه العمل وآم لم تر فى ميلاده الا حبالا قاسية تكبل آمالها • حتى اذا ذهب الى مدرسة القرية واجهته السخرية والضحك فى يومه الأول والأخير بها فجعلته هذه السخرية السريعة يكره الضحك لأنه لم يصدر عنه ابدا وانما صدر عليه ودون أن يعرف السبب •

وحين ذهب الى مدرسة المركز لفت به الأيام لفة كان فيها مصدرا يضحك الآخرين ثم كان زعيما لحزب الحاقدين والحقد للضحك فزع وهيهات لمن عرفت نفسه الحق أن يعرف وجهه أو قلبه الضحك أو حتى الابتسام •

مسكين فرغلى لقد حرمته الحياة الضياء الوحيد الذى يستطيع به الانسان أن يشق طريقه فى ظلام الأيام • ولكن الحياة العظيمة التى تستطيع دائما اذا منعت أن تهب والتى اذا حرمت انسانا نعمة من أنعمها أمدته فى خفية وفى كرم

بما يغنيك من هذه النعمة • هذه الحياة الرؤف الرؤوم حرمته  
متعة الاشراق أو الضحك أو الابتسام وفي نفس الوقت  
وهبت له نعمة الجهل بأنه فاقد لأجمل مقومات الدنيا وأحلى  
مافيها والشئ الذى يجعل من الدنيا فى كثير من الأحيان عليا  
قريبة من مسابح السماء •

## نقطة

**انتهت** أجازة الصيف وفي اليوم الأول من المرحلة الابتدائية كان فرغلي قد لبس حلة جديدة اشتراها له أبوه وأكمل الحلة بكل ما يحتاج اليه صاحبها من رباط عنق وقميص وحذاء ونظر فرغلي في المرأة التي لا يوجد غيرها في البيت والتي تكاد تنطبع عليها صورة أمه من كثرة ما تقف أمامها . رأى في الملابس الجديدة انسانا غريبا عليه بل رأى في المرأة وجها أوشك ألا يتعرف عليه فلم يكن هو أو أبوه يقفان أمام المرأة الا لمناسبة وما أقل هذه المناسبات في حياته أو في حياة أبيه .

أحس فرغلي وهو واقف أمام المرأة ينعم النظر أنه لأول

مرة يجد فى نفسه انسانا ينبغى أن يحترمه الآخرون أو على الأقل أحسن أنه ليس عجيبا أن يحترمه الآخرون . فقد كانت ملابسه تشعره دائما أنها من أهم الأسباب التى تدعو الآخرين الى احتقاره . وأحسن فرغلى أنه يجب أن يكون كذلك دائما . وحينئذ خيل اليه ان صورته فى المرأة تزداد تقطيبا ترادفه دهشة موصولة باليأس وتنتهى به هذه المشاعر الى نوع من الاصرار لا يدرى من أين هبت عليه رياحه بل هو حتى لا يدرى ما الذى يهدف اليه اصراره هذا . انه مصر ولكنه لا يعلم على ماذا يصر وتوهجت عيناه فهما شرر وبريق شرس وصرفت أسنانه يضغط بعضها على بعض وفى حركة مفاجأة عنيفة لوى وجهه عن المرأة وذهب الى السرير حيث كانت تنتظره الحقيبة الجديدة وأمسك بها وتهيأ للخروج مع والده ليركب القطار . . الى المدرسة الابتدائية . والمدرسة الابتدائية فى البندر بطبيعة الحال . ففى ذلك الحين لم يكن فى القرية أو فى أى قرية مدرسة ابتدائية .

حين بلغ القطار أركبه أبوه وتركه وحده يسير الى مصيره الجديد . ألم يكن من المناسب أن يركب معى ويذهب بى الى المدرسة الابتدائية انها مرحلة جديدة من حياتى ولاشك أننى سأحس بعض الرهبة وأنا أخطو هذه العتبة لأول مرة وبلى . ما هذا . ان تلاميذ كثيرين من البلدة يركبون القطار . أنا بينهم الوحيد الذى لا يرافقه أبوه .

والتقت العيون وتعرف أبناء القرية على فرغلى بل وتعرف عليه أيضا آبائهم . ماذا أصابهم . لماذا صرفوا عنه عيونهم لينظر بعضهم الى بعضهم . وما هذه الابتسامة الصارخة بالتهديد التى ترتسم على أفواههم . وما هذا التجاهل الذى يلقي به عليه آباء التلاميذ . أى شىء عجيب فيه يعرفه أبناء القرية ولا يعرفه الآخرون .



لم يلتق بهذه المشاعر فى مدرسة البندر الالزامية ولا التقى بها فى رواد المقهى أو من زملائه بها أو من صاحب المقهى • ربما التقى بالظلم أو بالضرب من صاحب المقهى أو بالسخرية العلنية من خطأ ارتكبه أو ملبس متهراً يرتديه • ولكن هذا النوع العجيب من التفاهم الصامت على الهزء به لم يعرفه الا من أبناء قريته هؤلاء •

وصل القطار ونزل متباعدا عن تلاميذ القرية • ولم يكن محتاجا الى دليل ليعرف الطريق الى المدرسة الابتدائية فقد عاش شهور الاجازة بالبندر ومن الطبيعى أن يعرف المدرسة الابتدائية التى سيتعلم بها • •

ودخل المدرسة وفى لحظات وجد التلاميذ قد أصبحوا جماعات متفرقة ووجد أبناء قريته جماعة وحدهم ومالبث أن وجد الكثيرين من أبناء مدرسته الأولى ولم يفكر أن ينضم الى أى جماعة وانما بقى وحده منفردا لا يجد أحدا يأنس اليه • فهو غريب عن أبناء قريته غربته عن أبناء مدرسته السابقة •

كانت فى مدارس ذلك الحين مقاعد طويلة أشبه بمقاعد البوابين متناثرة فى فناء المدرسة • اختار مقعدا مواجهها للباب يرقب منه التلاميذ الداخلين •

كان شلبى المبوع أول من دخل من جماعته القديمة • نظر اليه مليا ولم يره شلبى وان كان فرغلى ظن أن شلبى رآه وصرف عنه عينيه ولم يعجب فرغلى من هذا التصرف بل ان مافعله بشلبى فى معركة الأحذية هو الذى موه عليه صدق النظرة وجعله يظن هذا الظن • أسقط شلبى من تفكيره وظل محملا للباب ينتظر أن يرى عمران الفوال أو عطيه سيد أحمد أو فرحات عبد الباسط جماعته القديمة •

وقبل أن يأتى أحد منهم أحس يدا تربت كتفه والتفت ولم يصدق هنيهة ثم مد يده لشلبى الذى رآه فجأة يحييه .  
 لم يكن فرغلى يدرك بعد ان السفلة يغفرون لبعضهم البعض التصرفات السافلة عن طبيعة مواتية وغريزة لاتدبير فيها ولا منطلق لها . . او هم على الاقل لايحاولون البحث عن هذا المنطق . فالحقيقة أنهم يلعبون فى أرض واحدة ينعدم فيها الخلق وينمحي ماتعارف الناس عليه من أخلاق أو مثل .  
 وأسلحتهم التى يتعاملون بها واحدة لايختلف سلاح أحدهم عن سلاح الآخر وفى هذه الظلال من انعدام الخلق الذى اتفقوا عليه دون عقد شفهي أو تحريرى كل شئ مباح . فشلبى لم يغفر لفرغلى لانه طفل طيب يعرف معنى الصفح عن خطأ الصديق وانما غفر له لانه لو كان فى مكانه لصنع نفس الصنيع .

وجلس التلميذان متجاورين ، ومالبث أن جاء فرحات عبد الباسط وأعقبه عطية سيد أحمد وجلس أربعتهم على الدكة .

وبدا بينهم الحديث عما صنعه كل منهم فى الاجازة ولكن قليلا مادار الحديث بينهم . فقد فوجئوا جميعا بحركة غير عادية فى الفناء . انفرطت الجماعة التى كانت تضم أبناء القرية وتفرقوا فى أنحاء شتى يقف كل واحد منهم مع جماعة ثم ماثبت عيون هذه الجماعة أن تلتفت الى حيث يجلس الأربعة ثم يضحكون ونظر الأربعة بعضهم لبعض لايدرى أحد ماوراء هذه التحركات الا فرغلى . فقد أيقن فى رهبة زلزلت كيانه أن السر الذى لايعرفه والذى لوى حياته كلها عن طريقها الطبيعى هو الذى ينشر الآن على هذه الجماعات . هو يعرف أن الأمر متعلق به ولكنه لايعرف ماهو . كانت

لحظات ربما اكتملت دقيقة أو دقيقتين لم يدر وانما كانت للحظة عمرا مديدا كريها متراخيا متهرئا مقيتا كان يعرف أن شرا يلقي عليه شبابه ولكن لم يكن يدرى أى نوع من الشر ذاك الذى يكيدونه له ، لا يدرى مداه ولا عمقه ولا لونه ولا مدى الدمار الذى يتغشاه .

أصبح القدماء جميعا غيونا تحيط به من كل متجه ويسفلها ابتسامة فيها سخرية وفيها احتقار وكانت الوجوه المتجهة اليه تحمل سمات الوحش وقد وجد فريسة هو واثق من افتراسها فهو يسعى اليها فى غير جهد فيضيف الى لذة الافتراس لذة التمتع بدعر فريسته .

وراحت الجماعات تسعى الى حيث يجلس وكأنها على التباعد بينها قد تواعدت على اللحظة التى تتحرك فيها فى نظام عفوى منسق وكأنه مرتب فى دقة ومهارة .

حتى اذا أحاط تلاميذ المدرسة بالدكة ومن عليها خلع أحد التلاميذ رباط عنقه وربطه حول وسطه وصباح .

— على وحدة ونص ياواد .

وسحب لفظة الواد هذه فى ميوعة فاجرة فاذا التلاميذ جميعا وفى لحظة واحدة يصفقون تصفيق المتفرجين على الرقص واذا تلميذ آخر يتحزم برباط عنقه ويدخل الى الحلبة مع التلميذ الأول .

وينظر أربعة الدكة بعضهم الى بعض ويدرك فرغى أنه المقصود ولكن لا يدرى ما تحمله هذه الرقصات وهذا التصفيق ويقوم شلبى المبعوع ويتبعه عطية ثم فرحات ويبقى فرغى وحده ، وقد أنهدم كيانه فالرقص مستمر الآن له وحده وهو لا يدرى ماذا يعنيه هذا الرقص .

لم يجد شيئا يفعله الا أنه يتابع اصدقائه الثلاثة وقد اندس كل منهم فى ناحية من نواحي التجمع وراح يرى على وجه كل منهم معالم دهشة ثم سخرية لم يختلف واحد منهم عن الآخر فى هذين الانفعالين • ولم يعد أحد منهم الى مكانه من الدكة ولكن لم يشترك أحد من الثلاثة فى التصفيق الا شلبى المبعوع وقد انفرجت شفتاه عن ضحكه عريضة فيها كل الشماتة والسخرية ولم يكن غريبا الا يشعر نحو شلبى بشعور يختلف عما يحس به نحو التلاميذ جميعا ولم يحاول طبعاً أن يعجب من نفسه انها أخذت فى موقف شلبى مأخذاً طبيعياً وكأنها لا تنتظر غيره •

وضرب جرس البدء لليوم الدراسى وصاح التلاميذ مرة واحدة فى اتفاق وعلى غير اتفاق •

— هيبه •

واخيرا تمكن فرغلى أن يخلو الى فرحات •

— ماذا يقصدون ؟

— الا تعرف ؟

— ابدا •

— كيف ؟

— لا أعرف • لقد حصل مثل هذا تقريبا حين ذهبت الى مدرسة القرية ولهذا جئت اليكم فى المدرسة الالزامية •

— تريد أن تقول أنك لا تعرف •

— مطلقا •

— لاتعرف ماذا تعمل أمك ؟

- أعرف .
  - ماذا ؟
  - تعمل أُمى وزوجة أبى احيانا .
  - لا . لا . لا . قبل أن تكون أُمك وقبل أن تكون زوجة  
أبيك .
  - كانت بنتا مثل كل البنات .
  - فأنت أذن لا تعرف شيئا عن أُمك .
  - كيف ؟
  - البلد كلها عندكم تعرف .
  - كانت تمنعنى أن ألعب مع أحد .
  - معذورة .
  - لماذا ؟
  - حتى لا تعرف الحقيقة .
  - وما هى الحقيقة ؟
  - أُمك كانت غزية يا أستاذ .
  - ماذا ؟
  - كانت راقصة فى الموالد .
- وتجمد فرغلى يعجز كيانه عن التحرك . لقد جاءت  
اليه الحقيقة التى تفسر سنوات عمره الماضى جميعا . . كان  
يمكن أن تكون الحقيقة أى شىء الا هذا . . وصاح به  
فرحات :

- هيا -

ولم يلتفت الى نداء فرحات • وعاد فرحات يصيح •  
- ألم تكن تعرف أم لم تكن تريدنا أن نعرف ؟  
وفى وجوم شبه أبله هز فرغلى رأسه ويمنة ويسرة ولم  
ينطق •

- لا يهم -

ونظر اليه فرغلى فى دهشة ولم يقل شيئا •  
- لايهم فكل حقيقة ستعرف فى يوم من الأيام لاغير  
من الأمر شيئا انك كنت تعرف أو لم تكن تعرف المهم أنك  
عرفت وعليك أن تدبر مستقبلك على أنك تعرف وعلى  
أن كثيرا من الناس سيعرفون صدفة أو يبحثون حتى يعرفوا  
• • وجذبه فتحرك معه لأنه لم يكن يملك أن يقود نفسه أو  
يتحكم فى تصرفاته •

سار ذاهلا ولم يسمع شيئا من الأسماء التى يلقيها  
المدرس ليحدد لكل تلميذ الفصل الذى سيكون فيه وحتى حين  
سمع اسمه لم يعن بأن يعرف فصله وجره فرحات وذهب به  
الى الفصل فهو زميله فيه وأختار فرحات المكتب وجلس اليه  
وأجلسه معه • وأحس فرغلى أخيرا أنه يستطيع أن يخلو الى  
نفسه وأن يفكر •

أن الأم والأب من الأمور التى لا يختارها الأبناء • • •  
ما ذنبه بل وما ذنب أمه • • الذنب كله ذنب آبيه • • ولكن  
إكان يتصور هذا الذى يحدث لفرغلى الآن ؟

كل هذا لايهم • • لا يهم الآن الا شيء واحد كيف سأظل  
فى هذه المدرسة أربع سنوات • • كيف سأواجه الطلبة • •  
وكيف أعيش بينهم • • غزية • • راقصة موالد • •

وطبعا المدرسون سيعرفون وطبعا سيحاول بعضهم ان  
يسخر منى واين يجد فرصة كهذه حتى يظهر خفة دم امه  
وسيحاول بعضهم ان يجعل منه مشكلة اجتماعية وويل لفرغلى  
من هذا الذى سيحاول ان يساعده على حل عقده فان فرغلى  
لا يدري ان هؤلاء فى أغلب الأمر يضيفون الى العقدة الواحدة  
عدة عقبات لا يهيل الى حل واحدة منها . وسيحاول بعضهم ان  
يشفق عليه ويرد عنه الطلبة وهذه الشفقة هى شر ما تلاقيه  
نفس فيها ما فى نفس فرغلى من الحقد . . ستكون وبالا  
عليه أى وبالا . . وسيحاول بعضهم ممن يدعى الترفع  
والكبرياء ان يتجاهل الأمر وكأنه لا يعرفه وربما كان هذا  
أخفهم وطأة . . طبعا لم يفكر فرغلى فى هذه الأشكال من  
المدرسين ولم يصنعها ولكنه كان يفكر فى الكارثة ككل . .  
فى الكارثة برمتها بكل ما تحويه من خزي وذلة وأمهتان وألم  
دون ان يكون له يد فى ذلك جميعا .

كان المدرس يشرح الدرس . وبين كل حصة وحصة  
لم يخل الأمر من غمرة أو نكتة من طالب أو أكثر . وفى  
فسيحة الظهور لها عنه التلاميذ كجماعات ولكنه لم يفقد بعضا  
قليلا منهم يمر عليه فيلقيه بكلمة أو هزة وسط أو تصفيقه .  
وتحسب أصدقاؤه الثلاثة الموقف فحين وجدوا تحمس  
الصباح قد خف عادوا يلتفون حوله والعجيب أنه أحس أنه  
لم يفقد بين هؤلاء الثلاثة مكانته وكأنهم ينتظرون أن يكون  
زعيمهم مختلفا عن الآخرين حتى ولو كان هذا الاختلاف  
متمثلا فى رقص أمه .

وحين انتهى اليوم الدراسى أحس فرغلى آحساس الذى  
كان ينتظر نتيجة امتحان وتكشفت عن سقوطه فمشاعره  
مزيج من الشعور بالاطمئنان الى اليأس والراحة من القلق

وشعور بالمهانة والنجس أنه صنف آخر غير أصناف التلاميذ  
أجمعين . كانت نهاية اليوم الدراسي أخف وطأة من بدايته  
وأصبح هو يتحرى أن يبتعد ما وسعه الجهد عن تجمعات  
التلاميذ. فيما عدا أصدقائه الثلاثة . وعند الانصراف ذهب  
الى المحطة ورأى من بعد العربة التى يركب فيها تلاميذ القرية  
فأختار أبعد عربة عنها وأنزوى فيها صامتا منطرقا وقد  
عاوده أصرار الصباح الذى اجتاحه والذى لم يستطع أن  
يتبين منه الأمر الذى ينبغى أن يصر عليه . هو أصرار على  
مجهول ولكنه يحس به الآن يزداد عنفا وضراوة ومع هذا  
كان كيانه منسحقا لا يدرى لنفسه ذنبا فى هذا الهول الذى  
يلاقيه ولا يدرى أيضا أى أنسان يستحق أن يوجه اليه اللوم  
فيما يصرخ فى جنباته من أنين محموم مجنونون يثفجر به  
الجنون ويكتمه لا يظهر ولا يبين ولا يعرفه أحد . فكفاه  
خزيا أن يكون ابن راقصة ولاداعى بعد ذلك أن يكون مجنونا  
أيضا . . أو لا داعى على الأقل أن تظهر عليه أعراض  
الجنون .

ألم يكن أبوه يقدر هذا حين تزوج أمه . وإذا كان قد أساء  
الاختيار وتزوجها أكان لابد لها أيضا أن تلد . ماذا ينتظر  
هذان الأحمقان لابنهما أن يكون . باشا ؟! ألم يعرفا مصير  
أبناء الغوازي بين أبناء النسوة الأخريات . قد يكون بشأن  
هؤلاء النسوة شرا من شأن أمه . وربما كانت الغالبية  
العظمى فهن غير شريفات . ولكنهن لم يعرضن أنفسهن فى  
الموالد ولم يوصهن قدرهن بأنهن غوازي تلك الوصمة التى  
لا تترك المرأة حياتها جميعا بل وتلاحقها أيضا فى أبنائها وان  
كان الأبناء أبرياء . . نعم وان كان الأبناء أبرياء .

وصل القطار الى القرية وتسلل فرغلى من طريق بعيد



عن طريق التلاميذ وبلغ البيت • كانت أمه وأبوه ومعهما  
عمته تفيدة فى مدخل البيت • حاول أن يدخل الى حجرته  
مباشرة ولكن كيف ؟ سلم على عمته وقبلته ثم أمسكت كتفيه  
ومدت بهما ذراعيها الى أقصى مايمتدان ونظرت اليه مليا •

— وله • • مالك ؟

وأطرق ولم ينطق •

— هل زعلك أحد ؟

وهز رأسه نفيا •

— لم أستطع أن أشتري لك شكولاته فقد تركت مصر فى  
عجلة خذ نصف الريال هذا واشتر أنت مايعلو لك •

واختطف نصف الريال الورقى وجرى الى حجرته •

والتفتت تفيدة الى أمه •

— ماله الولد يا تحية ؟

— لأعرف • • ساعات كثيرة أجده كشر هكذا بلامناسبة •

— كان بودى أن أشتري له الحلويات التى يحبها ولكن  
عمك حسين لم يعرف أنه مسافر للتفتيش الا قبل السفر  
بساعة فاقترح أن أجيء معه لأراكم وأنتظره فى محطتكم وهو  
عائد • ياترى هل فرغلى زعلان لأنى دخلت بيدي فاضية ؟

وقال فهيم الموت :

— يا أختى تفيدة لاتشغلى بالك • ماذا يمكن أن يزعل  
منه عيل الا شغل عيال مثله • • ولايهمك •

ولكن زوجته تحية بخبرتها وأمومتها معا أدركت أن  
الأمر ليس بهذه الضالة وانما جارت زوجها فى الحديث •

— على رأيك • اذن فلن تببتي معنا الليلة •

— ياليت • • كان مناي • ولكن عمك حسين من يخدمه •  
لقد كبر الأولاد كما تعرفين وأصبحت أنا وهو وحدنا في  
البيت فإذا عاد من العمل لم يجد غيري وأظل أخدمه حتى  
يخرج ليقعد على المقهى وهذه الفترة هي التي أستطيع فيها  
أن أزور صديقتي أو أولادي لكن حتما أكون في البيت  
قبل رجوعه فان عاد ولم يجدني غضب كأنه عيل صغير •

— ربنا يخليك له •

— ويخليك ياختي العقبى لك حين تفرحين بفرغلي  
وتزورينه في بيت عدله ان شاء الله •

— سلمت يا حبيبتي •

وانبعث صوت من حجرة فرغلي كأنه أنين •

— أمه •

وحاولت تحية أن تتجاهله ولكن تفيدة قالت لها :

— قومي يا حبيبتي شوفي ابنك • • يمكن أن يكون  
جائما •

— ساعد له الأكل حالا • أنا أريد أن أجلس معك لي زمان  
لم أرك •

— ياختي ربنا يجبر بخاطرك • أنا ميعادي قرب •

وقالت تحية لتغير الحديث :

— وعم حسين أفندي مرتاح في الشغل •

— له أربعون سنة فيه • • ليس في مصر من يعرف

الأرشيف مثل عمك حسين وهو اسم النبي حارسه ذكي  
وشاطر .

وقال فهميم :

— أترأه متضايقا لقرب خروجه على المعاش .

— يا أخى يا فهميم انت تعرف حسين يرضى بكل شيء وهو  
عامل حسابه على يوم المعاش ومبسوط فى أمان الله . كل  
الذى سيتغير انه سيجلس على المقهى فى الصباح والمساء بدل  
أن يجلس عليها فى المساء فقط والمأهية تقريبا لن ينقص منها  
شيء .

— على رأيك .

وجاء الصوت المطحون مرة أخرى .

— أمه .

— قومى يا حبيبتي شوفى فرغلى . . . وانا فتك بعافية . .  
تعالى معى يا فهميم وصلنى المحطة تركبنى القطار وتسلم على  
حسين أفندى .

— أى والله لى زمان لم أره . . هيا بنا .

حين دخلت تحية الى فرغلى وجدته جالسا على حرف  
السريير ينظر الى فراغ . . باهت العينين جامد الوجه وحين  
توسطت الحجرة نظر اليها طويلا وفهمت هى كل شيء وكأن  
شيئا يتكلم فى داخلها . . شيئا غير انسانى ينطق عن حطام  
مدمر كل التدمير .

— أصحيح يا أمه . .

ولم يكمل . .

- - أمك أشرف واحدة فى هذه الدنيا كلها •
- - اذن فهو صحيح •
- - وماذا فى الأمر ان كان صحيحا •
- - لو لم يكن فيه شىء لتركنتى اللعب مع عيال البلد
- - ولتركنتى أروح المدرسة فى البلد •
- - خفت عليك •
- - والآن •
- - ماله الآن ؟
- - ماذا أفعل ؟
- - ضع اصبعك فى عين أعظم عظيم فيهم • • الفقر ليس
- عيبا وانا كنت أكل لقمتى بعرق جبينى ولو لم أكن شريفة
- ما أبقانى أبوك فى بيته كل هذه السنوات •
- - لافائدة من كل هذا •
- - اذا كنت تريد أن تغيظ من يسيئون اليك ذاكر وانجح
- - واطلع الأول عليهم •
- - اتظنين هذا ينفع •
- - لاينفع غيره •
- - أمه • • أنا اتبهدلت قوى يامه • اتبهدلت قوى
- - يامه •
- - والعجيب أنها وجدت نفسها تلقفه فى حضنها مع
- - أحزانه وكلاهما لايدرى ماذا يقول للآخر •

\*\*\*

لم يكن أمام فرغلي شيء يعمل به في البيت إلا أن يذكر ،  
أما في المدرسة فقد أصبحت عصابته المكونة منه ومن الثلاثة  
الآخرين هي مصدر تعطيم كل شيء جميل يملكه الآخرون .  
إن كان قلما سرقوه ، أو كان حلة حرصوا على أن يلبطوها  
بالخبر . وكان من الطبيعي أن يبيعوا ما يسرقوه ويتقاسموه  
ولكن فرحهم بالتخريب كان أعظم .

ولم يكن عجيبا أن يكون أربعتهم من الذين ينجحون في  
امتحانات الفترة وامتحانات آخر العام ولم يكن عجيبا أيضا  
أن يكون فرغلي من المتقدمين لأن الثلاثة الآخرين يستطيعون  
طبعا أن يلعبوا مع أصدقاء . ولو لم يكن فرغلي قد حثهم على  
المذاكرة حتى لا يفقدوا عطف المدرسين لما أصابوا هذا النجاح  
الذي يصيبونه دائما .

ووصل فرغلي إلى السنة الثالثة الابتدائية ولم تكن سنه  
متناسبة في سنته الدراسية فقد بدأ التعليم متأخرا ولكن  
السن لم تكن ذات شأن في هذه الأيام من حياة التعليم في  
مصر . كان فرغلي حينذاك يقترب من الرابعة عشرة .

٤

## انطلاق .. أم قيود

كان فرغلي في الأيام الأولى من السنة التي سيحصل فيها على الابتدائية ، والابتدائية في هذه الفترة من الزمان .. معناها أن يذهب التلميذ حين ينالها الى المرحلة الثانوية . وكان فرغلي قد انفصل تماما عن منزله . وقد استطاع أن يكتفى بصداقة الثلاثة الذين قبلوه على ما به من هذه الأمومة التي أثارت عليه سخرية التلاميذ ، وكان حريصا دائما ألا يتعرض للعب أو مناقشة مع تلاميذ آخرين . وأصبحت حكاية أمه الراقصة حقيقة لاثير الحماس في المدرسة ، ولكنه مع ذلك كان دائما يشعر بالقوة التي تهدده من الطلبة وكأنما تحذره هذه العيون ألا يتعدى المكان الذي وضعت فيه أمومته .

والعجيب ان التلاميذ لا يعرفون ولا يهمهم ان يعرفوا شيئاً عن مهن الآباء ولا يتناقل الطلبة شيئاً عن هؤلاء الآباء الا اذا كان الأب ذا وظيفة ملحوظة فى المديرية كالمدير أو وكيل المديرية أو رئيس فى مصلحة • أو اذا كان الأب صاحب سوابق من خريجي السجون أو من المقيمين به ولم يكن فى المدرسة أحد من هؤلاء • أما الأمهات فطبيعة الأمر تقضى أن يكن جميعهن غير عاملات • والفلاحات على ما يبذلن من جهد وجهاد فى الحياة لا يعتبرون فى نظر التلاميذ عاملات •

وهكذا شاعت الأقدار أن ينفرد فرغلى باهتمام التلاميذ بعمل أمه الذى تركته والذى لا يريد أن يتركها • وعلى كل حال فقد ساد التلاميذ ركود من الاهتمام بفرغلى أو أم فرغلى وساعد هو على أن ينسى التلاميذ أو يسكتوا على الأقل عن ذكر أمه أو تذكره بها •

وفى بداية الربيع كان فى منطقة قرية من قرية الديميرية مولد • وأحب الأب والأم أن يصحبا ابنهما الى هذا المولد فرفض رفضاً مطلقاً • ولم يناقشه أحد منهما فقد كان كلاهما يعرف تماماً الأسباب التى تجعله يصر على هذا الرفض •

• وذهب فهيم مع تحية ودخلا الترك مسرح المولد •

• ماهذا الشعور الذى تولى تحية •

انى أعيش • • هذا هو مكانى • كانى كنت فى قبر وعدت الى الحياة • بل كانى كنت فى بلد غريبة وعدت الى حيث يجب أن أكون • أو حيث أحب أن أكون • وجدت تحية الكثيرين والكثيرات من الزملاء وأحست من تحيتهم أن مكانتها عندهم لم تزل كما هى وتحسرت • فقد

اصبح من الصعب عليها أن تترك ابنها اليوم . فاذا كان  
ماضيها قد جعل منه هذا الفتى التعيس فكيف اذا انضم  
الحاضر والمستقبل الى هذا الماضي . . لا . . لا سبيل . . وداعا  
ايها المسرح . . وداعا يا ليالى السعادة أيام كنا نمرح فى  
شقائقنا ونستلذه وتذوق القلوب منا بهذا التصفيق ، وذلك  
الصفير ، وتلك القروش المعدنية أو الفضية أو الورقية وهى  
تلقى الى مناديلنا . كنا فى هذه الأيام نحس أننا فى قلب  
الحياة وفى شرايينها نصنعها كما تصنعنا ونطحنها كما تطحن  
كياننا ونفوسنا وكرامتنا .

أحس اليوم أننى واقفة على جسر الحياة وهى تمر لا تشعر  
بى وأشعر أنا بريحتها الخاملة تعصف بلحظات حياتى وتحيلها  
الى غصون على وجهى وشعرات بيض فى رأسى وملائة تملأ كل  
أيامى ونفسى . ولكن هيهات لا مكان لى اليوم الا هذا الجسر .

كان فهميم جالسا الى جوارها فى كواليس المسرح ينظران  
الى الراقصة التى حلت مكانها . وأحست تحية أن الرؤية الى  
المسرح ليست جديدة بها . فما هذا مكانها . انها لا تستطيع أن  
تكون متفرجة فى الحياة ومتفرجة فى المسرح أيضا . أحست  
شيئا خفيا يشدها أن تقف وأن تذهب حيث يتجمع زملاؤها  
وزميلاتها وقالوا ولكن هى لم تقل شيئا فجميعهم يعرف أنها  
أصبحت أم فرغلى فأى جديد أو جديدة يمكن أن ترويه لهم  
بعد ذلك . انهم هم وحدهم وهن وحدهن الذين يملكون أن  
يقولوا ويحكوا فهم يرون فى كل ليلة ما يصلح أن يكون  
موضوع رواية وحكاية .

اقترب منها الحاج وهذان أبو نار .

— توحة .



- وتخلجت لحظة ثم أفاقت • انها هى التى يقصدها •
- يوه يا حاج فكرتنى بالذى مضى •
- تعالى •
- عينى •
- لماذا لانعيد الذى مضى ؟
- وزوجى وابنى •
- الولد كبر وهذا الزوج يستطيع أن يجد غيرك ولكن مكانك هنا ••
- وكيف يا حاج •
- من غير كثرة كلام •• نحن قدامنا أسبوع •• فكرى وطبعاً لن تنضمي الينا الا ونحن مسافرون حتى لا يحاول زوجك أن يبعدك ويضايقك ويضايقنا •
- ياليت يا حاج •• كان من عينى •
- فكرى •• ياستى وهل سأخذك الآن •• قدامك أسبوع فكرى •
- لا أظن ••
- أنا منتظر على كل حال •
- ربنا يخليك •• يعنى مازلت أنفع •
- وهل شفتنى أرمى فلوسى •
- فشر •• أنت سيد من يعرف أين يحط قرشه •
- ناصحة •• فكرى وأنا منتظر •• مع السلامة •

اسبوع . . عادت الى البيت وخلا بها الصباح . فهيم في  
 المرحلة وفرغى في المدرسة . وهى وحيدة . ولا عمل . .  
 لا تنظيف للبيت الا أن يكنس ويعاد الى السريرين ما أشاعه  
 نيهما النوم من اضطراب . ثم لا حاجة الى طبخ الطعام .  
 فالطبخ لا يكون الا فى ايام قلائل من ايام الأسبوع . واطعام  
 الطيور لا يحتاج الى وقت كثير فما هى الا الساعة أو بعض  
 الساعة ثم يصبح اليوم كله خاليا بلا عمل . الملالة تملأ وقتها  
 جميعا . ولو كان زوجها يعوضها عن هذه الملالة اشراقا أو  
 حديثا يجعل حياتها سائغة ببعض الشيء لكان من الممكن أن  
 تتحمل هذا الفراغ القاتل .

ان فراغ الوقت وحش يكشر لها عن أنيابه فى كل أيامها .  
 وهو على قسوته رحيم اذا هى قارنته بالفراغ الذى مزق  
 ما بينها وبين ابنها . انه يحاول كل جهده ألا يكلمها . يحاول  
 أن ينسى أنها موجودة فى البيت فى اللحظات القليلة التى  
 يقضيها قبل النوم فهو لا يأتى من المركز الا قبيل موعد نومه  
 بساعة أو ساعتين على الأكثر . فقد أصر أن يعمل بالمقهى بعد  
 خروجه من المدرسة وحين جادلته أمه ازداد اصرارا وحين  
 قالت له :

- ألا تخشى أن يعيرك زملاؤك بأنك تعمل فى المقهى .
- أطرق وقد عض طرفه فى غيظ كظيم .
- هذا أبسط كثيرا مما يعيرونى به .
- ولم تكمل الحوار وعمل بالمقهى .
- ما بقاؤها اذن ؟

فهيم لم يكن بالنسبة اليها الا زوجا تزوجته لأنها تصورت  
 يومذاك أن كل أنثى لابد لها أن تتزوج وان كان هو أحبها

فهذا شأنه . ان كان هناك تردد فلا أثر لفهم فيه . انما هي تخشى على ابنها ولكنها . وهي تعمل الفكر يزداد اليقين في نفسها أن بقاءها شر لابنها من ذهابها . فهي في بقاءها تذكره دائما بانها رافضة وتذكر زمرة بنفسها وتلح في تذكيرهم بصورة لاتسمح لهم بنسيان هذا الأمر أو التغاضي عنه أو غفرانه . أما ان ذهبت فلا بد أن ينسوا أمرها بعد حين . قد يكون في ذهابها فضيحة ولكنها فضيحة مؤقتة ماتلبث أن تبتلعها الأيام الطوال أما بقاءها فضيحة مستمرة . ومن وجهة نظر أخرى أى فضيحة في أن تعود راقصة سابقة الى الرقص مرة أخرى . أى جديد في هذا . انها تكون فضيحة حقا لو كانت ستا محجبة في بيتها وخرجت الى الرقص . أما الراقصة تعود الى الرقص فأمر لا غرابة فيه . . . ومادام لا غرابة فلا فضيحة .



حين تركت تحية البيت وهربت أو ذهبت اختر أيهما شئت مع مسرح المولد فجع فهم . . فقد كان بسنداجة فائقة يظن أنه أنقذها من التشتت والضيق وتيه الليل وتناثر الحياة ومذلة اليد الممدودة والوسط المتأول ليوفر لها حياة البيت والزوجية والأهومة . ولم يفكر مطلقا أن مجتمع القرية رفضها أو هو أبى أن يفكر هذا التفكير مع أنه حين باع نصف الفدان الذي كان يملكه وبنى بيته بمنزلا عن القرية هذا الانعزال كان يفعل ذلك بعد أن أيقن أن مجتمع القرية يرفض زوجته ولم يشأ أن يجعلها تواجه هذا الرفض في بيته الذي كان داخل القرية مع سائر بيوتها . كان يدرك تماما أن انعزال بيته انما هو في الحقيقة انعزال زوجته عن

القرية جميعا وقد أبقي على بيته فى القرية حتى لا يقال انه باع البيت الذى تركه أبوه فنصف الفدان قد يهون ولكن البيت لايهون . ترى اكان هذا هو السبب ام أنه كان فى ذليلة نفسه يخشى ألا يدوم زواجه .

ولكن اليوم وبعد هذه السنوات الطوال وقد دام الزواج فعلا كان قد نسى غى زحام الأيام بعضها ببعض هذه الافكار . ولم يعد يتصور انه يمكن ان يعيش بغير تحية . وحين فكر قليلا وجد أنه مطعون ولكن فى شىء آخر غير الحب فنوع الحب الذى أحبه لتحية كان من شأنه أن ينتهى فى الأيام الأولى من الزواج . وقد كان يحس دائما أنها بعيدة عنه وأنه بعيد عنها فانفرادهما بالحياة جعل كلا منهما يحس العزلة عن الآخر فان الألفة لا تتواصل الا فى مناخ المجتمع العام الذى يشيع الدفء فى النفوس ويجعل الزوجين يحسان أنهما جزء من هذا المجتمع مستقل ومتصل . مؤتلف كل منهما مع الآخر ومؤتلفان كلاهما مع المجتمع حولهما .

يحسان بأنهما يعيشان الحياة فى تحية صباح من جار فى طلب أداة من سديق فى مشاجرة يشتركان فيها فى حديث يدور عنهما ويبلغهما به مستمع أو فى حدث يدور بينهما وينتقل عنهما الى أصحابه فى اشتباك الحياة وفروعها بالفرع الذى يمثلانه منها . أغلب الأمر أن آدم وحواء دبرا قصة التفاحة ليجثا عن مجتمع يعيشان فيه وليكن مجتمعا الشرقيه غالب على الخير وليكن مجتمعا القبح فيه أكثر من الجمال ولكنه وهو هكذا وبحالته تلك أحب الى نفس الزوجين من الوحدة والانفراد والعزلة . فهنا فى ظل هذا البعد تصبح الحياة جميعها جليدا هيهات فيه لألفة أن تنشأ أو تتواصل . هو طعين لا من حب تحطم ولا من ألفة تبددت وانما من شعوره أنه

لا يساوى شيئاً • حتى الراقصة التى جعل منها ست بيت تركته وذهبت ولم تحفظ جميله ولم يمنعها الوفاء بل ولم تمنعها الأهومة بل ولم يمنعها السحر أن تظل فى بيتها ست بيتها •

انه طاعين • وحائر • ومنهار •

أما فرغلى فكان أمره عجبا • وكان امر زملائه أعجب •

قد أحس أن شيئا كان يدهمه ويضع أنفه فى الرغام ويضغط عليه فى قسوة شرسة قد رفع عنه وأن رأسه تستطيع الآن أن تشعر بالحرية وان كانت لا تستطيع ان تشعر بالكرامة • لم يخش أن يعيره أحد أن امه تركت البيت لتعود راقصة مرة أخرى فماداموا قد عرفوا أنها راقصة فكل شيء هين بعد ذلك فليس هناك أى بأس أن تتكسر النصال على النصال وقد عرف المهانة فى أبشع صورها ولم تعد مهانة تخيفه بعد ذلك •

عجيبة هذه الحياة لقد خيل لفرغلى يوم أعلن عليه أمر أمه فى المدرسة أن أعمدة الحياة قد تهاوت وأن الحياة لا تستحق أن يحياها • بل طالما تمنى أن تنخسف به الأرض فلا يبقى منه فى الوجود شيء ولا حتى ذكرى فى قلب أبيه أو فى نبض أمه • بل انه كان يتمنى أن ينمحي هذان الاثنان بالذات • وكراهيته لأبيه كانت أشد من كراهيته لأمه • فهو لا يعلم لماذا أصبحت أمه راقصة ويقدر أنها ربما فرض عليها هذا الطريق فرضا ولم تختره • أما أبوه فهو وحده الذى اختار أمه تلك من بين نساء العالمين وجعل منها أما له • ولكنه مع الأيام تعود المهانة ثم هو بقدرة الهية عجيبة استشعر من هذه المهانة قوة فلم يعد يخشى شيئاً مما يخشاه التلاميذ • انه ينجح فى المدرسة لا لينال الشرف فهو يعلم أنه لا سبيل له الى هذا

الشرف أبدا • ثم هو ينجح لأنه لا يجد سببا يسقط من أجله وانسا كان يقول لنفسه انه يكتفيه سقوط أهله فلا داعي لأن يسقط هو نفسه أيضا • أصبحت هذه المهانة مصلا في دماثة يحميه من الشعور بمهانة أخرى • لا بأس عليه أن يشتم المدرسون والتلاميذ أمه وأباه • طظ • وماذا في هذا ؟ انه هو نفسه يتمنى أن يشتم أمه وأباه • لا بأس أن يحتقروه بل لا بأس أن يحتقره الفراشون • لا بأس لا بأس • لا بأس بأى شىء فكل شىء مقبول ومحتمل والانسان أقوى مايكون اذا وطن نفسه على قبول كل اهانة وليس يهم من قريب أو بعيد أن يكتسب هذه القوة من العزة والكبرياء أم من الذلة والمهانة مادام الطريق من أعلى الجبل والطريق من سفحه يلتقيان عند مكان واحد من الجبل حصين •

وهكذا وجد فى ترك أمه للبيت خيرا • وان كان هو سيقوم بغسل الهدمات القليلة فلا ضير فى ذلك عليه فقد تعود أن يغسل كل شىء فى المقهى • أما الطعام فقد كان يأكله خارج البيت أغلب الأمر فهو يشتري نصف رغيف أو رغيفا فى الصباح ليكون فطوره • وكان يتناول غداءه فى المدرسة فقد كانت المدارس فى هذه الأيام تقدم طعام الغداء • وكان يتعشى بالمقهى • وعلى أبيه أن يبحث عن وسيلة لطعام نفسه فان هذا أمر لايعنيه فى شىء •

لأمه أن تذهب من هذه الدنيا حينما تريد وكلما ابتعدت عنه ازداد هو شعورا بالأمان •

أمر واحد كان يشغله ولكن ما أقل ما كان يشغله لقد خش أن يجدد هرب أمه زياط التلاميذ حوله ويذكرهم بما نسوه من أمره • فهرب أمه عرف فى القرية جميعها فى ساعات معدودات وللقرية فى المدرسة تلاميذ • والتلاميذ شأنهم

شأن قريتهم بل شأن الناس أجسعين يحبون أن يلقوا الانبياء الى من لا يعرفها أو حتى لمن يعرفها ليروا هذه الدهشة التي قد لا تبقى على الوجوه أكثر من هنية . ولكن هكذا الناس يحبون أن يروا هذه الهنية وان كان الخبر يحطم قوما آخرين ويدمرهم ويجعلهم جذاذا ورمادا منسحقا وهباء وعدما . لا يهم . المهم هو هذه الهنية البلهاء وهذا الادهاش ثم التعليق .

كان هذا ما يخشاه فرغلي ولكن امر الناس عجيب . لقد انتقل الخبر الى المدرسة وذاع بين أرجائها وشاع ولكن التلاميذ الذين داسوه كحشرة يوم عرفوا أن أمه كانت راقصة التفوا حوله هذه المرة يواسونه في عطف وحب واشفاق بل في حساسية رقيقة عجيب أن تصدر ممن هم في مثل أعمارهم . لم يذكروا عن هرب أمه شيئا وانما كل ما فعلوه أن جماعاتهم كانت تناديه ليشاركهم اللعب أو يشاركهم الحديث .

والعجيب الأعجب أن أبناء قريته أصبحوا يزورونه دائما في المقهى بعد الفراغ من المدرسة . ويصرون أن يذاكر معهم اذا عاد الى القرية ويلازمونه أو يرغمونه على أن يلزمهم في أيام الجمع والأجازات .

من يستطيع أن يحلل هذا المجتمع . كيف يرفض ابنا لراقصة سابقة ويقبل هذا الابن نفسه حين تصبح أمه راقصة عاملة . ترى هل بعدها عن البيت هو الذي صنع هذا التناقض أم شعورهم بأن الابن أصبح من غير أم . أم هو مجتمع هوائي يميل حين يميل ويشيح حين يشيح بغير منطق في الميل أو الاشاحة . كابن عمار الذي يذكره البيت الشهير يعطى ويمنع بخطر من هو أجسه لا عن بغل ولا عن كرم .

عجب فرغلي واستقبل حياته هذه الجديدة وسرعان

مانعهم بها ولكنه مع ذلك مطلقا لم ينس أنه يتلقى الصداقة عن  
شفقة لا عن حب وانها تكال له بمكيال المهانة لا بمكيال  
المساواة . لم تكن نفسه من هذه النفوس التي تنسى فهو  
يستقبل هذه المشاعر الجديدة في استسلام لها ولكنه في  
العميق العميق من دوائله لا يكن لكل هؤلاء الأصدقاء الجدد  
الا الكراهية والحقد الدفين المستعر .



٥

## البحث عن كرامة

**كان** فهيم أيام كانت زوجته فى بيته ينتهى من عمله  
ثم يذهب من فوره الى البيت مقدرًا أنها وحيدة ظانا أنه  
يؤنس هذه الوحدة التى تعانىها •

فحين تركت تحية البيت ظل أياما يعود الى البيت فيجد  
نفسه منفردا فيه فابنه فرغلى لايعود الا فى الساعات الأولى  
من الليل ليذاكر ثم لينام • وحتى اذا وجد فرغلى فليس  
هناك من حديث بينه وبين فرغلى • ان فرغلى بالسسبة اليه  
كتلة صماء لا ترسل ولا تستقبل وهو لا يدري من أمره شيئا أو  
يكاد •

ولكن الوحدة جعلته يبحث عن فرغلى فى أيام الأجازات •

وعرف أنه بالقرية • وتبين لأول مرة أن فرغلي لم يذهب إلى  
القرية إلا بعد أن تركت أمه البيت • ودعش لهذه الحقيقة •  
وأعمل فيها فكره • ولم يستطع أن يتصور أن زملاء فرغلي  
ولداته كانوا يرضون مسجته وأمه ست في بيتها وقبلوا هذه  
الصحة وأمه راقصة في الموالد • ولكنه على كل حال وجد  
مهربا من وحدته • لماذا لا يذهب هو أيضا إلى القرية •  
ويجلس على مصطبة الحاج هنداو • فقد طالما جلس إليها •

واستقبله الرجال استقبالا طيبا فهو وإن كان قد  
انقطع عن مجالستهم إلا أنهم هم لم ينقطعوا عنه • فجميعهم  
كان يأتي إلى المحطة لشأن أو لآخر •

وفي الرجال غلظة قد لا تكون عند الصغار أو إن شئت  
الدقة في التعبير فإن القسوة عند الرجال تختلف عن القسوة  
عند الصغار فما كان الرجال مثلا ليصنعوا ما صنعه الأطفال  
بفرغلي حين عرفوا أن أمه كانت راقصة • ولكن الصغار أيضا  
لم يصنعوا مع فرغلي ما صنعه الرجال بفهم •

— فرحنا لك والله يافهم •

— وفيم الفرح يا حاج هنداو •

— لقد أسأت الاختيار من أول الأمر •

— قسمة •

وقال آخر :

— ولكنك تبدو حزينا •

— العشرة لا تهون إلا على ابن الحرام •

وقال آخر :

— والله ما ابن حرام الا هي التي جعلت منها ستا وأما  
لابنك ثم تركتك •

وقال آخر :

— في ستين داهية •

وقال فهميم :

— أنا الغلطان •• تزوجتها وأنا لا أعرف عن أصلها  
شيئا •

وقال آخر :

— وهل لمن ترقص في الموالد أصل ، لابد أن أمها كانت  
مثله •

وقال آخر :

— ولابد أن أباه ديوث يلم النقطة على زوجته وابنته •

وقال هنداوى :

— كانت تقول ان أباه عمدة ولكنها كانت غاوية  
الرقص •

— وصدقته ؟

— لم أفكر في تصديقها أو تكذيبها •

— لو كان ماتقوله صحيحا • وهو طبعاً غير صحيح • لكان  
عليك أن تفارقها قبل أن تأتي لك بفرغلى • ان من تترك بيت  
العمدة لتعمل راقصة ستترك حتما بيت العدل لتعود الى  
الرقص •

— في أول الأمر لم أكن أفكر الا في الزواج بها •

- المهـم ماذا تنوى ان تعمل •
- العمل عمل ربنا •
- أبقى بيتك بغير مرة تنظفه لك وتطبخ أكلك وتليف،  
ظهرك •
- والولد •
- ماله ؟
- تكون له زوجة أب •
- وهل هو أول ولد له زوجة أب ؟
- أتعرف لى أحدا يا حاج هنداوى ؟
- واشمعنى تسألنى أنا •• على كل حال النسوان على  
قفا من يشيل •
- وقال آخر :
- طبعا انت يلزمك عزبة •
- طبعا وهل يمكن لمن هو فى سننى أن يتزوج بكرا ؟
- وقال آخر :
- من ناحية السن يمكن انما البكر كمسا تعلم تحتاج  
مهر كبرا •
- ونحن مالنا ولهن •• نتكلم عن العزباوات أحسن •
- تعجبنى •
- الحقيقة يامتولى أنى أريد أن أتزوج بأسرع مايمكن •
- عجيبة •• كنت من دقيقة تقول الولد وزوجة الأب •

— كلام تعودنا نسمعه على من يمرض عليه الزواج وهو  
أب • قلته كما يقوله الناس • • يا سلام يامتولى لازم تحاسبنى  
على كل كلمة •

— المقصود •

— المقصود أن أتزوج بأسرع ما يمكن حتى تعرف بنت  
الكلب أننى أقدر أتزوج ست ستها •  
— وأنا عندى طلبك •

— صحيح من ؟

— شهاوى بنت سليمان أبو منصور •

وقال هنداوى :

— ناصح والله يامتولى •

وقال فهميم :

— ونعم ما اخترت بنت منكسرة ولا تقول العيب وليس  
عندها الا ولد واحد وهو كبير ويروح المدرسة فلن يضايقك •

وقال فهميم :

— زوجها الله يرحمه كان صاحبى •

— ماذا قلت :

— نتوكل على الله •

\*\*\*

لم يكن هذا الزواج ذا أثر على فرغى الا أنه أعفاه من

غسل هدمه • فهو لم يكن يلم بالبيت الا لينام أو ليذاكر  
وجود امرأة أو عدم وجودها أمر ليس ذا أثر عنده • وهو  
لا يهمه أن يكون أبوه مستريحاً أو غير مستريح • فالهوة التي  
تفصل بينه وبين أبيه أكبر من تلك التي تفصل بينه وبين  
الحياة •

ولكنه في خبث شديد اتخذ من وجود هذه المرأة في  
البيت وسيلة لينفذ أمراً كان يتوق إليه منذ سنوات ولكن لم  
يكن يجروء أن يمسس به الى نفسه وانما كان يكتبته في بئر  
عميق تعود أن يلقي فيها بآمال وأحلام كثيرة يعلم أنها قد  
تكون مستحيلة ولكنه في نفس الوقت مصمم على تنفيذها •

في نفس اليوم الذي حصل فيه على شهادة الابتدائية علم  
أن زوجة أبيه حامل • وترك أباه يفرح بخبر زوجته ولم  
يشأ أن يخبره أنه حصل على الشهادة • لقد بخل على أبيه أن  
يعرف خبرين مفرحين في يوم واحد • فهو مع كراهيته لأبيه  
يعلم أن أباه يحب أن يتفاخر بنجاحه بين صحبه وإخوانه •

**في اليوم التالي أيقظه أبوه من الفجر :**

- فرغلى •
- نعم يا آبا •
- نتيجة الابتدائية ظهرت البارحة •
- نعم أعرف •
- وأنت هل سقطت ؟
- لا •
- لا • لا ماذا ؟

- - أنا نجحت
- - ماذا تقول ؟
- - نجحت
- - ولماذا لم تخبرني ؟
- - كنت مشغولا بخالتي شهاوى
- - وهل يمنع هذا أن تخبرني بنجاحك .. النهاية ..
- - هات قبلة وخذ خمسين قرشا مكافأة لك
- - كثر خيرك
- - واغسل وشك وتعال ..
- - حاضر

\*\*\*

- - ماذا تنوى أن تعمل ؟
- - فيم
- - كثيرون يستطيعون أن يتعينوا بالابتدائية
- - تعيين أغبر
- - فأنت تريد أن تكمل
- - نعم
- - توكلنا على الله
- - لن أكلفك شيئا

- كيف ؟
- وهل كنت أكلفك شيئاً ؟ ألم أكن أعمل ؟
- أنت تعرف أن الحمل سيكون ثقيلاً فأنا الآن أنفق على سيد أحمد بن شهاوى كما سأنفق على المولود الجديد .
- يا آبا لاتخف لن أكلفك شيئاً .
- على كل حال أنا اتفقت أن أبيع هذا البيت .
- ماذا . . . وأين نعيش ؟
- فى بيتنا فى البلد . . . ليس هناك داع أن يكون لنا بيتان .
- ولكنى أريد شيئاً آخر .
- ماذا ؟
- أريد أن أذهب الى مصر .
- الى مصر . . . ماذا تعمل هناك ؟
- أتعلم فى مدارس مصر وأعيش مع عمى تفيدة .
- وصمت فهيم وحملق فى ابنه . . . الفكرة حسنة من كل الوجوه فتفيدة تحبه وحالتها المالية منتعشة بمرتب زوجها وبما يعطيه لها أبنائها من معونة فأحدهما طبيب والآخر مهندس وهما وان كانا فى أول حياتهما الا أنهما يستطيعان دائماً أن يبرا أمهما وأباهما . ولكن .
- الفكرة لا بأس بها والله يافرغلى .
- اذن فأنت موافق .
- ولكن ألم تلاحظ شيئاً ؟



— ماذا ؟ .. أولاد عمّتك ممدوح ويئيبى لم يزرنى أحد  
منهما أبدا ولا حتى حسين .. منذ تزو ...

— أكمل يا أبى .. نعم منذ تزوجت أمى لم يزرك أحد  
منهم .. لهم حق ولماذا يزور ناس محترمون مثلهم بيتا الست  
فيه رقاصة ؟

— اخرس لاتقل هذا عن أمك ..

— أمى .. الأم يا آبا لاتترك ابنها ..

— اخرس ..

— حفظت بيتا فى المحفوظات ؟

— تكلمنى بالشعر ؟

— حفظته بعد أن تركتنا زوجتك بأيام قليلة ..

— ترفض أن تقول أمى ..

— البيت لشاعر عربى يعتبر أعظم الشعراء وربما

سمعت عنه اسمه المتنبى ..

— لا يهم ..

— البيت يقول :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

ألا تفارقهم فالراحلون هم

فهمت يا آبا ..

— لا ..

— أحسن فالحال معنا مقلوب وهى التى رحلت وليس نحن

ولكن تعرف يا آبا أن ذهاب أمى أحسن شىء عملته فى

حياتها لتصلح ماعملته أنت .. المهم أريد أن أروح لعمتى ..

- افرض أنها رفضت .
- لا يهم .
- أخاف ان تخجل وتنكسف .
- ليس هناك شيء أصبح يخجلني أو يكسفني .
- لماذا ؟
- أنت فرضت على هذا .
- أنا ؟
- ألسنت أنت من اختار لي أمي ؟
- أخرس .
- لقد قلت ما أريد وليس يهمني أن أخرس الآن . أنا ذائب الى عمتي تفيدة ولا تنس أنها هي لم تنقطع عن زيارتنا مطلقا .
- ألا تنتظر على الأقل حتى تنتهي الإجازة ؟
- لا يجوز لمثلي أن تكون له إجازة .
- ماذا تعني ؟
- أعني أنني يجب أن أذهب من الآن حتى أبحث عن عمل أعيش منه .
- عمل ؟
- نعم .
- مثل ماذا ؟
- مثل قاه في مقهى أو فراش في شركة أو ماسح احذية أى شيء .

– تكون حامل ابتدائية وتعمل ماسح أحذية •

– أنا لأحمل الابتدائية وحدها ولكنى أحمل معها رقص  
أمى وفقر أبى • ألم أقل لك ان شيئاً فى الوجود لا يستطيع  
أن يكسفننى •

– أعوذ بالله • • هل أنت بنى آدم أنت ؟

– أنا البنى آدم الذى صنعته أنت يا أبأ •

– اذهب حيث تشاء •

– أنا فعلاً ذاهب •

– غدا •

– بل اليوم •

وهكذا لم يتح لفرغلى أن يكون واحداً من القرية مطلقاً •  
فقد عاش طفولته الأولى فصيلاً واحدة لا يخالط أحداً • وحين  
عرف السبب أصبح يتمنى أن يزداد انعزالاً حتى اذا قبله  
مجتمع القرية لم يدم هذا القبول أكثر من شهور كان اجتماعه  
فيها بأبناء قريته لساعات نادرة لاتكاد تحصى • فحين أذن  
القدر أن يصبح بيتهم من بيوت القرية وتتمازج أسرته مع  
أسراتها فى هذا النسيج البشرى الذى يعرفه الناس كل الناس  
فى كل القرى • فضل هو نفسه عن هذا النسيج ليذهب الى  
القاهرة هناك حيث كل بيت نسيج وحده لاتلتحم خيوطه مع  
أنسجة البيوت الأخرى فقد أصبحت القاهرة منذ ذلك الحين  
تمثل المجتمع الذى لايجتمع فأبناء العمارة الواحدة قد  
لايتعارفون فكيف بأبناء الشارع أو أبناء الحارة ، وان  
تعارفوا فزيارة تجيئها زيارة ليس فى القاهرة هذا المجتمع  
الذى تتداخل الخيوط فيه لتكون ثوبا واحداً هو القرية  
المصرية •

فى القرية كل انسان جزء من كل انسان • فى المدينة الانسان له حدوده ومعالمه الواضحة البيئة المساحة بلا تمازج ولا مشاركة الا اذا ائتلف صديقان او التأم بضعة أفراد ولكن هذا الائتلاف أو ذلك التآخى يكون وليد وحدة مشاعر أو وحدة تفكير وكثيرا بل كثيرا جدا ما يكون وحدة منفعة وليس من أثر لوحدة المكان مطلقا فى هذه الصلات •

وفرغى وهو فى طريقه الى القاهرة لم يكن ينوى أن يقيم صلات أو ينسج علاقات وانما كان ذاهبا وهو يعرف تماما الى أين هو ذاهب ولماذا وكيف ؟

بل كان يعلم أنه يستطيع أن يصل الى الهدف أو الأهداف التى يتغياها ويعرف اليها بدلا من الوسيلة عدة وسائل • وكان مطمئنا أنه يملك شيئا لا يملكه الا القلة النادرة من الناس ان أمه راقصة ومن كانت أمه راقصة فى المجتمع المصرى فهو يملك شيئين لا يتاحان لغيره •

يستطيع أن يلح وأن يقبل أى حذاء وأن يضع رأسه حيث تأنف الأحذية أن تضع نفسها هذه واحدة •

وأما الأخرى أن الناس لن يستغربوا هذا منه اذا عرفوا أنه ابن راقصة •• وأنهم يحبون من يجعل منهم آلهة ، ومن أكثر مقدرة من ابن الراقصة على أن يجعل عباد الله آلهة •

انه عملة نادرة يحب كثير وكثير جدا من الناس أن تكون فى حوزتهم •

## وحيد في الزحام

**كان** استقبال عمته له ترحابا وسرورا ، الأمر الذي لم يكن يتوقعه بل الأمر الذي لا يتوقعه من أحد فقد كان يمتقد أنه لن يكون موضع ترحاب أبدا . أنه لم يسمع هذه الأهلا الممتدة التي يحمل امتدادها الشوق والسرور بروية القادم موجهة اليه منذ وعى الأشياء وعرف ذهنه معنى المقارنة . كان يسمع هذه الأهلا بين التلاميذ بعضهم وبعض أحيانا وكان يشهدا من صديق في المقهى الى صديق آخر وربما كان افتراقهما لم يمض عليه أكثر من سحابة نهار وكان يراها في القرية من حين الى آخر . أما الأهلا الموجهة اليه فقد كانت اما مقتضبة قصيرة لاتحمل السخرية ولا تحمل

أيضا السعادة برؤيته وكانت تلك خير أهلا يقابل بها أما  
الأهلا التي تمودها ولم يعد يضيق بها من كثرة ماتعونها  
فهى تلك التى يلحق بها كلمة ياسيدى تحمل فى نغماتها اما  
الضيق أو الاحتقار أو هى تحمل فى خير حالتها معنى الواجب  
الذى يقوم به من يقوم به كصدقة أو زكاة واجبة لا يستطيع  
منها فرارا -

أما عمته فاستقبلته بهذه الأهلا المرحبة وزاد من فرحه  
بها أن عمته كانت تعلم أنه قادم ليقيم معها فقد أرسل اليها  
خطابا قبل أن يفتح أباه وأجاب عنها زوجها بالموافقة  
والترحيب فهى اذن ليست أهلا عفوية تستقبل بها ابن أخيها  
الذى «طب» عليها فجأة بدون انذار والذى تتوقع اقامته ليوم  
أو بعض يوم - هى تعلم أنه قادم قدوم اقامة لانزوح ، وبقاء  
لا زيارة - فهذه الأهلا اذن أهلا واعية تدرى تماما معنى  
مجيئه ومع ذلك فهى طويلة مرحة فيها سعادة وفيها  
فرح -

وحين جاء زوج عمته حسين أفندى تكرر الترحاب  
بصورة ربما كان فيها كثير من المبالغة أو هكذا تخيل فرغلى  
على الأقل -

وحين نزل الى القاهرة أصابته تلك الرعشة التى تصيب  
أمثاله من الزاحفين الى زحام القاهرة من حقول الريف - هذا  
التركيب الهندسى والبشرى ووسائل المواصلات المتقاطرة هذه  
تبدو له جميعا عالما بغير معالم كناظر لقادم عليه والشمس  
فى عينيه لا يتبين الوجوه وانما يتبين الشخوص - بل انها  
تمثلت فى ذهنه كصور الشخوص عند انسان ولد أعمى  
فهو يتخيلها ولكنه لا يستطيع أن يتمثلها أو يتصورها - كانت  
الشخوص تمر أمامه كأنهار أفكار يزحم بعضها بعضا

فلا تتميز فكرة عن فكرة ولا تتحدد معالم شخص بذاته انما كلهم يزاحم الحياة ويرتضيها وكان سياطا من الزمان تلهب حياتهم •

تلك هي الدار الجديدة • مسبحه الذي ينوى أن يغوص فيه ويصبح على الأقل في أول الأمر - مثل واحد من هؤلاء ثم حين يمكن أقدامه من الأرض الجديدة لابد أن يخرج من بر الآمال والنوايا محتوياته • ولكن هل ستتيح له هذه الأرض الخالية من الطين والتي لا تعرف المحراث والتي استوى سطحها وأصبح ناعما أن يمكن أقدامه فيها •

ان له أظافر حادة سنها على مسن الكرامة الضائعة وهو واثق أنها أقوى من أى أظافر أخرى تكسوها العزة أو يكسوها الغنى أو يفسك بها الخير أو الخوف ، غريق هو في بحر اللاكرامة فما خوفه من البلبل •

مرت أيام كان يترك فيها بيت عمته من الصباح الباكر بعد أن يخبرها أنه لن يأتى الا فى المساء وينزل الى المدينة ومع هذه الجنيهاات التى استطاع أن يدخرها من عمله بالمقهى وكانت تمتد بنوع من الطمأنينة على قلبها • فهو لن يحتاج لغير قروش فهو يركب أى ترام يصادفه ويتركه يمضى به لا يتغيا غاية محددة وانما يهدف الى هدف كلى واسع ضخم • انه يريد أن يبتلع فى ذهنه وفى كيانه هذه المدينة التى تبتلع من فيها •

وما أسرع ماتبين فى هذه الأيام أنه هنا هبأة لا يراها أحد ولا يعنى أحد أن يراها • انه هنا كيان آخر غير الكيان الذى عرفه لنفسه فى القرية أو المدرسة أو حتى المركز كان فى القرية محققرا ومعنى هذا الاحتقار أن زملاءه يحسون

بوجوده، ويحتقره، ويأثرون أن يشاركهم في اللعب .. حتى إذا تركته أمه قبلوه معهم . نهم على الحالين يحسون به ويدركون وجوده ولينفوه عن مجتمعهم أو يقبلوه .. لا يهم .

وكذلك كان شأنه في المدرسة . فكل تلميذ في المدرسة يعلم أن بينهم تلميذاً أمه راقصة والقدامى يبلغون الجدد . وليحتقره منهم من يحتقره وليشفق من يشفق وليرفضه من يشاء أن يرفضه ولكنه على أية حال من هذه الأحوال موجود عند تلاميذ المدرسة أجمعين .

وكذلك كان شأنه في المقهى يحسون بوجوده حين يوجد وبغيابه حين يغيب .

ولكن هذه القاهرة العريضة لم يشعر انسان فيها أن فرغى قدم اليها من الديميرية. الاعمته وزوج عمته . أما كل هؤلاء فلا يدرون من امره شيئا وهم أيضا لا يدرون أنه ابن تحية الراقصة التي تعمل حالياً في الموالد والأفراح .

موقف جديد لم يتعود عليه ولم يدرك سعيد هو به أم غير سعيد . لعله كان أكثر استمتاعاً بمشاعره في القرية أن المجتمع يحس به ويعلم بوجوده حتى وإن صاحب هذا الاحساس وذلك العلم احتقار أو اشفاق أو اذلال .

لعله يحس الآن أن اهمال شأنه أشد وقعا على نفسه من المهانة . ولكنه مع الأيام أدرك شيئاً لم يكن قد أدركه أن أبناء القاهرة جميعاً لا يحس أحد منهم بالآخر فكل انسان في القاهرة عالم قائم بذاته وحين وصل الى هذا الادراك أحس راحة وهدوءاً ، وحين ألقي نظرة الى المستقبل داخله الرضا فما يلبث أن يكون قريباً عالماً هو أيضاً بذاته له أصدقاؤه



وله محيطه من زملائه التلاميذ أو من في العمل يحادثهم  
ويحادثونه ويظل كل منهم مستقلا عن الآخر بآماله وطموحه  
ومسالك حياته ودروب مستقبله .

• جلس الى عمه حسين .

• - عمى أنا تفرجت على مصر .

• - كلها .

• - أغلبها .

• - وأعجبتك .

• - لا أستطيع أن أحكم الآن .

• - ومتى تحكم .

• - لا عجلة .. فأنا باق بها سواء أعجبتنى أم لم ..

• ولكن .

• - ولكن ؟

• - أريد أن أعمل .

• - ماذا تريد أن تعمل ؟

• - كنت أعمل فى مقهى بالمركز .

• - ولكن هذا عمل لا يليق هنا .

• - بالعكس . فى المركز كانوا يعرفوننى ومع ذلك لم

أجد غضاضة فى أن أعمل بالمقهى .

• - لانهم هناك يعرفونك لا غضاضة .. أما هنا فهم

لا يعرفونك ولا يعرفون شيئا عن .. عنك وسيكون عنوانك

الوحيد أمامهم جرسونا فى مقهى .

— ابن الكلب يشير الى أمى مرة أخرى • • طبعاً سأجدها أمامى دائماً وهل فى هذا شك •

— ليس من الضرورى أن تكون المقهى قريبة من بيت حضرتك فى أى مكان غير المنيرة والسيدة •

— اسمع أتريد أن تعمل أى عمل أم لابد أن يكون عملك فى مقهى ؟

— أى عمل طبعاً •

— اترك هذه المسألة لى •

— بعد الظهر طبعاً •

— ياسلام ياسى فرغلى • • وهل أحتاج الى ذكر هذا أظننى أرى أن أجعلك تترك المدرسة من أجل العمل ؟  
— ربنا يبقيك لنا ياعمى حسين أفندى ويطيل عمرك •

\*\*\*

لم ينجز حسين أفندى وعده سريعاً • ومرت الأيام وأدرك فرغلى أخيراً وبكثير من المرارة الحقيقة التى كانت خافية عليه وراء الترحيب الذى استقبله من عمته وزوج عمته • لقد كان الزوجان منفردين فى المنزل وقد خلا بهما بعد أن تزوج ولداهما المهندس المعماري ممدوح والطبيب الباطنى يحيى • لم يكن مرتب حسين أفندى يتيح له أن يستأجر خادمة الا اذا كانت طفلة صغيرة سرعان ما تترك البيت ضيقاً بكثرة العمل وضالة المرتب • فكان فرغلى يستطيع دائماً أن يوفر على عمته البحث عن بواب ليشتري لها لوازم البيت ولا بأس أيضاً أن يعاونها فى عمل البيت ما استطاعت الى ذلك من سبيل •

وبنفس تعودت ان تقبل كل شيء أصبح فرغلى هو المسئول الرسمي عن شراء الأطعمة وغيرها من الأسواق وحتى اذا وجدت الخادمة الصغيرة فهو الذى يقوم بهذا العمل • ولم يجد فى ذلك ما يضيق به بل لعله احس بشعور من الراحة حين حاول أن يتعمقه • عندما تقدمت به الأيام أدرك أنه كان يريد أن يحس ان بقاءه ليس صدقة وأنه هو يقدم شيئا ذا فائدة فى البيت الذى يأويه •

وحين بدا العام الدراسى بدأ يذهب الى مدرسة الخديوى اسماعيل القريبة كل القرب من حارة البابلى التى تسكن فيها عمته فلم يكن شراء ما يلزم للبيت يكلفه أكثر من نقطة مبكرة بعض الشيء •

ولكن اهمال حسين أفندى لمطلبه أسخطه غاية السخط وخيل اليه أنه يريد أن يستصفيه لعمل البيت فى الصباح والمساء وقد فرغلى أنه بذلك يكون ما يقدمه من خدمة أكثر كثيرا مما يناله من أجر • فقد كان يتناول غدائه بالمدرسة فلم يكن يكلف عمته الا لقمة وقطعة من الجبن والحلاوة فى الصباح ومثلها فى المساء الى جانب المبيت ولايساوى هذا أن يكون خادما لليوم كله • ولكنه أدرك على كل حال أن عمه حسين لن يحاول أن يجد له عملا حتى لا يخسر فيه الخادم الذى يقوم بطلبات البيت •

وفى صمت راح هو يبحث فى السيدة زينب وفى شارع خيرت عن مكان يمكن أن يعمل به بعد الظهر • فهو يعلم أن أباه لن يقدم له الا مصاريف المدرسة التى تجهد جهدا شديدا •

فكر أول ما فكر أن يعمل فى مقهى ولكنه خشى أن يلحقه

بالمقهي تلميذ ممن يعرفونه بالمدرسة • والمقهي عمل علني لا سبيل فيه الى الاستخفاء • وفكر ولكنه سخر من نفسه وهو يفكر • • انما يفكر من يملك الاختيار وهو لا يزيد عن سلعة تعرض نفسها على من يقبلها دون حتى أن تملك المساومة في السعر • انه سلعة لا تختلف عن الشيء الذي يجري عليه البيع والشراء الا أنه هو الذي يبيع نفسه بل هو في الحقيقة أحط من ذلك انما هي الحاجة التي تبغها ولا يملك لسيطرتها بها دفعا ولا لأمرها مناقشة •

والعجيب أو ربما لم يكن عجيبا أن يشعر بالتححرر وهو يبحث عن وظيفة يصيب منها بعض المال ، هذه الحرية التي يحس أنه ينعم بها وحده دون سائر الناس • انه لا يملك شيئا يضيقه وربما ضاق بعض الشيء حين ثناه عن عمل القاهي خوفا أن يراه تلميذ زميل له • فهم في مدرسة الخديوي اسماعيل لا يعرفون أنه ابن راقصة موالد وربما استطاعت الظروف أن تخفى عنهم هذه الحقيقة الى أن يترك المدرسة • على أية حال كان بحثه عن الوظيفة يشغله عن كل شيء وقد استطاع اهتمامه أن يجعل جوبه للقاهرة من أقصاها الى أقصاها أمرا له مبرره بعد أن كان يجوبها للتعرف عليها فقط •

وكان ينزل الى الحى فيمشى فى شوارعه على غير هدى حتى اذا وجد مقهى جلس اليها وحاول أن يتقرب الى القاهي بوسيلة أو بأخرى حتي اذا أحس أن الأنظار بدأت تلتفت اليه قام وراح يضرب فى طرقات الحى •

ولم يستطع انشغاله هذا أن يبتعد به عن توقع قيام الحرب العالمية حتى اذا أعلنت الحرب لم تأخذه على غرة • ولكن الحرب لم تكن ذات أثر فى القاهرة أول الأمر ولم يفرض

الاضلام على القاهرة فور قيام الحرب ولكن الأمر كان منتظرا  
بين يوم وآخر .

واستطاعت الحرب ان تدير بين الناس حديثا لا ينتهى  
وكانت المفاجآت الحربية التى تحدث تجعل الناس فى مصر  
يشعرون أنهم فى حفلة سينمائية لفيلم لا نهاية له ولا معنى  
له أيضا . وكطبيعة الشعب المصرى كان لابد أن يتحمس  
لفريق من الفريقين وكانت الأغلبية العظمى ضد بريطانيا  
ولا أقول مع ألمانيا . فهم يكرهون الانجليز ويحبون كل من  
يصيبهم بالضرر والأذى ولأشأن لهم بعواقب انتصار المحور  
انما يهمهم أولا ان تهزم انجلترا وكان المصريون يحسبون  
أن مجرد هزيمة انجلترا فى ذاتها غاية لا وسيلة للحرية  
وكانوا يقدررون أنهم يستطيعون أن ينالوا الحرية من هتلر  
مادام ليس انجليزيا وهكذا كان الشعور ضد انجلترا جارفا  
ماحقا .

ولكن فرغى لم يكن يفكر فى انجلترا ولا فى هتلر وانما  
هو يسمع من السامعين ويوافق المتحدث اليه فى كل رأى فما  
كان يحس أن مصر هذه تعنيه فى شئ فهو لا يصرف معنى  
الانتماء لمصر لانه لم يعرف معنى الانتماء الأصغر لأبيه أو  
لأمه فليس غريبا ألا يعرف معنى الانتماء الأكبر لقد عاش  
لا ينتمى الا لنفسه .

ولهذا لم يكن عجيبا بل كان من الطبيعى جدا أن يرمى  
الحسب وراءه لا يفكر فيها باحثا لنفسه عن عمل . . أى  
عمل .

ولم يكن عمه حسين غافلا تغيبه عن البيت كل يوم بل  
انه أيضا لم يغفل أن هذا التغيب لم يكن عبثا فقد كان يدرى

أن فرغلي ليس من الناس الذين يألّفون ويؤلفون فلم تكن عنده خلجة شك أن فرغلي كان يبحث عن العمل • وحين مرت فترة طويلة دون أن يصيب اليأس فرغلي أدرك حسين أنه لا بد له أن ينجز وعده وقد كان يستطيع أن ينجزه منذ وعده به ولكن زوجته أثنته عن ذلك رغبة منها أن يظل فرغلي خاليا لأعمال البيت ولكنه بعد هذه الفترة •

— هيه ياتفيدة ألا ترين أنه من الأفضل أن أجد أنا العمل لفرغلي •

— ماتشوفه •

— اننا بهذا سنجعله يشعر بالجميل ويظل عندنا بدلا من أن يجد عملا في مكان بعيد ونفقده ولا نجد أحدا يساعدك سجانا في شغل البيت •

— معقول وخصوصا أنه لا يكلفنا شيئا فهو يتغدى دائما بالمدرسة •

— على بركة الله •

كان لحسين أفندى أصدقاء كثيرون من كثرة ما مر به من أيام • وقد تكون هؤلاء الأصدقاء من شتى نواح في الحياة بعضهم أمدته بهم الوظيفة وبعضهم أمدته بهم القهوة وبعضهم أمسك به المسجد •

وكان من بين أصدقاء المسجد الشيخ سمهان عبد الغنى وهو رجل يملك مكتبة دينية قريبة من الحرم الزينبي وقد جمع التديين بين حسين أفندى وبين الشيخ سمهان فقامت بينهما صداقة وطيدة أقرب ما تكون الى الأخوة وحين وعد حسين أفندى بإيجاد وظيفة لفرغلي لم يكن يفكر الا في الشيخ سمهان • وفعلا لم يخذل سمهان صديقه •

- أين كنت ياسى فرغلى ؟
- أتمشى فى مصر ياعم حسين أفندى •
- أما زهقت مشيا ؟
- أرحم من البقاء محبوسا •
- والمذاكرة •
- ألا أنجح دائما •
- فعلا •
- لاتخف على المذاكرة فأنا مصمم على النجاح •
- قل باذن الله •
- لابد أن أنجح •
- كله بأمره يافرغلى •
- أنا أذاكر تماما •
- ولكن أخشى اذا اشتغلت بعد الظهر أن تضعف مذاكرتك •
- لايمكن • • أنت تعرف أنى لم أسقط مطلقا •
- أخشى أن يشغلك العمل عن المذاكرة •
- وأين هو العمل ياعم حسين أفندى •
- موجود •
- حقا •
- حقا •
- وانكب فرغلى على يد حسين أفندى يقبلها وهم أن يقبل

قدمه الحافية المسترخية على الكنبه ولكن حسين أفندى سارع  
واحتضنه وأجلسه الى جانبه •

— أستغفر الله يا بنى •• ألهمه الدرجة كنت تريد  
عملا ؟

— وهل كان خروجى ولفى فى الشوارع الا من أجل  
هذا ؟

— خلاص ياعم •• من هنا ورايح لن تحتاج الى لف  
ولا دوران •

— زبنا يظيل عمرك ••

— أتعرف المكتبة الاسلاميه •

— طبعا فى جوار جامع السيدة •

— صاحبها صديقى •

\*\*\*

حين ذهب فرغلى للقاء الشيخ سمهان رأى فيه رجلا رقيق  
الجسم رقيق القسمات ذا لحية متناثرة الشعر ذات عثنون مدبب  
يلف على طاقيته عمامة لها عدبة تنسدل على قفاه فى وجهه  
صدق وفى سمته طمأنينة وفى عينيه هدوء وثقة • ورأى  
سمهان فى وجه فرغلى شابا قاسى القسمات فى وجهه تصميم  
وفى عينيه ايمان بشىء لا يدريه الشيخ ولا يعرف كنهه وأحس  
الشيخ سمهان أن هذا الفتى يعرف ما يريد ولكنه لا يعرف  
الطريق اليه • وأحس أنه يريد أن يعمل معه لأن الفترة التى  
يمر بها لا تتيح له الا أن يعمل هذا العمل البسيط وفى  
نورانية المؤمنين أحس سمهان أن هذا الفتى النحيف المنفتل



كأنه ثوب اعتصرته يد الزمن يريد أن يخرق الأرض بموده  
الملولب ويريد أن يبلغ الجبال طولا بتلك العزيمة الصلبة  
التمثلة في فمه المتشنج وفي ذقنه المتحدية وفي أنفه الذي  
يثب الى المستقبل كأنما يريد أن يسبق الحياة والزمان •

أحس سمهان من الفتى رهبة ولكنه لم يجد مايمنعه أن  
يلحقه بالعمل فقد تأكد لديه أن كل ماتراءى له فيه سيجعل  
منه عاملا نشيطا • • وبحسبه منه في فترته تلك أن يكون  
عاملا نشيطا • أما ماتوحى به مكوناته الأخرى فشأنها به  
والزمان ولتكن الحرب بينهما ماشاء الله لها أن تكون فقد كان  
الشيخ سمهان يتوقع أن ربح هذه الحرب لن تدور الا بعد  
أن يتركه الفتى بأيام وشهور وربما بسنين •

وتسلم فرغلى عمله •

## هل المكتبة كتب

**عالم** آخر انفتح أمام فرغلي • ازداد احساسه بالغربة في هذا الدكان • ارتقت على جوانبه كتب لم يتصور أنها تستطيع أن تخلق هذا الجو العجيب من الأسرار • ليس بين هذه الكتب كتاب واحد قرأه وما أقل الكتب التي سمع عنها بينها • لقد دخل مكتبات قبل هذا مرات قليلة فما كان يلتفت الى أمر هذه الكتب انما هي لحظات يسأل فيها عن الكتاب الذي جاء من أجله ثم ينصرف • ولكنه اليوم يعيش بين هذه الكتب ساعات طويلة وقد انفردت به وانفرد بها • ولم يخطر له على بال أن يمسك كتابا ليقرأ فيه وانما قصارى مافعله مع بعضها اطلالة عاجلة يقلب فيها الصفحات عشرات عشرات دون ريث من قراءة أو تمهل من تدبر • وقد استغرق

أياما كثيرة حتى عرف أماكن الكتب التي يكثر شراؤها  
ليستطيع أن يبيع إذا ما غاب الحاج سمهان عن المكتبة وما كان  
يفعل ذلك إلا ليقيم صلاة العصر أو المغرب في مسجد السيدة  
زينب المجاور للمكتبة ويصلي العشاء بعد أن يقفل المكتبة •  
وهكذا لم يكن فرغلي محتاجا أن يعرف مواقع الكتب كلها •  
والحقيقة أن الحاج سمهان عينه لسبب كان خافيا عنه ولكنه  
عرفه بعد فترة قصيرة من بقاءه في المكتبة •

كان للمكتبة غرفة داخلية لاحظ فرغلي أن الحاج سمهان  
يستقبل فيها أغلب الأيام بعد صلاة المغرب فتى في شباب  
العمر طويل القامة عريض الكتفين كث اللحية يرتدى  
الملابس الأفرنجية عرف فرغلي أن اسمه أمين ثم عرف أن  
اسمه أمين الشبراوى وكان دائما يأتي بعد صلاة المغرب  
بفترة قصيرة وماهى إلا مصافحة سريعة ثم يدلف سمهان  
وصديقه إلى الغرفة الداخلية •

ومع الأيام تأكد فرغلي أن تعيينه كان من أجل هذا  
اللقاء وحده حتى لا يظن أحد أن المكتبة خالية إذا قصدها في  
فترة هذا اللقاء الذى لم يكن فرغلي يعرف من أسراره شيئا •  
وليس فرغلي بالذى يعنى فى كثير أو قليل بالسبب الذى عين  
من أجله • وحسبه أنه وجد هذا المكان الذى لم يكن يطمع  
أن يجد خيرا منه •

وهكذا حرص فرغلي أن لا تقوم بينه وبين أحد من زملائه  
صداقة فهو يرى أن الصداقة صلة مقبلة تجعل الصديق  
يتسلل إلى خفايا صديقه فيعرف من أبوه ومن أمه أين ولد  
وأين ربي ومقدار فقره • وهذه كلها أشياء لا يحب فرغلي  
أن يعرفها عنه أحد وهو أيضا لا يحب أن يعرفها عن أحد  
لأن النفس بطبيعتها تميل إلى المقارنة • فإذا عرف أصدقاء

أصبح حتماً عليه أن يقارن بينهم وبينه وهو يجزع من هذه المقارنة لأنه دائماً سيجد نفسه الخاسر فيها • وأين يجد فتى أمه راقصة موالد وأبوه عامل وهو يقيم عند عمته شكله ابن أخ وحقيقته خادم بلا أجر ولا يمس القرش يده إلا عن طريق عمل اضافى عند رجل يستأجره ليكون ساترا للعيون • المقارنة قاتلة بالنسبة اليه فهو لا يريد أصدقاء وقد نجح فرغلى أن يقتل كل صداقة تحاول أن تمتد خيوطها بينها وبين غيره من الزملاء ولكن نجاحه لم يكن كاملاً فالصداقة ان كانت اتفاقاً غير مكتوب فى أغلب أمورها إلا أنها كثيراً ماتفرض فرضاً على أحد طرفيها حتى لا يستطيع منها فكاكاً أو عنها منصرفاً •

من هذه الصداقات ماتقوم عمدها على القرابة وهذه الصداقة قبلها فرغلى غير ساخط وغير راض فى وقت معا • فابنا عمته كثيراً ماكانا يزوران البيت فكان لابد أن يسلما عليه وقد كان يقبل التحية منهما فى امتعاض شديد لا يستطيع أن يبديه فقد كان يحس فى الكلمات القليلة التى يلقيها اليه كل منهما الكثير من المعانى تتخفى فى خبث مقيت مسموم فى نفمة الكلام • كان يحس أنهما لم ينسيا شأن أمه وكان يحس أنهما يحسان أن أباهما ينفق عليه لوجه الله ولو عرف أبناء الكلب هؤلاء أننى لا أكلف أباهما شيئاً لما غير هذا من لهجتهم المتعالية السمجة فقد كان يطيب لهما أن يكون فرغلى فى مكان المفضول ويكون أبوهما فى مكان المفضل وأبناء الكلب لا يحبان أباهما ولا يحبان أمهما فقد يمر الشهر وأكثر من الشهر ولا يزور أحدهما بيت أبويه ولكنهما مع ذلك كانا يحبان أن يستمتعا بهذا الشعور •

أكانت صداقة تلك التى تصل بين فرغلى من ناحية وبين

ابن عمته الطبيب ممدوح أو ابن عمته الآخر المهندس يحيى .  
هو لا يجدلها اسما انها قرابة مفروضة لا قبل له بالتخلي  
عنها . وفارق السن بينهما لا يسمح بصداقة حميمة . ولكن  
فرغى مع ذلك كان يحس بصلة قوية تربطه بهما . أيمن أن  
تكون الكراهية الشديدة صلة أم تراه الحقد أم تراه السخط  
على نفسه وعلى الحياة أن جعلته مضطرا أن يقبل تحية هذين  
الحقيرين اللذين يظنان أن الحياة خلت من أمثالهما نبوغا  
وعبقرية ؟ أم تراه حين ينفذ الى دخيلة كل منهما ويرى  
صورته هناك يراها صورة زرية تحيط بها حالة العار من  
أمه والفقر من أبيه والذل من مكانه فى بيت أبيهما ؟ هل  
هذه الصلة القوية هى واحدة من هذه المشاعر أم هى هذه  
المشاعر جميعا ؟ ليس يدري وليس يريد أن يدى . هى  
صلة ولكنها ليست صداقة . أما الصداقة التى فرضت عليه  
وقبلها مضطرا وأظهر أنه قبلها راغبا فهى تلك التى قامت  
بينه وبين نديم الطوبجى .

هو زميله فى الفصل وفى الدرج ولم يكن هذان وحدهما  
يكفيان أن تقوم الصداقة هى زمالة . وهو قد درب نفسه على  
الصمت الطويل وهو يصنى للمدرس اذا تكلم لأنه يعلم أن  
الكلمة اذا عبرت ولم يسمعها فهو لن يسمعها مرة أخرى .  
ومن أين ؟ هو لا يستطيع أن يستقدم مدرسا خاصا وهو أيضا  
لا يستطيع أن يسقط وهكذا فرض الصمت التام على نديم  
أثناء الدراسة حتى لأوشك نديم أن يضيق به ذرعا لولا أن  
شهاداته فى النجاح كانت تجيء فى صورة ترغم على احترام  
هذا الصمت .

وهكذا استطاع الصمت الذى لا غنى عنه لفرغى أن  
يعفيه من صداقة زميله اللصيق له فى المكتب وهكذا كان

يمكن أن تظل هذه الصلة زمالة لاتعدوها الى الصداقة . ولكن  
الأيام شاءت غير هذا . فقد فوجيء فرغلي وهو جالس في  
المكتبة بنديم قادم اليه مقتحما المكتبة اقتحام الباحث عن شيء  
وحين رأى فرغلي جالسا غير واقف فوجيء مرتين .. مرة  
لوجود فرغلي في المكتبة ومرة لجلوسه .

ـ فرغلي ؟ !

ـ نديم ؟ !

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ لا شيء ماذا تفعل أنت ؟

ـ أريد كتابا .

ـ أنت .

ـ نعم .

ـ لك .

ـ لأبى .

ـ أى كتاب تريد ؟

ـ شرح البيضاوى .

ـ أحضره لك .

ـ أذن فأنت ..

ـ أنا أعمل هنا بعد الظهر .

ـ صحيح .

ـ وما الغرابة ؟

ـ لم تقل لى .

- لم تأت مناسبة •
- ومن أين تأتى المناسبة لقد فرضت على العمت فى الفصل وأنت فى الفسحة تذاكر •
- اذا سمحت لك بالكلام مانجعت •
- والفسحة •
- أنا أعمل بعد الظهر ولا بد لى أن أستغل كل دقيقة لأذاكر •
- ولكنك تذاكر هنا كما أرى •
- المذاكرة هنا غير مضمونة •
- ولكن الدنيا بالنسبة لك كلها عمل •• هذا غير معقول •
- وما هو المعقول ؟
- ساعة لربك وساعة ••
- هذا تقسيم يعرفه الأغنياء أمثالك •• أنا كل ساعاتى لعملى •
- ألا تصلى ؟
- ولماذا أصلى ؟
- وقعتك سوداء •
- أنا ليس من حقى هذا الدلع •
- هل العبادة دلع ؟
- كل لحظة تصرف دون مكسب دلع •

- حتى عبادة الله •
- خصوصاً عبادة الله •
- انها تأتي بمكاسب كما تعلم •
- مكاسب موهومة ... وعود لم يثبت أحد أنه حصل عليها •
- لكن الانسان لا يستطيع أن يعيش بغير رب •
- لقد عاش أقوام كثيرون بغير رب •
- أين هؤلاء ؟
- قبل الرسائل •
- كانت لهم أربابهم صنعوها بأيديهم •
- أمثال هؤلاء يصلحون ليكونوا قدوة ؟
- وجاءت الرسائل •
- وأنا ما شأني ... أنا لم أر من هذه الرسائل شيئاً •
- ألم تر القرآن ؟
- كلام •
- يخرب بيتك ... أنه كلام لا يمكن أن يقوله بشر •
- وأنا ما شأني به •
- لمن تلجأ اذا ضاقت بك الحياة ؟
- أنا لم أر من الحياة الا ضيقاً ولم أعرف لنفسى ملجأ الا نفسى •
- أبوك ؟



- هو فى حاله وأنا فى حالى •
- وأين تقيم وكيف تدفع أجر بيتك ؟
- أقيم عند عمى •
- اذن فهى ملجأ •
- ان أحدا لا يقدم الخير مجاناً أبدا • تعلم هذا • مهما يكن غناك! وغنى أبىك تعلم أن أحدا لا يقدم الخير مجاناً أبدا •
- وهل تقاضيك عمىك مالا على إقامتك ؟
- تقاضينى •
- مالا ؟
- بل شرا من المال • • أنا الذى أشتري حاجات البيت وأنا الذى أنظفه فى أيام الأجازات • أنا أدفع أجر اقامتى مهانة وذلاً وانكساراً •
- أول مرة تفتح لى قلبك •
- لقد رأيتنى أعمل فكان لا بد لك أن تعرف الباقي •
- لنا زملاء كثيرون يعملون •
- نديم اسمع • • اسمع ولا تسألنى تفصيلاً فى كل زملائك • • كلهم • • ليس هناك من هو آتس منى •
- أنت طفل • • كنت أحسبك رجلاً •
- أنت دلوعة كل شىء يفسر لك ولا تعرف أحوال الآخرين
- ولا أنت تعرف أحوال الآخرين وماكان لك أن تحكم قبل أن تعلم • • ربما كان فى فصلنا نفسه من هو شر منك حالاً •

- محال •
- لا يستطيع انسان أن يعيش بهذا السواد جميعه فى قلبه •
- ومن قال لك انه كله سواد ؟
- كلامك •
- لقد كلمتك عن حالى ولم اكلمك عن آمالى •
- لك آمال ؟
- أضخم بكثير من سوء حالى •
- وبها تعيش •
- ولها أعيش •
- وهل تعيش ؟
- كل لحظة من حياتى •
- ليست هكذا العيشة •
- لمثلئ لا تكون الا هكذا •
- ألا تذهب الى السينما ؟
- جربتها •
- كم مرة •
- مرتين •
- ألم تضحك أبدا ؟
- من همى •
- لو عرفت الله لانفتح قلبك للسعادة •

- يا عم أنا مالى وماله أنا لست قده .
- فأنت تعرف قوته .
- قدر ما أعرف قوة آمالى .
- فرغلى لقد أصبحت أخاف منك .
- لك حق .
- أعوذ بالله .. أنت نار .
- لم تر منها الا جذوة أو قبسا .
- قد تحرق نفسك .
- أو قد أحرق الآخرين .
- أخاف أن أكون أول من تحرق .
- ولماذا أنت ؟
- لأنه يخيّل الى أننى أنا أول من عرفت أسرارك .
- أنت لم تعرف عنها شيئا .
- أنا مصمم على أن أغريك .
- وأنا مصمم على أن أغريك .
- ولماذا تغيرنى ؟
- لتصبح صلبا . قد تكون غنيا ولكن الغنى وحده لى
- يكفيك فى الحياة .. لابد أن تكون فى قوة الصراع الذى
- ستواجهك به الدنيا .
- لماذا هى صراع فى عينيك ؟ لماذا لا تكون حبا ومتعة
- وسعادة ورضا وهناء .
- لأنها ليست كذلك .
- ألم تعرف النساء أبدا ؟

- حين نزلت الى القاهرة اشتريت •
- كم مرة ؟
- لا أذكر •
- اذن فأكثر من مرة ومرتين وثلاث •
- ربما ولكن الفلوس لم تجعلنى اذهب كثيرا •
- ألم تجلس مع امرأة أبدا ؟
- ولماذا أجلس ؟ • أنا أدفع وأمشى •
- ألم تعرف لذة حديث بينك وبين فتاة • • ألم تعرف الحب ؟
- فما هذا الذى كنت أفعله ؟ •
- يابنى آدم أنا أتكلم عن الحب •
- نوعه أتكلم أنا أيضا •
- اسمع لا فائدة • • فى أى يوم أجازتك •
- يوم الأحد •
- عجيبة •
- وأى عجيبة ؟
- كان المفروض أن تكون الجمعة •
- يوم الجمعة يكثر هنا الزبائن •
- يوم الأحد القادم لا ترتبط •
- ماذا تعنى ؟ •
- سأريك جانبا آخر من جوانب الحياة •
- ومن قال لك أنى أريد أن أرى لها جانبا آخر •
- وماذا تخسر ؟

- - وقتى .
- - لن تخسره .
- - وهو كذلك .
- - أين البيضاءى ؟
- - لحظة .

وقبل أن يحضر فرغلى الكتاب خرج الحاج سمهان ومعه صديقه وقدم فرغلى نديما الى الحاج سمهان فوجده يعرف والده ويخمله له السلام وينصرف نديم ويلتفت سمهان الى فرغلى :

• - تستطيع أن تذهب مع صديقك فساظل أنا فى المكتبة حتى موعد عودتي • وينصرف فرغلى ولكن لا يحاول اللحاق بنديم فقد أراد أن يعود الى نفسه يسأئلهما لماذا قالت كل هذا الذى قالت له لنديم ؟ • • عجيبة هذه النفس لماذا تتكلم على الرغم من صاحبها وعلى الرغم من أنه عودها أن تكون صوتا كتوما لاتلين ؟ ولكن الأعجب أنه لم يشعر بتعاسة لأنه قال ماقل • • بل لقد أحس لذة عجيبة لم يحسها قبل اليوم • • قالقوله فى ذاته لذة • • لم يكن فرغلى يعرفها • • ولكنه فى حزم يرد نفسه لقد قلت مرة فليس هناك مايدعو أن تقولى دائما • • لابد أن نختار المكان والزمان والشخص الذى نقول له • • وقد كان يعلم أن نفسه تخشاه ولا تجرؤ أن تعصى له أمرا •



كان نديم وفرغلى فى تلك السن الخضراء التى لم تشب الى النضج ولا تقف عند الفجاجة • • تلك الميعة من العمر فى

تلك الملاوة من فترات الحياة التى تختلط فيها الأحلام الوردية الشفيفة بالجنس المستنسر الكاسر . فالهوى يتخلل بهم نأى الطبيعة لتصدر عنه هذه النغمات المتكسرة كعيون العذارى الحاملة كأوهام تلوح من عالم مجهول فيها الجمال ، وفيها الدعوة وفيها الاستدعاء وفيها الخوف الذى تبثه شخوص تكونت من دخان أو سحب ، أو سعت تحت عباءة فضفاضة من نسيج فيه الشفافية والاعتماد وفيها الابهار والاغراب .

ولو كان فرغلى شأنه شأن غيره من الشباب لاستمتع بتلك الفترة من حياة الشباب كما يستمتع بها نديم . ولكن نفسه أعتمت منذ طالعت الحياة بحجرة مغلقة ان فتحت فالى بيت يغلق حتى اذا فتحت الأبواب تقاذفته الحياة وراحت تمخضه وتصفعه بعار أمه أو تدكه وتسفعه بفقر أبيه .

كان نديم يحيا حياة الشباب فى مثل سنه وكانت له صديقة تخرج معه ولكنها أخبرته فى آخر مرة لقيته فيها أن خروجها وحدها أصبح مستحيلا لأن أباه يرفض هذا كل الرفض وحين احتالت عليه بأنها بعد المذاكرة تحتاج أن تستعيد نفسها بمشية تسترد فيها بعض الانسام أمرها أبوها أن تصحب أختها معها . وكانت أختها فى مثل عمرها وكان نديم حائرا فى تلك الأخت فقد كان حين يخلو بسهام يستطيع أن يقبلها بل كان يستطيع فى أغلب الأحيان أن يذهب الى أبعد من ذلك حريصا دائما كما كانت هى حريصة ألا يصل الأمر الى اثاره عميقة .

وهكذا وجد فى فرغلى بغيته فانه يستطيع أن يبعد الأخت عن أختها وهو حر معها وليس يعنى نديم ان كان فرغلى سيسطيع أن يتقرب من قدرية أو هو سيكون معها ذلك الكيان المتعجر الذى يعرفه . وخرج أربعتهم . وكانت قدرية ذكية

والعجيب أنها أعجبت بفرغلي فشكله يمكن أن يكون مرضيا للنساء . هذا الطول فى القوام وهذه النظرة العازمة النافذة الحديدية وهذا القلب الصلب المصمم وهذا الوجه النحاسى الذى لاتجروأ ابتسامة أو غضبة أن تعلوه وهذا الشعر الخشن الذى أرغمه صاحبه فى اصرار ألا ينفر الى أعلى لا يهتاج الى يمين أو شمال . فرغلي بهذه المعالم أعجب قدرية . ومع أن فرغلي لايعتاج الى جراءة فانها هى التى بدأته بالحديث . ووهمت أنه صامت عن خجل ولو عرفتة وماكان لها أن تعرف لاستبان لها عن شخص ألغى شعور الخجل من كيانه الغاء تاما وأى خجل يمكن أن يعرف ابن راقصة فى الموالد . لو أنه عرف الخجل لاستحالت أمامه الحياة الى ضروب مغلقة وسكك مسكوكة وهو يريد أن يبلغ من الزمان مالىس يبلغه الزمن من نفسه لنفسه . ولكن من أين لها أن تعرف أن فرغلي طحن الخجل من نفسه منذ سنوات وسنوات وأنه ذراه فى الهواء فأصبح الخجل عنده هباء وأصبح هو كيانا بلا حياء .

— اسمك فرغلي .

— فرغلي .

— ألا ترى أن بقاءنا هنا مع هذين الاثنين غير مرغوب

فيه .

— والله هذه أول مرة أخرج فيها مع . .

— مع بنات .

— أقصد . . أقصد . . مع نديم والآنسة .

— نعم . . الآنسة . . وآنسة أيضا .

— أليست آنسة ؟

وردت سهام في تحد :

— أنسة طبعاً غصباً عنك •

وقالت قدريّة :

— وهل لأنها أنسة لابد أن تقول لها يا أنسة •

— هذه أول مرة أخرج ••

— وافرض أنها أول مرة •• اذن فأنا الأنسة قدريّة

طبعاً •• وأنت الأستاذ ••

— ياستى غلطة لسان •• الحق على •• المهم •

— المهم أن نترك الأنسة والأستاذ نديم •

— وماله •

وتقول سهام :

— لا تغيبا •

ويقول نديم :

— بل غيبا كما شئتم •

وتقول قدريّة في ضحكة خبيثة :

— والله هذا يتوقف على الأستاذ •

— ياستى الحق على •

— تعال •

— جئنا •

— ألم تخرج مع فتيات أبدا ؟

— وهل خرجت أنت مع شبان ؟

— سأقول لك وانما أريد أن أعرف عنك أولا •



- أتريدون الحقيقة ؟
- لا يهم .
- فلماذا تسألين ؟
- لنتكلم .
- ولماذا نتكلم ؟
- فكر لحظة على أى صورة تصبح هذه الحياة إذا لم نتكلم .
- جميلة . . جميلة كأنها . . كأنها الجنة التى يقولون عنها .
- الجنة أيضا فيها كلام .
- هل ذهبت الى هناك ؟
- لا . . ليس بعد ولكنى أتصورها .
- خيالك واسع .
- وأنت ألا خيال لك .
- كل هذه الأشياء التى أراها خيال بالنسبة لى .
- فما الحقيقة عندك ؟
- هى التى أصنعها بيدي .
- يا ستار . . أنت مخيف .
- ربما . .
- أتريد أن تخيفنى ؟
- الآن أريد أن أقبلك .
- وما الذى يمنعك ؟

ولأول مرة عرف فرغلي كيف يصنع كل شيء مع فتاة  
بكر وتغل مع ذلك بكرا .

كان فرغلي فى الأجازة لا يذهب الى الديميرية ولم يكن  
أبوه يطلب اليه أن يجيء فقد ازدحم البيت بزوجه وبأطفاله  
الذين يتوافدون تباعا .

وفرغلي لم يكن يشتهى أن يرى أباه ولا يعنيه أن يرى  
زوجة أبيه ولا أولاده . وان كان شعوره بكره أبيه عميقا  
الا أنه لم يكون أية مشاعر قبل زوجة أبيه أو أولادها فهم  
لا يمثلون عنده عائلة بل لا يشكلون عنده شيئا على الإطلاق .

كان يراهم حين يأتى بهم أبوهم من حين الى آخر مدعيا  
أنه يزوره ويرى أخته ولكنهم كانوا بالنسبة اليه عدما من  
العدم . عرف أسماءهم لانه وجد أنه لابد أن يحفظ أسماءهم  
.. كانوا فاروق ويحيى ومسعود ونبوية . ولم يكونوا عنده  
الا هذه الأسماء ثم بعد ذلك بلامعالم فهو لا يعرف من فاروق  
ولا من يحيى ويميز نبوية بصفيرتها ولكنه يعرف مسعود أنه  
الطفل الذى مازالت أمه تحطه على كتفها . ومع ذلك فهو  
لا يرى أو هو لا يهمه أن يرى أى فارق فى الملامح بين أحدهم  
والآخر .

وقليلا ما كانت تدوم زيارة الأب وزوجه وأبنائهم ثم  
تعود الحياة الى طريقها الذى تعود أن يسير فيه . وقد كان  
اعتذاره عن عدم الذهاب الى البلدة فى الأجازة حاضرا عن  
قريب . فهو يقول لأبيه انه لا يستطيع أن يترك مكانه فى  
المكتبة وكان أبوه وزوجه يصدقانه وكانا يريدان أن  
يصدقاه .

كان جالسا بالمكتبة فى ظهيرة يوم من ايام الاجازة حين جاء أمين الشبراوى على غير موعد وكان الشيخ سمهان قد ذهب الى الجامع . . الحر شديد وأمين الشبراوى يبدو وكأنه امتص أشعة الشمس كلها فالعرق يسيل على وجهه ويقطر من لحيته وحين يصل الى عتبة المكتبة يقفز اليها مستنجرا بظلمها من حر الطريق .

— الحقنى بكوب ماء .

— أحضر لك حاجة صاقعة .

— احضر ماتشاء فقط الحقنى أولا بكوب ماء .

وحين شرب وطفّر الماء عرقا الى جبهته ووجهه راح يجفف البحار المنبجسة منه ثم أخذ يهفّف بالمنديل حتى استرد أنفاسه وراح ينعم النظر فى فرغلى وعلى جبينه حديث يكاد يطفر مثل العرق . ورأى فرغلى الحديث ولكنه لم يقرأه . . كهمهمة تلوح فى خلجات ولا ترتعش بها شفاه . كمعنى يعرف أنه موجود ولكنه لا يستطيع أن يفوص الى مداه ولا يستطيع أن يستبين منه لمحة .

وحين أصبح فرغلى على يقين أن حديثا خطيرا فى طريقه اليه من أمين رأى فى عينيه وميضاً ثابتاً فهو شعاع نافذ فيه نور وفيه اصرار وفيه توقع وفيه ارادة وتتجمع هذه المشاعر لتكون لونا من التصميم .

— ألم تفكر مطلقا لماذا أزور الحاج سمهان ؟

— أنا لا أفكر فى شيء أنا واثق أنني لن أصل فيه الى نتيجة .

— على الأقل حاولت .

- ولم أحاول •
- ولا تريد أن تعرف •
- يا أستاذ أمين أنا هنا لأستمع بمرتب الحاج سمهان على المعاش • والذي يحتال على المعاش لا يصرف فكره الى شيء
- هذا كلام ظاهره العقل •
- وباطنه أيضا •
- لا •• أما باطنه فشيء آخر •
- أتعرف علم الباطن يا أستاذ أمين •
- أعرف الناس يا أستاذ فرغلي •
- لماذا لاتقول ماتريد ؟
- لكل كلام مقدمة •
- أطلت التقديم •
- لعل الموضوع يحتاج الى هذا •
- ولكنك تعرف الناس •
- ومع ذلك أحتاج الى تقديم طويل •
- أنت أدرى بما تخفى •
- أأست مؤمنا بالله ؟
- أأببدو على عدم الايمان ؟
- ولاأببدو عليك الايمان أيضا •
- أمن علم الباطن هذا ؟
- من الشواهد •
- مثل ماذا ؟
- أنت لاتصلي •

- وكيف عرفت ؟
- أنا .. أنا أعرف .
- المفروض أن تكون صلاتي لله وليس لك .
- أستغفر الله انما أقصد أنى لم أرك تصلى .
- وكيف يمكن أن ترانى ؟
- لى سنوات وأنا أعرفك .
- انك قلما تجيء الا بعد صلاة المغرب فأى فرض يمكن أن ترانى أصليه ؟
- فأنت تصلى اذن .
- هذا بينى وبين صاحب الصلاة .
- يهمنى أن أعرف .
- لايمكن أن تعرف .
- سأصدقك ان قلت .
- هبنى أصلى .
- فأكمل دينك .
- بالزواج ؟
- بل بالجهاد .
- أهنالك حرب اسلامية ؟
- الحرب الاسلامية لاتنتهى .
- أنا لا أعرفها .
- عملى أن أعرفك بها .
- فى أى ميدان ؟
- فى الوطن .

- وما الوسيلة ؟
- هذا عملي أيضا •
- ولكن الحرب أى حرب تحتاج الى أدوات •
- نعرف ذلك •• كيف نكون فى حرب ولا نعرف أن لكل حرب أدواتها •
- وماذا عندكم من أدواتها ؟
- كل أدواتها •
- أتعرف أهم عنصر فيها ؟
- الروح الاسلامية •
- هذه مفروضة فى كل من يشترك معكم •
- فأى عنصر تقصد •
- لا بد أنك تعرفه •
- ان جهادنا حتى اليوم اللقاءات والأحاديث والمنشورات
- وهذه جميعا ميسورة •
- لعلك تقصد •••
- المال •
- موجود •
- اذن فقد اكتملت عندكم أدوات الحرب •
- هى مكتملة •
- وأنا معكم على بركة الله •
- ستدخل فى اختبارات كثيرة •
- وأنا مستعد باذن الله •
- اذن نلتقى اليوم بعد أن تقفل المطبعة •

- انكتم الخبر عن الحاج سمهان ؟
  - المفروض أنني الوسيط بين كل العاملين وليس من المفروض أن يعرف أحد منهم الآخر .
  - ولكن العلاقة بينى وبين الحاج سمهان .
  - لا شأن لهذه العلاقة بما ستقوم به .
  - ربما غضب .
  - أولا هو لن يعلم وثانيا ما أهمية غضبه .
  - يقطع عيشى .
  - لا يستطيع انه لن يفعل ذلك . وهو من أهم جنودنا .
  - ولكننى أعرف أنه منكم وهو لا يعرف .
  - لقد عرفت هذا بحكم عملك فليس من المحتم أن يعرف هو . . مادمننا نستطيع أن نخفى الأمر عنه فلا بد أن نخفيه .
  - أين نلتقى ؟
  - فى جامع الرفاعى .
  - وهو كذلك .
- وهناك عرف فرغلى أن دوره فى أول الأمر سيقصر على توزيع المنشورات وبث الدعوة بين اخوانه ومن يعرفهم وأن أول مرتب له سيكون عشرة جنيهات شهرية يستعين بها على التنقل واكرام الأصدقاء .

## ٨

### فى الجامعة أشياء غير العلم

**حين** دخل فرغلى كلية التجارة حرص أن تكون علاقاته مع زملائه أكثر تباعداً من علاقاته بالمدرسة \* فالكلية فيها سعة من الابهاء والمدرج يستطيع أن يستوعب مئات الطلاب قد يبلغون الألف والصدقة بين بعض الطلاب والبعض الآخر تأتى جاهزة من المدرسة الثانوية وهكذا كان نديم وحده هو الصديق الذى يعرفه فرغلى أما التلاميذ الآخرون الذين كانوا زملاء لهما فى مدرسة الخديوى اسماعيل فقد يكون بعض منهم صديقا لنديم ولكنهم بالنسبة لفرغلى معارف وليسوا أصدقاء وظل فرغلى حريصا ألا تزيد العلاقة بينه وبينهم عن هذا \*



نديم وحده هو الذى كان يخرج معه ويشاركة صلاته  
 بالبنات \* وبطبيعة الأمور كانت سهام وقدرية قد تزوجتا  
 ولكن نديم دائما كان قادرا على اجتذاب مثيلات لهما وكان  
 يحرص أن يكون فرغلى رفيقه فى مغامراته \* فقد أدرك نديم  
 أن صمت فرغلى وهذا الجمود الرابض على وجهه يجعل الفتيات  
 يفرمن به ويحاولن أن يخرجنه من القفص الحديدي الذى  
 يستوى بداخله \* وكانت هذه المحاولات تجعل الجلسة مليئة  
 بالحياة وهو أمر طبيعى يحدث دائما حين يكون بين الحاضرين  
 شخص لا يشبه الناس فى مألوف ما يصنعه الناس وأى شذوذ  
 أكثر من شاب فى ريق العمر لا يبتسم ولا تصفو نفسه فى  
 جلسة أنس وهو فى الوقت نفسه يفاضل ويتقرب من الفتاة  
 التى يوزعها عليه نديم \*

وهكذا تعود نديم أن يكون معه فرغلى دائما \* ولم يكن  
 غريبا أن يرى طلبة الكلية فرغلى وهو لا يخلو الا الى نديم \*

ونظام الأقسام الذى تسير عليه الكليات ويطلق عليه  
 كلمة السكشن التى أصبحت عربية لانفرادها فى التعبير عن  
 هذا النظام لم يستطع أن يجعل فرغلى يصادق أحدا آخر من  
 زملاء السكشن \* فهم بالنسبة اليه معارف ويظلون كذلك  
 لا أكثر \* وظل فرغلى ونديم على علاقاتهما النسائية \* ولم  
 يمنع الاتفاق الجسدي الذى تم بينه وبين أمين الشبراوى  
 استمراره فى خروجه مع نديم ومصاحبته للفتيات اللواتى  
 يتكفل نديم وحده بالحصول عليهن \*

ولكن نديما يفاجئه يوما بشيء جديد \* وكان فرغلى قد  
 اختلط بالحياة اختلاطا يصعب معه أن يواجه الدهشة \* ولكن  
 هذا ميدان جديد \*

- ماذا تقول ؟
- كبيرنا على شغل العيال هذا •
- ماذا تقصد ؟
- اسمع لابد لنا من شقة •
- ماذا ؟
- شقة •
- طبعاً أنت تعرف أننى لأستطيع المشاركة فى  
ايجارها •
- كيف ؟
- أنت تعرف ضيق مواردى •
- انها شقة صغيرة لا تكلفنا أكثر من ثلاثة جنيهات أو  
أربعة كل شهر •
- ولا مليون واحد •
- لا عليك أدفعها ولكن تأييث هذه الشقة لابد له من  
مبلغ •
- ولا مليون •
- يانهارك أسود •
- ما أوله شرط آخره نور •
- لاتكن باردا واشتر سريرك على الأقل •
- ان كان على قد السرير أشتريه وأمرى الى الله •
- وتم المشروع فى سهولة ويسر • فما أسرع ما وجدنا شقة  
بمنطقة باب اللوق • وما أسرع ما فرشت فقد كان فرغى منذ  
اتفاقه مع أمين الشبراوى فى حالة مالية منتعشة استطاع بها

أن يصبح ذا مبلغ مدخر • ثمن السرير بالنسبة اليه زهيد  
لا ينقص من شأنه • ولو عرف الحقيقة لتبين له أنه أكثر يسرا  
من نديم ومن أبيه ولكن أسماء العائلات طالما سترت حقائق  
البيوت التي يتكون من مجموعها هذه الأسرار •



كان فرغلي حين استأجر الشقة مع نديم ينتوى في نفسه  
أمرا لم يطلع صديقه عليه • الا أمرا واحدا كان يقف عقبة  
بينه وبين ما ينتويه • ولذلك لم يكن عجيبا أن يقول لنديم  
فجأة :

- يا أخى أمرك عجب •
- وما العجب ؟
- أنت دائما تعرفنى بالنساء ولا تعرفنى بالرجال •
- عجيبة ؟!
- العجيبة منك أنت •
- يا أخى لقد مرت على صداقتنا سنوات وأوشكنا أن نصل  
الى السنة النهائية وأنت لاتفكر فى صداقة أحد من زملائنا  
منذ كنا فى الثانوى • فماذا حدث ؟
- الناس تتغير •
- حتى أنت ؟
- ألس من الناس •
- فيها شك •

ومنذ ذلك اليوم أصبح فرغلي يصحب نديما فى الجلسات  
الرجالي أيضا وتعرف بأصدقاء نديم الذين كانوا دائما

مندھشین أنه يتباعد عنهم • كان أصدقاء نديم كثيرين ولكن ثلاثة منهم كانوا يجتمعون أغلب أيام الأسبوع في مكانين محددين لا يتغيران قهوة بوديجا شتاء وكازينور صيفا وكانت هذه اللقاءات تتوقف دائما عندما تقترب الامتحانات • وحين انضم فرغلى الى هذه الجلسات كان يذهب دائما متأخرا وكان نديم وحده يعرف السبب وكان الثلاثة الآخرون لايهتمون بهذا السبب • كان الشباب هم فتحي الرويعى وفاضل مبروك ومنصور ممتاز وكان ثلاثتهم فى كلية التجارة • وكانوا جميعا يعاملون فرغلى معاملة زميل يوشك أن يصبح صديقا الا فتحي الرويعى فقد لاحظ فرغلى منذ أول يوم جلس اليهم فيه أنه يحاول أن يتقرب منه ويوثق صلته به •

حرص نديم منذ اليوم الأول لتأثير الشقة أن يعلن البشرى لأصدقائه ودعاهم فى اليوم التالى الى تناول العشاء بها •

— عشاء فقط •

— عمى فى عينك وماذا تريد غير هذا ؟

— يجب أن يستعمل الشىء لما خلق له •

— اعملوا حسابكم هذه أول مرة تدخلون فيها الشقة

وهى باذن الله الأخيرة •

— لا بأس ولكن اجعل القعدة مقبولة بعض الشىء •

— هو العشاء فقط يافتحي موافق أم ألغى العزومة كلها •

— موافق • • موافق • •

والواقع أن فتحي وحده هو الذى كان يهمله أن يستخدم هذه الشقة أما فاضل ومنصور فكأنما فى غير حاجة اليها •

وتمت العزومة ونسى الأصدقاء بعد أيام قليلة أمر الشقة وعادوا الى مألوف حديثهم وكان الحديث فى هذه الأيام يدور بين الشباب فى كل شىء \* فمنهم من يحب الأدب ويقرأه بينهم وكانوا الآخرون لا ينصرفون عن هذا الحديث اذا بدآه فاضل مبروك فيهم أيضا هواة وليس بين خمستهم من لم يقرأ كتابا لطفه حسين أو توفيق الحكيم أو العقاد أو هيكال فالحديث فى الأدب غير ثقيل عليهم وكان المتحدث لبقا يعرف متى يميلون الى الحديث ومتى يميلون عنه وقد يأخذ منه منصور طسرف الحديث فيتكلم عن صراع الأحزاب وعن أغلبية حزب الوفد وعن صمود الحزب ضد السراى وأحزاب الأقلية كما يحب الوفد أن يسمى الأحزاب الأخرى \* ولا بد أن يتكلم فتحنى عن وجوب القضاء على كل هذه الأحزاب وقتل زعمائهم حتى يحكم الشعب والشعب عند فتحنى هم الفلاحون والعمال الذين لن تحل الأمور الا على أيديهم \*

فالحديث متنوع لا أثقال فيه على أحد وكل شخص منهم مشارك فيه لا يضيق بالاستماع ولا يضيق به اخوانه ان تحدث وكان نديم باشتراكه فى هذه الأحاديث يكون دون أن يدرى ثقافته العامة فهو لم يكن من هواة القراءة وقد كان أمثاله كثيرين الا أن الجو العام الذى يعيشون يرغمهم أن يكونوا على قدر لأبس به من الالمام باليسير من كل شىء وكان جميعهم مشاركا فى سياسة مصر بالحديث ان لم يكن بالانتماء الى الأحزاب أو التجمعات \*

وكان فرغلى خيرا من نديم فى هذا الشأن فقد مكنه اتصاله بأمين أن يكون على صلة وثيقة بكثير من الأحداث كما استطاع أن يتعرف منه على أسماء الشخصيات التى تحرك السياسة المصرية وكان حكمه عليها هو حكم أمين وحده ولم يعن أن

يحاول التعمق فى حقائقهم ولا فيما يقف وراء كل منهم من  
ماض مكن له أن يكون ذا شأن فى سياسة مصر .

لم يكن الاصدقاء يتأخرون فى جلستهم الى أكثر من  
العاشرة والنصف أو الحادية عشرة على أكثر تقدير . ثم  
ينصرف كل منهم الى بيته .

وفى ليلة انتهت بهم الجلسة وأراد فرغلى أن ينصرف مع  
نديم فاذا فتحى يقول له فجأة :

— فرغلى هل لابد لك من دادة ؟

وضحكوا وارتبك فرغلى .

— تعال يا أخى معى الليلة نتمشى قليلا على النيل فانا قد  
نمت اليوم بعد الغداء ولا أحس أنى أريد أن أروح .

— وهو كذلك .. هيا بنا .

وأجرى فتحى الحديث فقد كان أكثر الخمسة حبا للحديث  
وكان يجد متعة لا تماثلها متعة وهو يستمع الى نفسه وكان  
فرغلى خير من يستمع له فقد علمته حياته الصمت وأصبح ذا  
قدرة عليه قل أن تتوفر لآخرين . وكان يطلق من حين لآخر  
تلك الأنة التى يطلقها دائماً المستمع الذى لا ينوى الكلام  
فيدرك فتحى أن صاحبه يستمع ويستوعب . تكلم عن كثير .  
عن حكم البروليتاريا وعن اللجنة المنتظرة وعن فساد الرأسمالية  
ومازال ينفذ من موضوع الى موضوع حتى :

— قل لى يا فرغلى لماذا لا تنضم الينا ؟

— ماذا ؟

— ماذا يعمل أبوك ؟

— موظف بالسكة الحديد .

- ما درجته ؟
- ليست عالية على كل حال
- فهو كادح
- وفلاح
- وفلاح أيضا
- زوجته عندها أرض وهو يزرعها لها
- زوجته .. تقصد أن أمك ليست معه ؟
- ماتت
- قالها في حسم ودون أي تردد أو تفكير
- فمن ينضم اليها اذا لم تنضم أنت ؟
- ولكن هذه الجمعيات ألا تحتاج الى مصاريف
- على ذكر المصاريف هل أنت بايخ مثل نديم وترفض أن أستعمل شقتك ؟
- هذا اتفاق بيني وبين نديم
- ومن سيقول له ؟
- ولكن
- أسمع سأعطيك جنيها في كل مرة استعملها فيها ..
- أنا رجل عملي
- أخاف أن ..
- جنيه .. جنيه كامل
- لا بأس
- اتفقنا .. ماذا قلت بشأن انضمامك لنا
- كنت أسألكم من أين تنفقون ؟

- لا شأن لك •
- كيف ؟
- أنت تريدنى أن أصبح واحدا منكم •
- الاشتراك معنا له درجات •• فى البداية لن تعرف
- الا القليل أو ما هو أقل من القليل ثم تتدرج •
- ولكن أنت تعرف أن مواردى لا تسمح أن ••
- موارد ماذا يا أستاذ •• اننا سنعطيك مرتبا •
- كم ؟
- على حسب •••
- كيف ؟
- أقدمك الى المسئول عنى وهو يقرر •
- ماذا تعنى يقرر •• ؟
- يقرر ماتستحق من مرتب •
- يعنى كم ؟
- لن يقل عن سبعة جنيهات مثلا للتحرك •
- قليلة •
- لعلها تكون أكثر •
- أفكر •
- وفيم تفكر ؟ •• ان المستقبل لنا وستلعب بالفلوس
- لعبا الى جانب أشياء أخرى ستنبسط على الآخر •
- وهو كذلك •
- موافق •
- على بركة الله •



— عود نفسك على تعبيرات أكثر تقديمية .

— وهو كذلك .

— والشقة .

— متى تريدها ؟

— أهى خالية باكر ؟ .

— نعم .

— هاك الجنيه . . أين المفتاح ؟

— هذا هو ولكن اياك أن تصنع مفتاحا مثله لأن نديما لو

عرف ستكون قطيعة بيننا .

أنا سأعطيك المفتاح عندما تطلب وكل ما عليك أن  
تخبرنى بالموعد قبله بفترة لأعرف لك ان كان مناسبا أم غير  
مناسب .

— وهو كذلك .

— مع السلامة .



منذ ذلك اليوم أصبح فرغلى كثير الصلات والغريب أو  
ربما ليس غريبا أن المنفى الذى فرض على طفولته مكنه أن  
يشكل هذه الصلات فى الصورة التى يريد . يسمع كثيرا  
ويتكلم قليلا والغريب أو ربما ليس غريبا أيضا أن أمين  
واخوانه عرفوا أنه يعمل مع فتحى واخوانه كما عرف فتحى  
ومن معه أنه متصل بأمين وزملائه . والغريب أو ربما ليس  
غريبا أن هذه الصلة المزدوجة قد أكسبته عند كل فئة قدرا

من الأهمية غير متاح للآخرين الذى ينتمون الى جهة واحدة  
من الجهاتين •

وكلا الجانبين عرف صلة فرغلى بالجانب الآخر عن طريقه  
هو فقد أبلغ أمينا باتفاقه مع فتحى فى أول لقاء له بعد هذا  
الاتفاق • كما أنه أعلن فى يوم تقديم فتحى له الى المسئول  
صلته بمسعود وهكذا استطاع أن يحمل من خيانتة للتجمعين  
ولاء لكل تجمع فأولاه كل تجمع على حدة ثقة كاملة واستطاع  
فرغلى بما يكسبه من مبالغ تعتبر خيالية بالنسبة اليه فى  
هذه الأيام أن يضيف على هندامه الكثير من الأناقة •

لم يكن فرغلى يعلم أن فتحى بؤرة تجتمع عندها وعند  
زملائه عيون أخرى ولم يكن يعرف أيضا أن أمين ومن معه  
ملتقى عيون ان اختلفت فى شخوصها فهى تصدر عن نفس  
مصدر العيون الأخرى •

واستطاعت تقارير هذه العيون أن تلتقى واستطاع  
المصدر الذى يبتها أن يدرك الدور الذى يقوم به فرغلى •  
وكان هذا المصدر على قدر كبير من الذكاء •

كان فرغلى جالسا فى المكتبة ، وكان الشيخ سمهان جالسا  
معه ينظر الى ساعته المرة تلو الأخرى يريد ألا تفوته صلاة  
المغرب جماعة • ولم يكن اليوم من الأيام التى تعود أمين أن  
يأتى فيه الى المكتبة • ولم يكن أيضا هناك موعد بين أمين أو  
فتحى مع فرغلى • فكان فرغلى متوقعا أن تنفرد به المكتبة حين  
ينذهب الشيخ سمهان الى الصلاة •

ويقوم الشيخ سمهان :

— سَأُظَلِّ فى الجامع حتى أصلي العشاء فلا تترك المكتبة •

— وكيف أتركها وأنت الست هنا •

— سلام عليكم •

— مع السلامة •

ولم تمر لحظات على ذهاب الشيخ سمهان حتى دخل المكتبة شاب متوسط القامة ممتلئ الجسم فى غير ترهل يبدو من وجهه الشاب أنه لا يتجاوز الثلاثين ولكن فى عينيه نفاذا حادا يحاول هو باغضائه يتقنها أن يكسر الشعاع المتدفق منهما فى قوة عاتية • فى وجهه جرأة يسترها بابتسامة خجلى فلا تنستر • قال فى صوت خفيض قوى •

— السلام عليكم •

كان فرغلى جالسا وظهره الى المكتبة وعيناه الى الطريق ولم ير الشاب وهو يدلف الى المكتبة • حين انقض عليه الصوت خيل الى أنه ينبعث من فضاء • وانتتر فى حركة تلقائية وهو يصيح فى صوت مخضوض :

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته •

ووضع الشاب يده على كتفه وقد أحس خوفه •

— ياه •• كنت أظنك شجاعا •

— أهلا وسهلا •

— أقعد ؟ •

— تفضل •

— طبعا مادمت ساقعد فأنا لن أشتري كتباً •

— لا تريد كتباً ؟ •

— أنا اقرأ الناس ولا أقرأ الكتب •

- أهلا •
- ماكل هذا الفزع •• خيبت ظنى •
- أى ظن ؟ •
- ظنى فيك •
- أتمرفنى ؟ •
- كما لاتعرف نفسك •
- وهل يعرف أحد نفسه ؟
- جواب ذكى •• فأنا أعرفك كما لايعرفك أبوك
- فهيم •
- أبى •• انه لايعرف عنى شيئا •
- أعرف ذلك •• وأعرفك كما لاتعرفك أمك تعية أو
- توحة •
- من أنت •• كيف ؟
- اقعد واهدا واسمع ولايعلو صوتك •
- أهو أمر ؟
- نعم ••
- ممن ؟
- من هذا •
- وقرأ البطاقة المجلدة وخفق قلبه كما لم يخفق أبدا حتى
- ولا يوم أحاط به التلاميذ فى فناء المدرسة الابتدائية وجف
- حلقة وراح يجمع الكلمات •
- أهنأك شىء ؟
- هناك أشياء •

- أنا تحت أمرك •
- غصبا عنك •
- ومن غير غصب •
- فى هذه الحالة سنصبح أصدقاء • • صداقة لم تعرفها فى حياتك •
- أوامرك •
- هناك طريقتان • الأمر واحدة منهما •
- والأخرى •
- الاتفاق •
- بدأ فرغلى يسترد شيئا من كيانه المحترق وأحس الجفاف وقد أصبح رطبا بعض الشيء • واسترد أنفاسه المتلاحقة •
- من المؤكد أنك لا تعرفنى كما تظن •
- هل أنت سريع الأحكام دائما هكذا ؟
- لو كنت تعرفنى لعرفت أننى لا أمانع فى الاتفاق أبدا •
- ولكنك ان تمكنت قتلت •
- هذه صفة جديدة فى نفسى •
- والأحذية التى مزقتها فى المدرسة •
- مجرد أحذية •
- الآن يمكن أن تستبدلها بأرواح • •
- أعوذ بالله •
- هذا صوت أمين الشبراوى •
- أتعرفه ؟

- ان لم أكن أعرفه ماقلت أنك لا تمنع في تمزيق الأرواح •
- أنت تعرف الكثير •
- وأعرف الذين تعرفهم عن طريق فتحي •
- أيضا ؟! •
- هؤلاء يمزقون الحياة كلها •
- ولكنك تعرف • •
- أعرف أنك مع هؤلاء ومع هؤلاء وأنك في نفسك لست مع أحد الا نفسك •
- أنت تعرفني اذن •
- ونفسك هذه أشد خبثا وجبروتا من هؤلاء وهؤلاء جميعا •
- لا أعرف هذا في نفسي •
- ألم تقل ان أحدا لا يعرف نفسه •
- فكيف عرفت أنت هذا عني ؟
- هذا عملي •
- أوامرك •
- تعمل معنا •
- وماله ؟
- نحن يمكننا أن نقتل اذا غشنا من يعمل معنا •
- والجماعتان اللتان أعمل معهما يقتلان أيضا •
- القتل عندهما جريمة نتولى نحن ضبطها ويمسك الفاعل • أما نحن فنقتل قتلا شرعيا •

- شرعيا؟ \*
- هو قتل قانوني على الأقل \*
- أى قانوني هذا؟
- اذن فقل هو قتل رسمى لا عقاب عليه \*
- هذه هى الكلمة السليمة \*
- ماذا قلت؟
- أنت تعرف ماأريد أن أقول \*
- ستأخذ منا قدر ماتأخذ من الجماعتين \*
- وأين يكون اللقاء \*
- لاشأن لك بهذا \*\*
- والمرتب \*
- من المؤكد أنك ستجده فى جيبك كل شهر \*

## عود على بدء

**كان** وجود فرغلى فى الكلية يسكب عليه هذا المرتب الضخم ولولا خوفه أن تكشف عمته وزوجها أمره لاستقل بالسكن ولكنه أراد أن يظل فى بيتهم ليستر دخله ومنايعه فى وقت معا • فهو لا ينسى دهشتهم كلما اشترى ملبسا جديدا • وهكذا استطاع فرغلى أن يدخر مبلغا من المال لم يتصور أنه سيكون فى حيازته فى يوم من الأيام •

وحين ظهرت النتيجة وحصل على بكالوريوس كلية التجارة تولاه نوع من القلق فقد كان يخشى أن تستغنى عنه جهة من الجهات الثلاث التى يعمل فيها وهو بعد فى أول الطريق ولهذا لم يكن غريبا أن يفكر فى هذا الباشا بجانب قريتهم



ليضمن له الوظيفة • وكان يريد أن يوطد علاقته بنديم وان كانت فى غير حاجة الى توطيد الا أنه اليوم أصبح يحس أن أهل نديم سيفتحون له الطريق فى أول الأمر على الأقل • وحين فكر أن يعيش مع أبيه كان يريد أن يبالغ فى إخفاء ما ادخره من مال • فالأطماع من أبيه متكالبه فلو علم أن ابنه يملك مالا ما أعتقه أو ينال من هذا المال كل ما يستطيع أن ينال • وكان وصوله الى القرية قبيل غروب الشمس وكان نديم غائبا عن القاهرة فذهب فرغلى وحده وكان دخوله الى بيت أبيه محوطا بكثير من الشمور بالغربة فلا البيت بيته ولا سيدة البيت أمه ولا هؤلاء الأخوة أخوته الا بانتسابهم الى أبيه • بل ان أباه ليس أباه • فالأبوة ليست مجرد نقطة من دم تصبح انسانا وانما هى صلات عميقة تلقى بذرتها الى قلوب الآباء روح الله ليرعاها الآباء بالمعطف والحب والاشفاق الذى لا اشفاق مثله والتفانى الذى يصل الى منزلة التنازل عن الحياة فى سبيل سعادة الأبناء • وتنمو تلك الشجرة المقدسة الوريقة الخضراء فى كل الفصول لتصبح الأبوة التى يعرفها من الآباء أغلب الآباء ويعرفها من الأبناء أغلب الأبناء •

فاذا لم يزرع الأب هذه البذرة الربانية فليس عجيبا ألا تكون هناك أبوة وليس عجيبا ألا تكون هناك بنوة • بل وليس عجيبا أن يشعر الأب أمام ابنه بالخزى الذى يذكره دائما بهوان عواطفه ويشعر الابن أمام أبيه بالكره لذلك الكيان البشرى الذى كان يلتمس من قلبه الرحمة فوجد القسوة وينتظر الحب فوجد الانصراف ويتوقع المعطف كل المعطف فلم يجد الا الجمود كل الجمود •

كان أبوه جالسا بصحن الدار والى جانبه زوجته وقد ارتسمت على وجهيهما تلك الملاة التى يعرفها أهل الريف اذا

انقطع بهم الليل ووهنت الأقدام عن السير وشعر الناس كل الناس أنهم لن يجدوا من الحديث جديدا إذا هم تزاوروا .  
لحظات تهبط فيها الملالة على جو القرية كضباب ينتشر ويتجمد ساعات أو أياما ثم ينقشع ثم يخف الناس الى بعضهم البعض يسلمون بحديث فارغ أغلب الأمر أو بحديث جاد أحيانا .

كان ذلك اليوم الذى دخل فيه فرغلى الى البيت من أيام الملالة تلك . وكانت تلك الأيام عجيبة فى شأنها فأنت تجد الناس فى القرية كل الناس وقد اتخذوا قرارا يبدو فى ظاهر أمره فرديا وهو فى الحقيقة اجماعى أن يصيب الزهق نفوسهم كأنها تصعد فى السماء .

وحين دخل فرغلى ابتسم الأب فان تكن بذرة الأبوة لم ترتو ولم تصبح شجرة الا أنها موجودة على رغم أنفه . وان له الى ابنه حنيئا وان حاول أن يقمعه وان له عندما يلقاه لهفة وان تكن خجولا .  
- أهلا .

قالها صادقة صاعدة من أعماقه كأنما كانت مغلقة وانفتحت فجأة وقامت شهاوى عن مكانها لتلتقى به فى منتصف الطريق الى الكنبة التى كانا يجلسان عليها .

- أهلا مرحبا . . اسم النبى حارسك وضامنك . .  
أهلا . . أهلا بك فى بيت أبيك يا فرغلى .

لم تكن المرأة كاذبة فى مشاعرها فان فرغلى لم يكلفها من أمرها عنتا ولا رهقا طول هذه السنوات التى عاشتها مع أبيه وهى واثقة أنه مادام لم يكلفهم وهو تلميذ فهو الآن وهو فى ريعان شبابه أكثر بعدا عن ارهاقهم . . ومشاعر شهاوى مثل أغلب نسوان القرية تتشكل بالمكسب والخسارة .

فليس غريبا أن ترحب شهاوى بابن زوجها وأن تفرح بأنه  
جاء الى زيارة بيتها •

واستقبل فرغلى الترحيب بابتسامة يكاد يكون قد  
صنعها بيديه ليضعها على شفثيه • فانه منذ زمان بعيد قتل  
فى نفسه كل المشاعر الانسانية التى لاتعود عليه بربح  
مادى سواء عليه تمثل هذا الربح فى مال يكسبه أو قوة  
يبطش بها ان استطاع بطشا • وكان يعلم أن رغبته فى  
البطش عارمة وكان يخنزنها وينتظرها لتزداد عنفا على  
الأيام •

قبل أباه وقبلته شهاوى وزعقت •

— يا أولاد تعالوا شوفوا أخاكم •• فرغلى جاء يا أولاد •

وكانما انتفضت الأرض عن عفاريت أقزام وطوال  
وتحلق حوله أخوته يسلمون عليه ثم يتحلقون حوله وكأنه  
أعجوبة لم يروا لها شبيها • فهم لم يروه فى بيتهم قط  
فكانما وجوده فيه معجزة •

وقالت شهاوى لابنتها :

— قومى يانبوية نذبح ذكر البط لأخيك •• رجل  
عزيرة يافرغلى •

— لا لزوم ياخاله شهاوى •

— والنبي أبدا •• الا هذا •• أقل من ذكر بط ••  
أهلا •• أهلا بابننا البكرى •

قليلًا ماتحلق الأولاد حول أخيه ثم تسلموا واحدا بعد  
الآخر فان هذا الملل الذى يسيطر على القرية يعفى دائما  
الأطفال من بأسه بآمر من على رحيم قادر دائما أن يجعل

الحياة عند الطفل ضاحكة متجددة • ولم لا واللحظات التي  
تمر عليه كلها جديدة لم ير اليها ولم يعرفها فهو يتلقفها  
فى ترحاب من لهو الطفولة ومن شعورها الدائم بأمل فى  
الغد أن يكون أمتع من اليوم •

### قال فهيرم :

— طبعاً مبروك من غير سؤال فأنت لم تسقط طول  
عمرى •

— الحمد لله •

— يا ألف سنة بيضاء يا ألف يوم هنى يا شهاوى اذبحى  
ذكر البط وزوجته أيضاً • ابننا أخذ الشهادة الكبيرة •

• وكان الجواب أمراً لم يتوقعه فرغلى ولا مر به بخيال •  
انبعثت فى أرجاء البيت وانطلقت الى القرية الصامتة  
زغردة مرحة طويلة فرحانة وما أن انتهت حتى انبعثت  
أخرى من ورائها كانت زغردة نبوية وعاد الأطفال أو قل  
الصبية ان شئت يتحلقون وعرفوا الأنباء وماهى الا لحظات  
حتى انقشعت الملالة عن الجيران فجيران الجيران فالقرية جميعاً  
•• فرغلى نال الشهادة الكبيرة •• انها جديدة فى القرية  
كفيلة أن تبدد ضباب الملل وأن تقشع عن زهق النفوس  
سحائب السأم •

### وصاح فهيرم لفاروق ابنه :

— خذ اذهب فاشتر لنا زجاجتين من الشربات وأسرع •  
— ما كل هذا ؟

شعور جديد لم يعرفه فرغلى قبل اليوم واختلطت المشاعر  
فى نفسه حتى لا يدري ماهى •• أتكون هذه النفس

المنشحة وهذا الخفق الوانى سعادة • مهما يكن اسمها فهي  
شئ جميل يتمنى أن يبقى طويلا وتقاطر الناس آلى بيت  
أبيه وكان بينهم زملاؤه وهم يحتضنونه فى فرح وكأنما  
نالوا بما نال الشهادة الكبيرة هم أيضا •

هذا الدفء المتناغم الذى يعزف أعظم موسيقى عرفتها  
الانسانية العازفون هم البشر حين يؤلفهم الحب فيؤلف بينهم  
وتنبعث فى جنبات الدنيا أحلى ما وهبه الله للانسان وهم  
يحبون بعضهم بعضا بلا حقد • • بلا حسد • • بلا ضغينة •  
حتى تنسى البشرية عنصر الحيوان فيها فلا يرفرف فى  
أجوائها الا شفافية الانسان ولا يدف فى سمائها الا أجنحة  
المودة يتخطى الانسان العقبة ليصبح انسانا ثم يسمقون الى  
السماء ليصبحوا ملائكة • • لحظات هى قليلة فى حياة كل  
انسان ولكنها كافية أن تجعله على اليقين أنه كما يستطيع  
أن يكون حيوانا فى بشريته الترابية يستطيع أيضا أن  
يكون ملاكا فى نورانيته السماوية •

كانت شهاوى فرحة حقا • وكان فرحها فى هذه المرة  
غير خاضع لمقاييس المكسب والخسارة بقدر ما هو متأثر  
بالزهو بأن فى بيتهم فتى نال الشهادة العليا •

حين خلا البهو بفهم وفرغلى آخر الليل •

— آبا أنت تعرف عثمان باشا زكى •

— ومن لا يعرفه !؟

— وهو يعرفك •

— أرجو ذلك •

— أنت لست متأكدا •

— والله الرجل طيب • وكلما ذهبت الى هناك أكرمنى •

- مارأيك أن تكلمه لأتعين بأى شركة أو مصلحة .
- أنا وأنت على الله يا بنى .



كان فرغلى سائرا الى جانب أبيه متجهين الى بيت  
الباشا أو السراية كما تعودوا أن يقولوا .

كيف سألنى هذا النوع الجديد من الناس ؟ باشا . .  
الذى لاشك فيه أنه نوع فريد أو هو على الأقل نوع لم أر  
له مثلا الا فى صور الجرائد . نعم . . ولكن أين الصورة من  
الأصل ؟ .

أتراه يقبل أن يستقبل أبى وان فعل فكيف يلقاه ؟ . .  
ولماذا هو باشا وأبى هو الأب الساعى الى جانبى يروح تحت  
ألوان شتى من الهوان منها الفقر ومنها تصرفات الزمان  
ومنها كثرة العيال ومنها الذكريات المهينة ومنها الحياة  
المقيبة ؟

أىكون لهذا لباشا أيضا متاعبه ؟ أهو انسان له الآمال  
التي قد تبلغ الحقيقة أو تنزوى خزيانة منكسرة مهينة ؟  
أيخشى على أبنائه من الزمان أن يتركهم ليربيهم غيره كما  
فعل أبى وهل يفعل أحد مثلما فعل أبى ؟

أطويل الباشا أم قصير ؟ أىكون باشا وقصيرا أظن  
لايمكن . . . باشا . . . باشا . . انظر الى الكلمة تجد الحروف  
كلها ممدودة بالالف با . . شا .

بماذا سيقدمنى أبى ؟ . . ابنى فرغلى . . ماذا ؟ . . فرغلى  
عجيب أمر هذا الرجل . . ألم يستطع أن يحسن الى فى  
شئ أبدا ؟ يتزوج لى أما من السيرك . وراقصة . وتهرب  
. . هذا خير ما فعلته ثم حين يختار لى اسما يختار فرغلى . .

من أى مصيبة أتى بهذا الاسم ؟ فرغلى .. فرغ لى ماذا ؟  
 .. ماذا أفرغ لك ؟ أفرغ لك ماذا ؟ سما هريا ان شاء  
 الله فرغلى .. هل يمكن أن يوحى هذا الاسم الا بفراغ  
 المسمى به وغباء المسمى له ؟ حتى الاسم استخسرت أن  
 تختاره لى يا آبا الله يسامحك .

لم يكن الباشا طويلا بل كان قصيرا مبالغا فى القصر  
 فكان هذا أول خيبة أمل لفرغلى . ثم هو نحيف كخيال  
 العصا . ولكنه أنيس بشوش أحسن لقاءهما وكان الحديث  
 منه سمحا رصيا وانقلبت عند فرغلى كل الموازين . وحين  
 نال التوصية هجم على يد الباشا يريد أن يقبلها فاذا الباشا  
 يختطف يده اختطافا من يدى فرغلى المصممتين .. أستغفر  
 الله يا ابنى .. أستغفر الله .. لقد صنعت مستقبل  
 يامعالى الباشا .. المستقبل لا يصنعه الا اجتهادك وصلتك  
 ببربك .. يا أولاد الكلب تشترون دماءنا وذلنا بالكلام المنمق  
 وتدعون أيضا طاعتكم لله .. أطال الله عمرك يامعالى  
 الباشا وجعلك دائما نصير أمثالنا الذين يعيشون بين الناس  
 بحسكم .. أستغفر الله يا ابنى ربنا يوفقك .

\*\*\*

- لماذا سافرت من غير ابلاغى .
- أنا لا أعرف كيف أتصل بك .
- كان عليك أن تنتظر .
- خفت أن يطول الانتظار .
- وماذا عليك لو طال ؟
- كنت أريد أن ..
- نعرف السبب الذى سافرت من أجله .
- ألم يكن من الطبيعى أن أتعجل ؟

- اخوانك ينتظرون سنوات حتى يحصلوا على وظيفة •
- ولكنهم يسعون منذ أول يوم لتخرجهم •
- هذا اذا كانوا فقراء •
- ألا ترانى فقيرا ؟
- الآن •• وأنت تعمل مع ثلاث جهات كل جهة منها  
كفيلة أن تغنى أسرة •• ما المرتب الذى تتوقعه ؟
- المسألة ليست مسألة مرتب •
- قلت فى نفسك اننا كنا محتاجين اليك وأنت فى  
الجامعة وخفت بعد أن تخرجت أن نستغنى عنك وخفت أيضا  
أن تستغنى عنك الجهتان الأخريان •
- فلماذا تعجب من سفرى ؟
- المفروض ألا تترك القاهرة الا بعد اخبارنا •
- ها أنت قد عرفت دون أن أخبرك •
- هذا طبيعى •
- ومادام ورائى من ينقل أخبارى •
- لا تحاول أن تعرف شيئا عن وسائلنا ••
- المهم أن تعطينى الفرصة أن أكلّمك اذا أردتك •
- لا بأس •• اكتب هذه النمرة •
- وأسأل عن اسمك •• أقول وصفى أم ••
- تسأل عن اسمى طبعاً •• ولقبى أيضا •• الم لازم  
أول وصفى الحديدى •• أظنننا نعمل فى خلية ؟
- وأقول اسمى •



- نعم .. اسمك الحقيقي فرغلى .. لا نبيه الذى يطلقونه عليك عند فتحى .
- مفهوم .. مفهوم .
- لمن أخذت التوصية .
- لوحيد بك عفيفى .
- شركة الأثاثات المنزلية .
- نعم .
- خيرا فعلت كننا سنبحث لك عن الوظيفة فى شركة كبيرة لتكون عينا لنا على أصدقاء أمين وأصدقاء فتحى .
- وهذه الشركة فيها أصدقاء لأمين .
- ولفتحى أيضا .
- هايل .
- طبعاً .. ضمننت بقاءك فى الجهات الثلاثة .



حين بدأ فرغلى عمله فى الشركة كان مسلحاً بأسلحة لا تتوفر لأحد فيها ولا يستثنى من هذا الإطلاق رئيس مجلس إدارة الشركة نفسه . فقد يكون رئيس مجلس الإدارة غنياً بالمال قوياً بتأييد أعضاء مجلس الإدارة وبالمساهمين أيضاً . بل هو مسلح أيضاً بمعرفة الشخصيات الهامة فى الحياة العامة . ولكن أين هؤلاء جميعاً من شخصية وصفى وحده . فكيف إذا انضم إليه أصدقاء فتحى وهم على قلتهم النادرة فقد كانا اثنين فقط إلا أنهما يملكان تأثيراً قوياً على العمال . وكيف إذا انضم إليهم أصدقاء أمين وقد وجد منهم

فرغلى فى الشركة اثنى عشر • كل هؤلاء أصبحوا أصدقاءه منذ اليوم الأول • فما هى الا بضعة أسابيع حتى أصبحت أسرار الشركة كلها بين يديه • ومن يستطيع أن يلعب بهذه الأسرار فى مهارة فائقة مثل فرغلى •

عرف فى خبره أنه اذا لم يشرك وصفى فى هذه الأسرار فانه لا يستطيع أن يستعملها فى حرية كاملة • وكان فرح وصفى بهذه الأخبار التى تجمعت بين يديه لا يقدر ولم يكن ساذجا فى هذا الفرح فما هى الا بضعة أشهر حتى رقى الى رتبة يوزباشى •

وحين علم بالترقية طلب فرغلى وقال له فى صراحة لم يعهدا منه فرغلى أبدا :

- أنت السبب فى هذه الترقية •
- بل أنت السبب •
- أنت الذى جئتنى بكل هذه الأخبار •
- وأنت الذى اخترتنى •
- الغداء عندى باكر •
- وهو كذلك •
- اتفقنا •
- على شرط •
- اشرط •
- تتغدى عندى بعد باكر •
- عندك • • وهل لك عند •
- طبعاً •
- تقصد عند عمته •

- تركت بيت عمتي منذ توظفت \*
- وطبعاً قطعت علاقتك بها \*
- لا والله .. على العكس .. جعلتها هي التي تفرش لي الشقة ودعوتها للغداء هي وعم حسين وممدوح وزوجته ويحيى وزوجته .. مارأيك ؟
- أردت أن يروا العز الذي أصبحت فيه ؟
- ممدوح وعزت يملؤهما التكبر \*
- وماذا قالوا ؟
- وجوههم قالت أشياء كثيرة \*
- طبعا الفرش جديد وعندى راديو وعندى أيضا ..
- لن تصدق \*
- منك أنت أصدق أى شيء \*
- أحزر ماذا عندى ؟
- طباح أسمه عبد الشافى الملوانى \*
- يانهار أسود .. لا مؤاخذه .. نسيت أنى اكلبك \*
- لاتنس هذا أبدا \*
- نتغدى عندى بعد باكر \*
- وعندى باكر \*

## دنيا جديدة

**أيمكن** أن تكون هذه أنسة ؟ كيف ركبت هذا التركيب ؟ كيف استطاع وجهها أن يكتسب كل هذه الرجولة ؟ الرجولة الصارمة في عنف .. وجهها يقول لا دون أن يسأله أحد شيئاً .. ابتسامتها تشنّج مزمن التصق بشفتيها لا يبارحهما الا اذا تحدثت واذا تحدثت في تودد كان توددها نوعاً من العنف والزجر .. ووجهها الأسمر الأخضر الذي يذكرك بالنحاس لم ير الجلاء ولا عرف اللمة يضيف الى الزجر البادى في توددها رنيناً من التهديد في نغمات صوتها حين تريد هذه النغمات أن تكرمك بعزومة على مأكّل أو مشرب .. في أى مصنع ركبت هذه الآنسة ؟ لا بد أنها

كانت بروفة للمرأة صنعت خارج مصنع النساء مثل  
كاريكاتور امرأة أو خطوط خارجية غير دقيقة لأنثى فإذا هي  
رجل عنيف •

طويلة أطول من أخيها وصفى • • نحيفة ولكن لا بد  
أن تصبح سمينة فى يوم من الأيام • فقد شاء باريها سببها  
أن يجعل الانبساط الذى كان ينبغى أن يكون فى وجهها يترك  
الوجه ليرتمى على أطرافها واستدارة جسمها دون حاجة من  
الأطراف أو الجسم اليه فإذا هي مخلوق مترهل الأطراف  
والصدر وما بعده فنازلا الى الأقدام ، جامدة الفم والأنف  
والعينين وشعر الرأس • كأنما أرادت السماء لحكمة لا يعلمها  
الا علام الغيوب أن يقلب كل الأوضاع فى هذا المخلوق  
فينسرح مايطيب أمره اذا أصبح دقيقا ويعنف مايجمله شكله  
اذا مسته الساحة ويغلظ ماينبغى أن يدق ويتجمد مايليق  
به أن يلين فهي سمينة حيث يجب أن تكون نحيفة وهي نحيفة  
حيث يجب أن تكون مليئة وكأنما سحب الله الشعاع من عينيها  
فلأيدرى من يرى أهي نائمة مفتحة العيون كالأرانب أم  
يقظى مخدورة العينين كالخشاشين •

هذه المرأة خلقت لتكون زوجتى • • أنا لن أجد من هذه  
الطبقة أحدا يتزوجنى الا هذه الأنسة أو هذا المخلوق •  
أخوها يعرف كل شئ عني • • وهو يدرك تماما أن أخته هذه  
لن تتزوج أبداً فأين يجد لها زوجا مثلى ؟ • ستاره بكالوريوس  
تجارة وموظف فى شركة يعرف كل أسرارها فهو يعرف  
الطريق فيها الى عليا مناصبها • وحقيقته فتى ضائع أبوه  
عامل بالسكة الحديد وأمه غزية هاربة من أبيه منذ عشرين  
عاما وهاربة من الزمن حاليا • ان قيل لأسرته من العريس  
قفزت وظيفته لتكون الجواب وان قيل من أبوه قيسل من

الأرياف وهذه الأرياف الرحبة التى تستوى فيها الحقول ويشمخ نبات الفقير بجانب نبات الغنى وتجاور القرايط القليلة اليسيرة العدد آلاف الأفدنة فلا يدرى المار لمن الأفدنة ولمن القرايط . هذه الأرياف تستطيع أن تخفى فى حنايا اسمها المتسع الجوانب المترامى الأرجاء الأعيان والعامّة والأسرة المستورة والأسرة المتهرئة وكذلك تستطيع أن تخفى شأن أبيه وماضى أمه مع ماتستره من حقائق لايعرفها الا حلیم ستار .

وأخوها وصفى فى المكان الذى أتوق أن يكون فيه نسيبى فعلى يديه ومن شعاع عينيه النافذ ومن ذكائه الوقاد تصنع سياسة مصر فى كل العهود . .

هو خير من نديم ألف مرة . . صديقى الوحيد الذى ينتمى الى الطبقة العليا من المجتمع ولكنه بالنسبة لى حلية أتحدى بمعرفتها ولا أنتفع منها الا بالقليل أو بالأقل من القليل . فأبوه ينتمى الى حزب والحزب فترة . . وأبوه ينتمى الى طبقة . . وأى طبقة استقرت بها الحياة على حال واحدة . أما وصفى فرجل كل الأحزاب والمرتبجى فى كل العصور حتى اذا انقلب المجتمع فأصبحت رأسه مكان قدميه وقدماء مكان رأسه فسيظل وصفى فى مكانه يزداد رفعة مع كل تغيير ويبلغ أقصى قيمة مع كل أنقلاب .

لماذا أكفر بالله ؟ . . هل أكفر ؟ . . ان معنى كفرانى أننى أفكر فى ذات الله . والحقيقة أن ذاتى هى التى أفكر فيها ولا وقت عندى لأنى تفكير آخر حتى فى الله ومالى لا أقول خصوصا فى الله !؟

ولكننى أجد نفسى اليوم مضطرا أن أفكر فيه . فقد

ثبت عندى أنه موجود لاشك وأنه واحد لاشك فيه أيضا •  
وقد كنت قرأت فعلا لأحد الأدباء العلماء يقول أن الذى خلق  
الشمس لابد أن يكون هو الذى خلق العيون لترى بها والنبات  
ليعيش من ضوءها والأرض لتنبت من شعاعها • والذى خلق  
البلح والعنب لابد أن يكون هو الذى خلق الانزيمات التى  
تهضم هذه الفواكه • ويسير صاحب المقال فى اثباته بطريقة  
علمية وأدبية ولم أكن حين قرأت المقال أفكر فى مناقشته  
وانما كانت فترة فراغ فى المكتبة ووجدت المجلة الى جانبى  
فتصفحتها فكان هذا المقال وقد ثبت فى ذهنى لا اقتناعا منى  
به ولكن المقال وجد خانة الثقافة فى عقلى خاوية تماما  
فاستقر غير مزاحم وبقي فى ذهنى وأتاح لى أن أتذكره الآن  
وانى أعرف تماما لماذا أتذكره • فالذى خلق الشمس هو الذى  
خلق العيون التى يرى فى ضوءها والنبات الذى يحيا فى  
شعاعها والذى خلق الفاكهة وما يهضمها من الجسم هو • •  
هو نفسه الذى خلق الأنسة حياة وخلقنى لأكون زوجها لها •  
الله خلق هذه التركيبية البشرية أو غير البشرية وأهلها هم  
الذين أسموها حياة ولكن الذى لاشك فيه أنهم لم يكونوا  
يدركون يوم أطلقوا عليها هذا الاسم أنها ستب لتصبح هذا  
الكيان فان لكل غش وخداع أمدا يقف عنده • واسم حياة  
لهذه المخلوقة يتجاوز كل مدى •

والذى لاشك فيه أيضا أنهم حين استبان لهم أمرها  
وظهر من خلقتها ما كانت تخفيه الطفولة لم يفكروا أن  
يغيروا الاسم ويقلبوه لأن اسم ممات غير شائع فى الأسماء •

وصفى يعرف عنى كل شىء ولكنه أيضا يرى اخته فى  
كل لحظة يقضيها بالبيت وهو أيضا يعلم أنها لا يمكن أن  
تتزوج من حامل شهادة عالية طبيعى لا عيب فيه • لابد أن

- يكون هذا الزوج مشوباً بكثير من النقصان حتى يتزوجها
- وفرش البيت واضح لاشك فيه أنهم أسرة مستورة ..
- ومستورة بالعافية فمن هذا الذي يمكن أن يتزوج حياة الا  
ابن غزية وعامل تلغراف •

وتم الزواج



## الحسابات

**حسابات الشركة** في يد فتحي • والموظفون القدامى يحبون أن يستغفلوا الموظف الجديد فآلقوا اليه بالدوسيهات لايفرقون بين مايجب أن يعرفه ومايجب ألا يعرفه وهو يعمل في صمت ويرى ماوراء الأرقام ويتتبع المشروعات فيسير فيها الى الوراء حتى يعرف كيف بدأ كل مشروع وكيف سار حتى يلم الماما كاملا • وان أحدا من موظفي الحسابات لم يفكر هذا التفكير أبدا لان أحدا من هؤلاء الموظفين لم يكن فرغلي • وكل مشروعات الشركة موزعة على القسم كله ثم هي بعد ذلك موزعة على الأقسام جميعا • فالعقود في ناحية وأوامر الشغل في ناحية والمتصرف في ناحية والايادات في ناحية •

واستطاع فرغلي بحذق المتفرغ والمستهدف أن تصبغ  
كل هذه المعلومات بين يديه •

والعجيب أنه استطاع فى أناة وصبر وتدبير من واجه  
الحياة بأمر غازية وأب غير مبال أن يصور كل المستندات  
التي يريد • فتجمعت بين يديه عشرات المشروعات لو  
قدم واحدا منها الى النيابة العامة لانفتحت أبواب السجون  
لتستقبل عدة أشخاص ثم تنتقل عليهم لسنوات وسيكون على  
رأس هؤلاء الداخلين سعادة وحيد بك عفيفى رئيس مجلس  
الادارة •

دهش حين تقدم اليه السفرجى فى بيته وبيده طبق فضى  
ليس فيه الا بطاقة مكتوب عليها فرغلي فهيم ثم بخط صغير  
شركة الأثاثات المنزلية • نظر الى البطاقة نظرة سريعة ثم  
نظر الى السفرجى •

— ما هذا ؟ •

— منتظر على الباب •

— الباب الخارجى •

— داخل البيت •

— باب الحديقة •

— قل له يقابلنى فى الشركة اذا أراد وحين يحدد له  
السكرتير موعدا •

وانصرف السفرجى ليعود مرة أخرى وبيده نفس الطبق  
ونفس الكارت فنظر وحيد بك الى خادمه مندهشا وخشى  
الخادم أعقاب هذه الدهشة •  
— كتب لسعادتك كلاما •

وقرأ وحيد بك •• من مصلحة سعادتك أن ألقاك بالبيت  
ومزق وحيد بك البطاقة في غضب وقال للسفرجى قل له من  
مصلحتك أنت ألا تقابلنى مطلقا هنا أو فى الشركة امشى •

\*\*\*

قلب السكرتير الظرف الكبير بين يديه وقرأ •• حضرة  
صاحب السعادة واحيد بك عفيفى رئيس مجلس ادارة شركة  
الأثاثات المنزلية • سرى ولايفتح الا بمعرفة سعادته مع تحيات  
فرغلى فهيم بحسابات الشركة • وازدادت دهشة السكرتير حين  
وجد الظرف مغلقا بالشمع الأحمر فى ثلاث مواضع من غطائه  
وابتسم فى استخفاف ونظر الى فرغلى ثم عاد فنظر الى  
الظرف ••

- ماكل هذا ياأستاذ •• أهى أحراز نيابة ؟
- حين يطلع عليها سعادة البك سيعرفها •
- أليس من المفروض أن أعرفها أنا قبل أن أدخلها الى  
سعادة البك • وقال فرغلى فى أدب شديد أقرب الى الذلة •
- يأسعدون بك لو كانت الشركة تريدك أن تعرف كل  
مايعرفه سعادة رئيس مجلس الادارة لعينتك أنت رئيسا  
لمجلس الادارة •
- أستاذ فرغلى أنت قليل الأدب •
- يأسعدون بك هذه صفة لا أستحقها فلو كنت كذلك  
لقلت لسعادتك يلعن أبوك ولكننى ••
- اخرس امشى اخرج من •••
- كما ترى أنا رجل مؤدب ولم أقل لسعادتك يلعن  
أبوك •

– يلعن أبوك أنت ابن ستين كلب •

– وهكذا يأسعدون بك يتضح لسعادتك أنه لست أنا  
من يمكن أن يقال عنه قليل الأدب •  
– أنا يا ولد ؟!

– يأسدون بك كلمة أخرى وستجد حذائي على نافوخ  
سعادتك •

– ماهذه المصائب •• من أي بلوى قذفت علينا •  
ياادريس ياابراهيم والله لأخرب بيتك يا صايع يا •• سعادة  
البك •

كان وحيد بك قد أصبح في وسط حجرة السكرتير  
ورأى سعدون وهو في حالة هياج شديد وأمامه شاب يرتدى  
حلة جديدة متنافرة الألوان سيئة التفصيل ورباط عنق يصرخ  
بأنه خلق ليلبسه من لا يعرف عن الأناقة شيئاً والشاب هادئ  
وعلى فمه ابتسامة تؤكد أنه يمكن أن يكون أي شيء الا طرفاً  
في هذه الخناقة التي يكاد أن يموت فيها سعدون من الغيظ •

وانكتم سعدون أو انغلق فمه أما وجهه فمازال يصرخ  
ومازال يقول كلاماً كثيراً • وأقبل الساعة وامتلأت الحجرة  
بموظفي الحجرات المجاورة وراح وحيد بك يقلب نظره في  
الواقفين جميعاً ثم قال ماذا جرى ؟

وتقدم فرغلي في خطى ثابتة الى مكتب سعدون وأمسك  
الظرف وقدمه في استحياء وأدب الى وحيد بك •

– سعادة البك هذا الظرف لك •

وأمسك وحيد بك الظرف وراح يقلبه بين يديه وكلمه  
قلبه ازدادت دهشته وصاح في احتياج :

— يا أفندى أنت ألم تأت أمس الى بيتى وأرسلت لك أمرا  
• ألا تجعلنى أراك فى البيت أو الشركة •  
— حصل يا سعادة البك •  
— فلماذا جئت الى مكتبى ؟

— أنا يا أفندم لم أطلب من سعدون بك أن يستأذن لى  
عليك تنفيذ لأوامر سعادتك • • كل ما طلبته أن يوصل هذا  
الظرف الى سعادتك • • والآن وقد وصل الظرف فانا  
آسف ان الظروف جعلت سعادتك ترانى ولكن سعادتك  
تأكد أن هذا لن يحدث مرة أخرى الا اذا أمرت سعادتك • •  
عن اذن سعادتك • شكرا يا سعدون بك آسف يا عم ادريس  
يا عم ابراهيم آسف • • آسف يا بكوات • • عن اذنكم •

وخرج فرغلى من الحجرة بطريقة تمثيلية عجيبة فقد راح  
يتراجع بظهره الى الباب وعيناه على وحيد بك الذى تولى  
الذهول الذى تولى جميع الآخرين وحين أحس فرغلى أنه قريب  
من الباب استدار فى هدوء ولم تفت أذنيه أوامر وحيد بك كل  
واحد يروح لشغله • • مع السلامة •

\*\*\*

لم يدر وحيد ماذا يفعل • • هل يستدعيه فورا فينكشف  
كل الذى يريده أن يختفى ؟ • • هل ينتظر ؟ • • لا يستطيع • •  
دق جرس السكرتير ودخل سعدون وأثار حمرة غاضبة مازالت  
على وجهه •

— أريد ملف هذا الأفندى •  
— لا بد من رفته فورا يا سعادة • •  
— هات ملفه وبطل غلبه •  
— أمرك يا أفندم أمرك •

كانت الساعة تقترب من الرابعة حين وقفت سيارة  
رئيس مجلس الادارة على باب العمارة التى يقطنها فرغلى •  
ولم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة حين كان فرغلى جالسا  
الى وحيد فى غرفة مكتب وحيد بفيلته التى لم يستطع فرغلى  
فى أمسه أن يتخطى باب حديقته •

— أوامرك •

— مكاسب هذه السرقات مائة وخمسة وعشرون ألف  
جنيه •

— نعم؟! •

— أنا خريج تجارة يا سعادة البك •

— ربما كان المبلغ قريبا من هذا •

— ليس قريبا يا سعادة البك • • المبلغ هكذا تماما •

— ليس هذا نصيبى وحدى •

— هذا نصيب سعادتك وحدك •

— هل جننت؟ •

— نصيب مدير الشركة ستون ألف جنيه والسكرتير العام  
خمسة وعشرون ألفا ورئيس العقود ورئيس الحسابات عشرة  
آلاف لكل منهما •

• وهوم الصمت تماما على الحجرة ولم يفتح فرغلى فمه •  
واضطر وحيد أخيرا أن يقول •

— النهاية • • طلباتك •

— عشرون فى المائة •

— هل جننت؟ •

— من كل واحد فيكم •

— هذا مستحيل •

— من أين ؟

— حساب سعادتك فى البنك مائتان وخمسة وعشرون

ألف جنيه ومائة وخمسة مليمات وانتفض وحيد واقفا •

— هى حصلت حسابى فى البنك •

— أنا لى وسائلى •

وبينما انعقد لسان وحيد أخرج فرغلى من جراب ابن الغزية ابتسامة فيها فرح وفيها خبث وفيها تظاهر بالسذاجة وفيها شكر لأخى زوجته وصفى الذى مكته أن يقف هذا الموقف المسيطر الذى لو كان أنبأه به أحد يوم التف حوله تلاميذ المدرسة الابتدائية يهزون له أوساطهم لرماء بالجنون والعتة • وهاهو ذا اليوم يعتصر رئيس مجلس إدارة اعتصارا حتى لم يبق منه الا نفاية مفضنة لا تصلح أن تكون بشرا •

— أظن أننى أستطيع أن أدفع كل هذا المبلغ ؟

— المؤكد أنك تستطيع والباقون أيضا يستطيعون •

— أترى الأمر سهلا ؟

— هو أكثر من سهل • فليس فى مصر أحد لا يعرف

طريق النيابة العامة •

— ألا نتفاوض ؟

— لا بأس •

— تكون شريكنا •

— هذا كلام عن المستقبل أم عن الماضى •

- الماضي راح لحاله .
- وخلف عشرات الآلاف ومئاتها .
- لتكن شريكنا فى المستقبل .
- هذا أمر أفرضه ولا يحتاج الى اتفاق معكم .
- من الواضح أنك ستطلب أشياء أخرى .
- أنتهى أولا من المبالغ المطلوبة .
- خفض النسبة .
- لامانع فان الصلة بيننا ستستمر ولا أحب أن أجعل نفوسكم شديدة المرارة .
- أنت شديد الذكاء .
- أعرف ذلك وستنتفعون أنتم بهذا الذكاء نفعا كبيرا .
- كم تريد ؟
- خمسة عشر فى المائة .
- موافق .
- اكتب الشيك .
- ألا أعرف أولا بقية الطلبات ؟
- أنا وحدى الذى أحدد متى تعرف هذه الطلبات .
- هاك الشيك .
- ونظر فيه فرغلى فى هدوء وثبات وكأنه تعود ان يمسك  
بمثل هذه المبالغ .
- والآخرون ؟
- شأنك وإياهم .
- بل شأنك أنت .



— أمرك •

— غدا يصدر قرار بأن أصبح سكرتير عام الشركة •

— ماذا ؟

— والسكرتير العام يصدر قرار بترقيته الى نائب رئيس

ويفصل القرار بحيث يصبح بلا عمل على الاطلاق •

— اهذا ممكن ؟

— وحيد بك أنا أعرف تماما كل ما هو ممكن وكل ما هو

غير ممكن •

— وماذا يقول الناس وماذا يقول الموظفون ؟

— أى قول سيكون أبسط مما لو رأوا المستندات منشورة

بالجرائد •

— أمرك •

— شئ آخر •

— لا أملك المناقشة •

— العقود التى تربحون منها بعد ذلك توقعها أنت

ونشاركك نحن فيها أنا الشريك الجديد وشركاؤك

السابقون •

— وأنت ما شأنك بشركائى السابقين •

— ألا تفهم ؟

— لا تريد أن يفشوا الأسرار •

— مادمت فاهما فلماذا تسأل ؟

— وما الحصة التى تقدرها لنفسك ؟

— نفس الحصّة التي كان يأخذها السكرتير العام وعليك  
أنت أن تتنازل عن جزء من حصتك لسعادة النائب  
المجديد .

أطال وحيد بك النظر الى فرغلي وراح يتوقف ببصره  
عند كل ثنية من وجهه وذعر عندما طالع عينيه وتبين فيهما  
أنهما يفضيان الى فراغ عميق أسود قائم مخيف وازداد ذعره  
وهو يرى فرغلي يصمد لنظراته وكأن أحدا لا ينظر اليه . .  
جراً لاتتأتى الا لابن فهيم وتحية .

### « افراج عن حميس »

**لم** تعرف الشركة بل لم تعرف أى شركة شخصا  
سريما فى اتخاذ القرارات حاسما فى تنفيذها صارما فى  
العقاب وكريما فى المكافأة مثل فرغلى .

فى مدى شهر واحد . . انقلبت الشركة رأسا على  
عقب . وأضاف الى اسمها كلمة جديدة . . كلمة واحدة  
قلبت موازين الشركة جميعا فبعد أن كانت شركة الأثاثات  
المنزلية أسماها شركة البناء والأثاثات المنزلية . وحين حاول  
مجلس الادارة أن يعترض بأن الشركة ليس بها جهاز هندسى  
للمقاولات قدم الجهاز كاملا مبتدأ بالمحاسب نديم الطوبجى  
والمهندس يحيى حسين ابن عمته بل ودايبب الشركة أيضا  
ممدوح حسين ابن عمته الثانى وصدر القرار .

وأحس فرغلي أنه فى ربيع حياته • نديم ويحيى  
وممدوح يعملون جميعا تحت رئاسته •

وهو الأمر الناهى فى الشركة والرئيس واحد من أتباعه  
هذا هو الربيع الذى اخترق اليه المهانة والذلة والآسى  
والحزن والفقر فاغرا فاه كوحش أصابه الجنون وأمومة  
ممزقة السمعة كخرقة بالية قدرة متهراة متهتكة ملعونة  
وأبوة كالمدم أو أشد حقارة •

فى هذا الربيع الذى تحيط به أنفاسه أراد أن ينسى  
كل شيء والناس الذين يكونون أسرته أشياء لاتصلح لتكون  
عائلة أو تكون آدميين •

وكلما ألحت عليه جروح الذكرى استدعى يحيى أو  
استدعى ممدوحا فأحس أنهما بوجودهما تحت رئاسته  
يمحقان الماضى جميعا •

كان جالسا بمكتبه حين دخل السكرتير مرتبكا خائفا :

— سعادة البك •• تسمح •

— قل •

— فقط •

— قل •

— شخص يقول أنه والد سعادتك •

— من ؟

— يقول هذا ياسعادة البك •

— قل له يذهب الى البيت •

— ممكن أن يدخل وأمنع أى أحد بعد ذلك ••

— امش قل له يذهب الى لبيت •• اخرج •

أكرمت حياة ضيافة حميها فهيم وقدمت له التحايا من  
حلوى الى قهوة الى مشروبات باردة وأبدت له من الاهتمام  
ما استطاع به أن يبتلع طرده من مكتب ابنه .. وماله ..  
أنا أبوه ويجب أن تكون زيارتي له فى بيته لا فى شغله .  
وجاء فرغلى ودون أن يبدى ترحابا ولو كاذبا بأبيه .

— لماذا جئت الى الشركة يا آبا ؟

— أردت يا ابنى أن أراك فى مكتبك ولك ساعة وسكرتير  
وحجرة خاصة .

— كل هذا لا يبرر مجيئك الى مكتبى .

— معلش يا بنى .. ربنا يخليها حياة قامت بالواجب .

— ماذا تريد يا آبا ؟

— لا شئ يا ابنى .

— بل تريد .

— ومادمت تعرف فلماذا تسأل ؟

— لأننى أريد أن أناقشك .

— الحكمة يا ابنى لا تحتاج الى نقاش فليس فيها شك .

— كل شئ فى الدنيا يحتاج الى نقاش وفيه شك .

— ليس فى الله شك يا ابنى .

— دع الله ولا تدع التصوف . هذا موضوع لا أناقشه

ولا أناقش حتى اذا كان يحتاج الى نقاش أم لا يحتاج .

— يا ابنى الحالة ..

— صعبة .

- طول عمرك ذكى وتفهمها وهى طائيرة .
- متى عرفت ذلك ؟
- ألسنت أباك ؟!
- متى كان هذا ؟
- أهذا أيضا يحتاج الى نقاش ؟
- بل هذا هو موضوع النقاش .
- من أبوك اذا لم أكن أنا ؟
- اذا كان معنى الأبوة أنك قضيت لحظة هائلة مع زوجتك أصبحت أنا نتيجتها فأنت أبى ولكن أهذه هى الأبوة ؟
- هل قصرت فى شىء ؟
- هل فعلت شيئا ؟
- فكيف تعلمت ووصلت الى ما أنت فيه ؟
- تعلمت بالصدقة ووصلت الى ما أنا فيه بالرغم من أنك أبى وليس لأنك أبى .
- لماذا تكرهنى كل هذا الكره يا فرغلى ؟
- كل هذا الكره وهل رأيت ؟ . . . يكفى أنك سميتنى فرغلى . . . الم تجد الا هذا الاسم .
- يا بنى كان يتهيأ الى أنه اسم طيب .
- أمعقول أن يختار أب لابنه اسم فرغلى .
- وكيف كان يمكن أن أستشيرك فى الاسم ؟
- وهل هذا الاسم يحتاج الى استشارة ؟ . . . وهل كان يمكن أن تجد اسما أسوأ منه .

— شحات مثلاً •

— له معنى على الأقل • • ثم شحات هذا صفة مرت على  
أوقات طويلة كنت أتمنى أن أحصل عليها • وحين كنت أعمل  
بالقهوة ماذا كنت ؟ شحات • كان سيكون اسماً على مسمى  
على الأقل •

— على قدر جهدى •

— أنا أضرب لك مثلاً قد يبدو بسيطاً ولكنه مجرد مثل •  
— أهنأك أشياء أخرى تريد أن تقولها ؟

— وهل قلت شيئاً ؟

— كل هذا ولم تقل شيئاً •

— لم أقل شيئاً مطلقاً •

— ماذا فعلت لك يا ابنى ؟

— هل أنت حقاً لست تدري ؟

— كان يتهياً لى دائماً أنى كنت أبا طيباً •

— خطأ • الطيب هو الذى يعرف الخبث والذكاء واللؤم  
ويختار أن يكون طيباً • ولكن أنت مخلوق هكذا تدمر كل  
ما حولك ولا تحس أنك أسأت فى شىء ويكفيك أن تقول  
لنفسك أنك طيب وهل تستطيع أن تكون غير طيب واخترت  
الطيبة ؟ هذا النوع من الطيبة له أسماء أخرى كثيرة لا أحب  
أن أقولها لأننى واثق أننى نقطة من دمائك •

— وهل أبقيت من هذه الدماء شيئاً ؟

— بل انها هى التى تمسك بى فلا أصفك •

- وصفتنى يا ابنى لاشك فى ذلك .
- لا أنا لم اقل شيئا .
- بل قلت يا بنى .. قلت على الأقل أننى أهبل خيبة خبيق .
- لم أكن أتصور أنك تستطيع أن تفهم كل هذا .
- أنت حكمت على من غير محاكمة يا فر .. يا بنى .
- قل فرغلى لقد تعودت عليها .
- لماذا لم تسألنى ؟
- أرى نفسى قتيلا وأسأل قاتلى وهو أمام عينى .
- يا بنى هذا القاتل تسأله المحكمة انما أنت صنعت من نفسك المجنى عليه والشرطة والنيابة والمحكمة وزدت فحكمت دون أن تسمع منى حرفا كما تفعل الشرطة أو النيابة أو المحكمة .
- لا داعى لهؤلاء جميعا .
- أهكذا تصنع فى الشركة ؟
- هكذا أصنع وهكذا سأصنع طول عمري .
- فأنت ظالم .
- لا يهم .
- ان كنت ذقت الظلم حقا ما ظلمت .
- ما دمت ظلمت فلا يعنينى أن أظلم كل الناس .
- حتى أبوك ؟!
- وخصوصا أبى .
- أجرىمتى كبيرة الى هذا الحد ؟



- يكفى أنك .. يكفى أنك ..
- ماذا .. يكفى اننى ماذا ؟
- اخترت أمى من السيرك .. يكفى أنك جعلت أمى غزية .
- أتحاسبنى على هذا ؟
- ألم تفكر ماذا سيلقى ابن الغزية من الحياة ؟
- أما كفانى مالمقيته من أمك ؟
- الذى لمقيته أنت أمر كان يمكن أن يحدث أولا أما ما لمقيته أنا وما ألقاه وسأظل ألقاه فأمر كان مؤكدا منذ كتب كتابك عليها .. ألم تدرك هذا ؟
- لا حول ولا قوة بالله .
- بل ان لى أيضا القوة التى وصلت بها والتى سأصل بها رغم كل ما صنعت بهى .
- وكفرت أيضا .
- ومن قال لك أنى آمنت يوما حتى أكفر
- تكفر بالله ؟
- التفكير فى الايمان والكفر أمر يشغل من لا تشغله نفسه .
- أما أنا فحسبى الله ونعم الوكيل .
- ليكون حسبك كما تشاء .
- لن ترانى بعد اليوم .
- هذا شيء لم أفقده يوما ويسعدنى اليوم أن أفقده .

- تجبر ما شئت ولكنك ستحتاج الى الله وستحتاج الى -
- أفضل أن أموت قبل أن أحتاج الى أحد منكما .
- ومن قال لك أنك تعيش ؟
- انه أنت الذى لا تعيش .

- كنت أظن ذلك أما اليوم وبعد أن رايتك فقد تبين  
لى أننى أعيش . . . أعيش ملء الدنيا وملء العليا . . . ملء الحياة  
وملء الآخرة . . . أنا أسعد بضحكة من ابن لى ، ببسمة من  
زوجتى ، وأهناً بصلاتى وأسعد وأنا أرى أن الطريق بينى  
وبين الله مفتوح واضح منير أنا أعيش . وسأحاول أن  
أنساك تماما لأنك أكثر موتا من الميتين . لا سلام عليك  
يا فرغلى وأرجو ألا يجمعنى بك بعد اليوم طريق .

- أمنية أتمناها أنا أيضا .

وسمع الأب توديع ابنه وهو يقفل باب الخروج وارتمى  
فرغلى على الأريكة الوثيرة وقد انقسمت نفسه أقساما بعضها  
مرتاح وحجته أنه قال ما تمنى قوله طول حياته وبعضها  
مرتعد لأنه سمع وعيدا لم يسمعه وسمع من أبيه وصفا  
لوجوده فى الحياة شك قلبه بحربة مسنونة وشق أمه بسيف  
باتر . وفكر وما أطول ما فكر ثم مال بث أن أطلق ببسمة  
سخرية وطلب من حياة طعام الغداء .

«سواتر»

**نديم الطوبجى** ابن أسرة عريضة الاسم ضامرة  
 الشروة شأنها فى ذلك شأن كثير من الأسرات المصرية التى  
 اضطرت أن تحافظ على الاسم العريض بالانفاق الذى  
 لا يتواءم مع حقيقة ثروتها . وهذه الأسرات تصبح مع الزمن  
 ذات مظهر خادع يظن من لا يعرفها أنها على ثراء حين تعلم  
 هى والمقربون اليها أنهم يتسترون بالكبرياء ولا أقول الكبر .  
 فهذه الأسرات فى أغلب أمرها يتمثل غناها الحقيقى فى  
 صلاتها بالناس من جميع المشارب والدرجات فهم أصدقاء  
 لكثير من الفلاحين ولأعيان الفلاحين وللوزراء الذين ينتمون  
 جميعهم بلا استثناء الى الفلاحين أو أبناء الطبقات المتوسطة

والذين وصلوا الى مناصبهم الوزارية بالعلم وبصلاتهم. وصلات آبائهم بالقرى وبلغوا من المجتمع المصرى هذه المكانة المرموقة . ولولا أننى الآن أكتب لك رواية ولا أروى لك تاريخا لذكرت لك أسماء مئات الوزراء الذين ينتمون فى أصولهم الى الفلاحين وتنتمى قلة منهم الى العمال لأن المدينة لا تعرف الروابط الأسرية التى يعرفها أهل الريف .

وهذه الأسرات ذات الرنين فيها الفقير وفيها الغنى وأغلب بيوتها مستورة لا فقيرة تستجدى ولا هى غنية تسرف فى الانفاق . وهناك أسر تلتئم عناصرها فيعين غنيها فقيرها فيبدو الفقير مستورا حتى ليظنه أصدقاؤه غنيا وكان نديم وحيد أبويه . وكان أبوه من هؤلاء المستورين ولكنه شأن الكثيرين من هذا الجيل أراد أن ينمى ثروته فقضى عليها . وأصبح لزاما على أفراد الأسرة الآخرين أن يخصصوا له مبلغا شهريا يمكنه أن يعيش فى منزل معقول وأثاث نظيف ويمكنه أيضا أن يكمل تعليم نديم .

وكان من الطبيعى أن ينقص هذا المبلغ حين يتخرج نديم ويحصل على وظيفة . ومن ميزات هذه الأسرات ومن بينها أسرة الطوبجى أنها تستطيع دائما أن تجد وظيفة لابنائها ولغير أبنائها بما لها من صلاتها الكثيرة المتباينة التى قد تصل أحيانا الى رئيس مجلس الوزراء نفسه . وهكذا عين نديم يوم تخرجه موظفا بمجلس النواب وفى الدرجة السادسة ولم يكن تعيين المتخرج فى الدرجة السادسة أمرا محتما فى ذلك الحين وانما كان بحسب المتخرج أن يحصل على أى وظيفة ولتكن فى الدرجة الثامنة أو السابعة مادامت هذه الدرجات هى المتاحة . وكانت الحياة كما يعرف الجميع رخيصة غاية

الرخص في تلك الأيام وكانت المرتبات على ضالتها تقيم أود البيت .

ومع الصلة الوطيدة التي كانت تربط فرغلي بنديم فان فرغلي لم يعرف بل ولم يتصور أن نديما يعيش من نفقة أسرته لا نفقة أبيه بل ان وصفى الذي لا تخفى عليه خافية لم يكن يعرف هذه الحقيقة عن نديم على الرغم من الصداقة التي اتصلت بينهما على يد فرغلي .

وهكذا كان نديم يمثل عند فرغلي أسرته باسمها العريض ولا يمثل مطلقا عائلته بدخلها الذي تناله صدقة لا ريفاً وتفضلاً لا حقاً .

وهكذا أيضاً حلاً لفرغلي أن يرى نديما يعمل عنده بالشركة وحين بدأ يساومه كان يساوم فيه اسم الطوبجى ذا الرنين ولم يتصور أنه يستطيع أن يساوم فيه نديما الذي يعرف أنه أكمل تعليمه على نفقة أسرته .

— هل معقول أن نديم الطوبجى بحاله يعمل موظفا بائنى عشر جنيها .

— وهل وجدت خيراً من هذا ورفضت .

— موجود .

— ياعم أنا فى وظيفة مضمونة درجة سادسة لا يحصل عليها الا أصحاب الحظ العظيم .

— أو الأسرة العظيمة .

— ياعم خلها على الله .

— لا على أنا .

— استغفر الله العظيم .

— اسمع ولا تخرف .

- أعوذ بالله أشتيطان أنت ؟
- الشيطان لا يعرض عليك مرتبا ثلاثين جنيها .
- كم ؟ قلت كم ؟
- ماسمعت .
- سمعت وقبليت .
- وعمل نديم رئيسا للعلاقات العامة بالشركة . ولم يمر  
الا شهر وبعض شهر حتى وجد نديم نفسه فى حجرة سكرتير  
عام الشركة الذى أمر ألا يدخل أحد اليها .
- مبروك يا عم .
- الله يبارك فيك . . . علام ؟
- الصفقة التى أتممتها مع شركة ليوتى للاستيراد  
والتصدير . . .
- مارأيك . . . أليست صفقة عظيمة سنقوم ببناء الشركة  
ومخازنها كما سنقوم بتأثيثها .
- لم تخيب ظنى يانديم باشا فلا يمكن أن تجد الشركة  
رئيسا للعلاقات العامة فى مثل نشاطك وهمتك .
- البركة فيك .
- ولكنك خيبت ظنى فيك من ناحية اخرى .
- وامتقع وجه نديم وأكمل فرغلى .
- وخيبت ظنى فى الأسر المريقة .
- وازداد الامتقاع على وجه نديم وناه لسانه فى فمه وهو  
يقول :
- لماذا ؟ ماذا صنعت ؟

ودون أن يعنى فرغلى بالاجابة قال :

- وخيبت ظنى أيضا فى الصداقة التى بيننا .
- ماذا . . . ماذا ؟
- خمسمائة جنيه عمولة من مهندس الشركة .
- ولكن ولكن .
- اقرأ هذا .

لم يكن نديم يعلم أن صديقه فرغلى أوصى نسيبه وصفى  
أن يراقبه وقد استطاع وصفى أن يرغم المهندس على كتابة  
اقرار بالرشوة التى تقاسمها مع نديم .

وتشنجت اصابع نديم على الورقة وقال فرغلى فى صوت  
هادئ متزن حنون .

- مزقها فانت تعرف طبعاً أنها صورة فوتوغرافية .
- أستقيل .
- ما هذا الكلام الفارغ .
- أوامرك .
- اكتب ورقة مثلها .
- أمرك .

وحين أتم نديم كتابة الورقة أخذها فرغلى وفتح درجاً  
وأخرج دوسيتها بعينه ووضع فيها الورقة بهدوء ثم أغلق  
الدوسيه وأعادها الى لدرج وأدار فيه المفتاح ووضعها فى  
جيبه كل هذا ببطء شديد حتى اذا استقرت المفاتيح فى  
جيبه نظر الى نديم .

- كم أنفقت من الخمسمائة جنيه ؟

— أنا .. أنا ..

— مبلغ بسيط . فأنت لم تستلم المبلغ الا أول أمس .

— أنا .. أنا ..

— تدفع لى ثلاثين فى المائة من المبلغ .

— تحت أمرك .

— وتظل هذه النسبة سارية المفعول بيننا دائما وفى

مقابل ذلك سأساعدك فى عقد الصفقات .

— أنت أعظم انسان عرفته فى حياتى .

— هذه النسبة أراعى فيها الصداقة والزمالة كان

المفروض أن تكون المبالغ مناصفة .

— أعرف ذلك .

— وفى كل مرة سكتب ورقة كهذه .

— ورقة ؟!

— طبعا .

— وما لزومها ؟

وفكر نديم قليلا وعاد اليه جأشه واطمأن ثم نظر الى

فرغلى .

— ولكن هناك أمرا يحيرنى .

— لاتجعل شيئا يحيرك أبدا .

— وجود ورقة واحدة من هذه الأوراق تحت يدك كاف

بل ان وجود أكثر من ورقة سيؤكد أنك شريك لأنك سكت ولم

تبلغ عن أول سرقة لى .



- فى هذه المرة لم تخيب ظنى فى ذكائك •
- اذن فما داعى الورقة لكل عملية ؟
- لأختار أنا عند اللزوم الورقة التى تناسب ما أريد أن أنزله بك من عتاب • وصمت نديم ولم يطل صمته وانما قال :
- أما أنا فلم يخب ظنى فيك أبدا • أنت دائما فرغلى الذى عرفته فى المكتبة • • لم تتغير •
- أبعد كل هذا لم أتغير ؟
- تغيرت الحلة وتغير رباط العنق وتغير المنزل وتغيرت وسائل المواصلات وتغير المنصب ولكن فرغلى لم يتغير •
- ليس هناك أى داع ليتغير •
- معقول • • لك حق • • سلام عليكم •
- ألم تنس شيئا ؟
- لا • • لم أنس شيئا • • المبلغ فى البيت • • فى الغد سيكون عندك نصيبك كاملا • • المبلغ المطلوب موجود •
- طبعاً موجود وموجود أكثر منه أيضاً •
- وابتسم ولم يجد نديم مناصاً من أن يبتسم هو أيضاً فقد انتهى اللقاء نهاية أجمل بكثير مما كانت تنبئ عنه بدايته •
- وخرج نديم وأقفل الباب ونظر الى الحاجب وقال له فى هدوء :
- يستطيع البك الآن أن يقابل من يريد مقابلته •



أنا لست فى حاجة الآن أن أعيد عليك هذا المشهد وقد تكرر بين فرغلى وابن عمته ممدوح طبيب الشركة الذى كان

يتقاضى رشاوى عن الأجازات ويتقاضى رشاوى من الأطباء الذين يحول اليهم عمليات الشركة .

ولست فى حاجة أيضا أن أعيد المشهد الثالثة وهو يملى شروطه على ابن عمته الثانى المهندس يحيى الذى كان ينال مبالغ ضخمة عند استيراد مواد البناء وعند الاتفاق مع المقاولين الذين يعملون معه فى عمليات الشركة .

فكلاهما كان يكتب الاقرارات وكلاهما كان يقدم نصيبا يحدده فرغلى حسب ما يحلو له .



ليس غريبا أن يكون المال ذا أهمية كبرى عند فرغلى ولكن الحقيقة التى ينبغى لها أن تطفو هنا أمام عينيك هى أن المال لم يكن هو أهم ما كان يستمتع به فرغلى وهو يتم الصفقات مع صديقه وابنى عمته . . كان أهم ما يستمتع به أنه أصبح يمسك برقاب ثلاثتهم فى أصابعه ليصنع بهم ما يشاء . والأعظم من ذلك أن أحدا منهم لا يستطيع أن يستقيل فالأمر لم يعد مجرد وظيفة وانما أصبح اختيارا بين الوظيفة . . هذه الوظيفة بالذات ومع فرغلى بالذات وبين السجن . . أصبح الأمر اختيارا بين الحياة أو الموت ان جاز أن يسمى هذا اختيارا .

وثار تناقض عجيب ربما اتفق ثلاثتهم أنهم الآن يلقون من المجتمع الاكبار والاجلال والاحترام وهم لصوص فاذا حاولوا أن يتوبوا انقلبوا أمام المجتمع الى مجرمين سفلة .

والأمر الأعجيب وربما كان يثور فى نفوس ثلاثتهم أيضا أن الذين يرشونهم يقدمون لهم مع المال الاحترام والاجلال مثلهم فى ذلك مثل المجتمع الذى يجهل حقيقة أمرهم . . ثم ان

ثلاثتهم واثق أن هؤلاء الذين يرشونهم سيكونون أول من يرميهم بالسفالة والانحطاط لو حاولوا أن يرتفعوا بأنفسهم من الدنس إلى الطهر ومن خيانة الأمانة إلى الشرف .

وكان فرغلي يعلم أن هذا يثور في نفوسهم .. كان يعلم ذلك من حوارات كثيرة بينه وبين كل واحد من ثلاثتهم على انفراد وكان يسعد بهذا التمزق الذي تصنعه مبالغه في ابن العائلة ذات الشهرة العريضة وفي ابني عمته الذين كانا ينظران إليه في أنفة يوم كان خادما في بيت أمهما .

فاذا ضم مجلس عمته أو زوجها أو كليهما ومعهما يحيى وممدوح انتشى فرغلي غاية النشوة بمدح عمته له متمشلا في الدعاء أن يفتح الله له أبواب الرزق ويتم نعمته عليه جزاء وفائه لها وحرصه على رد جميلها .. سعيدة كانت العممة وسعيدا كان زوجها أن أثمر الخير الذي يتوهمان أنهما قدماه تُفرغلي معتقدين أنه لا يحمل لهما إلا الشكران وأنه قط لم يفكر أنهما استنعاها خادما بغير أجر لقاء فراش حقير ولقمة أكثر حقارة .

آمال فرغلي تسير في الطريق الذي رسمه لها كما يريد لها أن تسير محققة له المال والسطوة ومحققة قبل هذين الانتقام والتصرف في مقادير أقرب الناس إليه ومصائرهم .

## ١٤

### تاريخ

**ما هذا؟** ••• أما أن لنا أن نذكر كلمة عن مصر في هاته الأيام؟! أنتحدث عن حشرات الأرض ولا نتكلم عن النبات والأشجار •

كان فرغلي مع كلى من حوله حشرات هذه الفترة • ولكن الناس الأشجار كانوا الملك والوزراء والشيوخ والنواب واصحاب الصدارة •• وكان النبات هو شعب مصر الطيب يحتقر الحشرات وينظر الى الأشجار نظرة أسف فى بعض الأحيان ونظرة غضب فى بعض الأحيان ونظرة اعجاب فى بعض الأحيان •

توالت الوزارات على مصر في أثناء الحرب العالمية العظمى وكانت بعض الوزارات تحاول أن تفاضب الانجليز باتفاقات سرية مع المحور بينما كانت تحاول وزارات أخرى أن تهادن الانجليز أملا في الحصول على الاستقلال اذا انتصر الحلفاء . . وكان الملك يلهو فيميل حيننا مع الانجليز ويميل حيننا مع الألمان فلا يرضى هؤلاء ولا أولئك .

ولم يكن الانجليز مستعدين أن يتحملوا الموقف غير الواضح من مصر جميعها من ملكها الى وزرائها الى نوابها الى شيوخها فقاموا بعملية في فبراير الشهيرة ليحطموا بها كل ماكانت مصر قد حصلت عليه من مفاوضات تطاولت بضما وعشرين عاما وانتتهت بمعاهدة ٣٦ التي اعتبرها الأحرار الدستوريين خطوة واعتبرها النحاس ومن ورائه الوفد فوزا مبينا وانشق بسببها وبأسباب أخرى حزب الهيئة السعدية برياسة أحمد ماهر وبجانبه النقراشي .

اندكت هذه المعاهدة في حادث في فبراير وقال أحمد ماهر للنحاس على مشهد من جميع زعماء مصر في ذلك الحين ومعهم الملك :

... اذا قبالت هذه الوزارة يا باشا فانت تقبلها على حراب الانجليز .

ولم يأبه النحاس وشكل الوزارة واندمج الوفد مع الانجليز وأصبحوا أسرة واحدة تعلن عن ترابطها ورفع الكلفة بينها وبالصورة الصريحة في صدور الجرائد المصرية وما للجرائد لاتفعل وقد استطاع الوفد أن يدبر مظاهرة في يوم تأليف وزارته حملت السير مايلز لميسون المندوب السامي البريطاني على آكتافهم . وأصحاب الشباب في تلك الأيام

ترع من الأسى والاحباط أن يرى القتلى يهتفون باسم قاتلهم  
بل ويحملونه حيا - لا ميتا - على الأعناق •

واستمرت الحرب وبلغت بالنسبة للمتحاربين ذروتها  
فى معركة العلمين وكانت الأنباء التى تحيط بها تؤكد أن  
الألمان لن يلبثوا أن يصبوا فى القاهرة بين عشية وضحاها  
وسمع الناس وأغلب الأمر أن ماسمعوا كان صحيحا أن  
القوات الانجليزية وأفراد البعثة الدبلوماسية فى سفارة  
انجلترا يحرقون الأوراق السرية الهامة ويستعدون لاستقبال  
جيوش روميل •

ولكن فجأة انقلبت موازين الأنباء فاذا بالمهاجمين  
يصبغون منسجحين وينتصر مونجمرى وينتصر الحلفاء نصرهم  
التاريخى فى موقعة العلمين وتبدأ النهاية •

وتبدأ معها يد الانجليز المتكالبة على مصر تنخف من  
ضغطها ولم يعد يعنيه أن يبقى النحاس فى الحكم أو لا يبقى  
ريظل الملك متربصا بالأيام ولم يكن حتى ذلك البع قد  
أنحدر الى الحماة العفنة التى تردى اليها بعد ذلك •

وكان أحمد حسنين رجل القصر على قدرة دائما أن  
يجعل الملك على صلة بأدق مشاعر الانجليز ورغباتهم •

وهكذا حين أصبح الملك على يقين أن النحاس لم يصبح  
ذا أهمية كبرى ولا صغرى عند الانجليز أقال وزارته •

وكانت هذه الاقالات لوزارات الوفد هى أعظم ماتعتمد  
عليه شعبية الوفد • فقد كان الوفد مكروها طوال أيام حكمه  
حتى اذا أقبل عادت اليه شعبيته أعظم ما تكون العودة فالشعب  
المصرى يحب الكفاح لأنه عاش عمره جميعا كفاحا ورثه منذ

أيام مينا الى اليوم فاذا لم يكافح هو أحب المكافح لأنه يعبر عما يريد هو أن يفعله .

أقيمت الوزارة الوفدية وتآلفت حكومة من الأحزاب الأربعة المعارضة للوفد في ذلك الحين . ومن هذه الأحزاب اثنان لهما أنصارهما ولهما قوتها الحقيقية وآخران لا جذور لهما . . أحدهما يرفع شعارا فيه رنين الخطابة وليس فيه منطق والآخر تكون بما نال رئيسه من ظلم وكان الظلم غاية الظلم في ذلك الحين أن يعتقل سياسى . فأما الحزبان الحقيقيان فهما الأحرار الدستوريون والسعديون وقد كانت لهما الأغلبية الساحقة في البرلمان توشك أن تكون مناصفة بينهما . وأما حزب الشعار فهو الحزب الوطنى وكان أعضاؤه في البرلمان قلة في الوزارة قلة أيضا توشك أن تكون رمزية . وأما الحزب الذى اشترك للظلم الذى لحق برئيسه وللكتاب الذى ألفه رئيسه فهو حزب الكتلة برئاسة مكرم عبيد وكان أعضاؤه في البرلمان قلة توشك أن تكون رمزية . أما في الوزارة فقد اشترك بعدد مساو لأعضاء كل من حزبى الأحرار والسعديين واستمر هذا الحكم بالوزارة خمس سنوات فكانت تلك أول مرة تكتمل فيها دورة لمجلس النواب في مصر .

وجرت بعد ذلك انتخابات عامة وكان من الطبيعي أن يكتسح فيها الوفد . وما ظنك بحكم استمر خمس سنوات كاملة ولم يفز حزب الأحرار والهيئة الا بما يزيد قليلا عن ثلاثين مقعدا لكل منهما .

تغيرت سياسة الوفد في هذه الوزارة عن سياسته التى لازمها فترات طويلة من حياته . فقد رأى أن يهادن الملك في وقت كان الملك فيه يحظى بكره شعبى شديد سعى هو اليه بكل الوسائل وعاونته عليه أسرته جميعا وخلصاؤه جميعا

أيضا • وأحس الوفد أنه في مأزق حرج فلو أنه أَرْضَى الشعب  
لأغضب الملك الذي كان في ذلك الحين قد أصبح يتصرف  
تصرفات رعناء بغير مشورة إلا من خدم أغبياء يكرمهم أن  
يتصفوا بصفة خدم بينما هم في الحقيقة كانوا يقومون بمهام  
تعتبر من أحقر المهام التي يقوم بها بشر •

ومن ناحية أخرى لو استمر الوفد على مجاراة الملك  
والتماس رضائه السامى فقد شعبيته فتدانا تاما •

وشهد الشعب في ذلك الحين نوعا عجيبا من السياسة  
فقرأ تصريحاً لرئيس الوزراء يقول أن في كابرى المدينة  
السياحية الايطالية قبلة يجب أن نتجه إليها جميعا وكان  
الملك في كابرى في ذلك اليوم •

ثم راح الوفد يسخن الدستور بسياط لم تعهدها مصر  
من أى حكومة حتى ذلك الحين فاذا بالوزارة تستصدر مرسوماً  
من السراى بطرد ما يقرب من عشرين عضواً من أعضاء مجلس  
الشيوخ من بينهم رئيس المجلس في ذلك الحين الدكتور محمد  
حسين هيكل رئيس حزب الأحرار الدستوريين والكاتب  
الاسلامى العملاق ومنشئ الرواية المصرية وكان معه جماعة  
كل اسم منهم يعتبر أمة في ذاته •

وأحس الوفد أن مكانته عند الشعب راحت تتدهور في  
سرعة فائقة فلجأ الى مفاوضة الانجليز الأمر الذى كانت  
تحاوله كل وزارة • والحقيقة أننا مهما تأخذ من مأخذ على  
الأحزاب السياسية فأننا لانستطيع أن نلوم أى حزب على  
صلته بالانجليز فان نكن في ذلك الحين قد نلنا جزءاً كبيراً  
من استقلالنا وأصبح لنا برلمان وممثلون سياسيون وحرية  
داخلية هي في مأمّن مادامت بعيدة عن المصالح الانجليزية



الا أن الحقيقة التي لا شك فيها أن الامبراطورية الانجليزية كانت تحتل مصر • وكانت تحتلها بقوة السلاح • ولو كانت مصر قوية ما استطاع الانجليز أن يحتلوها فقصارى ما يستطيع رئيس الوزراء المصرى ألا يسلم للانجليز بكل ما يطلبون ويعاود أن يجعل احتلالهم معقولا أو شبه معقول • والحقيقة أيضا أنه لم يكن بين رؤساء الوزارات أو الوزراء من تستطيع أن تقول عنه أنه خان بلاده حتى الذى كان يهادن الانجليز أشد المداينة • كان يرى أن هذه هى السياسة المثلى التى قد تعود على مصر بالخير ويجعلها تنال نفعاً مادياً مادامت فى ظل الاحتلال لا تستطيع أن تنال انتصاراً أدبياً • وقد سمع الشعب النقراشى أثناء رئاسته للوزارة وهو يصرخ فى هيئة الأمم المتحدة صائحا بالانجليز : اخرجوا من بلادنا أيها القراصنة • وكانت هذه أول مرة يسمع فيها الانجليز مثل هذه الصرخة فى أعظم محفل دولى فى التاريخ ومن العجيب أن حزب الوفد يوم ذاك أرسل برقية موقعة باسم رئيسه أن النقراشى لا يمثل الشعب المصرى • لا علينا دخل الوفد فى مفاوضات انتهت الى فشل • ووجد رئيس الوفد أنه أصبح فى موقف يتحتم عليه فيه أن يتخذ موقفاً • وكان رئيس الوفد بارعا فى ارضاء الشعب ولكن أغلب السياسيين لم يكونوا متنبئين ببراعته فى السياسة •

فى هذه الفترة كانت سمعة الملك قد بلغت الحضيض فانتفض ثلاثون من زعماء المعارضة وكتبوا بيانهم الشهير ينبشون فيه الملك عاقبة ما تردى فيه من دعاة سياسية وخلقية وانتشر البيان وجن من الملك جنونه ووقفت وزارة النحاس عاجزة لا تستطيع أن تعارض البيان فهو حقيقة ولا يستطيع أن تؤيده فهى الوزارة المسؤولة وكان واجبها هى قبل أن

يكون واجب المعارضة أن تنبه الملك الى ما يأتية وأهله من  
عهر يسيء أول ما يسيء الى سمعة مصر .

وهكذا لم يجد رئيس الوزراء سبيلا أن يستعيد ثقة  
الشعب الا بأن يجعله يتجه وجهة أخرى لا يختلف اثنان في  
أمرها .

وهكذا ألقى مصطفى النحاس بيانه التاريخي في مجلس  
النواب باسم مصر وقعت المعاهدة وباسم مصر ألقى  
المعاهدة .

وانقذت الشرارة وذهل رجال الأحزاب ورأوا  
المستقبل أمامهم واضحا لا غموض فيه .

ولكن زعيما من زعمائهم أعلن الثورة على الانجليز وهم  
أبناء هذا الشعب فلا بد أن ينضموا الى الثورة مهما تكن  
النتائج .

أيد الأحرار الدستوريون كما أيدت الهيئة السعدية إلغاء  
المعاهدة والوقوف مع الوفد صفا واحدا وبدأت الجماعات  
في القتال حيث كانت تعسكر القوات الانجليزية .

وحدث الحدث الشهير لرجال الشرطة الذين كانوا  
يوزعون السلاح من مقر مركز الاسماعيلية فاذا بالقوات  
الانجليزية تحيط بالمركز وتوجه انذارا للضباط الذين في  
داخله أن يستسلموا في مدة حددوها أو هم سيهاجمون  
المركز . ويتصل رجال الشرطة بوزير الداخلية ويأخذ  
قراره .

— ارفضوا الاستسلام .

وانقسم الناس في الحكم على قرار الوزير قائلين : لو

كان معهم ما أمرهم بالموت وقال آخرون : انه تحمل على ضميره  
فى شجاعة منقطعة النظير مصير كل هؤلاء الرجال ليظهر  
العالم على فظائع الانجليز فى مصر فى القرن العشرين .  
وهاجمت القوات الانجليزية مركز الشرطة وقتلت عددا كبيرا  
أصبحوا اليوم جميعا شهداء معركة وطنية من أعظم معارك  
مصر .

وكان هذا لاستبسال فى حرب الانجليز جديرا بأن  
يجعل مصر تنال جزءا كبيرا من حقها المضاع .

ولكن فجاء وبغير مقدمات فوجئت مصر وفوجئ العالم  
بالقاهرة الخالدة ذات التواريخ المريق تحترق . وراحت  
الأصابع ومازالت تشير فى اتجاهات عديدة ومازلت أعجب  
لماذا لم تشر جميعها الى الجهة الوحيدة التى ستنتفع من هذا  
الحريق ؟

استقالت الوزارة واتجه الملك الى حزبى الأحرار  
الدستوريين والسعديين ليؤلفا الوزارة فرفض كلاهما فقد  
كان ثلاثون منهما ومن شخصيات مصرية عامة قد كتبوا  
المريضة للملك التى يظهر منه فيها على الفساد المنتشر حوله  
والذى يحملونه فيها وحده مسئوليته ما سينتج عنه وقد طالبوا  
بإخراج الأسماء الدنسة التى تحيط به فحين أراد منهم أن  
يؤلفوا الوزارة كان رفضهم مبنيا على أنهم لن يشتركوا مادام  
الملك يتردى فى الفساد متخذاً سلمه فى الانحدار من ظهور  
هؤلاء الحقراء الذين يزينون له الخطيئة والطفيان والفساد .  
واضطر الملك أن يترك الأحزاب ويتجه الى المستقلين .

والمستقلون لا عون لهم من الشعب وراحت مصر تتخبط  
كالسكران المخدور الأعمى منذ حريق القاهرة •

أليس عجيبا أن تجد هذا التاريخ بين فصول رواية بطلها  
فرغلي بن فهم والغزية • ولكن الحقيقة أن أى انسان فى  
مصر حتى ولو كان فرغلي بن فهم والغزية تأثرت حياته  
ومستقبله بهذه الفترة فهي ليست جزءا من تاريخ مصر فقط  
وانما هي أيضا جزء من تاريخ فرغلي بن فهم والغزية •

### طريق بلا نهاية

**استطاعت** المصاهرة التي جمعت وصفى وفرغلى فى اناء واحد أن تجعل فرغلى على صلات حميمة مع كل عهد •  
وقد استطاع فى دربة الثعلب أن يعطى عطاءه بالقدر المناسب فى الوقت المناسب •

فحين يبدأ الهتاف يكون أول الهاتفين وحين تبدأ التنظيمات تصدرها بما له من صلات ربما مصاهرة أغدقت عليه ألوان النعيم فقد استطاع وصفى فى قفزة ثورية أن يصبح من أهل المناصب الكبرى فى الجهاز الذى يعمل به •  
ومع الأيام توالى الأحداث ومع السنين أصبح فرغلى يشب الدرجات الوظيفية والسياسية فى آن معا •

ولم يكن كثيرا عليه أن يحتل مكان وحيد بك عفيفي منذ اللحظة الأولى وتمكن من كرسية تمكنا استطاعت به يده أن تغوصا أكثر فأكثر في أعناق قوم كثيرين على رأسهم بطبيعة الحال نديم وممدوح ويحيى \*

وحين بدأ الصراع مع الشيوعيين سمح له وصفى أن يقدم هو أسماء زملاء فتحي وفتحي نفسه وغيرهم ممن امتدت صلته اليهم مع الأيام \* وازداد فرغلي تألقا \*

وفى هذا الألق وتحت هذه الأضواء زارته اسعاد فريد النجمة المتوهجة في سماء الفن والتي كان يراها على الشاشة فيبهت عن العالم أجمع وينكش خياله أن يمتد ليتصور أنه يستطيع في يوم من الأيام أن يرى هذه الأعجوبة رأى عين \*

وحين جلست أمام مكتبه تدافع تاريخه كله الى كيانه - كيف استطاع ابن فهيم وابن الغزية أن يجلس هكذا وجها لوجه الى اسعاد فريد \* وتذكر زوجته حياة وتسأل اذا كانت حياة حياة فالموت أمنية \* انما الحياة الحقيقية هي تلك التي تجلس الآن أمامه وتحدث وظل ذاهلا عن الحديث \* ومضت في حديثها وظل هو على ذهوله وأدركت اسعاد في خبرة الفنانة التي تعرف مدى شهرتها وسحر الاشعاع المنبعث منها الحالة التي يعانيتها فرغلي وفرحت لا كما تفرح عادة كلما رأت أثرها على الناس وانما كان فرحها أكثر عمقا فهذا الذي تجلس اليه نجم مضى من نجوم كل العهود فاذا كانت تمكنت أن تصل اليه بهذه الساعة التي تلف كيانه فان لها اذن معه شأن أي شأن وان لها مع المستقبل أيضا شأن أي شأن \* فالنجوم التمشيلية يعرفون دائما أنهم كلما صعدوا الى القمة

اقتربوا من الهاوية وأن تألقهم كاشتعال المغنسيوم شديد مبهـر  
أخاـذ ولكنه قصير الأمد سريع الانطفاء .

صممت اسعاد . وضحكـت . وظل على ذهوله فرغلى .  
وطال الصمت والذهول واسعاد بكليـمها سعيدة منتشية كخمر  
تمشـت فى أوصل عريـد .

وحين دخل الحاجب بالقهوة والكازوزا صحا الـذاهل  
وأبتسمت النشوة . واخذ الحاجب معه الـذهول والنشوة  
وخرج بهما وأقفل الباب عن اثنين يتيقظ كل منهما من  
غيبوبة كان بها سعيدا . . والعجيب أن كلاهما مع أفاقته  
ظل سعيدا .

وعادت اسعاد الى الحديث دون أن تشير الى فترة الانصعاق  
منه ولا فترة الانتشاء منها .

- سمعت عنك الكثير .
- أرجو أن يكون كما أتمنى .
- أنا هنا الست كذلك .
- الذئ، لا أعرفه ان كنت أنا هنا أم لا .
- ولكنى هنا .
- وربما تشككت فى هذا أيضا .
- تأكد أننا هنا .
- فأرجو اذن أن أكون معك .
- وأنا أيضا أرجو ذلك .
- أريد أن أبنى عمارة .
- واحدة .

- كبيرة •
- ليس شيء بالنسبة اليك كبيرا •
- العمارة •
- نتغدى معا ونتكلم فى التفاصيل •



وبدأت العلاقة بريئة كل البراءة فقد أدركت اسعاد أنها تملك فرصة لن تعود ومن فى مثل خبرتها اذا تمكنت من فرصة أحسنت التعامل معها ويكفيها ذكاء أنها ألغت مسألة العمارة هذه لتتعرف به أما ما كان لديها فقد يكفى لبناء حجرة •

عجيب ذلك القدر لقد كانت لاتجد شيئا تعطيه فمرت بمعرض الشركة وأعجبتها بضعة أشياء اشترتها وحين همت بدفع الثمن خطر لها أن تجرب شهرتها وتتعرف بهذا الفرغلى الذى راح صيته يدوى واخترعت حكاية العمارة دهليزا أن يخفض ثمن الأشياء التى اشترتها • وقد أدركت أنها ملكت الرجل منذ أول وهلة وأزدادت يقينا حين أمر أن يضاف ثمن ما اشترته على حسابه الخاص • خيوط مما تنسج الأيام واهية لاثكاد ترى وماهى الا دورة أشهر قد لاتكتمل سنين فاذا هى خيط القدر نفسه تتغير الدنيا وماتنسجه لا يتغير •



فى هذه الاثناء بدأ الصراع بين العهد الحاكم وبين تجمع أميين الشبراوى ومرة أخرى تقدم فرغلى بالأسماء التى عنده، وفى هذه المرة كانت القسائمة التى قدمها وحده مئات من



الناس فقد كانت صلته بالشبراوى قد توطدت حتى عرف منه .  
اسراراً لم تستطيع الأجهزة الأخرى كلها أن تصل إليها .  
وقد استطاع هو أيضاً أن يضيف الى كل من تربطه صلة بأى  
فرد من أفراد التنظيم سواء كانت هذه الصلة ذات شأن  
بأهدافهم أم لم تكن . وازداد فرغلى تألقاً .

تزوج فرغلى من اسعاد . وتقدم إليها برجاء واحد أن  
يكتما خبر الزواج ، وقبلت بضمن باهظ ولكن ثروة فرغلى لم  
تعد تحس بأى ثمن يمكن أن يكون باهظاً حتى ولو كان عشرة  
آلاف جنيهه . أثنا شقة كانت اسعاد تنتقى وكان هو يدفع  
وما أحسن بسعادة فى الانفاق قدر سعادته بهذه الايام .



يستطيع الزواج أن يكون سرا . وقد كان كذلك فعلاً  
الا عن أم حسين التى تعيش مع اسعاد منذ سنوات طويلة  
والتي لها فى البيت مكانة وكذلك لم يكن سرا عن فهمى  
عبد الموجود الطباخ وحسنين كرم السفرجى فكلاهما شاهد  
على العقد وكلاهما يعمل عند اسعاد منذ فترة ان لم تكن  
بعيدة الا أنها كانت كافية لتطمئن اسعاد إليها وتأنس لهما .

كان الزواج سرا أذن لا يعرفه الا هؤلاء نفر الثلاثة  
وماثلاثة نفر ؟ ولكن الجنين فى أحشاء اسعاد يد الله تكشف  
المستور اذا كان المستور خبيئاً . فالأصل فى الزواج الإعلان  
وقد أمر به النبى أن يعلن ولو بطبل يدق ليعرف من لا يعرف  
أن اختلاء فلان بفلانة إنما هو بشريعة الله وببركته .  
والتخفى فى الزواج يجعله أقرب الى الحرام منه الى أشراق  
الحلال ووضوحه .



وازداد الأمر سوءا فقبل أن يعلن الزواج عن نفسه  
بظهور الجنين على قوام الأم كان وصفى قد عرف بأمر  
الزواج . وجن به الجنون أن استطاع فرغلي هذا الجلف  
الذى ألتقطه من دكة أحد الوراقين أن يستغفله طوال هذه  
الشهور .

— تطلقها .

— هل عرفت حياة ؟

— عرفت .

— وماذا صنعت ؟

— أنت معها كل يوم .

— لم أر منها تغيرا .

— لأنها أخبرتنى .

— وصفى ألسن انسانا ككل الناس ؟

— لك أنت أن تجيب على هذا السؤال .

— ماذا أكون ان لم أكن أنسانا ؟

— قطعة بشرية مهلهلة كأوراق كتاب عفن أكله السوس

لان أحدا لا يشتهي أن يقرأه ، التقطتها أنا وجعلت منها شيئا  
ذا بريق فى الظاهر ولكن ما يخفيه البريق أعرفه أنا كل

المعرفة .

— لم يعد أمر أبى ولا أمر أمى يهمنى . . لتدع ماشئت

من أمرهما .

— فرغلي هل جننت ؟

— أظن أننى أجن .

— هذا ما يدهشنى •

— فما سؤالك هذا ؟

— مجرد تعجب • لقد تزوجت أختى وقد عرفت يوم طلبتها منى كل ما يدور بنفسك ورأيت فيك يومذاك طموحا جعلنى أتيح لك كل هذا الذى أتحت •

— وقد أتحت أنا لك أيضا بصلاتى ما وصل بك الى مكانك •

— ما شأنك بى •• أنى أنا الذى بنيتك •

— كما ساعدت أنا أيضا فى بنائك •

— أغبى أنت أذن •• أكنت مخدوعا فيك كل هذه السنين ؟

— وفيم ترى غبائى •

— أتظن أننى وأنا أبنيك تركتك تبني هكذا حرا طليقا دون أن أصور كل طور من اطوار حياتك •

— ماذا تقول ؟

— أتظن أننى حين أهددك اليوم أهددك بأبيك فهيم وأمك نجية أو الغزية ؟

— فما أمرك القاطع هذا •• طلقها يا استاذ أن أمى وأبى يمكن أن يجعلنا منى اليوم بطلا قوميا •• قل عنى ماتشاء لكنى لن أطلقها •

— ولكنك ستطلقها •

— بأمر منك •

- لقد خيبت ظننى فيك .. أنظر فى هذه الورقات وهى جزء قليل جدا مما عندى عليك من سرقات .
- طظ .. هذه السرقات تخيف المرؤوسين فقط اليوم .. تخيف نديم أو ممدوح أو ..
- أيها الغبى الا تعرف ماذا أستطيع أن أفعل .
- ما أهون هذا الذى تستطيع أن تفعله .. يبدو أنك لا تعرف أهميتى اليوم . أنا عمود أساسى من عمد العهد .
- ولأنك هكذا أستطيع فى غمضة عين أن أمحوك .. هذه المستندات ستداع فى العالم ليعرف العالم الاعمدة التى يقوم عليها النظام . ويومذاك لابد أن يتخلصوا منك ..
- ماذا تقول ؟ أجننت ؟
- من المجنون فينا ؟ .. مهما يكن أمرك فأنت بالنسبة لى هاو أما أنا فمحترف .
- الا تخاف مما قد يصنعونه بك .
- أنا .. وهل تظن أن هذه المعلومات عندى وحدى ؟ وكيف يظنون أن وصفى يفضح زوج أخته ؟
- للانتقام .
- أنهم يعرفون تاريخى كله والانتقام ليس جزءا من اللعبة التى نلعبها .
- الا تنتقم الآن .
- يا عبيط .. أتظن أننى أفعل ذلك من أجل أختى ..
- أذن .

- انك تحاول الخروج من يدى • واللعبة تحتّم على أن  
المحوك قبل أن تفعل ذلك •
- فأنت أذن لست غاضبا من أجل أختك وأولاد أختك •
- وماذا يضيرهم أن تتزوج • • الموضوع الآن موضوعى  
أنا وصلتى بك وخروجك عن الطريق الذى أرسمه لك •
- أترسم لى أنت الطريق ؟
- لقد رسمته لك من اللحظة الأولى وتركتك تظن انك  
أنت الذى ترسم •
- أنا لا أخاف •
- أذن أنتظر •
- وقام الى تسجيل وأسمعه شريطا • • أنه حديث بينه وبين  
اسعاد قال فيه رأيّه فى كل صراحة وآماله أيضا وظل فرغلى  
يستمتع وانقض عليه الذعر وراح يعود شيئا فشيئا الى ذلك  
الطفل فى المدرسة الابتدائية يحيط به زملاؤه ويتراقصون  
ويصخبون ويسخرون • أمحى الزمن جميعه ولم يبق من  
حياته الطويلة هذه التى قطعها الا هذه الصورة فهى هو وهى  
ولا شيء آخر •
- كنت أبقي هذا لأرى الى أى حد يصل بك الغباء •
- ماهى المدة المتاحة لى ؟
- ساعات •
- أنها • • أنها •
- حابل •
- وتعرف هذا أيضا •

— فى شهرها الأول .

— أنذرها الطبيب بالموت اذا حاولت الاجهاض .

— هذه مشكلتك .

— أمرك .

لم يذهب فرغلى الى بيت اسعاد . ولم يذهب الى بيته .  
 وأنما أمر السائق أن يترك السيارة وينصرف وراح يقود  
 السيارة الى غير هدف يتوقف ذهنه عن التفكير لحظات ثم  
 يتوهج كحريق ولكنه فى توهجه لا يثير . . . مظلم هو حتى فى  
 توهجه . لقد كان رسم لكل شىء طريقا وأعد عدته لكل  
 المفاجآت ولكنه نسى أنه بشر يمكن أن يحب ونسى أن البشر  
 يعيشون فى الحياة مع بشر آخرين وأن الطريق بين كل البشر  
 تتقاطع وتلتقى وتفترق وتصطدم وتلتحم وتنفرج وتضيّق  
 وتتباعد ويعبر بعضها من فوق بعض وتلف بهم الحياة  
 ويلفون بها ويلفون فيها وتغلقهم وتعريهم ويختار الانسان  
 ولكن اختياره مرتبط باختيار الآخرين أيضا ولهذا قال قوم  
 انها جبر ، وقال آخرون انها اختيار ولو أمعنوا النظر لعرفوا  
 أنها الحالين معا . . . الله يعلم والناس يعملون . . . هو فى  
 علياء سمائه يراهم أجمعين وهم لا يرى الفرد منهم إلا  
 نفسه . ولهذا يقول قائلهم انها جبر وتقول الحقيقة أن  
 العلم لا يعنى الجبر وأنما يعنى المعرفة . . . الله يعرف  
 ماسيفعلون ولكنهم هم يختارونه . ولكن فرغلى لا يعرف الله  
 ولا يريد ان يعرفه ويظن أنه يستطيع أن يبتعد عنه ويسير  
 الطريق فهو اليوم يواجه نفسه عاجزا ولكنه أيضا لا يفكر  
 فى الله ولكنه يتمنى أن يرى أباه ويتمنى أن يسأله . . . لقد  
 تزوج أبوه وطلق . . . انه خاض التجربة . . . ولكن أين هو  
 من أبيه . لقد كان أبوه نكرة . . . لا لقد كان نكرة بالنسبة

لمصر جميعا ولكنه في قريته كان معروفا مثلما فرغلي معروف  
اليوم في مصر والعالم .. المصيبة واحدة لقد تركت أمه  
أباه وهو اليوم مرغم أن يتترك من يحب .. ان المصيبة  
مصيبة حجمها عند الشهير هو نفس حجمها عند المجهول ..  
لكم يتمنى أن يرى أباه .

اكان هباء كل هذا الذى سعى اليه .. أكل ما بذله من  
ذلة ومن خسة ومن ندالة ومن تمزيق لكل شيء جميل فى  
الحياة يضيع من أجل بضع كلمات أراد أن يظهر بها أمام من  
يحبها انه ذكى وانه يعرف الناس .

خسة .. ندالة .. كيف لم أفكر فى هذا .. أنا مازلت  
ممسكا بهذه المواهب .. أنا مازلت صاحبها .. كيف لم  
أترك مواهبى تعمل .. ما هذا الانهيار .. فقيم أذن كنت  
أمسك برقاب الناس .. أن بين يدى أصنافا من الناس شتى  
أحركهم كالدمى فيتحركون أو يموتون .. كيف غاب عني  
هذا .. لا بأس على .. لقد فوجئت بما لم أكن أنتظر وكنت  
احتاج الى هذه الساعات القليلة لأعود فرغلي العملاق وأنسى  
فرغلي الذى كان يزفه الأطفال بالسخرية والاحتقار . ينبغي  
الا أذكر هذا اليوم بعد هذا لقد أمحى . لقد مزقته وأنا  
أمزق كل ما يتصل بماضى . لم يبق منى اليوم الا فرغلي  
العملاق المسيطر المتحكم الذى يمسك فى يديه مصائر آخرين .  
اذن فلألقي بهم على منضدة مواهبى ولأنتظر .. وليمت الحب  
وليمت الابن الذى يسعى الى من ضمير الغيب اذا كان هذا  
أو ذاك سيقف بينى وبين القمة التى أعتليها . ان الذى  
يمزق صلة الرحم بأبيه يستطيع أن يمزق صلة الحب بزوجته  
ويستطيع أيضا أن ينسى أن له فى أحشاء زوجة طفلا .

ان الذى يعرف كيف يكون ابنا بلا أب يستطيع أن يكون  
أبا بلا ابن .

وماذا على هذا الجنين لو وجد لنفسه ابنا لغيرى . . هو  
ربما حرم مالى ، وربما حرم سطوتى وجاهى ولكن ما أهون  
هذا اذا كان هو سيحرمنى المال والسطوة والجاه جميعا .

\*\*\*

— نديم  
— أنت ؟! فى هذه الساعة من الليل ؟!  
— أجلسنى أولا .  
— تفضل .  
— هل أجد عندك قهوة ؟  
— لا بأس أوقف الخدم .  
— لا . لا تفعل . . أريدك وحدك . . هل عندك خمر .  
— عندى .  
— هاتها .  
— أنت لا تشرب .  
— اتخيرنى عن عاداتى . . الآن أريد أن أشرب أى شئ  
. . أى شئ حتى ولو كنت فى العادة لا أشربه .

\*\*\*

— طعمها مر . . لماذا يحبونها ؟  
— اننا لا نحب طعمها وإنما نحب أثرها .  
— ألها أثر ؟  
— سترى .



- ستري .
- ماذا بك ؟
- أريدك أن تتزوج .
- من أنا ؟!
- نعم أنت .
- أتزوج ؟
- زوجتي .
- حياة ؟
- أنا لا أكرهك الى هذا الحد .
- ألك زوجة أخرى ؟
- ألم تكن تعرف ؟
- سمعت اشاعة ولم أصدقها . . ولكن الاشاعة لم تقل
- أنه زواج .
- ولماذا لم تصدقها ؟
- لم أصدقها .
- لماذا ؟
- هكذا .
- لا بد من سبب .
- هل سكرت ؟
- ماذا تعنى بسكرت ؟
- أتحمس دوارا ؟
- لا شأن لك . . أجبنى . . لماذا لم تصدق الاشاعة ؟
- أتأمرنى أن أقول ؟
- وهل بينى وبينك الا الأمر منى والطاعة منك

وأطرق نديم وصمت قليلا ثم قال :

- نعم فعلا .
- طبعاً .. فعلا .
- فاذا كذبتك .
- سأعرف .
- وهذا أيضا صحيح .
- أذن لماذا لم تصدقها .
- لأن معنى هذه الاشاعة انك احببت انسانا .
- وماذا فى ذاك ؟
- لم أكن أظن انك تستطيع أن تحب .
- فى هذه المرة أنت محق .
- فلماذا تزوجت اذن ؟
- كانت حلما وأردت أن أحققه .
- وصحوت ؟
- أنا مرغم ان أصحو .
- وأنا ما شانى ؟
- وزجتي حامل .
- لا غرابة فى هذا .
- أريدك أن تكون أبا لهذا الطفل .
- أنا .. أنا .. أهذا معقول .. أنت سكران لاشك .
- أنظر الى الكأس .. لم أشرب منها الا جرعة أو اثنتين .
- فكيف تجرؤ ؟

— كيف ماذا ؟

— كيف .. كيف .. كيف تفكر أن ترغمنى على زواج  
مثل هذا ؟

— أرغمك بما لى عليك من حق الارغام .

— أبلغ الأمر الى هذا الحد .

— الطريق الذى سرنا فيه لا نهاية له ولا أحد منا يعرف  
ماذا سيلاقى فيه .. انه طويل ومظلم ومبهم قد نسعد فيه  
أحيانا وقد نشقى أحيانا أخرى .

— ولكنه دائما مخيف .. مخيف وأنا سعيد به ومخيف  
بشكل أكثر وحشية وأنا شقى فيه ولكنى كنت أتوقع منه أى  
شئ الا هذا .

— الا ماذا ؟

— أن أكون ستارا .

— أنت ستار لزواج شرعى .

— ما لم يعلن فهو والزنا سواء .

— ولكنك أنت تعرف وسترى عقد الزواج . ولكنك  
لست ملزما أن تنتظر شهور العدة .

— وهل أعلق شهادة الزواج بينك وبين زوجتى فى بيت  
الزوجية أم أخفيها ؟ والطفل لماذا أنسبه الى وهو من غير  
دمى ؟ أى فرق بينى وبين متستر على صلة غير شرعية .

— هذا مصيرك .

— انى أرفضه .

— أنت مضطرب وتواجه مفاجأة لم تكن تنتظرها وقد

- تعرضت أنا منذ ساعات قليلة لمثل هذا فأصاب الشلل تفكيرى  
 .. انك ستتزوج زوجتى اسعد .. ولكن عليك الآن أن  
 تعود الى النوم أو القلق هذا شأنك وانما حتم عليك أن تفكر  
 لأنه حتم عليك أن تفعل ما أريد .. تصبح على خير .
- انتظر .
  - وفيم أنتظر .
  - هذا الزواج لا يمكن أن يتم .
  - كيف ؟
  - لا يجوز زواج الحامل .
  - أعرف ذلك . ألم أقل انك لست ملزما أن تنتظر  
 العدة فأنا أعرف أن عدة الحامل نهايتها الوضع .
  - وإذا لم أتزوجها فورا فلا معنى للزواج .
  - متى كان الحرام مانعا لك .. وهل السرقة والاختلاس  
 والغش والتدليس حلال ؟
  - وهى كيف توافق ؟
  - لأنها مثلك لا تملك أن ترفض .
  - والابن .
  - فليحمل اسمك فهو اسم أسرة شهيرة لا بأس بها .
  - أترمى بطفلك الى اسم رجل آخر ؟
  - لقد رمتنى أمى ورميت أبى .. صلة الأرحام عندى  
 لا قيمة لها .. من الغد تكون زوجا لاسعد ..
  - ولكن كيف ستكون صلتى بها ؟
  - هذا أمر تدبرانه أنتما لا شأن لى به .. هذا شأنكما -
  - تصبح على خير .
  - خير .. النهاية .. مع السلامة .

## الحق ٠٠٠ الحق

**حين** وصلتها ورقة الطلاق مع ساع من مكتبه لم تصدق عينيها الا بعد أن قرأتها مرات ومرات ورأت الشاهدين فأدركت لماذا أمر أن يخرج فهمي وحسنين من خدمتها كانت الورقة عادية من أوراق مكتبه فالزواج العرفي يتم الطلاق فيه بورقة عرفية ٠٠ ورقة مثل كل الورق الملقى في الطريق ولكنها بالنسبة اليها دمار وان كانت تتوقعه منذ تم الزواج ٠ وفي هذه المرة وقع على الورقة فهمي وحسنين أيضا ٠ كيف عثر عليهما ٠٠ انها لاتعلم عنهما شيئا منذ أعطت كلا منهما مائة جنيهه وصرفته من خدمتها والدهشة تأكل وجهه ٠ نفس الدهشة ارتسمت على وجه كل منهما وكأنما كانا متفقين عليها ٠ أين وجدتهما وجعلهما

شاهدا الطلاق كما كانا شاهدا الزواج مضيقا بذلك دائرة العارفين الى أقصى حد أنها لاتعرف ومن أين لها أن تعرف أى شىء مما يصنعه فرغلى . لم تكن تتصور أن زواجهما به سيدوم فقد أدركت يوم طالب اليها أن يكون زواجهما سرا أن زواجهما سينتهى بالطلاق ولكن الانثى قد تدرك أن الحريق حريق ومع ذلك تندفع اليه فى وعى واصرار وعلم وخطى ثابتة مدركة . فاذا أحاطت بها النيران واشتعلت بفؤاها والتهمت مشاعرها وكيانها أصابها انهيار من فوجيء بالأمر لم يكن يدريه . لم تسأل نفسها لماذا فان كان لابد من لماذا فقد كان ينبغى لها أن ترددها يوم قبلت الزواج أن يكون سرا . انها فنانة وليست فى حاجة الى مال ولا هى فى حاجة الى سلطان وهى لم تحب فرغلى ولم يجذبها اليه الا بريق الجاه الذى أصبح يتمتع به ولكن فيم كانت تريد هذا الجاه . وكيف كانت ستتمتع به والزواج سر لايعلمه أحد الا أهل بيتها الثلاثة وكلهم لم يكن محتاجا لهذه الورقة أو لهذا الزواج حتى يزداد احترامها لها . لماذا هذه كان مكانها فى ذلك اليوم وليس الآن .

كانت فكرة انتهاء الزواج قد بدأت تضمحل وتتناقص فى نفسها منذ حملت وحين أرغمها أن تحاول الاجهاض وبلغ به اصراره انه كان يستدعى الأطباء ليروا رأيهم وهو من هو شهرة عاودتها خيبة الأمل حتى اذا أجمع الأطباء ان اجهاضها معناه أن تموت ثبت لديها أو كاد أنه لن يستطيع أن يطلقها وهى تحمّل طفلة فان ما يخفيانه هما لابد أن يذيعه ميلاد الطفل . كان آخر طبيب يستشيرانه يزورهما قبل أن تصلها ورقة الطلاق بأيام ثلاثة وفى هذه الأيام الثلاثة كانت على شبه يقين أن الزواج سيدوم ولكنه يقين

المستنتج الا المتثبت وحين جاءت الورقة اندك شبهه اليقين  
ليسفر عن يقين كامل لاشك فيه ولا شبهة .. لقد طلقت .  
والولد .. والجنين .



- لقد اتفقت مع نديم .
- من نديم ؟
- ستعرفينه .
- علام اتفقت ؟
- أن يتزوجك .
- اتفقت ؟
- اتفقت .
- وأنا .. أليس لي رأى ؟
- اذا اتصل الأمر باسمى ومكانتى فلا رأى لأحد الا لى .
- أتتصور أن أوافق .
- أنا لا أتصور .. أنا واثق .
- من أين جاءتك هذه الثقة .
- أنا دائما أثق فيما أفعل .
- الناس ليست حجارة .. تستطيع أن تقول لا وتستطيع  
أن ترفض بل وتستطيع أن تنتحر اذا أرادت .
- قد يستطيع الناس أن ينتحروا وهذه نهاية تحل  
مشاكلي كلها معا أما ان الناس يستطيع أن تقول لا فهذا غير  
صحيح . وأمامك الناس أترين أحد يقول لا .
- أنا فنانة .

- طغل .
- أستطيع أن أستغنى عنكم . . العالم العربى كله سيهتم بأمرى .
- وفيم اهتمامه . . ان الفنانة أيضا تستطيع أن تموت . . وليحزن عليك المعجبون ساعة أو بعض ساعة وليعرضوا أفلامك اسبوعين أو ثلاثة ثم ينطبق عليك قانون البشر الذى لا بد له أن يموت .
- احتقن وجهها بدماء غضب وقهر . . كان التهديد واضحا . وكانت تعرف أنه يستطيع دائما أن ينفذه . وخافت فهي مهما تكن فنانة وشهرة وقادرة الا أنها أيضا تخاف لأن الناس عادة يخافون .
- وابنك .
- نديم سيصبح أبوه .
- وكيف سأتزوج وأنا حامل ؟
- ومن قال انك حامل .
- ألا تعرف ؟
- وهل معرفتى تجعل هذا السر علنا ؟
- والأطباء .
- انه سر مهنة ولو أفشاه أحدهم فهو يعرف مصيره .
- وأم حسن وفهمى وحسنين .
- لقد رأيت توقيعى فهمى وحسنين .
- أنت تعرف مكانة أم حسين عندى .
- هذا لا يهم ولكن وجودهما معك سيجعلها أكثر صمتا .



— ألا تخشى أن يفشى فهمى أو ...

— دائما الذى يتعامل معى هو الذى يخشى أنت تعرفين  
مكانتى .. التى جعلت اسماد فريد تسمى الى التعرف بى  
مدعية بناء عمارة وهى لا تملك مايبنى عشة هذه المكانة  
تضاعفت عشرات المرات اليوم فهل مثلى يذيع سره طباخ أو  
سفرجى .

— ونديم ؟

— ألا ترين أن الاسئلة أصبحت تافهة .

— نعم أنت محق .

— اذن .

— لاشيء .

— مؤخر الصداق .

— لا أريده ...

— هذا حقك .

— ماذا ؟

وانفجرت ضاحكة فى قهقهة عالية كلها بكاء يزلزل  
كيانها وهى تردد حق .. حق حق .. وتضحك وتزلزل  
وتضحك .

ونظر اليها فرغلى مليا .. ووضع المؤخر ألفى جنيه على  
منضدة وتركها هى تواصل قهقهتها المزلزلة العالية النعيب  
وهم بالانصراف وفجأة صمتت كأنها آلة عالية الضجيج  
خربت فجأة .. صاحبت به .

— نسيت شيئا .

— ماذا ؟

كان قد بلغ الباب الخارجى فانتظر دون أن يلتفت  
وقالت هي :

– ورقة الزواج .

وأدار لها رأسه فطالعت نصف وجهه وعينا من عينيه  
وخافت .. كيف استطاعت أن تعاشر عينين هذه احداهما  
.. وسمعه يقول :

– أبقئها عليك . لن تجرئى على اظهارها .. لمن  
ستظهرينها ؟ .. للناس لتقولى لهم انك تزوجت زواجا باطلا  
أم لابنك لتقولى له انك نسبتة الى غير آبيه بعقد مزور ..  
ابقيها فقد تكون ذكرى لك فى وقت تحتاجين فيه الى  
ذكريات .

– ولماذا أحتاج الى ذكريات ومعى ابنك أو بنتك .

– ابقى عليك الورقة وما تنتظرينه .. سلام عليكم .

وخرج ونظرت الى الباب يقفل من خلفه وعجيب أن  
تذكر كلمة السلام الآن .

وظلت فى صمتها المروع وانطبق الصمت على الحياة  
جميعا .. وساد البيت نوع من الصمت المفزع . وكيف له  
أن يهدأ وفى أجوائه ثلاث جثث أم زوجة ومشروع ابن أو  
بنت وصديق عمر .

## ١٧

### الزواج والجنين والمال

**أنا** أعرف ما ارتكبت • وأستحق ما أنال ولكن أنت  
ماذنبك ؟

- - تزوجته
- - ليس هذا ذنبا
- - لقد أجزمت
- - في حقه ؟!
- - في حق نفسي
- - لعلك أحببته
- - أتظنني ساذجة الى هذا الحد

- ليس الحب سذاجة •
- انه لا يعرف الحب •
- ربما عرفتته أنت •
- الذى لا يعرف الحب لا يمكن أن يستطيع أحد أن يحبه •
- وكنت تعرفين هذا ؟
- كما أعرف اسمى وكما لا أعرف أصله •
- لا تعرفين أصله •
- كان بالنسبة لى نباتا شيطانيا يستطيع أن يذبت فى  
غير أرض ومن غير بذرة •
- ولم تحبيه ؟
- لقد أجبته •
- فلماذا تزوجته ؟
- أغرائى وميض الجاه •
- أمثلك يغريه وميض الجاه •
- وخفت •
- وعرفت الخوف أيضا ؟
- الجاه يخيف •
- ما الذى أخافك • انك فنانة • انك مفروضة على  
على المجتمع بأمر من السماء التى منحتك الموهبة •
- ولكن المجتمع لم يصبح حرا • ولن يصنع شيئا اذا  
حرمته السلطة هذه الموهبة التى يعجب بها •
- الآن فهمت •
- ألم تكن فهمت ؟

- فهمت لماذا أطعته وتزوجتني .
- لقد ازداد سعارا وازددت خوفا .
- انى أعذرک .
- وانا أحمل وليدا هو أملى وعلى أن أحافظ عليه .
- أى وليد هذا الذى تحافظين عليه ؟
- لماذا تقول هذا ؟
- ألا تدربين ماذا فعلت بهذا الوليد ؟
- كل ما فعلته أنا مرغمة عليه .
- الا أنك حملته .
- ألم أكن مرغمة على ذلك ؟
- كنت تستطيعين أن تمنى الحمل .
- كنت أحاول أن أترضى أباه وأضمن أن يظل حماية لى .
- من أجل مصلحتك الشخصية اذن حملت هذا لوليد .
- لم أكن أدرى .
- كنت لا تريد أن تدري .
- حاسبتنى وما حاسبتك .
- المجرم لا يحاسب .
- فمن يحاسب ؟
- من يستطيع الا يكون مجرما .
- فأنت معترف .
- مختلس ، لص ، مشترك فى جرائم منها القتل فكم سكت على عمارات أعلم أن الأساس فيها سيؤدى الى قتل سكانها . .
- ان مثلى يحمل على اكتافه جرما أعظم من الحساب .

- وها أنت تدفع الثمن •
- أن أكون زوجا لك •
- أن ترغم على ما لا تريد •
- هذا أبسط كثيرا مما يجب أن أنال ومما سأنال
- فالموضع الذى نحن فيه لا يمكن أن يستمر •
- أى نحن تقصد ؟
- أنا ونديم وممدوح ويعيى ووصفى وكثيرون
- وكثيرون •
- كيف تنوى أن نحيا ؟
- نحن لا نحيا •
- أقصد أنا وأنت •
- أمر هذا متروك لك تماما •
- أو لمن فرض علينا هذا الوضع •
- هو لايهمه الا أن يذيع أمر زواجك بى وقد تم هذا
- وأن ينتسب الطفل اليك •
- وهل ستقبلين هذا ؟
- القبول يكون مع الاختيار •
- ولكن الولد ماذنبه •
- ربما كنت على كل مذكركه من جرائم اسما أخف
- وطأة على الطفل من اسم أبيه الحقيقى •
- ولكن انتساب الابن الى غير أبيه أمر فى ذاته يعتبر
- ظلما فادحا لهذا الابن •
- اذا عرفه •

- وهل أنت واثقة أنه لن يعرفه ؟
- سواء عندي أن آكون واثقة أو غير واثقة ، أنا لأملك الاختيار .
- اذن فسيبقى زواجنا حتى تلدى الجنين .
- ليس هذا ضروريا . . يمكن أن تطلقني بعد شهر أو شهرين اذا شئت .
- وهل تزوجتك حتى أطلقك ؟
- أعرف أن الزواج باطل .
- وأنا أيضا أعرف ذلك .
- وأعرف أنك تعرف .
- كلانا ضحية وأنا أترك لك حرية التصرف .
- ليس مجال الاختيار واسعا على كل حال . سيكون كل منا فى غرفة .
- أمرك .
- فلا داعى لارتكاب خطيئات أخرى لسنا مرغمين عليها .
- والى متى تريدین الزواج ؟
- هذا اليك .
- أنا لا يضيرنى أى وقت تشائين .
- اذا لم يكن عندك مانع فليكن بعد الولادة ببعض الوقت حتى يتأكد الناس انك أبوه .
- لا بأس .
- انت رجل طيب .

- ولكنى مجرم .
- يستطيع فرغلى أن يجعل الطيبين مجرمين .
- السداجة الفاضحة تستوى مع الاجرام الغريزي .
- كنت تستطيع أن تكون خيرا من هذا .
- ربما .
- هل أساء اليك هذا الزواج اساءة أخرى غير غضب أسرتك ؟
- أسرتى أمرشا هين .
- اذن هناك ما هو أدهى ؟
- خطيبتى .
- هل كنت خاطبا ؟
- وأوشكت أن أقدم الشبكة .
- وهل يعلم فرغلى ؟
- لايمكن . . لم يكن من الممكن أن أخبره .
- لماذا ؟
- انها من أقربائى وأبوها رجل شريف .
- أيغضب هذا فرغلى ؟
- فرغلى يكره أسرتى كما يكره كل أسرة اما أن يكون أبوها شريفا فهذا ما لايمكن أن يحتمله .
- فكيف أقدمت على الخطبة ؟
- توهمت أنه قد يغفرها لى مادمت سأظل سائرا بين الخططين الذين يرسمهما لكل واحد منا .
- والآن .



- لا أمل .
- أنا مسنعدة أن أخبرها بكل شيء .
- تزداد الأمور سوءا .
- لماذا ؟ أنك مرغم .
- هل ستقولين لها سبب ارغامي . . مصيبة هل ستقولين لها أنى استر زواجها لم يعلن . . مصيبة أكبر . . سأصبح فى نظرها قوادا شرعيا . . هل ستقولين لها بأن الزواج بيننا ليس صحيحا . . مصيبة أكبر وأكبر محتال وزانى وقواد .
- فماذا تنوى أن تفعل ؟
- لقد اخترت طريقى وعلى أن أسير فيه حتى النهاية .
- أترى له نهاية ؟
- لكل شيء نهاية . . حتى طريقنا هذا له نهاية .
- أنتظر . . خبرنى .
- ماذا ؟
- لقد ذكرتنى بالنهاية .
- بماذا ذكرتك ؟
- أنت طبعا تنوى أن تطلقنى .
- حين تأمرين .
- ليس هذا هو المهم .
- فما هو المهم ؟
- بالطبع لقد كونت ثروة .
- طبعا .
- ومن المؤكد أنك ستتزوج فى وقت من الأوقات .

- أظن ذلك .. لا أدري .
- المهم ماذا ستصنع بثروتك هذه ؟
- طبعا تقصدين بعد موتى .. أظن .. أظن .
- وهل فى هذا ظن .. أنك طبعا لن تعطىها أو تعطى منها لابن فرغلى أو بنته .
- ماذا تريدن أنت ؟
- غير معقول أن تحرم ابنائك لتعطى وليدا الصلة بينك وبينه هى الأرقام والقهر والاذلال وقتل الأمل وقطع الصلات بينك وبين خطيبتك التى كنت تحبها لماذا تعطى ابن هذا الذى فعل بك كل هذه الأفاعيل مالا ؟ .. وماعلينا من هذا جميعا لماذا تعطى شيئا من ثروتك لطفل ليس طفلك على كل حال .
- وفرغلى أيضا لن يعطى ابنه أو بنته منك شيئا .
- فرغلى عنده أولاده الرسميون ولا يمكن أن يعلن أبوته التى فعل كل هذه السفالات ليخفيها لقد آذنى وأذلك وزيف أبوة ابنه . أبعد كل هذا سيعطيه .. طبعا لا ...
- أذن .
- أذن لم يبق لهذا الجنين الذى أحمله طفلا كان أو طفلة الا أنا .
- أنك ثرية .
- انك واهم .
- تكسبين كثيرا .

- اننا نكسب كثيرا ولكننا نضطر الى نفاق أكثر مما  
نكسب . لا بد لنا من مظهر براق . . سيارة فاخرة . . أفخم  
ثياب .

- وفرغلى ؟

- اعطاني المؤخر . . قال أنه حقى وما أخذته منه فى  
مدة الزواج القصيرة أو شك أن ينتهى فأنا لم أعمل أثناء  
الزواج الا أعمالا قليلة . فقد شغلنى عن العمل بماعيده غير  
المنتظمة وأهم شىء فى عملنا المواعيد .

- وماذا ستفعلين ؟

- آه وأعطاني عشرة آلاف جنيه مقابل أن أجعل الزواج  
سرا .

- مبلغ كبير .

- ولكنه عاد وأقترض منه خمسة .

- أقترض . . فرغلى يقترض .

- كان قد تمكن منى وأراني كيف يستطيع أن يمحو  
أسمى من دفاتر الفن وأقترضه

- تقصدين أغتصبه .

- لك أن تختار من الأسماء ما تشاء . . لا يهم .

- وأنفقت الآلاف الأخرى .

- اشتريت سيارة . . الموقف مرعب .

- أذن .

- ليس أمامى الا العمل .

- أظن ذلك .

- اننا نحن الفنانين حياتنا قصيرة ومستقبلنا فى يد  
الحظ وحده قد يقبل علينا الجمهور فترة ثم ما يلبث أن  
يزهدنا ، ونحن لانعرف لماذا أقبل ولماذا زهد • والجمال  
والشباب والنضارة فترة قصيرة فاذا اطمأن بنا القلق على  
دوام الجمال ظلت المرأة تخيفنا فى كل يوم لأن التجميدة  
الواحدة فى وجهنا معناها النهاية • • أرأيت لابد أن أعمل  
فى هذه الفترة المحدودة برغبة الجمهور وارادته المحدودة بشكل  
مؤكد. بتقدم الزمن وانطفاء مصابيح التألق الالهى مات عمله  
غيرى أضعافا مضاعفة لأضمن لهذا الجنين أن يعيش بعد  
موتى • فلن يجد أحدا له بعد موتى لم أكن أفكر فى هذا  
اعطنى التليفون من فضلك • • لابد أن أبدأ فوراً • • الآن  
• • فوراً •



وبدأت وبدأت بجنون • ولم يعد يعينها ما يعنى الأخريات  
أن يكون اسمها بعرض الشاشة وأن يكون وحده عليها بلا  
مزاحم • ولم يعد يعينها أطويل دورها أم قصير • ولم ترفض  
أى برنامج فى الاذاعة • أصبح المال هو هدفها الأول والأخير  
وربما قال قائل كلهن كذلك • وأنهن كذلك الا أن بعضهن  
يحببن أن يتظاهرن بالفن وبالفهم للاعمق تلك الكلمة التى  
يقولها كل من يعمل فى هذا الميدان دون أن يعنيه مدلولها  
وانما يعنيه أن يستمتع بنطقها • وبعضهن أيضا يحببن أن  
يبدين أنهن عازقات عن العمل وأن المال أصابهن من سعة  
الشهرة •

استغنت اسعاد عن كل هذه المتع من التدلل وادعاء  
الزهد فى العمل والتظاهر فى الرغبة عن الشهرة واندفعت  
كحريق تبحث عن المال •

وفى هذا اللهب كانت تعرف أن مثيلاتها ينلن المال  
ايضا من طرق أخرى ولم تكن هذه الطرق غريبة عليها  
ولكنها لم تكن تبذل نفسها لمال وانما حين يطيب لها أن  
تفعل . أما اليوم فقد استطاعت أن تقمع هذه النفس  
وأصبح المال هو الشيء الوحيد الذى يطيب لها أن تصل اليه  
وهي تأمل حين يكبر ابنها ألا يسمح عنها مايشين وأحس  
نديم أن هذا الطريق يجلب عليه خزيا مشهرا أمام الناس  
فان أحدا لايعرف العلاقة الحقيقية بينه وبين زوجته الا  
فرغلى . وحاول أن يحتج فصرخت به .

— أنت تعرف حاجتى الى المال .

— وسمعتى .

— وهل لملنا سمعة ؟!

وأطرق خزيان وأنقذه ظهور الجنين معلنا عن قدومه .  
اسعاد عفيفة ولكن هالها أن يمر وقت ولا تأتى فيه  
بمال ولم يطل بها التفكير فان مثيلاتها أيضا يلعبن القمار  
ولا يخسرون فيه أبدا لأن اللاعبين يحبون أن يخسروا لهن  
مالا . .

ومادام ظهور الجنين قد منعها الحصول على المال من العمل  
فانه لايسطيع أن يمنعها من الحصول على المال على موائد  
القمار .

## ١٨

### مشروع العمر

**كان** فرغلى قد تعلم فى معاملته لمن يمسك برقابهم أن يجعل ضغط يده يتوقف قبل أن يزهد الروح . وكان قد تعلم أنه حين يجعل واحدا منهم ينحنى ويعضر رأسه فى حماة الذل ينبغى عليه بعد أن يجعله ينفذ ما يريد أن يفتح له بابا يعود عليه بكسب يخفف الذل الذى أصابه ، فإذا لم يضمم جراح الأذى فيه أتاح لشرة المال أن تجعله يهدأ الى بعض راحة .

- مشروع العمر يانديم .
- أى مشروع .
- وسأجعلك وحدك المسئول عنه .

- وحدي ؟
- معي طبعاً .
- لا أشك في هذا .
- قد يستغرق منك عشر سنوات .
- عشر سنوات ؟
- بناء جامعة .
- جامعة ؟
- بأكملها على مساحة خمسمائة فدان .
- أين ؟
- ستعرف .
- ورأسماله ؟
- أكثر من مائة مليون جنيه .
- والشركة وحدها هي التي ستقوم به .
- أنا وأنت ويحيى ابن عمتي .
- متى تبدأ ؟
- الجامعة رسمت مع يحيى المعامل ومنازل الطلبة ومنازل الأساتذة بل ومنازل السعاة ومرائب السيارات . اثنتا عشرة كلية .
- دفعة واحدة ؟
- وأنا وأنت المسئولان فقط ومعنا يحيى .

\*\*\*

وراح المال يتدفق على نديم وأعلن اسمه على لافتات البناء انه المشرف المسئول من قبل الشركة وكان يعرف

الأخلاف الحادة التي تنتاش رقبتة فكان يعطى فرغلي نصيبه  
دون أى مناقشة .

ولما كان لابد للشركة أن تكسب علنا ولا بد لتدعيم أن  
يكسب لنفسه ولفرغلي سرا فقد كان من الطبيعي أن يكون  
ذلك على حساب نفقات البناء نفسها . والبناء جماد لا يعرف  
السرقه ولا يعرف الغش ولا يحسن أيضا اخفاء السرقه أو  
الغش .

ولكن يحيى حسين ابن عمه فرغلي والمهندس المسئول عن  
البناء قد أصبح خيرا أى خبير فى اخفاء ما لا يستطيع البناء  
أن يخفيه .



### حتى القمار

لم تجد اسعاد الا موائد القمار لتعوض بها الانحدار  
الذى أصاب الاقبال عليها - وبدأت تواجه تلك الفترة  
العصيبة التى تواجهها كل من تعمل فى الفن حين يصبح الفنانون  
فى سن لا يصلحون فيها لأدوار الشباب ولا يصلحون أيضا  
لأدوار الكبار ، ومرحلة أدوار الكبار هذه ليست مؤكدة فليس  
كل الممثلين يصلحون لها لأنها تحتاج الى ممثل فنان أو ممثلة  
فنانة - فقد كان شبابهم يغتفر لهم ولهن سوء التمثيل أما  
إذا علت بهم أو بهن السن أصبح الفن وحده هو الذى  
يعتمدون عليه .

ولم تدرك اسعاد أن الاقبال الذى كانت تلاقيه على

موائد القمار يرتبط ارتباطا وثيقا بالاقبال الذى كانت تلاقيه على شاشة السينما . وبدأت تخسر على نفس الموائد التى كانت تكسب عليها دائما . وحين دخل معتز الى المدرسة كانت اسماء فى حالة انتعاش مالى فراحت تنفق عليه فى غدق .

ولم يكن فى أول حياته يرى فيما ينفق عليه الا أمرا طبيعيا يتفق مع شهرة أمه ومع الغنى الذى تلاقيه .

ولكنه مع الأيام وجد هذا الغدق يتناقص فى حين بدأ هو يتتار ملابس ومأكلة ويستحسن الأشياء ويستقبحها وتولاه نوع من العجب ولم يلتفت وأنى له أن يلتفت الى أن أمه لم تعد تعمل الا نادرا . ولم يلتفت وأنى له أن يلتفت ان التليفزيون هذا الأعجوبة الجديدة لم يطلبها فى سنوات الا مرات قليلة تكاد تعصها أصابع اليدين أو اليد الواحدة . ولكن لم ينب عنه أن أم حسين هى الطباخة ولم يكن فى البيت غير خادم معها صغير ذى مرتب بنخس .



اكتمل بناء الجامعة وافتتحها المسئولون وتصدر نديم ويحيى الداعين الى حفل الافتتاح مندوبين عن الشركة ولم يظهر فرغى مطلقا . وبدأت الدراسة وتوافد الطلبة على قاعات الدرس وعلى مساكن الطلبة وعلت الطبول تحيى عصر العلم وعصر الثقافة وعصر الاشتراكية التى تتيح المستقبل المشرق لابناء مصر وأراد مدير الجامعة أن يقدم شكره للشركة التى أنجزت هذا الانجاز العظيم فاختار ممدوح طبيب الشركة - ولم يقل ابن عمه رئيسها - أستاذا غير متفرغ بكلية الطب وطبيبا للجامعة بجانب عمله بالشركة طبعاً .

وكانت عمته قد ماتت كما مات زوجها ولكن بعد أن شهدا مطالع سعوذه وشهداه وهو يأخذ بيدي ابنيهما فحنيا له الجيباه التي كانت تشمخ بالابن الطبيب والآخر المهندس .

الوحيد الذي لم يمت هو فهم . ماتت زوجته وكبر أبنائوه وتفرقت بهم الحياة في كل متجه وهو باق يرقب الحياة في مصر من مرقبه الخبيء هناك في القرية ويعرف أتباء فرغلي كلها ويعرف كل مايقف وراءها ولكنه يصمت . لايدعو لابنه بالفلاح فقد كان يرى في فلاحه حتفه . ولا يدعو عليه فالأب يدرك أن دعاءه الى ابنه يعرف وهو في طريقه الى السماء أنه انطلق عن لسان ولم يصدر عن قلب ويعرف الدعاء ان حقيقة طريقة ليست أن يستجاب .

واستطاع فرغلي بقوته الخارقة أن ينسى أباه كما استطاع بقوته الأعظم أن ينسى ابنه ومضى طريقه يستذل كل من حوله حتى لم يعد اذلالهم يكفيه متخفيا أو معلنا اعلانا غير صريح وانمسا أصبح يحس أن من الطبيعي أن ينزلهم بكل وسائل الاذلال وكل وسائل الاعلان .

لم يكن يهمه أن يسب نديم ويحيى وممدوح أمام الجميع بل كان يريد أن من الطبيعي أن يحقرهم أعظم تحقير أمام أبنائهم كلما وجدهم أمام أبنائهم .

فقد كان من الطبيعي أن يتزوج نديم بعد أشهر قليلة من ميلاد معتز وتطليقه المعلن لأمه .

وكان أبناء يحيى وممدوح كبارا وقد وجدوا جميعا الوظائف التي لا يصل اليها أمثالهم من أبناء عبيد الحجرات وسادة المجتمع .

وكانت نفوس يحيى وممدوح ونديم تفهق ألما وكمدا  
ولكنها نفوس ارتضت الطريق وهى تعلم من بدايته أن هذا  
الحزب من معاملة ولكن أكان هذا العلم يكفى لمنع الشعور  
بالمهانة خاصة حين تصل الى قممها أو الى حضيضها هم يرون  
أنفسهم موضع اذلال أمام آبائهم الذين كانوا يظنون أن  
آباءهم أعزة كرام • وكانوا كما كان جميع من حول فرغلي  
يدرون أن اذلال الناس هوايته التى أصبحت حرفة • •  
وكانوا يصمتون ولكن على أى ألم كانوا يصمتون •

٢٠

### الحقيقة

**فوجيء** معتز وهو فى مطالع الشباب أن المال نضب  
عند أمه . فهى تحتال على العيش احتيالا . راحت تبيع  
الأثاث الفاخر الذى كان يزين كل ركن فى شقتها الفاخرة  
المتسعة وتستبدله بأثاث حديث فيه ذوق لا يعينه مال كبقية  
الجمال التى تخلفت على وجه أمه ولكن الأثاث الفاخر يزينه  
القدم ، والجمال الآدمى الدارس يشينه الزمن . وحاولت أمه  
أن تدعى أن هذا الأثاث الذى تبينه لم يعد يناسب ذوق  
العصر فكانت فى دفاعها عن البيع مثلها فى دفاعها عن فنها  
الذى مله الناس وتدعى هى أنها تواجه حربا خفية من عدو  
مجهول وأن المنتجين والمخرجين يريدون العاهرات ولا يريدون  
الفنانات .

وجديد على معتز أيضا أن أمه أصبحت تؤجر شقتهم للعرب في الصيف وتقيم معه ثلاثة أشهر الأجازة في الاسكندرية بشقتها هناك وتقول في بساطة أليس هذا خيرا من أن تبقى خالية . ولا يحاول معتز أن يذكرها برأيها العنيف عن هؤلاء الذين يؤجرون مساكنهم ويقبلون أن ينام قوم لا يعرفونهم في فرشهم . لقد أحس الفتى ومالنا لانقول أدرك أن أمه تعاني أزمة مالية وأدرك أن هذا الإيجار السنوي يوشك أن يكون موردتهم الوحيد .

واستمرت به سنوات الدراسة وهو على هذه الحال محاولا أن يخفف عن أمه ماتلاقيه مدعيا أن ما يحدث أمامه أمر طبيعي لا غرابة فيه ، وتحس الأم بهذا الحنان من ابنها وتمعجب من أين جاء به . لقد كبر وهو يعلم أن أباه نديم الطوبجى طلق أمه بعد ميلاده بعام أو أقل وأنه تزوج من أخرى وأنه يكتب ثروته الباذخة باسماء أبنائه مباشرة حتى لا ينال هو شيئا .

وتفكر اسعاد كيف لمعتز ان يكون بكل هذا الحنان . بل كيف لم يفكر أن يرى أباه وكيف أم يفكر أن يلجأ اليه يستأله بعقه فهو لا يعلم أبا انفسه الا نديم وهو لاشك قد عرف أن لكل ابن على أبيه حقا . كيف استكبر أن يلجأ اليه أو يقترح على أمه أن تطالبه . من أين أتى بهذا الكبر وهو ابن لهذه الحسة العظمى التي يمثلها أو ينشئها لأول مرة على أرض البشر أبو معتز الحقيقي فرغلي .

سبب حياته هو الذي يسوى النفوس كما يشاء . وقد عاش ممتهز فترة داويدة من حياته في هناء مالى وفى ظل وريف من حنان أمه . ترى هل تكونت نفسه فى هذه الفترة وهو بعد صبي يشب عن الطوق . أم ترى رأى فى حنان أمه ما يعوضه

عن أى شىء قد تهفو نفسه اليه . ام ترى ليس لهذا الخلق من سبب الا أن الله الرحيم فى علياء سمائه رأى أن يجعل من هذا الابن نفحة رضاء الى قلب الأم تعوضها عن مجد ضائع وجمال زال وحياة تحطمت وهى بعد فى البداية .

كانت اسعاد تشكر فى نفسها دائما هذه الرقة من ولدها وكانت كلما رآته يمد عينيه الى شىء يتمتع به غيره من الشباب ويقصر بها حالها أن تستجيب له تحس فى قبوله واقع أمرهما يدا قاسية تعتصر قلبها اعتصارا . وسبحانه بارىء النفوس فقد جعل القلب يخفق فى عنف عند الحنان مثلما يخفق فى عنف عند القسوة . يخفق من رضا كما يخفق من غضب . وقد كان هدوء معتز وصبره أشد على أمه وقعا لو أن معتز قابل فقرها بالسخط والغضب والاستنكار والتنكر . عاشت شباب ابنها الباكر وهى تعلم أن أشياء كثيرة تنقصه ولكنه لا يبين عنها . فكثير من اخوانه يملكون سيارات ومن حقه أن يطمع فى أن يكون مثلهم . . ولم لا وأمه على هذه الشهرة وأبوه الذى يعرف أنه أبوه على هذا الغنى . . وقبل أن تؤجر شقتها أول مرة الملح الى هذه الرغبة ثم لم يعد اليها منذ بدأت أمه تأجير سكنها .

وهى تعلم أن ملابسه أقل كثيرا من أبناء اخوته الذين يراهم والذين لم يحاول أن يتعرف بهم بل لقد رفض محاولة أحدهم حين قدم نفسه اليه على أنه أخوه . . لقد أنبأها عن ذلك اليوم .

حين تقدم اليه فتى يكاد يكون فى مثل سنه .

— ألا تعرفنى .

وكان يعرفه فقد أخبره كثير من أصدقائه الزملاء عنه

وأشاروا له اليه فقال لهم انهم لا يعيشون معا وأنه لا يريد أن يعرفه أو يعرف أحدا من بيته فأقصروا منذ ذلك الحين ولم يعودوا اليها . ولكنه لم يكن يتصور أن يواجه أخاه هذه المواجهة . . . أتعرفنى . . . أنعم فيه النظر وارتج عليه بعض الحين ثم قال :

— لا أظن .

— أنا سعد نديم الطوبجى .

— تشرفنا .

— ماهذا . . . ألم تدرك أننى أخوك ؟

— من قال لك أننى أخوك .

— شهادة ميلادى وأبى . . . أبوك .

— أبوك وحدك .

— ولكن أنا ماذنبى ؟

— يأسعد اننى أسف لموقفك وأسفى لموقفى أنا أكثر

فقد قسوت عليك دون أن أشرح لك معنى كلمة أخ التى

أفهمها أنا وكلمة أب التى أعرفها والتى يجب أن تكون .

— أنا لم أقصد سوءا .

— وهذا مايجعلنى أشرح لك . ليست الاخوة وحدة فى

أب وانما هى معايشة تنبت من الحياة لا من الاسم . وربما

كنت فتى طيبا فيك ود وصفاء لكنى أنا أرفض الاخوة منك

تلك الاخوة التى لا أخوة فيها الا انتسابى الى أب فى ظلم

أبيك . . . عن اذنك .

لقد سمعت اسعاد هذا الحديث كله وحفظته وتأملت له

انواعا من الألم شتى فالكلام حق ولكنه موجه الى رجل



لا يستحقه بل هو لا يستحق من معتز الا كل اجلال فحسبه أنه أعطاه اسمه حتى ولو كان قد أعطاه هذا الاسم وهو مضطر غير مختار .

سمعت الحديث ولم تستطع أن تقول له الحقيقة فهي أبشع بكثير مما يظن أن نديم قد فعل .

كانت الحقائق المختفية وشعور معتز بالفقر وهو يظن أنه جدير بالغنى واحساسه بالظلم لتنكر أبيه له وقصورها أن تجيب رغباته ورضاؤه بهذا القصور منها كان هذا جميعا يحمل قلبها أكثر مما يطيق قلب الانسان أن يحمل ، ولهذا لم يكن غريبا أن تصاب بنوبة قلبية حادة . ولم يكن غريبا أيضا أن يلازمها معتز بجانب سريرها شهرين كاملين . ومن يدري ربما كان هذا البقاء سببا في تفوقه في هذا العام . وان كان المؤكد أنه كان من الأسباب التي أبقت على حياة أمه .

## الجامعة تتكلم

**كان** حفلا سياسيا هاما فى الجامعة الجديدة وكانت قاعة الاحتفالات الكبرى التى تتسع لأربعة آلاف طالب ومائة مائة بالطلبة • فقد حشدت القوى السياسية ما استطاعت أن تحشد من الشهود فكلما كثر عدد المشاهدين تأكد لدى الجهات العليا حرص القوى السياسية بالجامعة على مناصرة المهد وتأيينه •

وبدأ الخطباء المنفل وقصد القائمون بتنظيم الحفل ألا يفتتح القرآن الكريم حفلهم واكتفوا بآيات من الميثاق تغطى القاعة كلها • وكانت الأوامر أن يدوى التصفيق فى مواطن معينة وأن يبلغ مداه كلما ذكر اسم بذاته واستجاب

الطلبة للأوامر وما لهم لا يفعلون وقد لقنتهم الحياة التي نشأوا فيها أن مصر لم توجد الا في هذا العهد وأنها لن توجد الا في هذا العهد وكاد أن يصبح من الثابت لديهم أنهم يشهدون عصر بعث جديد لدين جديد ونبي جديد .

واذا كانت عقول الطلبة قد اضطرت أن تصدق هذا أو توشك أن تصدقه فإن أبنية الجامعة ليس يعنيه من هذا جميعه شيء وانما يعنيه فقط أن تكون مقامة على الأسس العلمية الصحيحة . فلا ينتقص احد من موادها الأساسية مهما يكن هذا الشيء قد تمثل في مزيد من المال لفرغلي ونديم ويحيى .

وأبنية الجامعة تستطيع أن تتكلم واذا فعلت كان حديثها أحداثا مروعة نفتك بالآرواح والآمال وبالمستقبل وبأعمدة الحياة وقد شاعت قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة أن تتحدث في هذا الوقت بالذات . وربما كانت آيات الميثاق قد أثقلت جدرانها . أو ربما كان الاسم العريض الذي يتردد في كل جملة شديد الوقع على الأبنية . ومن يدري ربما كان التصفيق الذي ينطلق من أيد بريئة تنفيذا لأوامر غير بريئة قد جعل البناء يختار هذا الوقت بالذات ليتكلم أو ربما أراد البناء أن يقول كلمة فيسمعها العالم أجمع ويصبح تكتم الأمر مستحيلا . فقد كانت كل الأحداث الكبرى التي لاتشدها جموع تنكتم أنباءنا كالموت الذي تصنعه .

سبب من هذه الأسباب أو كل هذه الأسباب اجتمعت فاذا البناء الضخم ينهار على الشباب اليافع المخضل بماء الحياة وان كانت حياة كلها غش وكذب وخديعة - وأضاليل هم من غشها وكذبها وخداعها وضلالها أبرياء بل هم ضحاياها

ولا بد للتضحية أن تبلغ منتهاها فبلغت • ولا بد للشهيد الحى الذى يحيا حياة واهمة صنعها له الأفاقون أن يصبح شهيدا فى كتاب الله ليحتسبه ربك ذو الجلال الصادق الوعد مع الصديقين ومع شهداء الحق على مدى الزمان •

لم يكن الامر مجرد مقتلة لآلاف من الأبناء والبنات وانما كان مقتلة لكل الشعارات المرفوعة على فراغ واللافتات المقامة على الهواء •

وبدأت الاتهامات وبدأ كل مسئول ينفى التهمة عن نفسه • واستطاع فرغلى فى جراحة عريضة أن يقول انه رئيس مجلس ادارة • ومن كان فى مثل مكانه لايسأل عن التفاصيل وانما هو أناط نديم المدير العام ويحىي كبير المهندسين بالشركة أن يقوموا بتنفيذ البناء • ولم يكن عجيبا أن يكون صديق العمر وابن العمه هما أول حطب يلقي الى حريق الآلام الذى ثار عن الحادث فما عينهما فرغلى الا ليكونا حطبا اذا احتاج الى حطب •

ومن يستطيع أن يكذبه وهو يتهم ابن عمته الذى لايجهل أحدا صلة الرحم بينهما وصديق العمر الذى لايجهل أحدا صلة الأيام الطويلة التى تجمعهما •

وبدأ التحقيق • وويل لبعض الناس من هذا التحقيق لقد رأى نديم الموت الذى صنعه والذى لم يتصور أن ينتج عما فعل فقد عاش حياته كلها مع فرغلى واستطاع أن يرغم بقوة فرغلى الأيام أن تستر مايصنعان فما لها اليوم قد صنعت به ما صنعت • وكيف يلقي به فرغلى الى آتون العدالة وفجيرة الآباء والأمهات والأحباب وسخط الرأى العام فى هذه السهولة وفى هذا اليسر • لم يكن ذلك غريبا على فرغلى

ولم تكن دهشة نديم لتبلغ مداها هذا الذى بلغته لو لم يكن يعرف ما يعرف من أسرار فرغلى التى يستطيع أن يذيعها فى حماية المحكمة ولو لم يكن يعرف أن فرغلى يقدر جسامة ما فى جوف نديم من أسرار عنه . ونسى نديم الأهل أن فرغلى يستطيع أن يجعل نديم يقول ما يشاء وفى نفس الوقت لا يسمعه أحد . نسى نديم الأهل الأحاييل العديدة التى يمسك بها فرغلى .

ولكن كلمة نفذت من أسرار فرغلى رغم أنفه الى الحياة فان للسماء طرقها الخاصة التى تجعل بها الحقيقة تفلت الى الحياة .

## قراءة

**جاس** معتز يقرأ لأمه أنباء التحقيق وفوجئت الأم في  
ثناء التحقيق ببجالة قرأها معتز وهم أن يعدوها الى  
ماوراءها ولكنها استوقفته .

— أعد مقارآت .

— ولكن نديم قال ان لديه كثيرا من الأسرار وانه سيجد  
نفسه مضطرا لافشائها اذا لم يعترف كل مسئول عن  
مسئوليته .

ورأى معتز الهول على وجه أمه هنيهة ثم تابع القراءة  
بينما انفصلت هي عما تسمع وفي لحظات أو ربما في أقل

من لحظات مرت حياتها منذ دخل فيها فرغلي الى هذه اللحظة .  
 ماذا سيقول نديم . . انه سيذيع سر ابنها لاشك . . والأيام  
 التي قاست وأملها هذا الذي تحقق وشقاؤها وعناؤها  
 وما قبلته من لغيان فرغلي ، وما فقدته من كرامة ، وما أخفته  
 من سر زواجها بنديم عن فلذة كبدها وكبد فرغلي معا .

أتنفجر القنبلة في ابنها . . في كيانها . . في كل  
 ما تقدمت به قربانا الى الحياة لتبقى لابنها الكرامة . . في  
 كل ما تملقه على ابنها من آمال . لقد حمدت الله أن ابنها لم  
 يشعر يوما بأبوة نديم فهو لم يحس أى أسى لما ألقى عليه من  
 تهم وان كان يعلم أنه يحمل اسمه ولكنه قال لأمه وربما  
 اشفاقا بها الأرزاق بيد الله وان ضاقت بنسا مصر فان لك  
 أصدقاء في البلاد العربية ونستطيع أن نسافر معا . لقد  
 هون عليها بل أزال ما شعرت به من خوف عليه يوم أعلن  
 اتهام نديم . أيفجر نديم الأسرار فابنها اذن أول الصرعى  
 بأسرار نديم . ولم تفكر في قوة فرغلي الخفية وانما فكرت  
 فقط في فضيحتها المعلنة تنسب ابنا الى غير أبيه وتتزوج من  
 زوج وهي حامل فهي في زواجها الثانى كانت على ذمة  
 زوجها الأول ومن يصدق أن نديم لم يقربها ولم يمس منها  
 يدا ان الناس تفتعل الفضائح ان لم تجدها فكيف وهي  
 أمامها واضحة لا يشوب وضوحها غش أو شك .

وما ذنب هذا الفتى .

لحظات اختلطت فيها كل هذه الأهوال في كيان اسماء  
 واختمرت وانفجرت وماتت اسماء .

لحظات لم يجد فيها معتز الفرصة ليسأل أمه عما بها .  
 وانما أعاد الجملة ورأى الهول على وجهه فراح يتابع القراءة

لعله يعدو بها عما أزعجها ولم يدرك أنه يقرأ لغير سامع الا  
بعد أن أكمل فقرة بأكملها تنتهى بأنه تم الافراج عن نديم  
بكفالة مقدارها ألفى جنيه وافراج عن المهندس يحيى بكفالة  
خمسة آلاف جنيه . ولم يسمع تعليقا . ونظر . . ولم يصدق  
ثم هو فى ذهول لا يعرفه الا الابن فقد أمه التى تتمثل حياته  
كلها فى حياتها . وفى حياتها هى فقط بلا أهل ولا قرابة  
من قريب كانت أو كانت من بعيد . ظل جامدا . . ثم صاح  
. . . ماما . . ثم علا صياحه ماما . . ثم علا صياحه . . .  
ساما .

ودخلت أم حسين ومن ورائها صلاح الخادم الذى يعاونها  
فى البيت . ورأت أم حسين معتزا مرتميا على ركبتى أمه  
يصيح بها . وفى ثبات الجبل التفتت الى صلاح .  
— أذهب أنت الى المطبخ .



## ٢٣

### وقراءة

**ودخلت** أم صلاح الى الحجرة وفي خبرة من علمتها الحياة أدركت السيدة العجوز أن الحياة تخلت عن اسعاد التي عاشت سنوات طويلة من عمرها وهي تعتبرها كأبنتها . لم تكن في حاجة الى ما يصطنعه الأطباء لتعرف .. كانت النظرة كافية .

أمسكت بمعزز ورفعته فأرتفع في يديها كدمية كانت ملقاه وأقامتها يدان لا تحتاجان الى جهد .  
- تعال -

وخرجت به من الغرفة وأدخلته حجراته وأغلقت عليه الباب وعادت الى ما بقى من اسعاد فريد .

- ولم يمر وقت طويل وذهبت أم حسين الى معتز •
- الوقت أمامك متسع لتبكي •
- ماما يا دادا •• ماما •
- ستبكيها العمر كله •
- ليس لي غيرها •
- وأنا أين رحمت ؟ •• لاتخف أنا معك وأنا شديدة وان
- كنت عجوزا •• خذ •
- ما هذا ؟
- أمامك الكثير لتفعله •
- لا أريد مأتما •
- وهل هذا بكيفك ؟
- طبعاً •
- انت عبيط •• انها اسعاد فريد ان لها أصدقاء ومحبين
- وماذا تريد هم أن يقولوا عنا أو عنها ؟ أنا قتلت أو انتحرت
- ولماذا لا قدر الله لا يكون لها مآتم ؟
- هل عندنا مال ؟
- عندي ان لم يكن عندك وكله من خيرها •• وعلى كل
- حال هذه مفاتيحها ••
- انظر كم عندك واترك لي أن أتصرف •



وفتح الدولار وكان مبلغ ايجار العام لاينقصه الا

ما أنفقاه في المصيف فوجد قرابة الألفى جنيه • وضعها في  
جيبه ونادى •

— دادا •

ولم يجبه أحد فقد كانت أم حسين تقوم بعمل آخر عند  
التليفون وهم معتر باقنال صندوق النقود ولكنه وجد فيه  
أوراقا يبين عليها القدم • أمسك بها • لم يكن الكلام في  
الأوراق كثيرا ولكنه فوق الكفاية • • في دقائق معدودات  
تكشفت أسرار السنين للفتى اليافع • وانهد في مكانه •  
أقدر عليه أن تموت أمه مرتين ويموت معها أبوه الذي يعرف  
أنه أبوه وينبت له من هذا الوحش المقيت السمعة آبا • •  
كل هذا في ساعة أو أقل من الساعة • • أهذا معقول •

ظل ممسكا بالأوراق عيناه الى فراغ وعقله وكيانه في  
حريق •

ودخلت أم حسين ورأته ورأت في يده الأوراق وأدركت  
بنت الحياة وأمها كل شيء •

— معتر • • ليس هذا وقته •

— ولكن القدر اختار هذه اللحظة لأعرف كل شيء عليك  
أن تقولى للقدر وليس لى ليس هذا وقته •

— أمك مظلومة •

— أذن فكل مافى الورق صحيح •

— صحيح •

— دادا •

— ولكن أقسم لك بابنى الوحيد أو أفقده كما فقدت الآن

أمك وهى فى مكان بنتى • ان أمك أشرف واحدة عرفتھا منذ عملت معها ولا أدري عما قبل ذلك شيئاً • وأنا معها الآن لى ما يقرب من الثلاثين سنة •

— وهذا الزواج الباطل •

— لم يلمسها ولم تلمسه طول فترة الزواج ولا بعده ولا قبله •

— أذن •

— أنك ستودع أمك الآن ولا بد أن تودعها وأنت تعرف قيمتها فأنا مضطرة الآن أن أحكى لك كل شىء مع أننا نحتاج الى كل لحظة أتكلم فيها •

— ليس أهم فى الدنيا مما ستقولين ولا حتى دفنها •  
— أذن فأسمع •



كانت أم حسين فى الدقائق التى غابتها عن معتز قد كلمت نديم وأخبرته وطلبت منه ألا يجيء وإنما يرسل من يساعدها • وطبعاً لن يعجز عن نديم ايجاد كثير من مساعديه وموظفيه ليفعلوا ما يأمر به وان كان موقوفاً عن العمل بالشركة •

فعلاقاته بالموظفين فيها وبآخرين فى خارجها غير محدودة وقد استطاع فى الفترة الطويلة التى عمل بها فى الشركة أن يصطنع لنفسه لا للوظيفة كثيراً من الناس •

وحين عرف معتز الحقيقة كلها كان أعوان نديم قد قدموا وتمت كل الاجراءات ونشر الخبر واهتمت به الجرائد

بطبيعة الحال فنشرته خيرا أما النعى فلم يزد عن توفيت الى رحمته تعالى الفنانة اسعاد فريد أم معتز نديم الطوبجى وستشيع الجنازة الساعة الثانية عشر ظهر اليوم من جامع عمر مكرم حيث تقام ليلة المآتم .



وفى الجنازة حرص نديم أن يكون بين من يستقبلون المزاء . فالمتهمون يهتمون كل الاهتمام أن يكونوا فى صدر التجمعات العامة كأنهم يريدون أن يثبتوا للناس أنهم أبرياء فعلم الناس عندهم أهم من حكم القضاء .

وكان المشيعون كثيرين من أجل اسعاد نفسها بل أن كثيرا من الناس وقفوا بجانب المجمع ليروا الى الفنانين الذين سيأتون ليأدوا واجب العزاء فى زميلتهم .

همس نديم لمعتز .

— أريد أن أراك .

— وأنا أيضا .

— متى تحب ؟

— فى العزاء .

— لن نستطيع الكلام فى العزاء .

— بل لن نستطيع الكلام فى غير العزاء . فأنت مراقب والكلام الذى أريد أن أسمعه أو أقوله لا أريد أن تتبعه صلة لى بك .

— أذن فأنت . .

— عرفت كل شيء .. فى العزاء ستكون مراقبا وغير مراقب .. هذا هو الوقت الوحيد المناسب .

\*\*\*

فى أوائل سنوات الرعب التقى صديقان مع أحدهما ابنه الذى لم يكن يجاوز السنوات الخمس وجلس الصديقان الى مقهى . وتهامسا فى السياسة ثم أراد الصديق أن يحى صديقه فى مداعبة لابنه فقال :

— هيه وأنت ما رأيك .

فإذا بالطفل الحدث يقول فى خبث شديد المكر :

— أنا لا أتكلم فى السياسة ياعم .. أتريد أن تودى بى فى داهية .

وفزع الصديق ثم راح يراقب الجيل .. لقد أصبح كله هذا الطفل . لقد شب فى سنوات الفزع فى السنوات التى اهتدت فيها الكلاب على أعراض الرجال واعتدت فيها السلطات على أعراض السيدات الفضليات تنكيلا بأزواجهن أو أبنائهن .

جيل كل همه أن يبعد عن نفسه المظنة فهو يصطنع النفاق أو يمتهن التجسس وخير من فيه صامت . جيل تعلم كيف يهرب دائما حتى لا يصبح من بين الضحايا جيل تدرب فيه الذكاء منذ السنوات الباكرة من حياته . لم يسمع الكلام الا همسا أو هتافا . الهمس مرتعد والهتاف نفاق . جيل رأى الأب فيه أن تحدث فى السياسة الى الأم تحرى أن تكون الأبواب مغلقة والأبناء بمبعدة حتى لا يرددوا ما يسمعون عن غير قصد .

جيل أقام التنظيم الأساسى فيه حفل تكريم لأخت وشت  
بأخيها أنه ينتقد العهد مجرد انتقاد بلا تأمر •

فى هذا الجيل نبت معتز • فليس عجيبا أن يرسم لنديم  
لا هو من هو سنا وتجربة وحيلة أين يكون الكلام وكيف  
يكون •



وفى العزاء حرص نديم أن يجلس الى جانب معتز •  
— طبعاً أبلغك سعد عن الحديث الذى دار بيننا •  
— أقسم لك بحياة أبنائى أن صلتى بوالدتك •  
— عرفت كل شيء • وأشكرك • وأعتذر لك ولسعد •  
— شكراً •

— وسيأتى الوقت لآتى عندك وأعتذر لسعد بنفسى •  
— ولماذا لا تأتى منذ الغد • أنا مستعد أن تجعل الكذبة  
«حقيقة» ، ومادمت قد عرفت كل شيء فما المانع أن تجعلنى أباك  
الروحى • أنا والمرحومة والدتك يجمعنا مجرم واحد •  
والمصائب كما يقول الشاعر يجمعن المصابين •

— أنا أعجب لك • • ولاشك أن لك زملاء كثيرين يمسك  
هذا الوحش برقابهم • أتتركون رقابكم هكذا بين يديه •  
— ومن أدراك أننا ساكتون •  
— ما أراه •  
— انتظر •

ثم كأنما صحا وتلفت حوله •  
— اياك أن تعيد هذا الكلام •

- أنا صغير حقاً ولكن السنة من عمر جيلى بعشر سنوات  
من جيلكم وكل الأجيال التى سبقتكم •

- ولماذا تريد ألا تظهر بجانبى وأنا أمام الناس أبوك •

- انت أبى ولكنى لم أقترب منك طول حياة والدتى  
وطول الفترة التى كنت فيها قويا فلو اقتربت الآن سأصبح  
تحت المراقبة •

- وماذا تخشى من المراقبة •

- هذا سرى • • دم أمى لن يذهب هدرا •

- اياك أن تكرر هذا الكلام •

- أنا لم أقله الا لمن أعرف أنه لن يجرؤ على تكراره •

- من ؟

- أنت •

- فقط ؟

- فقط •

- وأم حسين ؟

- وهل أنا عبيط •

- أسكت •

- ساكت •



## خيوط السماء

**حين** ملك فرغلى رقاب كثير من الناس وأصبح يتصرف فى مصائرهم ماشاء له هواه وما شاءت له مصالحه عجب أن تخرج الطبيعة عن ملكه وتتمرد بقوانينها على مشيئته ورغباته . ولم يتصور أن ينهار بناء الجامعة دون أمر منه وقد عاش عمره لا يفصح عما يعمل بنفسه ولكن نفسه أيضا دون أن يدري جزء من الطبيعة وهى أيضا دون أن يدري تخضع لقوانينها . ولذلك عجب هو وليس فى الأمر عجيب حين أصابه نوع من الدوار وأحس برأسه تكاد تنفجر وعرف فجأة أنه فى تكوين أعضائه انسان ككل انسان يجرى على جسمه ما يجرى على جسوم الناس وقد كان يظن أنه

يستطيع أن يصنع جسمه كما يشاء هواه وكما صنع خلقه  
وكما يصنع مصائر الدين حوله .

وكان ممدوح ابن عمته حريصا منذ حادثة الجامعة  
واتهام أخيه أن يزوره كل يوم مخافة أن يظن به أنه غاضب  
لأخيه وكان حريصا ألا يذكر ما حدث كل الحرص ، فهو يعلم  
أن فرغلي يملك من أمره ما يستطيع به أن يقضى عليه وفرغلي  
يعلم ذلك أيضا فلم يجد في زيارة ممدوح اليومية له  
ما يدهشه بل انه كان سيدهش لو فعل ممدوح غير ذلك .

واستطاع ممدوح بخبرة الطبيب المعجوز أن يدرك  
ما يحاول فرغلي أن يخفيه من المرض ولكنه لم يجروا أن  
يفاتحه مادام هو لم يشأ أن يذكر شيئا .

قليلا ما صمت فرغلي فقد طلب الى ممدوح أن يأتي له  
بالدكتور أحمد الفقى الباطنى الشهير . واتفق الطبيبان  
سريعا على أن فرغلي يعاني من الضغط العالى . وعجب فرغلي أن  
ضغطا يفرض عليه الآن حتى ولو كان هذا الضغط من  
شرايينه هو . وفكر لحظة كيف بدأت حياته بالضغط عليه  
من جوانب الحياة من أمه ومن أبيه ومن قريته ومن المجتمع .  
كان الضغط عليه من الخارج . وحين تصور أنه استطاع  
أن يتخلص من هذا الضغط الى الأبد وأصبح هو يفرضه على  
الحياة من حوله وأفاه الضغط من داخله من كيانه من جسمه  
الذى تمرد عليه كما تمرد بناء الجامعة وكما تمردت قوانين  
الطبيعة .

وفرض المرض عليه نظاما خاصا فى الطعام . فأصبح  
وحده فى البيت لا يأكل الا الطعام المسلوق الخالى من الملح .  
واضطر فرغلي أن يخضع بعد أن نسى الخضوع سنوات طويلة

من حياته • وكان ممدوح بكل مافى نفسه من زعر ومن كره  
يشرف بنفسه على الطعام •



ربما كان نديم مبعدا عن الشركة • ولكن كثيرين فى  
هذه الشركة مرتبطون به ارتباطا عضويا • متعلق مصيرهم  
بمصيره • بعضهم يعرفهم فرغلى وقد أبعدهم ولكن الأكثرية  
منهم لم يكن يعرفهم • وقد ظلوا يعملون فى الشركة جزءا  
من كل شرايينها الظاهرة القوية ومن كل شعيراتها الصغيرة  
المستخفية وقد كان هؤلاء أخطر وأكثر حرية من الكبار فى  
تصرفاتهم وفى تحركاتهم • • ماذا كانوا يصنعون • •  
ولا أحد يدرى لقد كان صغر شأنهم يتيح لهم الدخول  
والخروج الى البوفيه حيث تعد القهوة فى الفنجان الخاص  
بفرغلى • • ماذا كانوا يصنعون ؟ لا أحد يدرى •



### قال معتز :

- دادا • • أين فهمى عبد الموجود وحسنين كرم ؟
- موجودان •
- أين ؟
- ان فهمى يعمل طباطبا عند فرغلى •
- أين ؟
- عند فرغلى •
- أمتأكدة ؟

— يا ابني إنه يزورني دائما • • هو وحسنين لم ينقطعا  
عنا الا بعد الطلاق الأول بضعة أشهر كانا فيها بالحجاز  
فقد عينهما فرغلي هناك ولكنهما عادا لمصر وعادا الينا  
يزوران البيت ويطمئنان على المرحومة • أيام مرضها كانا  
يأتيان كل يوم ليطمئنا عليها كانا يحبانها جدا لا مزيد عليه •  
لو رأيت حسنين يوم وفاتها لتهيا لك أنه أخ يبكي أخته  
الوحيدة •

— ولماذا عينه فرغلي عنده بعد أن عاد من الحجاز  
والحكاية انتهت •

— أولا كان يحب أكله وليطمئن على سكوته •  
— ألم يكن عنده طباخ ؟

— العقبى لآمالك • كان عنده ولكن عين فهمى ليطنخ  
له العشاء • فهو يحب الأكل زى عينه ولا يستطيع أن يأكل  
فى الظهر كما يريد لأنه مضطر أن يشتغل بعد الظهر فالأكلة  
المهمة عنده فى العشاء • بعيد عنك حين كان يتعشى عندنا  
كأنما هو وحش يأكل آخر زاده •

— وحسنين ؟

— عينه فى قصر العينى •

— اشمعنى •

— حسنين طول عمره عينه فارغة ويحب الفلوس وكان  
له صاحب يعمل فى أجزخانة قصر العينى وكانت مكاسبه  
كبيرة وكان حسنين يتمنى دائما أن يعمل معه •

— فى الأجزخانة ؟

— فى الأجزخانة •

- هل أستطيع أن ألقاهما ؟
- عندما تحب .
- من بكرة ان أمكن .
- أنا لا أروح لأحد منهما ولكن الأسبوع لا يمر الا  
ويزورنى واحد منهما أو الاثنان .
- عظيم .. قلت .. حسنين يحب الفلوس .
- أكثر من الحياة .
- وفى الأجزخانة ؟
- فى الأجزخانة .
- وفهمى .. ماذا يحب ؟
- الصلاة والصيام وزيارة أهل البيت .. مجذوب  
تسرييا .

\*\*\*

وقال معتز :

- انظر يا عم فهمى .
- يابك هذه امضائى .
- وانظر فى هذه .
- عقد الزواج .. أعرفه .
- قارن بين التاريخين .
- وأعرف هذا أيضا .
- وكيف لقيت الله فى بيته ووقفت عند شباك نبيه .
- الا من تاب .

- الحج توبة ؟
- سبحانه هو الذى يقول الا من تاب وأمن .
- أكمل الآية .
- وعمل عملا صالحا .
- أعملت عملا صالحا ؟
- لم أرتكب بعدها جرما . وكنت مضطرا .
- أعملت عملا صالحا ياعم فهمى . أنت لم تكن مضطرا .
- فهمت قصدك ياسى معتز .
- لا يكفى أن تفهمه . حسنين أحضر لى هذه .
- ربنا يعمل ما فيه الخير .
- وعمل عملا صالحا ياعم فهمى .
- نعم .. وعمل عملا صالحا .

\*\*\*

لم يكن بالمنزل أحد عندما مات فرغلى الا أهل البيت  
والدكتور ممدوح الذى نظر فيمن حوله .. سكتة قلبية ..  
هاتوا الدكتور أحمد .. هاتوا دكاترة البلد كلها ..  
هاتوا ..

جاء الدكتور أحمد ونظر فى عيني الميت وصمت ونظر  
الى الدكتور ممدوح ونظر اليه الدكتور ممدوح جامد  
الوجه ثم قال فى قطع حاسم .

- سكتة قلبية يادكتور .. سكتة قلبية .

وصمت الدكتور أحمد وخرج من الغرفة وخرج معه  
الدكتور ممدوح وأرسلا فى طلب طبيب الصحة المسئول عن  
الحى وحين وجد الدكتور أحمد سألته :

– هل كشفت يادكتور ؟

– نعم .

– سبب الوفاة .

– سكتة قلبية .

وكتب طبيب الصحة اذن الدفن دون أن يكشف وماكان  
له أن يكشف مادام الدكتور أحمد الفقى أستاذة والطبيب  
الساطع الشهرة يقول ذلك .

(انتهت)





# طائر في العنق

---



## طائر في العنق

١

**هذه** هي المرة الأولى التي أمسك فيها بالقلم وأنا لا أدري إلى أين سأرمي به ولا إلى أين سيرمي هو بي .. أهي رواية طويلة .. أهي قصة قصيرة .. أهي شيء بين هذه وتلك أم هي شيء جديد بالنسبة لي أنا - ولك أن تسألني وما لك لا تفعل - ولماذا لا تصبر على قلمك وتنتظر حتى تعرف إلى أي الوديان أنت متخذ سمتك ، ومستقبل وجهتك . ولي على سؤالك اجابة .

لقد خرجنا من فترة سياسية قلبت الموازين الاجتماعية كلها ، وانقلب معها ما استقر عليه مألوف الناس ، وما تعارفوا عليه في مضطرب حياتهم .

وقد وقف بنا هذا الاضطراب على أبواب حياة جديدة  
اصبحنا نرى فيها ماتعتبره بعض الأجيال عجباً وماتعتبره  
أجيال آخرون أمراً طبيعياً لا يدعو الى دهشة أو تعجب .

وقد شاء لي تزاخم الحياة حولي أن أرى الكثير . وشاء  
لي قدرى أن أكون من أهل الرواية والقصة . فليس عجيباً  
أذن أمرى اذا أنا أمسكت بالقلم ورحت أفكر به فيما رأيته  
حولى من زحمة الحياة ، وليس عجيباً من أمرى ولا من أمرك  
أن أقدم اليك ما انتهى اليه حديثى الى قلمى أو حديث قلمى  
الى . قد يكون بعض الناس قد شاهد ما شاهدت وسيجد هؤلاء  
أن ما خبره من الحياة لم ينفرد وحده بخبره . وقد يكون  
بعض آخرون قد سمع ولم يختبر ونقل اليه الأمر ولم يره ،  
أو قد يكون بعض ثالث بمعزل عن مضطرب الحياة وزحمتها  
فلا هو رأى ما رأيت ولا هو حتى سمع عنه .

وأيا ما يكون الأمر فقراءة الشيء غير مشاهدته وغير  
الاستماع اليه لأن القارئ حين يقرؤه يجده نابضاً ينبض  
الكاتب ورؤيته . فلست حكاء أروى لك الخبر دون أن أنفذ  
الى العميق العميق من أغواره ثم انا ألف حوله وأدور فأرى  
ما يحيط به من كل جانب فأنت لن تقرأ حديثاً هامداً لا حياة  
فيه ولا حركة . فليست القصة أو الرواية مجرد مجموعة من  
الأحداث أو من ملامح الشخصيات أو تطور التآلف بين الحدث  
والشخص ، وانما القصة أو الرواية هي رؤية فنان وهي  
حياة كاملة ولعلها الحياة الوحيدة فى الحياة التى نعرف سرها  
فسر الحياة لا يعلمه الا الله .

وما أنا بسبيلى الى تقديمه اليك الآن لا أدري . كما  
قلت لك . كيف أنا سائر به أو كيف سيسير هو بى فهذا الذى

كتبه لم أضع خطوطه العريضة وإنما أنا مسلم أمرى الى  
كرياتى وتفكيرى وقلمى وهذه الذكريات فيها كثير تهادى  
لى من افواه ناس عن ناس وأنا أعرف الحاكى والمحكى عنه .  
هذه الذكريات فيها ما عرفت عن مشاهدة أو معرفته من  
شاركة ويتمازج هذا جميعه فى نفسى وعلى سن قلمى فاذا  
نا لا ادرى كيف يمكن أن تؤدى البداية فيه الى النهاية .

علمي صديقي الذي أعرفه متمسك بالأخلاق الرفيعة  
تمسكا لا يقبل معه التنازل عن شيء من صفات الأمور .  
ولكنه أمام مشكلة عمه واقف كالحجر لا يستطيع أن يحقق  
ما تقاضيه به المثل ولا يستطيع أن يسكت ، أو أن نفسه تأبى  
عليه الهدوء أو قبول السكوت منه . وأقصى ما أستطاع أن  
يبلغه من نفسه ومن جهده أن يدعى الجهل بكل ما يقال حول  
عمه .

وهو يدرك أنه بذلك الذي صنعه انما يخادع نفسه في  
حين تأبى نفسه أن تنخدع فهو واياها في صراع أي صراع  
ولكن مالنا نبدأ بالحديث عنه ولا نبدأ بالحديث عن عمه  
هذا .

هو من مواليد السنوات الأولى من هذا القرن . وهو الأخ الأصغر لوالد صديقي الحائر . وأخوه يكبره بسنوات ليست قليلة وقد مات عنهما أبوهما فواز الوسىمى والأخ الأكبر حلمى فى مدرسة الحقوق فلم تكن فى ذلك الحين تحمل اسم الكلية فما كانت الجامعة قد نشأت بعد . .

وكان الأخ الأصغر حنفى متجمدا فى الابتدائية لا يريد عنها حولا ولا منصرفا .

وكان التعليم فى ذلك الحين قد بدأ يأخذ مكانه الرفيع من الحياة المصرية ، وكان حرص حنفى على البقاء فى الشهادة الابتدائية ينغص على أخيه حياته فهو ينظر فى هلع كلما استشرف المستقبل له ورآه فيه ضائعا كهباءة لا معنى لها ولا وجود ولا ثقل .

وكان الأخ الأكبر شأن جيله جميعا من المشتغلين بالقضية الوطنية الا أنه أبى أن يقف موقف المعلق أو السائر حيث تسير الجموع فقد كان صاحب قلم وصاحب مواهب خطابية قامره بين جيله متفرد تفرد صاحب الموهبة بين عامة الناس .

وقد كانت القضية المصرية تمثل عند حلمى الحياة جميعا فهو ملهوب العاطفة كاره للانجليز ولكل شئ ينتمى اليهم . وقد كانت المدارس الثانوية فى ذلك الحين والتي كانت تسمى التجهيزية فيها قسم يدرس علومه جميعا باللغة الانجليزية وآخر يدرس علومه باللغة الفرنسية . فاختار هو الدراسة باللغة الفرنسية امعانا منه فى كره الانجليز على الرغم من الحاح اخوانه الذين كانوا يريدونه أن يدرس الانجليزية ليعرف لغة أعدائه فقد يحتاج الى مجادلتهم . وكان

جواب حلمى القاطع : عليهم هم أن يكلمونى بلغتى فان لم قليتكلمووا بالفرنسية، أما أنا فلن أجعلهم يرغموننى على تعلم لغتهم . وحين نال حلمى شهادة التجهيزية كان يتقن اللسان الفرنسى اتقاناً نادراً فقد كان ذا موهبة فى اللغة وأحب الفرنسية فكان الى جانب العلوم التى يتعلمها بالفرنسية الجغرافيا والتاريخ والطبيعة والكيمياء والحساب يقرأ فى الأدب الفرنسى بنهم شديد .

وهكذا كان الأمر ميسوراً بالنسبة اليه فى الرجوع الى المراجع الفرنسية كما كان ميسوراً له تلقى المحاضرات عن الاساتذة الفرنسيين ، ولم يكن عددهم قليلاً فى هذه الأيام . وعلى أية حال فقد أحس حلمى نفسه سعيداً كل سعادة ان استطاع فى تعليمه أن يقاطع الانجليز والانجليزية مقاطعة تامة وحين تخرج حلمى لم يصبح له عمل الا حرب الانجليز حيثما هيات له الفرصة حرباً وان لم تهيئها اصطنعها هو اصطناعاً .

كان حلمى مشغولاً فى الحياة العامة بحرب الانجليز ومشغولاً فى حياته الخاصة بحرب الجهل الفاضح الذى يزرع فيه أخوه الذى يرفض كل الرفض أن يمسك كتاباً أو يفكر فى امتحان أو مستقبل يعتمد على علم .

بدأ حلمى عمله فى وزارة الداخلية وأصر حفى أن يتمسك بوظيفته التى يحبها ولا يفكر فى تركها . طالب بالشهادة الابتدائية . وبلغ حفى مشارف الشباب وأصبح فى البواكير الأولى من الحياة . وكان طويلاً القامة جميل القسماً بصورة لا يستطيع الانسان أن يتجاهلها . وهب الله له حب الناس ويسر الصداقات فكل الذين زاملوه وكل أصدقائهم الذين عرفوهم به أحبوه خبا شديداً . وقد كان



يستطيع أن يجعل كل شخص منهم يعتقد أنه صديقه الأوحد أو الأول على الأقل . وكان كل أصدقائه يثقون بهذه الفكرة ثقة لا تقبل المناقشة أو التفكير . وهكذا أصبح لحفنى أصدقاء فى المدارس التجهيزية طبعاً ودمج الستين أصبح أغلب أصدقائه فى المدارس العليا ومن باب أولى كان له أصدقاء كثيرون فى المدرسة الحربية ومدرسة البوليس . ولعل هؤلاء كانوا أشد أصدقائه قرباً إليه فما كان يذهب الى هاتين المدرستين الا الذين يريدون أن يتعجلوا الخروج الى الحياة فهم فى هذا مع حفنى على وفاق أى وفاق .

فما كانت هاتان المدرستان تحتمان أن يكون الملتحق بهما من حملة البكالوريا .

وياطالما ألح حلمى على حفنى أن ينال الابتدائية لعله يستطيع أن يلتحق بواحدة من هاتين المدرستين . . ولكن من أين . انه يستطيع أن يصادق أى انسان أو أى شئ الا أن يصادق الكتاب حتى وان كانت صداقة مغرضة منافقة تتقطع أو اصرها اذا نال منها بغيته : عبادة موهوبة ومكتسبة ، وهكذا أصبح من الطبيعى أن يكون له أصدقاء فى المدرسة الحربية أو فى مدرسة البوليس ولكنه لم يستطع أبدا أن يخطو الى داخل واحدة منها تلميذا منتظما .

لم يستطع عمل حلمى فى وزارة الداخلية أن يجعله معقولا بعض الشئ فى كرهه للانجليز . فكان يكتب مقالات بتوقيع مستعار «مصرى صميم» فى الصحف اليومية ، وكانت السلطات البريطانية تحاول التعرف على صاحب هذا التوقيع فتصاب بالفشل الشديد فقد كان رؤساء التحرير يدعون دائماً أن المقالات تأتى اليهم فى البريد وأنهم ينشرونها دون أن يعرفوا اسم صاحبها . وكانوا يعلمون طبعاً أن العقاب نازل

بهم لنشرهم هذه المقالات ولكنهم كانوا يشعرون بالسعادة وهم يستقبلون هذا العقاب .

واستطاع حلمى عن طريق وظيفته ومقالاته أن يتعرف على رؤساء تحرير هذه الصحف . وكان حبنى قد كف عن محاولته فى الحصول على الابتدائية فلم يجد حلمى بدا آخر الأمر من أن يرجو صديقه فايز وهبى رئيس تحرير مجلة الفن أن يعين حبنى عنده ناقدا فنيا . فالنقد لا يحتاج الى مؤهل وحبنى يستطيع أن يتعرف على العاملين فى المسرح وغير المسرح من ملاهى الليل .

ولم يكن حلمى يعلم أن حبنى وطيد الصلة فعلا بالممثلين والمخرجين ، فقد كانت الحياة التى تجمع حلمى وحبنى فى بيت واحد تباعد بينهما بعد ذلك فى كل شئ ، فحلمى لا يعرف عن حبنى الا أنه موظف بوزارة الداخلية وحبنى لا يعرف عن حلمى الا أنه خائب .

وحين تجمع بينهما المائدة فحديث مقتضب ، فكل منهما يحيا حياة غير التى يحياها الآخر فان لم يكن هناك خبر ذو شأن فى السياسة أو جديد يقال عن الأرض التى يملكانها والتى يشرف عليها حلمى لا يكون بينهما حديث على مائدة الغداء وهى المائدة الوحيدة التى يمكن أن تجمع بينهما فى وجبات اليوم .

على أن مائدة الغداء هذه نفسها قليلا ما كانت تجمع بينهما فكثيرا ما كان يتغدى كلاهما خارج البيت أو يتغدى أحدهما على الأقل فى الخارج مع صديق له .

وعلى مائدة الغداء قال حلمى :

— حبنى تستطيع أن تذهب غدا الى الأستاذ فايز وهبى -

- صاحب مجلة الفن ؟
- أتعرفه .
- أعرف المجلة .
- من أين تعرفها ؟!
- أكان لابد أن أحصل على الابتدائية حتى أعرف مجلة  
القن :
- كنت أحسب أن ليس لك صلة بأى قراءة .
- ولا حتى مجلة الفن .
- حسنا . . هل تستطيع أن تكتب شيئا عن المسارح  
والغناء والتمثيل وما الى ذلك .
- طبعاً . . أنا لى أصدقاء كثيرون بينهم .
- كيف ؟
- طول المعاشرة للمدرسة جعل لى أصدقاء فى كل مكان .
- حتى بين أهل الفن .
- خصوصاً بين أهل الفن .
- لك حق فكلهم . .
- لا تكمل . . أعرف ماستقول .
- أنت تعرف أنى أقدر الفنون .
- ولكن هذا لن يمنعك أن تقول أن كلهم خائب مثلى .
- أنا لم أقل .
- قلت ولكنك لم تنطق .
- ياخسارة يا حفيبنى .
- نعم لك حق .

- وفهمت هذه أيضا •
- ان لم أفهم أخى الذى فى مكان أبى فمن أفهم •
- لو كنت أكملت تعليمك لاخرقت كل الصفوف لتصبح  
النايعة الأول فى أى ميدان تختاره •
- وهل يدرى أحد ياسى حلمى أين يكمن نجاحه •
- لك حق •• فعلا لك حق •• ان شاء الله توفق فى  
عملك الجديد •
- بفضلك •• ان شاء الله •

ولعلك قرأت كلمة ياسى حلمى وأنت بين مصدق ومكذب  
فما هكذا ينادى الأخ أخاه الأكبر فان حرقى سى اللذين  
يمثلان اختصارا لكلمة سيدى لم يعودا يتخذان نفس القيمة  
فى زمانى وزمانك الا فى بعض البلاد العربية غير مصر •  
ولكن هذين الحرفين فى ذلك الزمان كانا عنوان احترام شديد  
وتوقير •• وكان الأخ الأصغر ينادى بهما الأخ الأكبر اذا كان  
فارق السن بعيدا كما كان أى شاب فى أسرة ينادى من هم  
أكبر منه بأسمائهم مسبقة بهذين الحرفين • ومادمت قد  
أخذت نفسى أن أقص عليك ماكان من شأن هذين الأخوين  
فحتم على أن أقص أيضا مايعرض له الحديث من عادات العصر  
الذى نشأ فيه • فان لم أفعل وجدت نفسك متعجبا حيننا  
ورافضا أيضا وأنا حريص أن أمنع عنك التعجب وأشد  
حرصا ألا ترفض •



وبدا حفىنى مستقبلا جديدا كأنما الوسط الفنى لم يخلق  
الا ليعيش فيه حفىنى ، أو كان حفىنى لم يخلق الا ليعيش فى  
هذا الوسط •

انداح فيه كأنه مولود على خشبة مسرح • وحاول بعض المخرجين أن يستغل جمال وجهه ولكن انعدام الموهبة تماما عنده وربما أيضا خشيته من أخيه كانت حائلا بينه وبين أن يكون ممثلا • فقد يقبل حلمي أن ينقد أخوه الفن ولكنه لا يسمح أبدا أن يصبح أخوه فنانا •

لم يكن المسرح في ذلك الحين هو ذلك الفن الرفيع الذي نعرفه اليوم • • ولم يكن مستقلا كل الاستقلال عن مواخير الليل وكباريات الرقص وبائعات الجنس •

وهكذا راح حفنى يتنقل بين أولئك النسوة فى زهو الشباب • • وعلى موائد المواخير عرّف حفنى مصر كلها • • كبراءها وشبابها • • عظماءها والمتسلقين حول عظمائها • • وعرف الناس من كل النحل والمهن • • عرف الأطباء والمحامين والكتاب والمهندسين وكبار الموظفين وصغارهم وضباط البوليس وضباط الجيش وما أكثر ضباط الجيش الذين عرفهم هناك •

وعرف أيضا • • عرف القمار •

وعلى هذه المائدة يجتمع عالم آخر غير عالم الناس • • وتعيش بجانب الحياة حياة أخرى •

وعرف الزجاجة ولم يحبها ولكنه كان يشرب ليجارى الجلسة •

وفى جلسة من هذه الجلسات سأله صديق جديد لم يكن رآه قبل ذلك اليوم :

— اسمك حفنى الوسىمى ؟

— نعم •

- - ترى هل لك صلة بالأستاذ حلمي الوسيمي .
- - أخى .
- - غير معقول .
- - لماذا ؟
- - لا .. لا شيء .
- - لأنه جاد .
- - ماذا تقصد بجاد ؟
- - يعنى .. ليس مثلى .
- - على كل حال ليست دهشتى لهذا .
- - فلماذا ؟
- - لأنه صديق قريب لى جدا وكثيرا ما نذهب الى المسارح وكثيرا ما نجلس معا فى بار اللواء وفى صولت .
- - فلماذا لم تأت به الى هنا ؟
- - الى هنا .. مستحيل الظاهر أنك لاتعرف آخاك .
- - هو فى مكان أبى ولكن المؤكد أن الذى أعرفه عنه أكثر مما يعرفه الآخرون حتى ولو كانوا أصدقاءه .
- - الحقيقة أننى لم أعرف أن له آخا الا الآن .. هل أنت متأكد أنك أخوه .
- - أنا متأكد أن والدتى مثل أعلى فى الشرف .
- - وضعك الجميع وخجل محاوره بعض الشيء وغمغم .
- - أنا آسف .. العفو .. طبعاً أنا لا .. المهم .. المهم
- - أن هناك حقيقة عن أخيك المؤكد أنك لاتعرفها .

– الحقيقة أن سعادتك أكثر من الشرب وجعلتنا نشغل  
الاخوان بما لايعنيهم •

– الحقيقة أننى أريد أن أعلن عن بطولة أخيك التى  
لاتعرفها •

– هل أنت مصمم •

– هل تقرأ وهل تقرأون المقالات الموقعة باسم مصرى  
صميم • •

واختلطت أصوات التأييد وأصوات الاعجاب •

– أتعرفون من يكتبها ؟

وتضافرت «لا» على الشفاه • • ونظر الصديق السكران  
الى حفى • •

– أتعرف أنت ؟

– ومن أين أعرف ؟

– ألم أقل لك أنك لاتعرف شيئاً عن أخيك • • حلمى  
الوسيمى هو مصرى صميم • •

\*\*\*

قبض على حلمى وألقى به فى السجن وفتش بيته فى  
القاهرة وفى قرите الرمايعة •

ولكن الغريب أن الاحتلال لم يكن يلقي الناس فى  
السجون دون أن يوجه لهم تهمة معينة أو يعنى على الأقل  
بتلفيق تهمة بذاتها يستر بها وجهه أمام العالم •

وهكذا لم يكن غريباً ألا يطول المقام بحلمى فى السجن •

مؤلفات ثروت أباطة – ٤٦٥

ولكنه حين خرج وجد نفسه مترددا فى مواصلة العمل بوزارة الداخلية ولكن السلطات المحتلة كانت على قدر من الذكاء فلم تشأ أن تفصله ليصبح بطلا قوميا ولم تشأ أيضا أن تنقله من الداخلية حتى يظل تحت عينها • وكان يعلم أن بقاءه تحت عيونهم سيقف حائلا بينه وبين نشاطه الآخر الذى كان أكثر خطورة من المقالات •

ولم يشأ حلمى أن يستقيل ليظل قريبا من الادارة المصرية •• ترك بضعة أيام تمر ثم ذهب الى مقهى الكلوب المصرى حيث تصعب المراقبة وتحرى ألا يجلس مع شخص واحد بمفرده بل عمد الى جماعة كان بينهم صفوت الأشمونى الذى يريد أن يكلمه • ولم يطلب الى صفوت أن ينتحى به جانبا وانما جلس الى جواره بين المجالسين وراح ينظر الى النرد الذى يتحلق حوله الآخرون • وقال صفوت :

- أرسلنا اليك لتبتعد عنا فترة •
- لم يأت لى أحد •
- يحسن أن تبتعد •
- سأسافر الى الرمايحة فترة •
- خيرا تفعل •
- سأحضر أول اجتماع •
- موعدنا كما هو لم يتغير •
- وهو كذلك •



لم تمنع عنه الأجازة حين طلبها • وذهب الى الرمايحة وراح يكتب المنشورات من هناك • ولم يكن غريبا أن يرى



المرشدون والمخبرون فلاحا يرتدى طاقية معممة يذهب الى الكلوب المصرى . ولم يكن غريبا أيضا أن يجلس بجانب الأفندية وتنتقل المناشير فى ذكاء شديد من عيسى أحد خفراء بلدة الرمايحة الى وحيد زنكى الذى أخذ مكان صفوت فى الكلوب .

وماهى الا ليلة حتى تكون هذه المنشورات قد طبعت ووزعت فى القطر المصرى كله من أقصاه الى أقصاه موقعا عليها بتوقيع مصر . . وهل كان يكتبها الا مصر .

ولكن حفىنى كان لاشأن له مطلقا بهذا الذى يصنعه أخوه وانما هو يغمر حياته فى متع كثيرة فلا يترك لحظة من حياته لا يملؤها المرح والبهجة :



انتهت اجازة حلمى وعاد الى القاهرة يشم فى أرجائها عبير ثورة يكاد يراها ويوشك يهتف بها ولا يطول به الانتظار .

يخترق يوم ١٣ نوفمبر حجب الغيب ، وأستار التوقع ، وسدل الحدس والتخمين ويتم ذلك اللقاء الذى بدأت به مصر حياتها السياسية فى العصر الحديث .

ومثل ريح عاصفة ، طيبة ، عاتية ولكن حنون ، مزمجرة ولكنها موسيقى التاريخ . . يصبح سعد وفهمى وشعراوى أنشودة أمل وبداية حياة لمصر وللعالم العربى ثم لكل الدول التى لاتغيب عنها شمس الامبراطورية الكريهة .

وتتواكب الأحداث ويقبض على عمالقة الثورة فيسيرون الى المنفى وكأنهم الى الاحتفال باستقلال مصر يسيرون :

وتصبح مصر نارا مثل نار الحقيقة التى ألقى إليها إبراهيم عليه الصلاة والسلام . . ولكن النار الحديثة كانت تقتل المحتل مع ذلك حين هى على الوطنيين برد وسلام . كما أمرها الله أن تكون على أبى الأنبياء . . ثم هى تنقلهم من فانية الى باقية ومن أسماء لا قيمة لها على صفحات الحياة الى خلود يظل أبدا الدهر والى ما بعد الأبد مضيئا على جباه الحرية .

وفى مدرسة الحقوق يضرب الطلبة عن تلقى العلوم ويخرج اليهم عميد الكلية الانجليزى .

— عليكم أن تنتظموا فى دراستكم وتتركوا السياسة فان آباءكم قد أرسلوكم الى هنا لتتعلموا .

ومن بين الصفوف يخرج طالب شامخ الطول مثل مصر . فى صوته ثورة الأحرار ، وحكمة الفلاح .

— ان آباءنا هم هؤلاء الذين قبضتم عليهم ونحن نؤمن بالقضية التى يبذلون حريتهم فى سبيلها وحياتهم اذا احتاجت القضية الى حياتهم . وهيئات لنا أن ندرس هنا الحقوق . وحقوق آبائنا ووطننا مضاعة . . تحيا الثورة .

وتندلع الى بروج السماء هذه الأيام المجيدة المطهرة بدماء الشهداء والنابضة بروح جديدة وهبها الله للشعب . .

وكان اسم هذه الروح الجديدة المنورة بضياء السماء هو مصر . وتنعقد الاجتماعات السرية وتتخذ القرارات . ويقسم الشباب نفسه بين خطباء ظاهرين وبين جنود فى الخفاء يقتلون فيصبح الاحتلال فى مصر على فراش رصاص ومتفجرات .

وفى بعض الأحيان كان المجتمعون يقررون قتل من

يرون أن في وجوده خطرا على القضية المصرية حتى وإن كان مصرية . فليست المصرية مولدا وإنما هي عقيدة تنبت مع الولادة وتسمق شجرتها في النفس حتى تصبح هي النفس كلها . فإذا كانت البذرة خبيثة وماتت في ركام المنفعة واختنقت في حماة الخيانة فصاحبها إذن ليس مصرية .

كان هؤلاء قلة نادرة بل كانوا أقل من القلة النادرة وكان الحكم عليهم في جمعيات الثورة السرية لا بد أن يكون اجماعيا ، لذلك فلم تقتل هذه الجمعيات من المصريين الا فردا أو اثنين .

حاول الانجليز أن يصوبوا سهامهم الى العقائد الدينية، وصاحوا بالعالم انهم يريدون أن يحافظوا على الأقليات باحتلالهم مصر .

وأدرك أقباط مصر الدور المهيمن الذي يريد الانجليز أن يستعملوهم فيه . فإذا هم ينتفضون مصريين . وحين تنهار حجة القوى يصبح السلاح هو حجته فإذا الدماء المراقبة تلتح الثورة بالعنفوان فتزداد على الأيام روعة وشموخا .

وبعد فما أظنك تنتظر مني أن أروي لك أحداث الثورة الكبرى في مصر فأنت لاشك تعرفها . . وتعرف كيف أصبح الشعب فيها كلا واحدا . واختلط المثقف بالجاهل والقادر بالمعسر والفلاح بصاحب الأرض والعامل بصاحب المصنع وسقطت كل الفوارق . فتعانق الصليب والهلال وأصبح كل فرد في الشعب المصري لا يعرف أن له مصلحة خاصة وإنما مصلحة الوطن العامة هي ذاتها المصلحة الخاصة عند الجميع .

حلمى في ثبح الأحداث وفي بؤرة العاصفة . فهو في

الجمعيات السرية وهو يقوم بدوره الذى يختارونه له فيوما تراه خطيبا فى صحن الأزهر الخالد الشامخ ويوما لا تراه لأنه يلبس الخفاء ويتعقب جماعة من الانجليز يقضى عليهم بالسلاح الذى تتفق الجمعية على استعماله . فالرأى جميع والجميع رأى وعمل .

قلة قليلة وقفت من الأحداث على حوافيها تعلق ولا تشترك فالثورة عندها موضوع حديث لا حياة أمة . والأمة عندها شخص غريب يوحى بالحواديت والأخبار المسلية . فيستوى الأمر عندها أن يكون هذا الشخص مصر ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم أو أى دولة أخرى لا صلة لهم بها ولا سبب كان .

كان حفى من هؤلاء . فقد كانت أهمية الثورة عنده أن الأحاديث حول مائدة القمار أصبحت أكثر جمالا ورونقا وانفعالا أصبح فيه سحر الحدث لاموات التعليق . الخبر يلقي ليشمل أمة بأسرها وكانت الأخبار قبل ذلك تلقى فلا تكاد تجد سامعا ومن أى سلة كانت تخرج الأخبار قبل الثورة غير سلة التفاهة . فهذا زوجته تزور أمها وهذا يريد لابنته عريسا فيوميء ولا يصرح ويشير ولا يبوح . وذلك يريد لابنه عروسا فيقول ويرفع صوته . أليس غضنفرا رثيالا أنجب ولدا بحاله ويريد له عروسا . كانت أخبارا تولد موعودة تموت قبل أن تتم خبرا أو تجد تعليقا .

أما اليوم فالخبر أسطورة . والكلمة تاريخ . واللحظة خلود وهم يلعبون القمار ويلتذون فى نفس الوقت بجسامة الأحداث وبهذه الخلجات العالية الضجيج التى يصنعها الخبر العظيم حتى فى نفس هؤلاء الذين يعيشون من الحياة على هامش الحياة .

وتمضى الأيام ويعود سعد ورفاقه من المنفى وتبدأ  
المفاوضات • وحلمى ورفاقه سائرون الطريق بقوة الثائر  
وذكاء السياسى • وقد استقر رأى عندهم أن يكون عملهم  
هو تأييد المفاوضين بالطريقة التى يراها المفاوضون . وكان  
عبد الرحمن فهمى فى مصر ذلك الزعيم العملاق الذى رفض  
أن يتقاضى ثمن الزعامة هتافا واعجابا وانما تقاضاه راحة  
ضمير وعمل خطيرا خفيا وراء الأستار فى سبيل مصر كان  
ذلك السياسى الزاهد فى المجد الشخصى والمتعبد فى محراب  
مجد الوطن هو الصلة بين المفاوضات وبين الجماعة التى يعمل  
فيها حلمى •

فالعامل اذن كان متندا متزنا لا نزق فيه ولا رعونة •  
وكان أعضاء الجمعية يتزاورون فلم يكن معقولا أن يصطنعوا  
لأنفسهم مكانا ثابتا يلتقون فيه •

وقد يزور الصديق منهم صديقه على غير موعد • وقد  
يزور الغنى منهم فقيرا فلم يكن المال بذى شأن فى علائقهم •  
فمنهم من كان قادرا على أن يستأجر أكثر من خادم ، ومنهم  
من لا يستطيع أن يستأجر الا خادما واحدا أو خادمة • فقد  
كان وجود الخادم فى المنزل ضرورة لا غنى عنها • والا فمن  
يشترى من الأسواق •

وقد تطهو سيدة المنزل أو ابنتها ولكن لابد أن يصل  
اليها الطعام الفج ليكون على يديها مطهوا •

وحين زار حلمى بيت صديقه وزميله فى الدراسة أحمد  
عبد المتعال لم يكن بالبيت فرج الخادم وكانت الأم مشغولة فى  
شئون المنزل فلم تجد وصفيه بدا من أن تجيب الطارق فلم تكن  
الآجراس معروفة فى ذلك الحين • ولم تقل من ؟ وانما ظنت

أن فرج عاد من السوق ففتحت بسرعة وما أن رأت غريبا حتى  
توارت في لمحة وراء ضلقة الباب •

— أفندم

— أحمد بك هنا

— لا يا أفندم

— شكرا

— نقول له من

— حلمي

— خاضر

— شكرا

كانت اللمحة كافية لأن يرى حلمي وصفيه •

### ٣

**ولم لا** • وتزوج حلمى من وصفية وانتقل الى بيت جديد وترك أخاه حفتى فى البيت • وبدأ صديقى عدلى يتشكل فى عالم الغيب •

وكانت السيدات فى ذلك الحين يسيرن المآخذ قريبات الرضى فبحسب الزوجة أن تجد رجلا يحميها من ضراوة الحياة ويمد قلبها وروحها بدفء الطمأنينة حتى تسلم اليه حياتها كلها وقد كانت حياة السيدات كلها موهوبة لبيوتهن • فالنجيبات منهن النجيبات من أصابت بعض تعليم فى المنزل الأول سواء كان هذا المنزل بيت أبيها أو بيت أخيها كشأن وصفية التى مات عنها أبوها وهى فى باكر الصبا وتولى أخوها أحمد أمرها • ولما كان واسع الأفق واسع الآمال حين يفكر فى بلاده فقد كان مؤمنا بتعليم المرأة وهكذا ذهبت

وصفية الى مدرسة السنية وبقيت بها حتى آتقنت القراءة والكتابة واللغات أيضا ثم أصرت أمها منيرة هانم أن تكتفى من التعليم بما أصابت خشية أن ينصرف عنها الرجال ، أو ذلك ما صرحت به لابنها على الأقل فقبله فى غير اقتناع ، ولو كانت قد ساقته السبب الحقيقى لرفضه بغير جدال ولو أن الرجال فى هذه الأيام لم يكونوا ليجرؤوا أن يرفضوا لأمهاتهم مطلبا مهما يكن حظ الأبناء من التعليم والمكانة ومهما يكن حظ الأمهات من الجهل فقد استطاعت الحياة أن تعلم نفسها لأولئك الجاهلات فهن فى شئون حياتهن وخاصة أمورهن أعلم من العلماء ان فات الرأى السديد هؤلاء العلماء فى هذه الشئون .

كانت منيرة هانم ترى وصفية متفوقة فى الدراسة وقد خشيت ان أمعنت فى هذا التفوق أن تنصرف عن الزواج الى الدراسة فرأت أن تحسم الأمر فى مهده وتقضى عليه قبل أن يستفحل ، واصطنعت هذا السبب الذى اصطنعت لتبقى ابنتها فى البيت ولم يستطع أحمد أن يجادل مكثفيا بأن وصفية أصبحت تستطيع أن تتقف نفسها اذا شاعت مادامت أصبحت تعرف الكتابة واللغات قراءة وكتابة .



مر على الزواج شهور والزوج سعيد بزواجه سعادة يتوقعها فقد كانت أغلب الزيجات تتم دون أن يرى العريس عروسه أما هو فقد رآها وهو يعرف البيت الذى نشأت فيه فأبوها رجل من علماء الأزهر الأجلاء وان يكن قد رحل وهى طفلة الا أنه ترك نور ايمانه فى البيت وفى زوجه وفى ابنه أحمد صديق حلمى وزميل دراسته منذ هما فى الحديوية



- الثانوية حتى نالا شهادة الحقوق وعمل حلمى بالداخلية وأحمد  
بالنيابة العامة • وحين تم هذا الزواج كان أحمد قاضيا •  
ولم يكتمل العام على الزواج فقد سرعان ما قبضت عليه  
السلطات المحتلة وألقت به الى السجن وذهب أحمد الى أخته •
- تعودين معى الى البيت •  
— أترضى لى هذا ؟  
— ولا أرضى لك أن تعيشى وحيدة •  
— كنت تعرف حين زوجتنى أن زوجى قد يقبض عليه  
فى أى لحظة •  
— وكنت تعرفين •  
— وقبلت أنا الزواج وقبلته أنت أفأترك البيت حين  
يحدث ماتوقعه كل منا •  
— لو كان مسافرا لجئت معك ، أما وهو فى السجن  
السياسى فلا •• أأجعل سجانه يحس ولو للحظة أنه هدم بيته  
وأن زوجته تخلت عنه •  
— ان واجبى قبلك وقبل حلمى يحتم على ألا أتركك  
وحدك •  
— هذا حق •  
— اذن •  
— تأتى أنت وتقيم معى •  
— وأمى •  
— سلها •



• وأقيم أنا أيضا معكما عند حلمى •

والناس اليوم لا تدري أية تضحية كبرى قدمتها الأم  
الغظيمة منيرة هانم وهى تترك بيتها فترك البيت فى ذلك  
الحين كان أمرا تقف دونه أهوال جسام ولكن الأم أدركت أن  
هذا هو وقت التضحية التى تملكها فى سبيل مصر أولا ثم من  
بعد • من أجل ابنتها وزوجها البطل •

## ٤

**خلا** حفنى بالأرض فأصبح يشرف على أرضه وأرض حلمى جميعا وكان القمار قد تغلغل فى دمه فراح ينفق الريع كله فى شهر أو شهرين ، ثم يقف عاجزا لايدرى ماذا يصنع - أما أموال أخيه فقد كان يخشى عليها من نفسه ، وكذلك أعطى أمره للناظر ألا يعطيه مليما من أموال حلمى وانما عليه أن يذهب بها جميعا الى أحمد بك صهر أخيه لينفق منها على البيت ويبقى بقية المال لأخيه •

وهكذا تعرف الناظر الحاج على سعدون على أحمد • وفى أول لقاء لهما •

— هذا هو الريع

— هل معك ايصال أوقع عليه

- والله أعددت الايصال نعم . ولو كان مالى ما أعددت
- وانما لا أقبل مليما لا أعطى عليه ايصالا فأنا أمين على
- هذا المبلغ ولا بد أن أؤدى الأمانة الى أهلها ومعها الشواهد .
- ان صهرك يعرف طهارة يدك .
- وأنا أيضا أعرفها ولكن ماذا أقول اذا نسيت أنت أو
- نسيت أنا قيد مبلغ الايصال أضمن .
- أمرك . . هذا هو الايصال .
- وهذا هو التوقيع .
- ولكن هذا أمر لا خطر له .
- أوهناك أمر له خطر ؟
- كل الخطر .
- خيرا .
- لا خير مطلقا .
- ماذا ؟
- حفى بك .
- ماله ؟
- طلب الى أن أبحث عن مشتر لعزبة الزمايلة .
- أكلها من نصيبه .
- له النصف وهو ما يريد بيعه .
- وأرض حلمى .
- ملاسقة طبعاً لنصيبه .

- كم فداننا هي ؟
- مائتا فدان .
- وبكم الفدان .
- لن يزيد عن مائة جنييه ، سينفقها على القمار فى شهرين أو ثلاثة . وإذا استمر الحال على هذا المنوال فالله أعلم الى أى مصير سينتهى اليه والله أيضا يعلم الى متى سيظل البك محبوسا عند أولاد الكلب هؤلاء .
- اسمع كم عندك حلمى بك ؟
- هذه عشرة آلاف وعندى محاصيل بحوالى خمسة آلاف .
- ألا تستطيع تدبير الخمسة الباقية .
- لا يهم أن أدبرها .
- كيف ؟
- لأعب القمار يرضى بأى مبلغ .
- ماذا تعنى ؟
- أخسف الثمن واشترى على آجال وحين يخرج حلمى بك من السجن نكون قد اشترينا الأرض كلها بربع ثمنها .
- افعل ذلك .
- وحلمى بك .
- لو استطعت أن ألقاه - وهذا مستحيل - لن يقبل ونحن نحافظ على أرض أبيه فى غيابه ولا حيلة لنا الا هذه لأن الأرض اذا انتقلت الى يد غريبة فلن تعود .
- نعم الرأى . ولكن مصاريف البيت .
- أمرها سهل . . لا شأن لك .
- وهو كذلك .



**القمار** مضمار عجيب من ميادين الحياة . الداخل فيه يدخل الى حياة أخرى بعيدة كل البعد عن حياته وعن مألوف أمر الناس . وما ظنك بقوم يجتمعون حول مائدة واحدة وكل شخص منهم يحرص أن يخرب بيت الآخر في صراحة ووضوح ، فعلى هذه المائدة لا وجود لأى أسرة من قريبي وان كانت قريبي ابن من أبيه ولا وجود لأى معنى من معانى الصداقة أو المودة ، سعار خالص برىء من أى شائبة انسانية ولا يبقى الا المال صاحب الصرخة الوحيدة والسيطرة المطلقة . وان كان المال قوى البرائن صلب المخالب فى الحياة الا أنه فيها يتخفى وراء كلمة طيبة أو يستخذى أمام صلة رحم أو سبب من أسباب المودة أو عشرة قديمة الا أنه فى مائدة

التمار يتلع كل الأئنة وعلن نفسه حاكم فردا باطشا  
أخذنا لا شريك له ولا هو يقبل أية مراجعة •

وعلى هذه المائدة تلتقى أصناف من الناس شتى لكل منهم  
عالمه الخاص البعيد كل البعد عن عالم الآخرين الجالس على  
نفس المائدة العاكفين على المعبود الواحد • • القمار • تجد  
السياسى رجل الدولة الذى يوشك أن يكون عالما وتجد  
الطبيب العالمى فعلا وتجد المهندس الذى يهز اسمه أوساط  
الفن الهندسى فى كل أنحاء المعمورة وتجد الضابط • وكثيرا  
ما تجد الضباط وتجد القواد وتجد المقامر المحترف النصاب •

وتجد الجميع يعرف عن الجميع كل شىء ولكن لا شأن لأى منهم  
بالآخر • متفقون على أن الصلة بينهم هى هذه المائدة • وان  
كان لأحد، هم عند آخر منهم مسألة أو موضوع فلا بأس أن  
يتضيه له كما يقضى خدمة لشخص يعرفه • • ولكن العلاقة  
تظل واضحة • • علاقة قمار • وأغلب الأمر أن من يقضى  
هذه المسألة إنما يقضيها لأنه يعلم أنه ملاق الشفيق فيها كل  
يوم ولن يفلت من الحاحه • على أن هذه الخدمات لا تتجاوز فعل  
الحير الى المنفعة الخاصة فالمصارحة بينهم تتم حين يوزع بينهم  
ورق الدور الأول فى اجتماعهم • فلا يستطيع رفيق المنضدة  
أن يستغل نفوذ السياسى لأن السياسى سيواجهه فى الحال بما  
لم يتعود أن يواجه به الآخرين ، وسيقول ان هذا الموضوع  
ستكسب منه كذا ولست مستعدا أن أخون الأمانة من أجلك  
أو من أجل أى أحد •

فلاعب القمار ليس من الحتم أن يكون لصا وانما قد  
يكون شريفا غاية الشرف • صحيح أن القمار قد يجرف  
الشريف الى مهاوى الدنية ولكن هذا المنعرف ضعيف كان  
مستعدا أن يكون لصا تحت أى ضغط أو أمام أى اغراء •  
وهأنذا رأيت حفى يابى أن يمس مال أخيه •

فالقمار هو هذه المائدة العجيبة التى تجمع الأصدقاء  
الألداء والأحباب الذين لايمانع أحد فيهم أن يقتل حبيبه  
فقرا طبعاً بل هو يسعى الى ذلك جاهداً ما وسعه الذكاء والمران  
والمناورة والمداورة .

كانت مائدة حفنى للقمار تعمر بكل هؤلاء الذين  
ضربت بهم المثل فكان فيها حامد باشا محمد السياسى الداهية  
الذى تولى مناصب الوزارة بل انه تولى عدداً وفيراً من  
الوزارات ، وهو رجل شريف السمعة لم يقل عنه أحد مايشين  
وهو ذو عقلية سياسية نادرة وكان يلعب القمار بشيء من  
التعبد وبكثير من الاخلاص فى اللعب فقد كانت المائدة هى  
المكان الوحيد الذى ينسى عليه خصوماته السياسية والمؤامرات  
التي تدبر عليه والتي يدبرها هو وقد كانت أغلب الخصومات  
حتى ذلك الحين مع الانجليز . وكان معه دائماً سياسى آخر  
يعمل بالمضاربة فى البورصة فهو حيناً منتعش النفس أو هو  
حيناً آخر منتكس الخاطر والقلب ، ترى فى وجهه تقلبات  
البورصة شأن المبتدئ الذى لا يستطيع أن يخفى مشاعره ،  
ولهذا لم يكن عجيباً أن يخسر عبد الفتاح صدقى بك دائماً  
على المائدة فقد كان وجهه صفحة مفتوحة للأعين الخبيرة وكان  
معهم أيضاً وجدى المسيرى الملازم بالجيش فمائدة القمار  
لا تعترف بالفوارق فأنت تجد السياسى العجوز يجلس الى  
الضابط الصغير دون أى شعور بفارق المرتبة وكان وجدى فى  
اللعب مغامراً يبحث عن البطولة فى ورق اللعب بعد أن تعب  
فى البحث عنها فى أرجاء الحياة ودروب الوظيفة . وكان  
هناك أيضاً يسرى الجندى اللاعب المحترف . وكان هناك  
أيضاً رشدى المهدي اللاعب المحترف والقواد المحترف أيضاً  
وهو الذى يعد المائدة ويدعو اليها ويدبر اللقاءات بين  
اللاعبين . وكان هناك طبعاً حفنى .



إذا اتفقت المشارب بين اثنين من اللاعبين فلا بأس عليهما  
أن تقوم بينهما صداقة • وقد كان حفىنى بموهبته الخارقة فى  
صنع الصداقات على صلة وطيدة بالجميع حتى ليحسب كل  
لاعب على المنزلة أنه الصديق الأول عند حفىنى •

ولكن القمار لا صديق له فحفىنى يخسر عشر ليال  
ويكسب ليلة ، وإذا كان جميع اللاعبين الذين ذكرتهم والذين  
لم أذكر يتبادلون أمكنتهم على المائدة فهناك دائما اثنان لا يكاد  
يغيب أحد منهما عن اللعب ، رشدى المهدي وحفىنى الوسمى •  
أما رشدى المهدي فتلك هى وظيفته فى الحياة ولا وظيفة له  
غيرها ، وأما حفىنى فلأنه لم يكن يجد شيئا يعمل به الا اللعب  
وربما لو وجد متعة أخرى لترك المائدة سعيدا • فهو لا يعرف  
التحمس لشيء حتى ولا للقمار الذى أجمع التاريخ على أن  
من يصاب به فلا فكاك له منه • ولكن حفىنى شيء آخر غير  
الناس ، لا يخلص لشيء ولا يتشبث بأى عادة مما يتعود الناس  
عليه • دخن بعض الوقت ثم ترك التدخين وشرب الخمر  
ويشربها ولكنه لا يشربها الا ليشارك الشاربين ، فهو لا يذكر  
أنه جلس منفردا وطلب كأس خمر وإذا مر به الشهر أو  
الشهران لم يجلس الى شاربين لم يشرب هو قطرة واحدة •  
وهكذا شأنه مع القمار يذهب كل ليلة ليلعب فإذا وجد متعة  
أخرى انقطع تماما عن اللعب • هو لا يتمسك بشيء أبدا  
ولا يسمح لشيء أن يتمسك به • • ماذا تراه يفعل إذا تزوج ؟  
تلك تجربة ستكون فريدة وعجيبة أيضا • • أيمن أن يفكر  
مثله فى الزواج • • من يدري ؟

وهكذا باع حفىنى أرضه كلها وكان مثال المقامر فى بيعه  
فكل ما كان يفعله أن يوقع حيث يطلب منه الحاج على أن يوقع  
لا يرى الى اسم البائع ولا يعنيه أن يرى اليه بحسبه أن يرى

المبالغ معدا فى يد الحاج على حتى يوقع عجلا متسرعا ويطوى  
الحاج على العقد فى تودة وذكاء وخبرة نادرة ويضعه فى جيبه  
ويقول :

- عد معى ياسعادة البيك \*
- يا حاج على ألم تعد أنت ؟
- نعم وانما لابد أن تعد أنت أيضا \*
- يا حاج على أنت تعلم كم أثق فيك \*
- ولكن أنا ياسعادة البك لا أثق فى نفسى عد مائة  
مائتين ..

ويتكرر هذا المشهد فى كل مرة لا ينقص كلمة ولا يزيد  
ولا يختلف فى مرة عن الأخرى الا فى رقم المبالغ الذى راح  
يتضاعف يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر \*



دعا رشدى المهدي الى عشاء بمنزله وكان حفنى بين  
المدعويين وهناك وجد حفنى دنيا جديدة تطالعه من الحياة  
لأول مرة وهو الذى خبر من هذه الحياة ما لم يخبره الا القلة  
النادرون \*

الباشاوات هناك وقد خلعوا رتبة الباشوية بل خلعوا  
رتبة الانسانية وارتدوا حيوانات حمر الوجوه من الرغبة  
والاثارة \* والمظماء بلا عظمة والنساء بلا ملابس والمقامرة  
بالعرض لا بالمال \* وبالشرف لا بالنفوذ \* ورشدى منتعش  
النفس يضحك دائما ويعقد الصفقات بين المرأة والرجل وهو  
سعيد غاية السعادة هنئ فى قمة الهناءة \*

ويعجب حفنى أن رشدى لم يفقد شيئاً من احترام المجتمع بل أن كل هؤلاء يقدم له الاحترام والتبجيل والاعزاز ولا يعنى حفنى بما فى داخل النفوس وانما بحسبه ما يراه فى ظاهر الوجوه وفى الأيدى الممتدة بالمال من ناحية وبالأجلال والتعظيم من ناحية أخرى للشخص نفسه الذى يتاجر فى الشرف ، ولم يعرف حفنى أن هذا الذى يتاجر بالشرف لا بد أن يتاجر معه بشيء آخر هو الذى يهيم له كل هذا الاجلال . انه كما يتاجر فى شرفه وشرف النساء يتاجر فى سمعة الرجال والعظماء من الرجال . وكلما ازداد الرجل عظمة ازداد حرصا على سمعته ولكن أى حرص لا يستطيع أن يقف أمام رشدى . يالها من تجارة . يالها من تجارة .

ما هذا الحب الذى يحظى رشدى به من أصدقاء له بل ما هذا الاحترام وما هذا الاجلال . انها مهنة تصور حفنى أن يكون رصيدها أى شيء الا الاحترام . قد يجنى العامل فيها مالا أو صداقات أو قدرة على الشفاعة أما أن ينال الاحترام أيضا فهذا مالم يتصور حفنى أن المهنة ترتد على صاحبها به . لقد كان لفظها يخلط فى نفسه بالمهانة والاحتقار وكل ما هو ذليل فى الحياة . فقد عرف محترفيها من أسفل الطبقات ولم يعرف من محترفيها فى الطبقات العليا الارشدى . القواعد فى هذه الطبقات مختلفة والوسائل ليست هى الوسائل والصفقات تعقد دون تصريح والأجور يتم تسلمها دون ابانة ولكن الهدف واحد والغاية لم تتغير . هنا فى هذه الطبقة الأسماء تطلق على مسميات أخرى ، فالفتاة أو المرأة موضوع الصفقة صديقة لا عاهرة والأجر هدية وليس أجرا . ولكن الفتاة أو المرأة تذهب الى المخدع على أية حال والهدية تصل واسطة التعارف ولا يسمى قوادا ولا تسمى

الهدية أجرا فكل شيء هنا محصن بسياج الشرف وآى عيب أن يحيى صديق صديقا وآى بأس فى هذا المجتمع الساقط أن تحب المرأة رجلا فتقضى ليلة فى مخدعه ، وآى لوم فى أن يقبل شخص فى مثل مكانة رشدى ابن الأكرمين هدية من شخص آخر هو أيضا ابن أكرمين . منذ هذه السهرة أصبح عبد الفتاح صدقى أكثر الناس تقربا الى حفنى ولم يكن هذا غريبا فقد كانت سنه ومكانته تمنعانه أن يصل الى المرأة عن طريق آخر غير طريق حفنى . وقد رأى عبد الفتاح اقبال النساء على حفنى وحبهن له . وخير له أن يتعرف بالمرأة عن طريق حفنى أذى حلمى وغير القواد من أن يتعرف بها عن طريق رشدى فيصبح الأمر رسميا وان كانت الرسمية متسترة بأسماء بريئة . والظاهر عند عبد الفتاح وأمثاله أهم من الواقع . وحفنى يمثل له الشخص الأمثل ليقدمه الى من يحب فجمال حفنى يقتنص من النساء أشدهن مراسا وأعظمهن فتكا . ومكانة حفنى الاجتماعية وما هو معروف عن غناه وماليس معروف عن فقره كل هذا يجعل صداقة العظماء به أمرا طبيعيا لا غرابة فيه ، ولو لم يكن لأسرته من المكانة الا اسم أخيه بطل ثورة ١٩ وسجين الانجليز لكان حسبه وحسب أسرته مكانة ورفعة .

وهكذا توطدت العلاقات بين عبد الفتاح رجل البورصة الذى يحيط دائما بكل ظروف الصفقة قبل أن يقدم عليها وبين حفنى الذى وجد فيه شخصا غاية فى الذكاء وسرعة الخاطر مع مقدرة فائقة على التمتع بالحياة جدها وهزلها . وأصبح بيت عبد الفتاح مثابة لحفنى ولم يجد عبد الفتاح فى ذلك بأسا فحفنى يصغره بسنوات عديدة ولا خوف على زوجته منه وزوجته سيدة فاضلة شريفة أنجبت بنتيها وانتهى ما بينها وبين الأنوثة منذ مجيء آمال البنت الصغرى منذ

ما يقرب من خمسة عشر عاما . وكانت البنت الكبرى سناء  
فى السابعة عشرة حين تعرف على الأسرة حفى ولم يكن حفى  
يتعامل مع هذه الأعمار فى مألوف حياته . فلا خرج على  
عبد الفتاح اذن . أن يستقبل بيته حفى فى أى وقت ، وقد  
استطاع حفى بالموهبة التى منحها له السماء أن يكون  
محبوبا من السيدة كريمة المدبولى ومن ابنتيها جميعا سناء  
وأمال . وقد سعد حفى بهذه الأسرة فقد كان عمله فى  
الصباح قليلا فما عليه الا أن يكتب كلمتين ويلقى بهما الى  
المجلة ثم يصبح فارغا لا هم له الا أن ينام فى القيلولة بضع  
ساعات يقوم بعدها ليجد الفراغ ينتظره حتى يبدأ السهر  
المتكاسل الذى يأبى أن يبدأ قبل العاشرة ان يكن قمارا فقامار  
أو يكن حفلة فحفلة .

فماذا هو صانع فى الصباح .

وماذا هو صانع بعد نومة القيلولة الى مشارف العاشرة .

أما بيت أخيه فلم يكن يرحب به كل الترحيب وان كان  
لا يصد عنه فهو يذهب ليقضى واجب الأخوة ثم سريعا ما ينصرف  
الى هواء آخر يحب أن يستنشقه وهو بالتأكيد ليس الهواء  
الذى فى بيت حلمى .

ولم يكن هواء البيت عند عبد الفتاح مشوبا بما يحب  
أن يستنشقه حفى فى مألوف حياته . ولكنه أيضا كان خاليا  
من التزمى الذى كان يواجهه فى بيت حلمى وزوجه وأخيها  
وأما التى لا تترك سجادة الصلاة اذا تصادف ووجدهما عند  
زيارته .

وحفى لم يحصل على الأسرة منذ وعى الحياة والأسرة  
جزء من دمائنا نحن الشرقيين . وقد كان حلمى هو أسرة حفى

جميعها • أما أقاربه الكثيرون فكانوا أصدقاء ولم يعاشرهم  
وما عاشروه فهو اذن واجد في بيت عبد الفتاح كل ماتتوق  
له نفسه من شعور الأسرة ومن ترحيب في اللقاء ومن  
سماحة في المعاملة من بين ضحكات منطلقة لايجبسها شيء في  
رنينها ، فهي صفاء القلب الخالي والاطمئنان والاقبال على  
الحياة •

٦

**صدر** تصريح ٢٨ فبراير وأصبحت البلاد تنهياً  
لدستور جديد وانتخابات برلمانية وأصبح من المضحك أن  
يبقى الانجليز على معتقلين من المصريين وهم يعترفون لهم  
في نفس الوقت بحقوقهم في الحياة البرلمانية الديمقراطية .  
... وخروج حلمي ذون أن تتم محاكمته فالقضية سقطت  
بصدور التصريح .

— ماذا فعلت بأرضك يا حفنى ؟

• ويجيبه صمت واطراق .

• أجب .

• لقد عرفت .

— ولكن أحب أن أسمع الاجابة . فلست وحدى الذى

سيسألك هذا السؤال • ستسمعه من أقاربنا جميعا وستمسمعه  
من أصدقائك الذين يحترمونك اليوم ظانين أنك صاحب  
الضياع والأرض والمال • • ستسمعه دائما • فماذا أنت  
قائل • أجب • • ماذا أنت قائل ؟

- أنا لم أمس من مالك مليما •
- ومتى كان لى مال ولك مال •
- احتجت للنقود •
- فالبيع أقرب شىء اليك •
- لم تكن بجانبى ماذا كنت أفعل ؟
- بسيطة تبيع الأرض • أقدرت أننى سأموت فى السجن،  
ألم تنتظر أن تقف منى هذا الموقف ؟
- كنت فى حال يائسة •
- توقف عن القمار •
- كنت خسرت كثيرا وأريد أن أعوض •
- وتدور العجلة فتخسر كل شىء •
- لم أقدر هذا •
- لأنك لاتقدر شيئا على الإطلاق • أنت ابن لحظتك  
وليكن بعد ذلك مايكون •
- أرجوك ياسى حلمى كفى •
- ألم تقل لنفسك كفى وأنت تبيع كل هذه الأرض • •  
أظننتها أرضك ؟
- أليست أرضى ؟
- انها أمانة فى أعناقنا ولها أصحاب •



- أمانة .. أصحاب .. من أصحابها .
- أصحابها أولادنا .
- قد يبيعونها هم من يدري .
- نؤدى نحن أمانتنا والباقي نتركه على الله ، فالأرض كلها ملكه ومانحن الا خلائف له عليها .
- ماذا ؟
- أنا آسف .. كان يجب أن أقدر أن هذا الحديث لا يلقى اليك .
- أكافر أنا ؟
- لا . مقامر فقط .
- سأتوقف .
- أرجو .. كم بقى معك من ثمن الأرض ؟
- ماذا ؟
- لاشك أنك سمعتنى .
- وماذا تريد من الباقي ؟
- أريده .
- أنت .
- نعم أنا .
- أنا لا أعصى لك أمرا .
- أعرف ذلك .
- خمسة آلاف جنيه .
- هاتها .
- أمرك .

وخرج حفنى ذاهلا وابتمسم السياسى المحترف حلمى وهو  
يرى الدهشة على كل نامة جسمه حتى على قفاه الذى كان آخر  
ما اختفى من الباب .

بقى حلمى لحظات وحده . . لم يفقد كل الخير الذى  
فيه . . قلت هات قال حاضر . . وهو حتى لا يعلم لماذا الا أننى  
أريد فقط .

ويدخل أحمد الحجرة ويصيح به حلمى :

— أهلا أحمد باشا .

— باشا مرة واحدة .

— الباشاوية مضمونة لك ياسعادة القاضى . . كل  
القضاة يصبحون مستشارين فباشاوات . .

— وأين أنا من مستشار هذه .

— أنت عينت فى النيابة منذ تخرجك ورقيت الى القضاء  
وأنت صغير فان لم تصبح أنت مستشارا فمن يكون . المهم أنا  
لا أعرف كيف أشكرك على ما صنعت مع وصفية ومع حفنى  
. . أما فضل السيدة العظيمة والدتك فهو أكبر من أن  
يذكر .

أما عجيبة يا أخى . أولا من وصفية هذه أليست أختى  
وهل أشكر لأننى أودى واجبى نحو أختى. وثانيا حفنى أنا  
صنعت ما صنعتته معه لأننى تصورت أنك لو كنت خارج السجن  
لما فكر هو فيما أقدم عليه . وأن لك علينا واجبا أكبر من  
واجب الصهر على أصهاره .

— أى واجب ياسعادة الباشا .

- واجب الوطنى على مواطنيه • أتسجن من أجل مصر
- ولا أقدم كل ما نملك لك • ألسنا بشرا مصريين •
- خطبة وطنية رائعة •
- تنفعك فى الانتخابات •
- لا ياعم • • لأشأن لك أنت بالانتخابات فأنت رجل قضاء •
- من سيرشح أمامك ؟
- اثنان حتى الآن أعتقد أن أحدهما سيتنازل •
- والآخر •
- مرشح الوفد •
- ولماذا لا تنضم الى الوفد • أنت من مؤسسى لجان الشباب فيه • وكنت من أعظم أبطال منظماته السرية •
- العمل فى السياسة عندى ليس تجارة أَدفع مقدما لأربح مؤخرا • أنا عملت مع الوفد لأنه كان مصر كلها وكنت واحدا من الذين يستطيعون أن يقدموا شيئا لوطنهم •
- وقد قدمت بقلمك ولسانك ومالك وحريرتك •
- ولكننى لم أعد ممجبا بسياسة الوفد التى ينتهجها فقد أصبحت سياسة شخصية بعد أن كانت قومية •
- ولكنه قوة خطيرة فى الانتخابات •
- هذا صحيح ولكننى حتى اذا لم أنجح فان هذا لن يجعلنى أغير رأيى فى سياسة الوفد الآن • المهم هناك موضوع أحب أن أكلمك فيه •
- انتظر حتى أفتح باب المرافعة •

- وهل حجزت القضية للحكم •
- وماذا أعمل لك وأنت تستأذنيني في الكلام • • نحن  
اخوة يا حلمي •
- وأكثر والحمد لله • حين راجعت الحسابات وجدت أنك  
أعطيت كل الريع لحفني ثمنا لأرضه ومعنى هذا أن مصاريق  
البيت كنت تقوم بها أنت • •
- وماله • • بيتي •
- وبيتتي أيضا •
- كنت في السجن •
- ولكن أرضي لم تكن في السجن معي •
- أرضك ريعها ذهب لحاجة أهم •
- ليس أهم من المعيشة •
- قمت أنا بها ماذا في هذا •
- لأشياء ولكن قدر ظروفي •
- حين تقدر أنت ظروفى •
- ظروفك ؟
- أيرضيك أن أحس أنا وأمي أننا انتقلنا إلى بيتك  
لنعيش على حسابك •
- وأنت هل يرضيك أن أتزوج أختك ونعيش على  
حسابكم •
- كان ظرفا استثنائيا •
- لو لم يصنع حفنى ماصنع ماذا كنت ستفعل •
- كنت سأعطى أختى ماتحتاجه يدها من مالك وأنفق

أنا على البيت الذى أصبحت رجله حتى يخرج رجله من السجن الشريف .

— هذا ظلم .

— هذه كلمة يقولها الناس فى مآلوف حياتهم ولا تعنى شيئاً ولكنها اذا قيلت لقاض فهى كبيرة .

— والقاضى يكون فى بعض الأحيان ظالماً لنفسه ولا بد أن يجد من يواجهه بهذا مادام بعيداً عن منصة القضاء . أنت فى هذا ظالم .

— ظلماً أحبه .

— وهذا أظلم .

— لمن ؟

— لى أنا .

— وما شأنك أنت .

— لا يقع الظلم الا على مظلوم . وأنت لا يرضيك أن تظلمنى .

— لقد طال الحوار فى أمر لا يحتاجه .

— وهذا ظلم آخر . فان المظلوم وحده هو الذى يعرف أين ينتهى الدفاع .

— اسمع أنت خريج حقوق معى فقل ماتراه .

— أَدفع ماكنت أَدفعه فى البيت وأنا فيه .

— اسمع . لقد فوضت المحكمة الأمر اليك فكان عادلاً واخصم ثلثه مقابل غيببتك فقد كنت تعيش على حساب الحكومة فى السجن .

— موافق •

— وأنا موافق وأمرى إلى الله ولو أن الأمر لا يستأهل كل

هذا ••

— إن راحة النفس لا يماثلها شيء في العالم •

— أعرف ذلك •

— وأعرف أنك تعرفه •

## ٧

**حين** خرج حفنى من حجرة أخيه أحس دوارا لا قبل له به • كأنما كان يواجه تنينا وأنقذ منه ، أى شيء فيه أخافه • هو أنيس لا ينطق كلمة جارحة ولا يأتى بعمل غنيف • • ولكنه منع ذلك قوى صلب أى شيء فيه أخافة • ربما لأنه دائما على حق وأنتى دائما أفعل ما يحلو لى بغير اهتمام بالحق أو بالباطل • هو يضحي بعمره من أجل وطنه وأنا أتمتع بحياتى أقصى ما تكون المتعة • أنهل رحيق كل ساعة فيها وتسرى لحظاتها فى دمائى نشوة وسرورا وجدلا وفرحا • أحس هو فى جهاده بما أحس أنا به فى متعتى • الحياة عندى ضحكة والحياة عنده جهاد • أينما عرف سرها وبلغ مكان الحقيقه فيها • هو يعطى دماءه لبلده جميعا وأنا أعطى دمائى لنفسى • • ربما شعر هو بمتعة العطاء قدر ما أشعر أنا بمتعة الأخذ • •

هو يعتمر الحياة ليقدم للبشرية مثلاً رفيعاً مختلطاً  
بتضحيته بكل ما يمتعه وأنا أعتصر الحياة لتعطيني أكثر مما  
تطيق أن تعطيه فأنهله أنا .. أنا .. أنهله متعة وحباً للنساء  
كل النساء ولرشفة خمر أشربها في غير رضاء عنها وانما  
لأنها تمثل رحيق عدم المبالاة بالحياة متجسماً في شراب ولعب  
القمار لأن الحياة قمار وأنا أريد أن أمارسها وأعيشها وأذلها  
بالأعنى بكل ماتخبئه لي فان يكن خيراً فأهلاً وان يكن شراً  
فأنا عنه لاه وعن نتائجه مشيح غير آبه ولا مهتم ومنه أنا غير  
خائف ولا متوجس ولا متحسب لخفايا الغد فيها . هو يفكر  
في الغد وما بعد الغد وأنا ابن لحظتي وأبوها وربها وقاتلها  
قبل أن تقتلني . فأينا عرف حقيقة الحياة وأينا بها أكثر  
خبيراً ولخبثها أكثر درءاً ومنما . وأينا أذل الحياة واغتصب  
منها ما يريد أن يغتصب .

حين سألتني كم بقي قلت خمسة آلاف فصدقتني . هل  
صدقتني أم أراد أن يصدقني انه ذكي يقبل الكذب الذي  
يلقى اليه مادام يعرف أنه لن يستطيع أن يصل الى الحقيقة .  
فيم يريد هذا المبلغ . لعل الانتخابات ونفقاتها جعلته يحتاج  
الى هذا المال . ان كان الأمر كذلك فيصدقني أن أقدم له  
العون . فرغم أن كلامنا يقف على طرفين متناقضين من الحياة  
الا أنني أقدره كل التقدير . أتراني أقدره أم أقدر فيه  
الرجل الذي تمنيت أن أكونه ولم أستطع . ترى هل مرت به  
لحظة ولو لحظة عابرة تمنى أن يكونني ولم يستطع . من  
يدري .. ربما ..

مشى به الطريق والضجيج في داخله وليس يشغل من  
خارج نفسه ضجيجاً ولا حساً واذا هو يجد نفسه فجأة بين



رأى حصانين ويعبلو الضجيج في هذه المرة من خارجه لا من  
داخله .

— يا أفندي اصح . مسطول في عز الظهر .  
— احفظ أدبك .  
— أدق لك الجرس من الصبح وأنت ولا أنت هنا .  
— قلت لك احفظ أدبك يا قليل الأدب .  
وحينئذ يقفز من داخل العربية ضابط ملازم ثان ويثور  
به .

— أما انك بارد حقاً وقح . تسير في منتصف الشارع  
ولا يهملك من العربات الرائحة والجائية وإذا أنقذ الأسطى  
حياتك تطول لسانك عليه .

— أتظن أنك تخيفني ببذلتك العيرة هذه .  
— عيرة يا قليل الأدب .  
— بذلة المحمل .

— محمل . . قدامى على القسم .  
— أخفتني . . قدامك على القسم .

وكان أسرع منه في ركوب العربية فقد تنبه أنه ينبغي  
أن يحسم الموقف قبل أن تتشابك الأيدي ويتجمع الناس .  
وصادف هذا التفكير مثيله عند الملازم شوقي سالم . وحاول  
السائق أن ينهى الموضوع .

— يا أفندي لا لزوم لهذا . . حضراتكم ناس محترمون  
والقسم ليس لأمثالكم .

وصاح الملازم في كبر وغيظ .

— امش أنت الى القسم ولا شأن لك • لا بد أن يدفع  
ثمن طول لسانه •

— اياك أن تزيد كلمة واحدة • فى القسم قدم شكواك  
ولكن حتى نصل الى القسم تسكت تماما •

— وهو كذلك • أما نشوف • •

ولم يجد السائق بدا من الصمت فقد أدرك بذلك  
الفطرى أن أى حديث قد يشعل حريقا لاداعى له •

وقفت العربية عند القسم ونزل الخصمان وطبعا قصد  
الملازم الى حجرة المأمور مباشرة ودخل حفى ورائه واذا  
الجالس فى مكان المأمور ملازم ثان من الشرطة لم يعرف  
ضابط الجيش ولكنه ما ان رأى حفى حتى هب من كرسيه •

— من حفى الوسيمى ؟

وصاح حفى :

— أهلا • • كيف أنت يازين •

وصاح شوقى :

— أتعرفه •

والتفت زين أخيرا الى شوقى :

— أهلا حضرة الضابط تفضل • • كيف أنت يا حفى •

وحين هدأت التحايا قال شوقى فى غيظ موجه كلامه  
لحفى :

— ولأنك تعرف ضباط البوليس تريد أن تأخذ الدنيا  
فى وشك •

وقال حفى فى ثقة وعدم مبالة :

- أنت الآن فى القسم . . اكتب شكواك واترك الأمر للبوليس يأخذ إجراءاته .
- وهل بقى فيها إجراءات . . طلعت صاحب البوليس .
- وقال زين وهو يكتم غيظه :
- يا حضرة الضابط لا لزوم لهذا ومعرفتى بحفى بك لن تمنعنى من اعطائك حقه ان كنت صاحب حق .
- وهل عاد فيها حق .
- سترى .
- وهو كذلك .
- وروى القصة وما أن انتهى منها حتى ضحك زين .
- ألا تعرف حفى بك .
- عرفته بين رأسى الفرسين .
- حفى بك الوسيمى .
- ونظر شوقى الى حفى نظرة متفرسة .
- أنت الذى تكتب فى مجلة الفن .
- وقهقه زين أخيرا وقد أحس أن الحرج الذى وقع فيه قد انجابه عنه الى غير رجعة .
- هو الذى يكتب فى مجلة الفن وأخوه حلمى الوسيمى الوطنى المشهور .
- ولماذا لم تقل هذا من الصبح يا أخى .
- وهل تركت لى فرصة لأقول ؟
- أوجعتنى بذلة المحمل .

- - حقق على
- - ولا حق ولا يحزنون • • الى أين أنت ذاهب
- - كنت في طريقى لاستئجار عربية
- - لمجرد استئجار عربية أم لتذهب بها الى مكان معين
- - والله كنت سأفكر أين أذهب بعد أن أركب
- - ولا تفكر ولا حاجة • • تعال نشرب حابه أولا ثم فكر على كيفك • •

• - تعال معنا يازين

• - والمحضر ؟

• - اكتبه حين ترجع • •

• وضعك ثلاثتهم

• - على رأيك

ونادى زين البلوكامين :

• - أنا خارج فى مهمة • • ولن أغيب

• - أمرك يا أفندم

وفوجىء سائق العربى بالخصمين يخرجان وقد لف كل منهما ذراعه فى ذراع خصمه. ومعهما أيضا ضابط البوليس وركب الثلاثة عربته • وصدر اليه الأمر أن يذهب الى قهوة ريش • • وزيد عدد الأصدقاء عند حفى صديقا جديدا سرعان ماتبين له أن صداقته ستكون وطيدة بذلك الاحساس الخفى الذى لايعرف مأناه الا خالق النفوس وباريها •

## ٨

**توقع** حفتى كل شيء الا هذا الذى فاجأه به أخوه حين ذهب اليه بعد الظهر يحمل مبلغ الخمسة آلاف جنيه التى ادعى أنها كل مابقى له .

— أتعرف من اشترى الأرض .

— لا والله .

— ألم تقرأ عقدا واحدا من عقود البيع .

— وفيم أقرأ؟؟ الحاج على هو الذى يقوم بالبيع وكلانا يعرف أمانته كل المعرفة .

— هيه . . . النهاية . . . أنا الذى اشتريت الأرض .

— ووجم حفتى فى ذهول .

— تقول من !

- أَلَمْ تسمع .
- ولكنك .. ولكنك .
- نعم وأنا فى السجن اشتريتها .
- كيف ..
- لايهم .. المهم .
- أرجوك .. انتظر .. أرجوك ياسى حلمى انتظر لم يعد فى رأسى عقل ليسمع .
- ضياع عقلك أمر يحدث كثيرا .
- فى عرضك انتظر قليلا ..
- وصفق وجاء بنخيت أمين المنزل وطلب منه كوب ماء وانتظر الصمت كوب الماء حتى حضر . وخرج بنخيت بالكوب الفارغ ..
- أهذا زهول الفرحة أم العجب أم السخط .
- كل هذا معا .
- والسخط أيضا .
- على نفسى .
- أهذا فقط مايسخطك على نفسك .
- لماذا لم تقل لى هذا من قبل ؟
- وماذا كنت تفعل اذا قلت لك ؟
- أهذا وأستريح ..
- وهل كنت مضطربا حتى تهدأ ؟
- ومن أدراك أننى لم أكن مضطربا .

- لأن الله وهب لك أعصابا من حديد .
- كيف تعرف .
- بعث أرضك كلها ومع ذلك لم يهتمك شيء .
- وماذا يمكن أن يهمنى ؟
- ألا تخاف المستقبل .
- وأنت موجود . . لا . . لا أخاف شيئا .
- نعلم تعودت أن تجدنى دائما .
- وسأجذك دائما .
- فهل ياترى سأجذك أنا ؟
- أنت لا تحتاج الى ولن تحتاج الى .
- يا من أيدى ؟
- أنا أدرى .
- تستطيع أن تكون قمة فى الذكاء ولكنك أبدا لن  
تستطيع أن تعرف الغيب . .
- أرجو ألا تحتاج الى أبدا ولكن على كل حال انت أبى  
وأخى وأستاذى ومثلئ الأعلى فان خنت واحدا من هؤلاء فلن  
أخون الآخر . .
- وعاد الصمت مرة أخرى وبدأ حلمى الحديث :
- على كل حال . الأرض ستظل ملكا لك وسأسدد لنفسى  
مادفعته لك ثمنا لها من الربيع حتى اذا استوفيته عادت الى  
إدارتك مرة أخرى وفى هذه المرة لن تستطيع أن تبيعها  
ثانية .
- أطال الله عمرك وأبقاك .

- وفي فترة السداد سأعطيك خمسين جنيها شهريا لتظل محافظا على مظهر البذخ الذى عرفك الناس به .
- هذا كثير . . كثير جدا .
- الجنيه فى يدك مليم . . أرجو أن تقدر أن المبلغ كثير حقيقة ولا تبالغ فى الانفاق . .
- مرة أخرى وثلاثة وعاشرة ألفا أطلال الله عمرك . .
- أريد أن أقبلك ولكن لن أقبل وجهك كما يفعل الأخ مع أخيه وانما . .

### واختطف يده وقبلها وأكمل الحديث :

- كما يفعل الابن مع أبيه . .
- واضطرب حلمى هنيهة ولكنه تمكن بقوة السياسى أن يكتب عواطفه ويغير مجرى الحديث .
- أنا مسافر غدا لبدء الحملة الانتخابية .
- ولكن حقنى عاجله :
- لإتغير الموضوع هناك أمر لم يتم .
- ما الذى لم يتم فيه ؟
- هذا المبلغ .
- ما هذا ؟
- ألفا جنييه .
- اذن فقد كانت سبعة . .

- لم أكن أعرف فيم تريد المبلغ قلت ان كان يريد أن يعاقبنى فالخمس كافية أما اذا كان يريد المبلغ للانتخابات فالسبعة كلها له .



- مهما تكن أعمالك سيئة في حق نفسك الا أنك كأخ  
تعتبر من أبر الأخوة .
- الآن غير الموضوع اذا شئت .
- أنا مسافر غدا للانتخابات .
- أسافر معك .
- لماذا ؟
- لأكون معك .
- كما تشاء . ولو أننى أفضل أن تبقى .
- أبقى لماذا ؟
- أخشى أن تحتاج وصفية اليك .
- هل اقترب موعد الوضع ؟
- أظن ذلك .
- البلد ليست بعيدة وأنا قادر ان شاء على أن أكون على  
علم بأخبارها دائما .
- كما تريد وعلى كل أخوها أحمد ووالدتها سيقيمان  
معهما هنا .
- اذن فأنا معك .
- على بركة الله .

\*\*\*

فى مولد فجر من عام ١٩٢٤ ولد صديقى عدلى حلمى  
الوسيمى الذى بدأت به ومعهم هذه الرواية التى أروىها لك  
وأصبح والده الأستاذ حلمى الوسيمى عضواً بمجلس النواب  
وبدأت بالأب وابنه حياة جديدة . . وربما أيضاً بدأت مصر  
نفسها حياة جديدة .

**أما** أخى فقد أصبح عضوا بالبرلمان منذ سنوات وسنوات وأصبح له ابنه عدلى فماذا أنا فى هذه الحياة ؟ مقامر صاحب نساء ثم ماذا .. وماذا تريد بعد ثم .. هو يجاهد فى سبيل الوطن ويشق الحياة بمخالبه ليحقق الاستقلال لبلاده لأن استقلاله هو متمثل فى استقلال مصر أما أنا فمتمتع باستقلالى دون البحث عن استقلال مصر .. هو سينال مكافأته وسعاده اذا جلا الاحتلال وأنا أنال مكافأتى من كل لحظة حياة والدفع فورى ، المتعة مع اللحظة بلا أجل ولا تسويف ولا تعطيل ولا تأخير . أنا واثق أننى تقاضيت ثمن جهدى .. أسهر على المائدة وأتمتع وأنال متعتى مع سهرتى . أو أسهر مع صاحبتى وأنال متعتى فى الصبحه نفسها أما هو

فمن يعلم أينال مايرجوه أم جهاد بلا نتيجة وشقاء بلا ثمن  
وتعب بلا فائدة •

أهو هكذا حقا أم تراه يجد لذته في أنه يؤدي واجبه  
الذي اقتنعت به نفسه وأطمأن اليه ضميره • • أشهد أنه لا يهتم  
بالشهرة ولا يسعى اليها ولا يفكر فيها وإنما هي تسعى اليه  
كنتيجة طبيعية لجهاده ولكنها أبعد ما يكون عن آماله •

أينا خير من صاحبه • وفيم التفكير ؟ وهبني أردت أن  
أكون مثله أبدي هذا • إنما أحسن مالا يحسن ويحسن هو  
ما لا أحسن • هل أستطيع أن أتكلم بالبرلمان وأحارب  
الانجليز وأؤيد الحكم أو أعارضه • وهل يستطيع هو أن يلعب  
البوكر أو الكونكان كما أَلعب هل يستطيع أن يجعل أجمل  
سيدات مصر يتقن الى ابتسامة منى أو موعد • هيهات له  
هيهات •

بالمناسبة ماقصة هذه الأميرة المقبلة على وماذا تريد منى  
وماذا أستطيع أن أقدم لها • جمالي وشبابي • ألم تجد شابا  
جميلا غيري • • أعجبتها • • وأى عجيبة في ذلك • • ومهما  
تكن أميرة فانها مازالت امرأة • • ولكن الملك معجب بها • •  
وماذا في ذلك • • هل جننت انه الملك • • وأنا ماشأني به  
• • لتكن أنت لاشأن لك به أليس أخوك مرشحا أن يكون  
وزيرا • • وما شأن الوزارة وأميرة أرادها الملك وأرادت هي  
غيره • • أنسيت كيف تحكم مصر • • لا ولكن أستطيع أن  
أتناسى • • أنها أميرة • • وأنها امرأة • • كيف ستبدو • •  
كما تبدو النساء • • أكل النساء متساويات هيهات • • لو  
كان الأمر كذلك ما بحثت عن بديلات دائما • • كل امرأة لها  
مذاقها الخاص وطعمتها الخاصة ولونها المتميز • • صوت كل  
امرأة له تهديج مختلف • • ولكل صوت وقعه في الأذن نغمات

تتقاصر بجانبها موسيقى عبد الوهاب وآم كلثوم .. والله  
ولا مائة ملك سيمنعني عن الأميرة فضيله .. فضيله ..  
مصيبة لو كان لها من اسمها نصيب .



كان الحفل في قصر الأميرة فضيلة غاية في البهاء والروعة  
ولكن حفني أصبح متمرسا على هذه الحفلات . الا أنه فوجيء  
بشوقي سلام ضابط الجيش بين المدعوين .

— أهلا شوقي .

— أهلا حفني .

— ماذا أتى بك ؟

— مأمورية .

— ماذا ؟

— ألم تسمع أم أنت مندهش .

— كنت أظن هذا من عمل البوليس .

— أصبحت وجوههم معروفة وأصبحنا نحن نكلف من حين  
لآخر بهذه المهمات ..

— في أى سلاح أنت ؟

— ألم تذكر .

— أريد أن أتأكد .

— في الحرس الملكي .

— أهلا .. تشرفنا .

— حفظت ؟

- وأنت ماذا أتى بك ؟
- مأمورية •
- أنت الآخر •
- هذا عملي الرسمي •
- حسبتك صحفيا •
- هذا عملي غير الرسمي ••
- وقعتك هباب •• مأموريتك ألعن من مأموريتي ••
- ربنا يستر ••
- أنا على أن أراقب أما أنت ••
- مادمت أنت الرقيب فمهمتي سهلة باذن الله ••
- ولم لا •• لولاك ماجئت أنا هنا الليلة ••
- كيف ؟ •
- وصلت اخبارية أن هناك حبيبا جديدا ومهمتي أن أعرفه •
- لا تتعب نفسك •
- وفيهم التعب المأمورية تمت والحمد لله •
- اياك أن تؤدي المأمورية بأمانة •
- المسألة كلها لا أمانة فيها ومادمت أنت المقصود فأنت أولى بالمحابة •
- والله صاحب •
- هل رأيت شيئا بعد ؟

- الناس لبعضها البعض .
- هيص أنت وأنس أمرى تماما ..
- تعيش ..



الأميرة فضيلة ذات نوع من الجمال المبهر الذى لا يستطيع  
انسان مهما يكن زاهدا أن يعبره دون أن يقف أمامه حائرا  
ذاهلا وفى أحيان كثيرة يتولى الذى يراها للمرة الأولى نوعا  
من الخشوع والرغبة . قوام فارغ مباد اذا مشيت خيل اليك  
أن العالم كله يعزف موسيقى الهية من نوع خاص لاتعرفها  
الأرض ولم تسمع بها . شعرها ثورة كل شعرة منه تقوم  
بوظيفة لا يستطيع أن يؤديها غيرها عيناها الخضراوان  
الضاربان الى الزرقة بحر وشلال ونمير وجدول ومظفر وبرق  
ورعد ونائى وعود كمان وقانون تعزف جميعها ألحان باخ  
وبيتهوفن وشوبان وليست . أنفها أمر وفمها اشراقة ابتسامة  
وكبرياء سيد . جيدها قصيدة تشابكت البحور فيها فاذا هى  
بحر جديد يجمع فن الغرب والشرق جميعا وجهها أنواع  
شتى من وجوه الجمال فى أنحاء العالم كله .. اذا طالعه  
انسان لم يستطع أن يطيل اليه النظر خاشيا أن تصيبه منه  
صاعقة ترديه وفى الوقت نفسه لا يستطيع أن يصرف عنه  
عينيه فهو عائد اليه فالصاعقة أهون بكثير من أن يحرم النظر  
الى هذا العالم المتفرد من الفن والجمال والطيبة والقسوة  
والاسماح والجبروت والقبول والرفض .

كل ماكان يحسه حفى أنها ذات جمال رائع .. ولكن  
هيهات له أن يصل من جمالها الى أعماقه ومن أين له .. وكل

مايعنيه منها مايفكر فيه رجل من محترفي النساء عند امرأة  
تحب دائما أن ترى جمالها الفادح على المحترفين قبل الهواة •

في لحظة أو هنيهة من لحظة استطاعت أن تهمس في أذنه  
أمرة في دلال وحزم حاسم :

– تأتي غدا الساعة الواحدة ظهرا ! •

– أمر سموك •

**مجلة الفن** التى يعمل بها حفنى تجمع فيها كل أصناف الناس وكذلك شأن الصحافة منذ ولدت الصحافة فى العالم فهى تجتذب بسحر لها عجيب ألوانا من الناس شتى تضاربت مشاربهم واختلفت أهواؤهم وتعددت ثقافتهم وجهالاتهم ، وكثيرا مايكون الجهل فى الصحافة رأس مال • ولا تحسب أنى أغالى أو أحاول إثارة التعجب فى نفسك • وانما أقصد تماما ما أقول فاذا كان محرر الشئون الفنية للممثلين فى ذلك الزمان عالما - لا قدر الله - يسقط بابه سقوطا فاحشا • فالمفروض فى محرر هذا الباب أن يكون قمة فى السطحية لأنه ينبغى عليه أن ينقل الى القراء أين تصنع المثلة ملابسها وأين تسهر ومع من • كما يتحتم عليه أن يذكر أحداثها الغرامية ومغامراتها فاذا لم يكن لها أحداث فعليه أن يخلقه



اختلاقاً • والخبيلة الصحفية تتحقق عنده اذا ذكر ان ممثلاً وقع فى حب ممثلة • وليس يعنيه أن يكون الممثل متزوجاً ولا يعنيه أن تكون الممثلة كذلك ، انما المهم أن يتمتع القراء • ولو كان - لا قدر الله مرة أخرى - على شيء من الثقافة لأصابه بعض الحياء فان أصابه هذا الداء الوبيل المسمى بالحياء لما استطاع أن يقدم الباب الناجح الذى يريده صاحب المجلة أن يقدمه ••

وهكذا تجدنى لم أبتعد عن الحق بل التزمته حين قلت لك أن الجهل يكون فى كثير من الأحيان رأس مال خطير فى عالم الصحافة ••

وكما تجتذب الصحافة هؤلاء تجتذب أيضاً من يريد أن يظهر اسمه منقوشاً بحروف المطبعة ولا يهم على أى مادة يظهر هذا الاسم انما المهم أن يظهر حتى ليضطرب بعض الذين على شيء من العلم أن يخفوا علمهم هذا وكأنه سبة حتى يقبل صاحب الأمر فى الصحافة أن ينشر له •

ومن الصحفيين من يريد أن يتصل بصاحب سلطة أو صاحب جاه أو صاحب شهرة •

ومنهم من يريد أن يكون كاتباً فيبدأ حياته ناقل خبر حتى يصل الزمن به يوماً أن يكون صاحب قلم •

ومنهم غير ذلك كثير •• فى بعضهم الاخلاص لمهنته وفى بعضهم الرغبة أن يركب مهنته وسيلة الى غاية أخرى •

منهم من يتخذ مهنته - كما ينبغى لها أن تكون - مهنة الأمانة والشرف والصدق والنقد الراغب فى الاصلاح والتأييد المنبعث فى الحق ••

ومنهم يتخذ مهنته - كما لا ينبغي لها أن تكون - سلاحاً  
لقطع الطريق وفرض أتاواته على كل من لا يطيع رغباته  
الشخصية فإذا هاجم ليناو وان مدح مدح لينافس  
... و ...

### وإذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظلمت وأى الناس تصفة مشاربه

فى كل مهنة فى الحياة أختيارها وأشرارها ، وهل المهن  
جميعا الا نبات الحياة • صناعها هم أبناء الدنيا • والدنيا  
خير وشر • وشرفاء ولصوص • وأتقياء وفجرة • وأتقياء  
وقدر •



شاع فى الصحافة جميعا تلك الصلة التى استحكمت  
حلقاتها بين الأميرة فضيلة وحفنى • ورأى حفنى عجباً • راح  
الصحفيون من جميع الجرائد يتقاطرون على حفنى • ولكن  
سبقهم جميعا اليه اثنان من العاملين معه فى المجلة • لم يكن  
واحد منهما يلقي اليه اهتماماً أو يحاول أن يتعرف به •  
ولكنهما فجأة حين عرفا بتلك الصلة الجديدة أقبلا عليه اقبالة  
غير قادرة ولا متمرسة • فقد كان كلاهما فى أول حياته  
الصحفية وان شئت قلت فى أول الحياة كلها ولكن هذان  
الصحفيان حقيقان أن نعرف عنهما كل شيء وانى بأمرهما على  
علم اليقين •

فأما أولهما فهو حامد العراقى • وليست العراقى تلك  
جنسيته وانما هى اسم والسبب فيه غاية فى الغرابة • •  
قدمت قبل مولد أبيه جارية من العراق أدركها قانون منع

الرق فصارت راقصة فى الأفراس والموالد واستعملت معها مغنية مصرية كان لابد لها منها حتى يتاح لها أن تسمع سيدات هذا العصر الغناء فقد كان لا يغنى عند الحريم الا المغنيات وكان من الطبيعى أن تطلق على هذه المغنية اسما فنيا فأطلقته فاذا هو سعاد العراقية • وحين تزوجت سعاد نسب ابنها الى الجانب الأكثر شهرة فاذا اسم ابنها وجيه العراقى لا وجيه القماش • • كما كان ينبغى أن يكون • مع أن القماش كان أيضا من أهل الفن فقد كان طبال الفرقة التى تغنى فيها العراقية ولكن أين الطبال من مغنية الفرقة •

أنجب وجيه العراقى الذى عمل قاهيا بوش البركة فوزى العراقى الذى صمم أبوه أن يبعده عن الوسط تماما فعلمه حتى نال الشهادة الابتدائية وسعى له عند زبائن بالمقهى حتى عين موظفا بوزارة الأوقاف وأصبح يحمل اسم فوزى أفندى العراقى وأنجب فارس حديثنا هذا حامد العراقى • وقد لقي حامد من شظف العيش ماجعله يكره الدنيا جميعا فجوانحه كلها حقد وسخيمة • • ونفسه تأكل نفسه حتى شب ولم يشب فهو مشروع انسان لم يستمل خلقه ولم تكتمل نفسه • فهو قصير غاية القصر ضامر كل الضمور وان تهيا لك أن تطلع على داخله لوجدته أعظم قماءة من جسمه •

أصر أبوه أن يعلمه ويتم تعليمه وكانت دون ذلك أهوال • • واستنجد فوزى أفندى بكل ذى أكرومة حتى استطاع أن يحصل على اعانة من الأوقاف كانت هى أحد المصدرين اللذين كان لهما الفضل فى تعليم حامد أما المصدر الثانى فقد كان مبلغا من المال يوجد به كل شهر وجيه العراقى على حفيده حامد • وهكذا شب خامثا وتعلم على موردين من المال

عجيب أن يقترب أحدهما من الآخر وعجيب أن ينسجما في  
مجرى واحد وكل منهما قادم من مصدر بعيد كل البعد عن  
المصدر الآخر . فقد اجتمع على تنشئته وتربيته وتعليمه مال  
الصدقة قادما من الاوقاف ومال السحت قادما من وش  
البركة .

وأكمل حامد العراقي تعليمه وتخرج في كلية الحقوق  
وكان ترتيبه متقدما فكان طبيعيا أن يسعى جهده ليعين في  
النيابة العامة أمل خريجي الحقوق جميعا ولكن وقفت دون ذلك  
عقبات لا يستطيع أن يتخطاها به أحد حتى ولا زبائن جده  
بوش البركة . وكيف لمن كان جده قاهيا وجدته راقصة أن  
يصبح عضوا بالنيابة . هيهات . راح حامد يبحث عن وظيفة  
أخرى ولكن الوظائف لم تكن ميسورة في ذلك الحين فالأبواب  
أمامه مغلقة . كان الحق قد تمكن من نفس حامد وعظم  
سخطه على المجتمع . فأى ذنب جناه هو حتى تحيطه الحياة بكل  
هذا القدر الذي يحيط به والذي يحول بينه وبين أن يبلغ  
من المكانة ما يصل اليه من هم أقل علما .

راح حامد في هوة الفراغ التي تطالعه من الحياة يقرأ  
وكان بروح الحق التي طمت على نفسه يعرف ما يريد أن  
يقرأ . وبدأ يكتب واتجه بكتابته الى مجلة الفن فقد كان  
فيها أبواب لا تخلو من الجرأة وهو يريد حقه أن يفشو في  
كتاباته ومقالاته بعد أن فاضت به مشاعره .

ومهاجمة المجتمع والمبتكر من شؤنه أمر حبيب الى نفس  
أصحاب الصحف . فكل هجوم حبيب الى القراء . فالفاشلون  
في المجتمع أكثر من الناجحين وقديما قال الشاعر :

**بنات الطير أكثرها فراخا  
وأم الصيقر مقلات نزور**

والفاشلون يحبون دائما أن يعلقوا أسباب فشلهم على أقرب مشجب • وليكن المشجب فساد المجتمع أو الوساطة التي تأخذ بيد الناجحين أو هم يبالغون فيدعون أن الذين أفلحوا إنما أفلحوا بالنفاق والسفالة وبيع الضمير • ليكن المشجب أى شيء إلا أن يكون الناجح أهلا للنجاح وهم أهلا للفشل بغباثتهم أو جهلهم •

وهكذا نشر صاحب المجلة مقالات حامد • وماهى إلا بضع مقالات حتى عين حامد محسرا لباب المجتمع فى مجلة الفن ومن هذا الباب كتب فى السياسة • وحين تقرب الى حفنى طلب اليه أن يعرفه بأخيه حلمى • ولم يجد حفنى مانعا وتعرف حامد بحلمى •

ألا يطيب لك الآن أن نترك حامد قليلا لنذهب الى زميله الذى سعى الى حفنى حين بلغه اتصاله بالأميرة • انه حسن هنداوى •

أما أبوه فسمسار غلال تمكن من تعليمه حتى نال الابتدائية ثم تقطعت أنفاسه وأعلنه أبوه هنداوى :  
— الابتدائية على أيامنا كانت تجعل الحاصل عليها أفندى  
قد الدنيا •

— ولكنها على أيامنا لا تزيد عن الآخرة فى شيء •  
— يا ابنى ألا تعرف ماذا أعمل ؟  
— تاجر غلال •

— ياليت •• يا ابنى أنا سمسار • أوصيل البائع الى المشتري أو المشتري الى البائع وأخذ العمولة والبسمرة •  
— ولماذا لا تكون تاجرا ؟

- أولا أنا لا أملك رأس المال وهذه وحده سبب كاف
- ثم ان التاجر عرضة للخسارة أما السمسار فلا يخسر أبدا •
- ولكنك لا تملك شيئا حتى تغشى الخسارة •
- حتى وان كنت أملك المال لا أملك الجرأة •
- الجرأة هي الحياة •
- وهى الموت أيضا •
- المهم أنا لا أستطيع اكمال تعليمك •
- حاول أن تعينى فى وظيفة اذن فعملك جعلك تعرف
- الكثيرين •

وكان عضو النواب بالدائرة ممن يبيعون قمحهم عن طريق أبيه • فزكاه عند صاحب الجريدة فعين بها • وراح يحاول الالتصاق بالأستاذ فايز وهبى صاحب الجريدة •

وكان الأستاذ فايز يحب الليالى الحمراء وأدرك حسن هذا فيه فاذا هو يتقرب اليه عن طريق النساء • وأصبح هو الصلة بين الأستاذ فايز وبنات المواخير اللاتى وجد حياته تقوم على الاتصال بهن • وأصبح من أقرب المحررين الى صاحب المجلة • ولكن حسن كان ذا طموح كبير ضخى وليس فايز بالنسبة اليه الا أول الدرج وربما كان حفى وحلمى هما السلمة الثانية فى هذا الدرج • وهو درج من نوع عجيب يراه حسن يؤدى الى السماء السابعة من الشهرة والمجد والجبروت ، ويراه المجتمع الشريف يؤدى الى أسفل حمأة من السفالة ويبيع القلم والضمير والشرف وكل ما يتصل بالخلق الكريم •

ولكن حسن حين جال بعينه فيمن حوله أدرك أنه لا سبيل

له أن ينال مكانة مرموقة في الصحافة التي رمتها المقادير اليها  
 الا بأن ينال شهادة وأن يتقن لغة أخرى . وان كانت صلته  
 بفائز تمكنه اليوم من نشر مقالاته وتقربه مما يظن أنه  
 شهرة ومجد فقد كان من الذكاء بحيث يدرك أن الكتابة هي  
 عرض عقل الانسان على بشر كثير ، واذا لم يكن ما يعرض  
 عميقا ذا قيمة فلا بد على الأقل أن يكون جذابا فاذا هو ظل  
 محصورا في دائرة الثقافة الابتدائية وما يكتبه الآخرون في  
 شتى الصحف فلا مستقبل له . التحق حسن بمدرسة من  
 مدارس اللغات وراح يتعلم اللغة الانجليزية وفي نفس الوقت  
 راح يذاكر لينال شهادة التوجيهية أو البكالوريا من المنزل .  
 فقد كان حسن يعلم أنه اذا لم يتسلح بالشهادة وباللغة  
 فلا سلاح له في الحياة ، وحين تعرف بحفنى كان قد نال  
 شهادة البكالوريا وكانت أنفاسه قد تقطعت فاكتفى بها  
 وانصرف عن اكمال الجامعة واعتمد على أن اتقانه للغة  
 الانجليزية قد يعوضه عن الشهادة العالية واعتمد أيضا على  
 أن الناس مع الزمن ينسون ما حصل عليه الانسان من شهادات  
 وخاصة اذا كان هذا الانسان يعمل في الصحافة وليس في  
 وظيفة رسمية في حكومة .

كان كل من حامد وحسن أصغر كثيرا من حفنى .  
 وهكذا استطاعا أن يلازماء ملازمة الظل وتعرف كلاهما  
 بعلمى الذى أصبح وزيرا فكان مصدر معلومات سياسية  
 لكليهما وكانا يقسمان المعلومات بينهما ويعرض كل منهما  
 معلوماته ويعلق عليها كل بطريقته . أما حامد فنبعث  
 الحاقدين وأما حسن فبديماجوجية التجار الباحثين عن  
 الالبهار عن طريق تضخيم الهائف وتعظيم التافه واكساب  
 هين الأمور ما لا تستحقه من أهمية وخطورة .

**طغى** الملك واستكبر وتجمعت حوله ثلة من أصاغر الناس وحقرائهم الباحثين عن المال لأنفسهم وللملك عن أى طريق وبأى وسيلة ، أما هم فوضعاء ويعلمون أن بقاء أى فرد الى جانب السلطان أمر لا يطول أمده ، وأنهم ان كانوا نجوما اليوم فهم فى غد قريب مبعدون فهم يهتبلون فرصة قربهم هذا ليشفطوا مايتاح لهم وما لا يتاح من أموال ، أما الملك فقد كان يشعر فى بيته بالمهانة وحقارة الشأن وكان يريد أن يثبت لنفسه أنه ذكى وخطير وأنه يستطيع أن يسخر ممن يشاء وما درى المسكين أنه يسخر أول مايسخر من نفسه ، فان أحدا مهما يكن ذكاؤه لا يستطيع أن يسخر من شعب أى شعب فما الخطب ان كان هذا الشعب هو الشعب المصرى الذى خاض مع أهوال الحياة مالم يخضه شعب آخر • والذى اقتحم



قمة التاريخ فى صدر التاريخ ودوخ الطغاة ودوخوه على مر  
الآلاف من السنين • فليس فى العالم أجمع شعب خبر الحياة  
وخبرته الحياة مثل الشعب المصرى فهيئات أن يسخر منه  
ساخر •

قد يخدعه مخادع ولكن هيئات أن يستطيع المخادع أن  
يخدع المثقفين منه والمتعلمين ، أما الذين لم يتلقوا من التعليم  
حظا فهم يتلقون من الحياة صنعتهم فى الحياة ، فالفلاح المصرى  
يزرع بأدوات قدماء المصريين وينتج انتاج القرن العشرين  
• • رأيت فلاحا يمسك بقطعة الطين من الأرض ويضعها على  
لسانه ثم يقول وكأنه أستاذ فى أعلى الجامعات :

— هذه الأرض لاتصلح لزراعة القطن •

ورأينا الصانع المصرى يجتاز فترة الحرب العالمية  
وسيارات مصر جميعها تسير بغير قطع غيار من الخارج والمباني  
تقوم دون أن يستقدموا لها الحديد أو أدوات السباكة من  
الغرب الذى كان مشغولا بحربه ولا عبور بالبحر الأبيض  
المتوسط الذى كان لا يخدم الا سفاكى الدماء من الجانبين  
المتحاربين •

فاذا ظن سياسى أنه يخادع هؤلاء فلأنهم كانوا مشغولين  
عنه باتقان صنعتهم وليس يعنهم أمره فى قليل أو كثير  
وكأنهم كانوا يريدون أن يقولوا له فى تلك الابتسامة الطيبة  
العذبة :

— أتريد أن تضحك علينا وماله ؟ اضحك ولكن أتركنا  
نحن لنقوم بواجبنا نحو صنعتنا •

وهكذا أصبح الملك لصا وهو فى غير حاجة الى مال  
وجلا له أن يذاع عنه أنه فى ميدان النسل صنديد لا يشق

له غبار ليخفى بذلك حقيقة أمره . وما كان فى حاجة الى اخفائها فما يعنى الناس عنه فى هذا الميدان شئ ولكنه غباء تمكن منه وخرج به عن طبيعة الأمور وربما كان له العذر فى ذلك بما كان يلقاه فى أسرته من أهوال .

حاول الملك أن يعدو على أموال الدولة فى الوزارة التى كان يحمل عبئها حلمى باشا . وكان الملك يظن أن انعامه عليه بالباشوية سيجعله يقبل محاولة الملك أن ينال أموال الدولة ولكن فآله خاب . ورفض حلمى أن تتنازل وزارته عن حقها فى المال العام فيصبح مالا خاصا للملك .

وأصر الملك وأصر حلمى . وأخرج رئيس الوزارة ولكن حلمى الذى لم يآبه بغضب الملك كان أكثر اهمالا لخرج رئيس الوزراء .

وأوشك رئيس الوزراء أن يستقيل ولكن الأحداث تلاحقت . .

واضطر الملك أن يتراجع ليتظاهر أنه يواكب الأحداث . فقد حدث فى ذلك الحين أن بدأ اليهود فى انتهاب دولة فلسطين مؤيدين بالامبراطورية التى كانت ماتزال حتى ذلك الحين تغطى بشمسها المظلمة العالم أجمع . وأصبحت مصر فى موقف غاية فى المخرج ، فهى من ناحية زعيمة العالم العربى والاسلامى ، وها هى ذى دولة عربية بأكملها يحاول عدو وقح أن يستولى عليها ويقيم عليها دولة يهودية ، ومن ناحية أخرى كانت مصر هذه الزعيمة دولة محتلة بالامبراطورية البريطانية التى تحمى العدوان اليهودى الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ .

وحاول الملك أن ينتهز الفرصة ليلهى الناس عن فضائحه

ويحيى الحلم القديم الذى راود أجداده أن يصبح خليفة على العرب جميعا متناسيا طبيعة التاريخ والدول ورفض كل دولة أن تكون تابعة فى حكمها الى أى دولة أخرى مهما تكن هذه الدولة حبيبة وصديقة بل وزعيمة أيضا .

أراد الملك أن يجبر الوزارة على دخول الحرب بغير أى استعداد وعرض الأمر على مجلس الوزراء وانقسم الرأى وكان رأى حلمى أن نسأل وزير الدفاع وكان وزير الدفاع من أتباع الملك فاذا هو يقول وهو يعلم أنه كاذب :

— ان هذه الحرب تعتبر نزهة حربية للجيش المصرى وأنه يستطيع أن يقضى على القوات الاسرائيلية فيما لايزيد عن أسبوعين .

#### وحينئذ قال حلمى :

— مادام الأمر كذلك فان الجيش المصرى لن يجد فرصة مثل هذه ليمحو عن نفسه ذلك الاسم المقيت من أنه جيش المحمل الذى لا عمل له الا الخروج فى الاستعراضات ليكون أشبه شىء بعروض الأزياء . ومصر عليها أن تواجه قدرها الذى ألقاه التاريخ على كاهلها فهى زعيمة العالم العربى والاسلامى ، ومصر يجب أن تجعل المحتل يحس أنه غير آمن فى احتلاله ولعله يعجل بالرحيل بعد أن انتهت المفاوضات الأخيرة بالفشل شأنها شأن كل المفاوضات السابقة عليها .

ورفعت الجلسة دون أخذ الرأى فاذا حلمى يقدم استقالته الى رئيس الوزراء ويطلب اليه رئيس الوزراء أن يؤجلها الى فترة قصيرة ويقول حلمى :

— أنا أعلم أن الوزير عليه أن يخضع لرأى الأغلبية فى مجلس الوزراء . ولكنى أعلم أيضا أن موضوع الخلاف اذا

كان من الخطورة بهذا المكان فان ضميرى يحتم على أن أقدم  
استقالتي لأننى مصمم على رأيى وأرى أن بقائى فى الوزارة  
يعد خيانة منى للوطن ولنفسى \*

ويقول رئيس الوزراء :

— انك محق فيما تقول ولكن لاتنس أن مجلس الوزراء  
لم يقل رأيه بعد فأبق عليك استقالتك حتى يصدر المجلس  
قراره فان كان مخالفا لرأيك أصبح من حقلك أن تقدم  
استقالتك وأصبح من واجبى أن أقبلها \*

وانتظر حفى وقطع الشعب المصرى الطريق على أى رأى  
فقد تطوعت الألوف من الشباب بل تطوع أيضا الكثيرون من  
رجال الجيش ووجدت الحكومة نفسها مرغمة أن تعلن الحرب  
حتى تستطيع أن تقدم لهم السلاح علانية وقامت الحرب  
واكتسح الجيش المصرى أعداءه \* ولكن الامبراطورية  
البريطانية أدركت أنها لو أتاحت هذا النصر لمصر فمصيورها  
فى مصر أصبح مقضيا عليه وهى فى الوقت نفسه كانت  
تريد لدولة اسرائيل أن تقوم لتكون قاعدة لها فى المنطقة اذا  
اضطرتها الظروف أن تجلو عن البلاد التى تحتلها وكانت  
تدرك فى نفس الوقت أن شمسها تنحسر عن العالم وأن  
شمس الامبراطورية الأمريكية الجديدة تطفئ أضواءها  
فكان من الطبيعى أن تحاول لندن وهى تلملم ثيابها من  
الشرق أن تفرس فيه هذه الشوكة لتستعملها عند الحاجة اليها \*

وتتابعت الأحداث \* \*

**أين** صديقي الذى حدثتك عنه عندما بدأت هذه الرواية ألا ترى معى أنه تأخر كثيرا عن الظهور . لا على ولا عليك ولا عليه . فما كان صديقى حتى الآن ذا مكان فى الحياة حتى يمثل مكانا فى هذه الرواية . وأنت على كل حال قد تعرفت عليه ولكنك لم تلتفت الى أمره ولا عنيت به فهكذا أنت أيها القارئ تريد من الروائي أن يضع لك كل شخصية فى إطار ويلج عليك أن تتعرف بها والروائي عادة لا يفعل ذلك الا اذا كان يحتاج الى هذه الشخصية وهو أيضا لا يفعل ذلك الا حين يرى أن الموقف قد حان لشخصيته أن تظهر . وقد ألمحت لك عن عدلى قبل الآن . . متى كان ذلك ؟ عليك أنت أن تتذكر . ان عدلى هو الابن الوحيد الذى أنجبه حلمى الذى أصبح حلمى باشا وقد كان عدلى يحبو فى حنايا السنين ليتعلم

وحين تعرف حامد وحسن الصحفيان الى آييه الباشا كانت  
سنه تقارب سنهما • فلم يكن غريبا أن يسعى كل منهما الى  
التعرف اليه وتوثيق هذه المعرفة وكان عدلى من ذلك النوع  
من الناس الذين يحبون أن يعرفوا الناس وينزلوا كل انسان  
فى منزلته • • وأدرك حامد أن عدلى لا يمكن أن يكون متفقا  
معه فى رأى فهو من الفئة التى لا تحقد وانما يحقد عليها  
الحاقدون فعمل جهده أن يجعل الجانب الذى يبدو لعدلى منه  
مناقضا تماما لوجهه الحقيقى واستطاع فى نفس الوقت أن  
يجتذب عدلى اليه بما قرأ من كتب فى الفلسفة والسياسة  
والتاريخ • أما حسن فقد علم أن عدلى لا يحتاج الى فتيات  
المواخير وهو فى نفس الوقت لا يحب أن تكون هذه الصفة  
معروفة عنه فى بيت حلمى ولكنه استطاع أن يجتذب عدلى  
بحديثه المنمق وبنفاقه ويسكب المديح من غير تحفظ على  
والده حلمى باشا •

وقد أثمرت هذه الصداقة منفعة لحامد وحسن على  
السواء •

أما حامد فقد كان يريد أن يسافر الى الخارج بأى وسيلة  
من الوسائل ، وقد أدرك أن حفى لا يستطيع أن يكون شفيعا  
له عند فايز ليأمر له برحلة الى العالم الخارجى ليرى ما لا يستطيع  
أن يراه بماله الخاص •

وقد استطاع هو أن يقنع فايز أنه لو جعل له مراسلا فى  
لندن وآخر فى باريس لسبق المجلات المصرية فى عرض أنباء  
العالم • وقد اقتنع فايز بهذه الفكرة وخاصة بعد أن أصبحت  
مجلته عامة لا تقتصر اهتمامها على الفن وحده • وطمع حامد  
أن يكون هو واحدا من هذين المراسلين • ولكنه وجد فى  
فايز فتورا عن الاستجابة لمطلبه وفى دربة الكلاب على الشم

أدرك أن حلمي باشا لو أوصى به عند فايز فان فايز لن يستطيع أن يتفاضى عن رجاء الوزير • وتكلم حامد مع صديقه عدلى وأصبح حامد مندوب المجلة فى باريس •

أما حسن فقد أراد أن يكون مندوب المجلة فى حرب فلسطين ولكن فايز لا يستطيع أن يستغنى عن خدمات حسن فى القاهرة فهو الذى يؤجر له الشقق وما ينتفع به فى هذه الشقق وهو الذى يعد له كل ما يحتاجه الأمر فى أمسياته ، ولكن حسن كان مصرا على أن يقفز حواجز الزمن وكان يدرك أنه إذا لم يصنع فى الصحافة ما يخشى الآخرون أن يصنعوه فلا فلاح له • ومادام قد صنع ما يخجل الآخرون أن يقوموا به فمن الطبيعى ألا يقف شيء أمامه بعد ذلك •

وتوجه الى عدلى برجائه وتقرر أن يكون حسن مندوب المجلة فى الحرب •



لم يكن حفى ليعنى بهذه الحرب فى شيء الا أنه فوجئ بشوقى سلام يأتى اليه على غير موعد ببيته • •

— أنا وقعت من السما •

— وأنا ألقاك •

— أنا مسافر الى فلسطين بعد يومين •

— يانهار اسود •

— ولا اسود ولا حاجة كل اخوانى مسافرون •

— من اخوانك هؤلاء •

— ليس هذا هو المهم •

- فما هو المهم اذن •
- صاحبتي •
- أحلام •
- طبعا وهل أعرف غيرها •
- الآن لا •
- اذن هي •
- وما شأن أحلام بفلسطين •
- هي عندي منذ ثلاثة أيام •
- عندك • • أأست متزوجا •
- ماذا جرى لك • • يا أخى انت تفهمها وهى طائفة •
- ولكن هذه ليست طائفة • • هذه غير واضحة الرؤية
- سطلقا •
- فى شقتى الخاصة طبعا •
- عظيم •
- بل هباب •
- لماذا ؟
- كانت قالت لزوجها انها ستذهب الى أمها فى الاسكندرية
- بسلامته أخذ أجازة أمس وذهب الى الاسكندرية ولم يجدها
- • أحد أصدقائى • • ماذا أقول • • أحد اخوانى وشى بى •
- أحد اخوانك •
- ضابط زميلى كل نفسه حقد يحقد على أى سعادة مهما
- يكن مصدر هذه السعادة • المهم ليس هذا وقته أرسل ورقة
- مجهولة الى الزوج يخبره عن عنوان الشقة • •



١- وكيف عرفت أن صديقك هذا هو الذى أرسل  
الورقة •

٢- من حظى الأسود له صديق فى نفس العمارة التى بها  
الشقة ومن حظى الأسود أنه جاء يزور صديقه هذا فرأى  
مع أحلام • فهو الوحيد الذى كشف أمرى • • ياأخى ليس  
هذا هو المهم • •

٣- وما هو المهم ؟

٤- أن نختفى •

٥- أين ؟

٦- فى أى داهية •

٧- ألم يأت الزوج الى الشقة ؟

٨- تنيل • • أتى •

٩- وأين كنتما ؟

١٠- كنا فى أول الشارع قادمين الى العمارة حين رأينا  
سيارته أمام الباب فأدركت كل شيء •

١١- والآن ؟

١٢- ابحث لى عن مخبأ •

١٣- هيا بنا •

١٤- الى أين ؟

١٥- الى العزبة •

١٦- هيا • • •

١٧- أين أحلام ؟

١٨- تحت فى السيارة •

— سأذهب أنا في سيارتي وتلحق بي أنت في سيارتك •  
— لماذا ••

— حتى تكون عندنا حرية الحركة •

— لك حق فان صديق الحق الذي كلمتك عنه يعرف  
صلتي بك ولا تستبعد أن يرسل ورقة ليرشد الزوج عن  
العزبة •

— هيا •

وقبيل الغروب شهد منزل الوسيمي ببلدتهم الرمايحة  
سيارتين ينزل عنهما ثلاثة نفر وجرى عبد المعين خادم المنزل  
ففتح الباب وقال حفنى :

— كيف حالك يا عبد المعين •

— بخير يا سعادة البك ربنا يبارك فيك •

وصاح شوقى :

— اسمه عبد المعين ؟

وقال عبد المعين •

— خادمك يا سعادة البك •

قال شوقى :

— ربنا يستر •• أخشى أن يكون هو عبد المعين صاحب  
المثل المشهور •

وضحك حفنى قائلاً :

— لا تخف فهو عند الشدة يعجبك •• اعمل لنا عشاء  
يا عبد المعين •

— أمرك يا بك •

— وجهاز حجرتى لشوقى بك والست زوجته وأنا جهاز لى  
حجرة من حجر الضيوف .

— أمرك يابك .. سعادتك ستتبعنى هنا أم فى الدور  
الأعلى ؟

— هنا ؟

وصاح شوقى :

— فى الدور الأعلى .. فى الدور الأعلى أنا فى عرضك .  
ونظرت اليه حفى وسكت لحظة ثم أدرك مايعنيه وقال :

— وهو كذلك فى الدور الأعلى .. واسمع يا عبد المعين  
قل لسعدون يفتح الجراج .  
— أمرك يابك .

وحين انصرف عبد المعين قال حفى :

— ادخل سيارتك فى الجراج وقل لهم أن يتركوه مفتوحا  
— معقول .. الجراج بعيد عن مدخل البيت .  
— طبعاً .

كان الليل حالك الظلمة وكانت آلة الانارة قد توقفت  
تماماً فى عزبة الوسىمى وأصبح البيت قطعة من ظلام لم  
تجرؤ الأشعة المتخافتة من ضوء مصباح الغاز المتروكة فى  
البهو أن تعدو على حلكته أو أن تبدد شيئاً من قتامته .

ولكن ضوء سيارة اخترق الظلام واعتدى على هذه الحلقة  
بنور جرىء جرأة صاحب الحق ، وهب الثلاثة فى بيت  
الوسىمى وهم يعرفون من صاحب السيارة والنور .

واقترع حفى الحجرة على شوقى وأحلام وألقى أوامره  
فى سرعة وحسم :

— أحلام خذى بدلتى هذه والبسيها وانت البس هدومك  
وانزلا فورا من باب الخدم الى الجراج وسأشغل أنا عبد الصادق  
حتى تخرجنا بالسيارة الى مصر واذهب أنت يا شوقى الى بيتك  
أما أنت يا أحلام فعودى الى بيتك واتفقى مع صديقة لك فى  
أى بلد أن تقول انها دعتك فذهبت اليها • أسرعا • • اسمعى  
أليس لك صاحبة ليست فى القاهرة •

— المنصورة •

— حلوة • • هيا •

وبسرعة نادى عبد المعين وأمره أن يرتب فراش شوقى  
وأن يترك فراشه مهوشا كما هو ونزل الى الطابق الأول •

— أهلا عبد الصادق بك •

— أهلا بك يا حبنى بك • • أهكذا •

— أهكذا ماذا ؟

— أتقبل أن تكون هذه صنعتك ؟

— يا ترى أنت متأكد أنك قصدت الى الشخص المطلوب ؟

— لا شك فى هذا •

— ومن هو الشخص المطلوب ؟

— حبنى الوسيمى •

— فى عزبتى والساعة تقترب من الثانية صباحا •

— أظن أننى أفعل مثل هذا الا لسبب خطير ؟

— متصل بى انا •

— طبعا • • • أين زوجتى يا حبنى • • أين أحلام ؟

— أحلام • • معى أنا •

— مع صاحبك شوقى •

- وأنا ماشأنى •
- أنت تخفيهم عندك •
- وإذا كان هذا صحيحا فكيف عرفت ؟
- اقرأ •
- ولم يكن حفىنى فى حاجة الى أن يقرأ فقد أدرك أن توقع  
شوقى قد صح فأخذ الورقة ثم رفع بصره الى عبد الصادق :
- ورقة من مجهول تجعلك تأتى فى الثانية صباحا الى  
بيت وزير من وزراء الدولة لتتهم أخاه أنه يتستر على جريمة  
زنا ••
- كان على أخى الوزير أن يبقى بيته وبيت أخيه شريفا •
- وهل سمعت عن حلمى غير ذلك •
- عن حلمى لا •• أما عن أخى حلمى فانه يستطيع أن  
يصنع أى شئ ••
- تهمة مثل هذه عندنا نحن الفلاحين لا يمحوها الا الدم  
يا عبد الصادق بك •
- اذا لم تكن صحيحة •
- أنت تحتاج الى اثبات •
- اسمح لى أن أمر بغرف البيت •
- الطابق الأسفل نعم •• أما الطابق الأعلى فهيئات أن  
تخطو اليه رجل غريبة •
- ما غريب الا الشيطان يا سعادة البك يا اخا سعادة  
الباشا •
- اخرس •

- تخفيهما في الطابق الأعلى وتقول لا تطؤوه رجل لا وحياء والدك لنن لم أصعد الى الطابق الأعلى لأبلغن البوليس فورا .
- أتظن أن البوليس يجروا على التهجم على بيت وزير وعضو نواب دون أمر بالتفتيش ورفع الحصانة من مجلس النواب أيضا .
- أبلغ وزير الداخلية ووزير الحفانية .. شرفى ياهوه .. شرفى يا عالم .
- أتظن أنك تصون شرفك بهذه الضجة .
- هذا شأنى أنا .
- اسمع يا عبد الصادق .. أنا لا أخشى التهديد ولكن لأننى انسان وأدرك الحالة التى أنت فيها سأصعد معك الى الطابق الأعلى ولكن قل لى .. اذا لم نجد أحدا كيف ستعتذر .
- الذى جعلك تقدر حالتى من الثورة سيجعلك تقدر حالتى من الخجل ..
- وهو كذلك .. تفضل .
- وطبعاً لم يجدا أحدا ..

**ربما** خيل اليك بما قدمته لك عن حفنى أنك عرفت  
 من كل جوانبه ولكن هيهات • فان حفنى هذا دنيا بأكملها  
 وهيهات لأحد أن يحيط بدنيا • بحر هو متلاطم الأمواج لا يقر  
 له قرار • وأعجب ما فيه أنه لا يتحمس لشيء فى الوجود  
 ولا يأخذ شيئاً مأخذ الجد الا متع الحياة وليس يعنيه مصدر المتعة  
 وانما يعنيه أن يحصل عليها فى أى مظنة لها •

وقد رأيناه يبيع أرضه ليلعب القمار ولم يكن ذلك منه  
 تحمسا للقمار وانما احتقارا للتملك مع خب شديد للمال  
 لا ليكنزه وانما لينفقه ويستمتع به ، وليس يهمه أن ينفق  
 كل ما يملك فى سبيل لحظة واحدة من المتعة الحقيقية • وهو  
 لا يعرف فى الدنيا مشاعر فهو لم يستطع أن يكره أحدا •  
 وشعوره نحو أخيه شعور من نوع عجيب فهو يعلم أن انتسابه

الى أخيه هذا يمكنه أن يحصل على أنواع من المتعة هيهات أن يستطيع الوصول اليها اذا لم يكن أخا حلمى باشا .

ولكن حلمى يظل مع هذا بالنسبة لحفنى جزءا من كيانه ، ولو كان قلبه يعرف الحب ما أحب الا أخاه حلمى ولكنه لا يشعر بهذا الحب ولا هو يعرف معناه ولكنه يعرف أنه مستعد أن يبذل كل جهده من أجل أخيه من غير حب . ومادام ما يبذل لا يفسد عليه متعة من متعة . وأحسب أن حفنى لو أحس أن قطعة من جسمه ستقف حائلا بينه وبين متعته لاستغنى عنها وكأنه يلقي سيجارة شربها الى عرض الطريق . وهكذا عاصر حفنى كل هذه الأحداث التى مرت بها مصر لم يشترك يوما فى مناقشة يحس أنها ستعكر مزاجه أو تجعله آخر الأمر يفكر بجدية فى شيء ما ، ولهذا لم يكن عجيبا أن يكثر حوله الأصدقاء ، ولماذا لا وأين سيجدون شخصا يوافق كل الآراء المتعارضة دون أى مناقشة لها ، بل ربما وجد الكلمة المؤيدة للرأىين المتناقضين فان يكن أخوه من حزب معارض للوفد فهو لا يعرف الحزبية وأصدقائه من كل الأحزاب وكلهم واحد عنده تأييدا لرأيه فى الحياة .

وهكذا مرة أخرى لم يكن عجيبا أن تتوثق الصلة وتزداد توثقا بين حفنى وعبد الفتاح صدقى وتستمر هذه الصداقة رغم فارق السن بينهما ، ولكن صلات حفنى لا تعترف بفوارق الأعمار ولا بفوارق الطبقات فهو كما يعرف حامد وحسن وهما من سن ابن أخيه عدلى الذى هدهد طفولته وهو وليد يعرف عبد الفتاح صدقى الذى يكبره بما يقرب من عشرين عاما . .

وبعد فهل تراك عرفت حفنى . . هيهات لك أن تعرفه وكيف لك أن تصل الى أغواره اذا كنت أنا وأنا مصدرك



الوحيد عنه لا أستطيع أن أدعى أنني بلغت من حقيقته كل حقيقة .

وحسبي وحسبك أن أروى لك ما خاض من أحداث لملك  
تقف على شيء يسير من حقيقته . وربما سألت نفسك  
وماذا يهمنى من أمر حفى ؟ فإذا فعلت فأننى أحزن حزنا  
شديدا فأنما حفى لون من ألوان الانسانية وما نحن اذا لم  
نعرف أنفسنا وكل انسان هو جانب منا ونحن جانب منه ،  
هو يمثل لونا من الفصيلة التى نكونها نحن البشر فاذا كنت  
لا تعرف نفسك مصورة فى الآخرين فماذا يمكن أن تعرف .  
لا عليك ولا على فانى أقص وشأنك وما أقول ولك أن  
ترى فيه ما تشاء من رأى .

\*\*\*

لم يكن حلمى قد اشترك فى الوزارة بعد ، حين التفت  
عبد الفتاح صدقى الى حفى وهو يقدم له فنجان قهوته :

— قل لى يا حفى . . الى متى تظل تلعب القمار .

— كلنا يقامر يا عبد الفتاح بك .

— لم نختلف ولكن قمار عن قمار يختلف .

— كله قمار .

— تظل تلعب الليل كله وتجهد نفسك وتتعب أعصابك

— اسمع يا عبد الفتاح بك لملك أول انسان أخبره أنا

لا ألعب لأكسب .

— فلماذا تلعب ؟

— لأننى أجد متعة فى اللعب فاذا فقدت المتعة تركت

اللعب .

- ولا تريد أن تكسب •
- ليس للفلوس عندي أى معنى الا أن تكون وسيلة  
لأنبسط وأعيش كما أحب أن أعيش •
- أنت أحسن انسان يمكن أن يعمل فى البورصة •
- أتظن هذا ؟
- أنا محترف وأعرف ما أقول •
- ولماذا أعمل فى البورصة ؟
- لتكسب •
- وماذا أفعل بالمكسب ؟
- ستتزوج يوما •
- أتظن ذلك ؟
- اسمع أنت تعرف خالتك كريمة عز المعرفة •
- طبعا •
- أتعبرها امرأة ؟
- كانت •
- أنا أتكلم عن الحاضر •
- أنا لم أنظر اليها من هذه الناحية •
- وهل يستطيع أحد أن ينظر اليها من هذه الناحية ؟
- ماذا تقصد ؟
- وأنت تعرف طبعا مغامراتى •
- كلها على يدى •
- أتعرف لو ارتفعت حرارة خالتك كريمة نصف درجة  
أصاب بالجنون •

- هو الحب اذن ؟
- وأكثر .. هو الحياة .. حياتى وحياة بناتى وكل  
مالي فى الوجود .
- وتريدنى أن أتزوج ؟
- طبعاً .
- أتريدنى أن أجن ؟
- لا .. وانما أريدك أن تعيش .
- الزواج مسئولية وأنا يا عبد الفتاح بك أرفض  
المسئولية .
- أنت اليوم شاب فكر فى يوم تصبح فيه فى مثل سننى  
أنا بدون كريمة وسناء لا أساوى شيئاً .
- أما أنا فقاربت الأربعين أما أنت فتساوى كثيراً من  
غير أحد .
- أوهاى .. أنا أعمل لأسرتى .. أنت لاتعرف المتعة  
التي أجدّها حين أشغل نفسى بأمورهم ولاتعرف المتعة التي  
أحس بها وأنا أتكلم مع كريمة عما سنصنعه لسناء حين  
تتزوج ولأمال .
- ولكن لا أنسى الشقاء الذى ساد البيت يوم مات لطيف  
خطيب سناء .
- أنت رجل مقامر ولكى تكسب لابد أن تخسر .
- أنا أريد أن أكسب فقط .
- المتعة الحقيقية هى المكسب بعد الخسارة أما المكسب  
المستمر فيورث الملالة .. المتعة العميقة هى الخسارة والمكسب  
معا .. هكذا الحياة .

— أظن أن هذه متعة لا أحب أن أعرفها •

— اسمع أثبت ستتزوج يوما •

— لا أظن •

— سترى •

— انتظر حتى نرى • • المهم لماذا لاتعمل معى فى  
البورصة •

— أعمل •

— حقا •

— ولم لا •

وعمل حبنى فى البورصة وعن هذا الطريق استطاع أن  
يجد وظيفة لعدلى فى البورصة بعد أن تخرج فى كلية التجارة •  
وكان اليوم الواحد من العمل فى البورصة يقدم لعدلى من  
الخبرة فى المجال الاقتصادى ما تقدمه عشرات السنوات فى أى  
عمل آخر بهذا الميدان •

وعين حلمى وزيرا وحاول حبنى أن يستخدم وظيفة  
أخيه ليصل الى معلومات يستفيد فيها فى البورصة فكان  
الفشل نصيبه دائما مهما يكن ذكاء حبنى فهو لا يستطيع أن  
يصارع داهية فى السياسة مثل حلمى •

والثقت حلمى الى عدلى فوجده مازال عبيطا عبط الشباب  
فى سنة المؤمنين بالشرف والخلق وأسرار الدولة وواجبات  
العمل فانصرف عنهما كليهما واتجه الى صداقاته وطالما  
أسعفته صداقاته • • وازدادت ثروة حلمى وكاد ينشغل تماما  
عن مائدة القمار وانحصرت متعته فى الحفلات الصاخبة التى

يخرج منها دائما بامرأة لايعنيه من أمرها أن تكون متزوجة  
أو غير متزوجة .



كان الحفل رائعا فى بيت رشدى المهدى فقد ترك الشقة  
التي كان يسكن بها وابتنى لنفسه فيلا أنيقة جعلت أعماله  
تتسع والمال ينهمر عليه انهمارا وكانت الحفلات التي يقيمها  
فى قبيلته تدر عليه أرباحا خيالية فقد كان يومهم كثرة من  
الوجهاء أن الحفلة مقامة له خصيصا ليعرفه بالفتاة التي يريد  
أن يتعرف بها ، وهكذا كان يأخذ مصاريف الحفلة مضاعفة  
خمسة أضعاف او ستة أو أحيانا سبعة قبل أن تقام الحفلة .  
وكان من الطبيعى أن يكون حفنى الوسيمى وعبد الفتاح  
صدقى عضوين دائمين فى كل حفل يقيمه رشدى المهدى ، أما  
حفنى فلمسمعه النسائية ولحب الأصدقاء له وأما عبد الفتاح  
فلأنه هو أيضا كان يقيم الحفلات فى بيت رشدى المهدى  
لحسابه الخاص أو أن رشدى يوهمه بهذا على الأقل .

كان حفنى منذ تعرف بالأميرة فضيلة قد علا نجمه بين  
النساء بصورة خيالية . وأصبحت كل فتاة من اللواتى لايعنين  
كثيرا بالشرف تتمنى أن تكون صديقة لذلك الفتى الذى  
صاحب الأميرة فضيلة فترة من الزمان .

وكان فى هذه الحفلة فى تلك الليلة فتاة أو قل سيدة او  
إذا كنت تريد الدقة فى الوصف فقل امرأة اسمها وسيلة  
الدهرى . . وكانت لها قصة . . أما قصتها فلا شأن لها بما  
أرويه لك ولكننى مع ذلك أجد نفسى مسوقا لقصتها عليك . .  
إذا كنا اتفقنا أننا نسعى لمعرفة البشر الذى تنتسب اليه . .  
أم ترانا لم نتفق المهم كانت وسيلة . . أتعب أن أروى لك

أنا قصتها أم أتركها هي ترويها لك فأنا حريص على ألا أقص عليك قصة واحدة مرتين • وفى هذه الحادثة التى سأقدمها اليك والتى وقعت بين حفنى ووسيلة ستسمع القصة منها هي فلماذا لا أكتفى بنقل أنباء هذه الواقعة اليك وأترك وسيلة تقص عليك قصتها • والحقيقة أنها فيما قالت كانت صادقة • لا لأن الصدق من طبيعتها ولكن لأنها لم تكن محتاجة لكذب على من تروى له القصة •

كان رشدى المهدي يقدم خدماته للجنسين معا • فكما يستجيب لرغبات الرجال كان يستجيب أيضا لرغبات النساء، وقد طلبت اليه وسيلة أن يعرفها بحفنى وكانت هذه الحفلة هي الموعد الذى حدده لها لينفذ رغبتها •

وسيلة سيدة غاية فى الجمال تركت الثلاثين من عمرها منذ سنوات قلائل وهي زوجة الدكتور فتوح عبد القادر وهو طبيب واسع الشهرة فى أمراض النساء والولادة • • ووسيلة هي زوجته الثانية • وهي تتمتع بشهرة قريبة من شهرة زوجها فى ميدان المغامرات وان كانت لألسنة تتناقل شهرة زوجها فى علانية وصوت جهر فهى تتناقل سمعة زوجته بنفس السعة ولكن خفية وفى صوت هامس •

### قال رشدى المهدي :

- حفنى بك لا بد أنك تعرف وسيلة هانم •
- بشهرة الجمال وان لم يسبق لى الشرف •

### وقالت وسيلة :

- أما أنا فأعرفك بشهرات أخرى عديدة •

### وقال رشدى المهدي :

- اذن فلا مكان لى بينكما •

خبير هو واسع الخبرة • لقد أتم مأموريته وانصرف  
ليقوم بالأعمال الأخرى الكثيرة المتراكمة على كتفيه أم يجدر  
بنا أن نقول المتراكمة على رأسه •

### قالت وسيلة :

— غريبة أننا لم نلتق قبل الآن •  
— بل لا غرابة فأنا أعرف أن الدكتور مشغول وأنت  
لاتكثرين من الذهاب الى الحفلات •  
— أنت تعرف عنى الكثير •  
— اذا لم أعرف عن هذا الجمال كل أخباره فالموت أولى  
بى •

— أعوذ بالله • • لا • • اطمئن • • انك جدير بالحياة  
فأنت تعرف كل شيء تقريبا •  
— اذن فهناك أشياء لا أعرفها •  
— طبعاً • • وهل يستطيع أحد أن يعرف كل شيء عن  
الآخرين •

— اذن فأنا منتظر أن تخبرينى أنت عما لا أعرف •  
— عنى •

— طبعاً •

— وهل تظن أن أحدا يعرف كل شيء عن نفسه ؟  
— الآن عرفت شيئاً لم أكن أعرفه •  
— أهكذا ؟

— أنت فيلسوفة أيضاً •

— وهل شفت حاجة ؟

- أريد أن أشوف .
- وماله ؟
- متى ؟
- متى أحببت .
- أنا أحب من الآن .
- من الآن ؟!
- من الآن .
- والحفلة ؟
- فى ستين داهية الحفلة ومائة حفلة .
- هيا .
- هيا .

\*\*\*

- كانا فى سرير حفى حفى عاريين تماما .
- ها أنت شفت .
- وما أجمل ماشفت .
- ولكن أتظن أنك عرفت عنى كل شىء .
- عرفت أهم شىء .
- يتهيألك .

وعلا صوت جرس الباب يدق فى اصرار متصل فشعب  
وجه حفى وابتسمت وسيلة وقال حفى :  
- أنا لا أنتظر أحدا .  
وقالت وسيلة فى عدم مبالاة وفى هدوء :  
- أما أنا فأنتظر .  
- غير معقول .



- فعلا غير معقول .
- ضمى شيئا على نفسك وادخلى الجيرة المجاورة .
- لا تخف .
- أنا خائف فعلا . . افعلى ماقلته لك .
- وقالت وسيلة فى غير عناية .
- أمرك . . ولكن لا تخف .

وكان قد وضع على نفسه أحد معاطفه المنزلية وخرج وهو يربط حزامه والجرس مصر على ألا يصمت وفتح حفى الباب ليرى أمامه الدكتور فتوح ولم يخطئه فهو رجل شهير وقد رآه أكثر من مرة فى أكثر من مناسبة . وقال الدكتور وهو على الباب :

— أين وسيلة ؟

وكان حفى مشدوها حائرا فهو مع ممارسته الطويلة للمغامرة لم يلتق بمواقف مثل هذا الذى يعاينيه فى لحظته تلك :

- ألا تدخل يا دكتور ؟
- لا أريد أن أدخل .
- أظن لا يعقل أن دكتور فى مثل شهرتك وسنك .
- لأشأن لك بسنى .
- فى مثل مكانتك يناقش أمرا مثل هذا على باب شقة .
- ويدخل الدكتور ويفلق حفى الباب وهو يقول .
- تفضل أقعد .
- والتفت إليه فاذا بيد الدكتور مسدس وروع حفى .
- ما هذا يا دكتور . . أهو فيلم سينما ؟

— أريد زوجتى •

وقال حبنى وهو يتصنع الشجاعة وان كان فى دخيلة نفسه قد زلزل الهلع كيانه كله وفى لحظات تصور ماقد ينشر فى غده عنه وعن أخيه وعن الدكتور الشهير وعن وسيلة •

— أدخل هذه اللعبة فى جيبك •

— أنا أقتلك واقتلها وأقتل نفسى •

— وماذا تكسب ؟

— أقتلك • •

ودخلت وسيلة وهى تضع على نفسها معطفا منزليا من معاطف حبنى وقالت فى حسم :

— قم يافتوح واذهب الى البيت •

— اذن فأنت هنا •

— قم يافتوح •

وتوقع حبنى أن ينطلق النار من المسدس ليقتل وسيلة وهى فى وقفها هذه المتحدية وفى ملابسها هذا الذى يدعو ألف رصاصة أن تنطلق ولكن الذى حدث شئ مختلف تماما • ارتضى المسدس فى يد الدكتور • وانخرط العملاق الأشم فى بكاء منهار مستغز واعتمد رأسه بذراعه وتقطعت جملة •

— نعم هى تعرف أننى لن أفعل شيئا • • هى متأكدة • •

— لأننى أحبها • • أحبها • • ضعفى الوحيد فى حياتى •

— وقالت وسيلة التى أصبحت مثل صخرة ناطقة •

— بل أنت تعرف أنه ليس ضعفك الوحيد • • قم ولا تجعل

من نفسك أضحوكة فأنت رجل محترم •

وقال الزوج وهو ينشج :

— وهل يمكن لمن يتزوجك أن يكون محترما ؟

وقالت الصخرة :

— اذا احترم هو نفسه .

— سأطلقك . . سأطلقك .

— اذهب الآن الى البيت . . هيا .

وقام فتوح أشبه مايكون بكلب يطيع أمر صاحبه وتدلى  
المسدس فى ذراعه المرتخية وخرج وقبل أن يخلق حفنى الباب  
وراءه صاحت وسيلة :

— ضع هذا البتاع فى جييبك .

ورآه حفنى وهو يصدع بالأمر مثل آلة ضغط صاحبها  
على الزر المناسب للحركة التى يريدتها منها . وأغلق حفنى  
الباب وارتمى على كرسي مرتعدا مايزال يكاد ، لا يصدق  
ما رآه منذ لحظات . وأحضرت له وسيلة بعض الماء وراحت  
ترش على رأسه كولونيا وهى تضحك ضحكا شديدا وهى  
تقول :

— لم أكن أتصور أنك خواف الى هذه الدرجة .

— خواف . . ياست انت مش واخده بالك من الى  
حصل ولا دا كان حلم .

— بل حقيقة .

— أmaal ربنا عمل الخوف ليه اذا لم يكن للموقف الذى كنا  
فيه .

— عمله لغريك الذين لا يغامرون مع زوجات الآخرين .

- طول عمرى أغامر مع زوجات الآخرين ولم يحصل لى شىء من هذا مطلقا .
- ألسنت أنت الذى أردت أن تعرف عنى كل شىء .
- معرفة مهيبة .
- ألم تنبسط ؟
- وهل هناك انبساط فى العالم يساوى هذا الذى كنا فيه ؟
- اهدأ .. اهدأ .
- انما قولى لى انت .. ماكل هذا الهدوء ؟
- ألم تعرف ؟
- أكاد أعرف .
- ماذا ؟
- ليست هذه المرة الأولى .
- ولا أظنها ستكون الأخيرة .
- ماحكايته ؟
- هذا الرجل تزوجنى من اثنتى عشرة سنة . كنت أنا لم أكمل العشرين وكان هو فى الستين وقد جاوزها ..
- الزواج الحقيقى لم يدم بيننا أكثر من سنتين .
- ولماذا قبلت الزواج منه ؟
- أبى كان غنيا واضاع أمواله كلها وطمع أن يعينه هذا الرجل على الحياة والبنت منا لا تملك من أمر نفسها شيئا ..
- اذن ..
- وهل فيها اذن .. كان من حقى أن أستجيب للطبيعة

وكنت فى أول الأمر أحاذر أن يعرف ولكنه عرف وفى كل مرة أتعرف بشخص جديد يتكرر هذه التمثيلية ..

— ماذا سيفعل معك حين تعردين الى المنزل ؟

— أنا عادة لا أعود فى نفس الليلة التى يقدم فيها هذا العرض الذى شهدته .

— اذن .

— هل عندك مانع ان أقيم معك بضعة أيام ؟

— أهلا وسهلا .. ولكن ماذا بعد بضعة الأيام هذه ؟

— أعود الى المنزل .

— وزوجك ؟

— يستقبلنى وكأنى عائدة من مشوار لم يستغرق أكثر من ساعة وكان الذى جرى ماكان ونستأنف حياتنا ، هو يعرف انى أخونه وأنا أعرف أنه يعرف ولا يذكر أحد منا للآخر شيئا .

— ولماذا لم تقولى لى هذا قبل أن تدهمنى المفاجأة التى كدت فيها أن أفقد حياتى ؟

— من مسدسه .

— من الخوف .

— أحببت أنا أيضا ان أعرف شيئا عن مقدار شجاعتك .

— ياميت وهل قلت لك انى جنرال ؟

— أنت فى حجرة النوم أعظم من جنرال .

— فى حجرة النوم انما امام المسدس أنا أقل من قطعة .

— عرفنا .

— الحمد لله انكم عرفتم •

\*\*\*

وفي اليوم التالى ووسيلة لاتزال فى بيته قصد الى بيت  
عبد الفتاح صدقى •

— لابد أن أتزوج فوراً •

— ماذا ؟

— ألم تسمع ؟

— المصيبة أننى سمعت •

— وما المصيبة فى هذا ؟

— كلمتك مائة مرة أن تتزوج وكنت ترفض •

— والآن قبلت •

— أنا عندى العروسة ولكن لن أخبرك عنها الا اذا قلت

لى ما الذى غير رأيك بهذه السرعة •

— أنا الآن فى الأربعين واستطيع أن أكون زوجاً صالحاً

لسنوات عديدة ولا أريد أن ينزل على قضاء الله بالزواج

وأنا أكبر من هذه السن •

— كلام معقول •

— خشيت أن أصاب وأنا فى الشينخوخة بحمى الزواج

وأصبح أضحوكة أمام نفسى وأمام زوجتى •

— لابد أن شيئاً قد حصل لك بالأمس •

— حصل أو لم يحصل لايهم •• أنا أريد أن أتزوج •

— وأنا عندى عروستك •

- من ؟
- ابنتي سناء •
- أنا في عرض النبي • • أنا أعرف سناء وهي طفلة •
- أنت دخلت بيتي منذ كم سنة •
- أظن منذ حوالي عشر سنوات •
- هو كذلك فعلا • • سناء كان عندها في ذلك الحين سبعة عشر عاما •
- حقا •
- طبعا • • أنت لم تكن تنظر لها لأنك كنت في الثلاثين من عمرك وقطعت السمكة وذيلها •
- وهي تأخرت في الزواج لأنها كانت مخطوبة لابن عمته •
- وأنت تعرف أنه استشهد في فلسطين وأنا أريد أن أخرجها من حزنها عليه •
- لا يزال الفرق بيني وبينها حوالي ثلاثة عشر عاما •
- كل زواجتنا تتمتع بهذا الفرق •
- والله معقول • • ولكن كيف تقبلني زوجا وأنت تعرف عني ما تعرف •
- أنت شبيهة من النسوان وأنا أطمئن على ابنتي بين يدي رجل في مثل تجربتك •
- على بركة الله •
- نقرأ الفاتحة •
- بل لا بد أن يقرأها عني حلمي أخى •
- هكذا يكون كلام العائلات وهو كذلك •
- وتزوج حفني من سناء •

**حين** عاد حسن من الجبهة كانت تحيط به أجواء غريبة كل الغرابة على الذين يعرفونه . فقد أصبح يحاول أن يضيف على نفسه نوعاً من الأهمية . وأصبح فايز يهتم بأمره بعض الاهتمام ، الأمر الذي لم يكن أحد يتصور أن يحدث أبداً . بل والأعجب من ذلك أنه أصبح يشارك فايز سهراته بعد أن كان يمسها له فقط دون أن يجزؤ على التفكير في مشاركتها فيها .

وقد أصبح شديد العناية بملبسه في الحدود التي تتيحها له دخوله المختلفة . والتي مازالت قليلة مع ذلك .

وقد وثقت صلة حسن بالأميرالاي وهبي عبد المولى وصار يتردد على بيته في انتظام . وكان للأميرالاي وهبي ابنة في الثلاثين من عمرها وكانت تكبر حسن ببعض سنوات ولكنه



وجد أن فرصة زواجه منها لن تتكرر ومن أين له أن يجد ابنة أميرالاي إلا أن تكون زوجة سابقة مات عنها زوجها وترك لها طفلا .

— ياترى يا سعادة البك أطمع في هذا الشرف ؟

— والله يا حسن يا ابني تعرف أن بنتي كانت متزوجة وقد أصبح لها وحدها الحق أن تقبل الزواج مرة أخرى أو ترفضه .

— البركة فيك يا سعادة البك .

ووافقت الست بديعة وهبي على الزواج وطبعاً لم يفكر حسن أن يدعو أباه إلى العرس ولكنه دعا إليه — طبعاً — حلمي باشا وأخاه حفنى وعبد الفتاح صدقى وعدلى . ودعا أيضاً شخصاً ربما تكون قد نسيتَه وهو حامد العراقي الذي عاد من فرنسا ومعه زوجة فرنسية فقد انتهز فرصة وجوده في باريس ووثق أنهم هناك لن يعرفوا شيئاً عن جده أو جدته أو الطريقة التي تعلم بها وأين يمكن أن تتوه هذه الأعراق العميقة الجذور في تربة وش البركة إذا لم يدركها التيه في باريس .

وهكذا تزوج هو أيضاً وشهدت زوجته مادلين زواج زميله حسن . وقدم فايز إلى حسن مائة جنيه هدية زواج له استطاع أن يشتري منها حلة العرس . وبدأت مطالع حياة جديدة تسفر عن وجهها لحسن بعد وجه شائه لم تكن الحياة تطالعه إلا به . وحين انتهى العرس جلست أسرة الأميرالاي وهبي بك تذكر ما كان من أمر المدعوين ومن أمر الراقصة ومن أمر النقوط . وإن لم يكن الحفل كبيراً ولكن الحديث عنه كان موفوراً . وغمرت الست حكمت اليازرجى زوجة وهبي لزوجها بعينها وتلقى الإشارة وأحسن فهمها .

— الا قل لى يا حسن يا بنى ؟

— نعم يا سعادة البك •

وقالت الست حكمت :

— يا أخى قل يا عمى •

وقال حسن فى نفاق يجرى فى عروقه مجرى الدم :

— لا يمكن ياست هانم أين أنا من كلمة عمى هذه ؟

وضحك الأميرالاي وهبى فقد كان لقب بك حبيباً الى  
نفسه دائماً وأكمل حديثه •

— متى تحب أن تتم الدخلة ؟

— متى تأمر بديعة هانم •

وقال وهبى :

— بيدك أن تكون الليلة وبيدك أن تكون بعد أشهر •

— اجعلها الليلة أنا فى عرضك يا سعادة البك •

وضحك الجميع ووضعت بديعة على وجهها خماراً من  
حياء وقال وهبى :

— هل تصر على أن تسكن فى شقة وحدك أنت وعروسك ؟

— والله الأمر اليها واليك •

— أنت تعرف أن ابنها نبيه محتاج لمن يرعاه وهنا سته  
تستطيع أن تكون الى جانبه دائماً والبيت هنا كبير وتستطيع  
أن تعيش معنا وهكذا لاتحرم خالتك حكمت من بنتها الوحيدة  
ومن حفيدها •

— وهل يمكن أن أتمنى أحسن من هذا •• كل مافى الأمر

أننى مواعيدى صعبة كصحفى وسعادتك تعرف وأخشى أن  
أزعجكم .

— لا ازعاج فى الأمر سنجعل حجرتك على السلم مباشرة  
لتخرج وتدخل وقتما تشاء . .

— وهو كذلك أمركم .

— اذهب اذن وأحضر ملابسك .

— فى لمح البصر ياسعادة البك . فى لمح البصر .

ألم أقل لك أن الحياة أصبحت تطالعه بوجهه لم يكن  
يتصور أنه سيراه من هذه الحياة .

**حين** اندلع حريق القاهرة لم يأت على القاهرة وحدها،  
وانما أتى على أموال حفى وعبد الفتاح مصطفى فى لفحة  
واحدة • فالبورصة لم تكن تتوقع هذا الحريق فاذا هى تجابه  
به وكأنه حيوان شرس جائع وجد طعامه • والمال أكثر شىء  
جبنا فما الخطب اذا واجه الرعب نفسه والحريق والدمار  
الآخذ لا يبقى على شىء •

ونزل الحدث على عبد الفتاح مصطفى بالهول الوبيل •  
فهو انسان طبيعى ضاعت ثروته كلها التى شقى فى جمعها  
طول عمره • فأى عجيبة أن يصاب بالهول بل أى عجيبة أن  
يصاب بالفالج • أما حفى فالأمر معه مختلف كل الاختلاف  
لقد استقبل الأنباء وكأنه يسمع أمرا ليس يعنيه فى شىء فقد  
المال الذى كسبه فى البورصة وفقد الأرض التى تركها له.

أبوه وأنقذها له أخوه وكأنما كان ينقذها لتعتسفها  
البورصة . وأصبح مصيره ومصير زوجته وابنه فواز الجوع  
والمسغبة وهوان الفقر وذلة الأخذ وهو الذى تعود الشيع  
وعزة الفنى وكبرياء العطاء . ولكن لو أنه كان اهتر أقل هزة  
لأصبح انسانا آخر غير حفنى الذى نعرفه .

ولما استحق منا أن نتيح له هذه المساحة العريضة مما  
تقدمه لك هذه الرواية .

وقف حفنى للعاصفة مثل الجبل وانتظر حتى انحسر  
عزيف الرياح عنها مخلفا وراءه الخراب وعبد الفتحا صدقى  
وقد أصبح جزءا من شىء لا حياة فيه ولا رجاء منه .

وكان حلمى على علم بالأمر وكان يتعرف من أخيه فى كل  
لمحة على أنباء الخراب الذى يحل به . واعتصرت الرجل  
الوطنى أيد عنيفة من الأسى فهو حزين أشد الحزن على عاصمة  
وطنه التى يمثل خرابها خراب مصر جميعا وحزين من أجل  
أخيه الذى أتت الكارثة على أمواله جميعا .

كان حلمى قد ترك الوزارة وهكذا أعفته الظروف أن  
يكون فريسة لموقف المسئول أمام مسئوليته .

كان من الطبيعى أن يطلب حفنى ليؤاقيه بمنزله :  
— أنا أنقذت أرضك مرة وأظننى قادرا على انقاذها مرة

أخرى .

— يا أخى ربنا يطيل عمرك . أظنك فى هذه المرة  
لاستطيع .

— كيف ؟

— الدين الذى تحمله الأرض أكثر من ثمنها عشرات

المرات .

- وماذا تنوى أن تفعل ؟
- هل رأيتنى عمرك أشكو قلة المال ؟
- كان لايمكن أن تشكو قلة المال وأنت على ماكنت عليه من غنى • أما الآن فالأمر يختلف •
- توكل على الله •
- كم عندك الآن ؟
- مايكفينى •
- لايمكن • فلوسك كلها كانت فى البنك ••
- معى مايكفينى ياسى حلمى •
- طيب •• خذ هذه خمسمائة جنيه ودبر بها حالك ••
- أو ابقها معك اذا كان معك مايكفيك حقا •
- لن أرفضها • فهذه يد أحب دائما أن آخذ منها أطال
- الله عمرك •

حين عاد حلمى الى بيته أصبح يعرف طريقه تمام المعرفة • فهو حين تزوج كان قد انتقل الى شقة فاخرة ضخمة عريضة الاستقبال تستطيع أن تتسع لمائتين فى ليلة واحدة • وقد أثثها له حموه بأحسن الأثاث • وهكذا بدا حلمى يعطى أوامره • وقد اتخذ موقف المسؤولية عن بيته وبيت حميه وماكان الأمر يحتاج الى هذا فقد كان عبد الفتاح مصطفى شأن كل المقامرين قد كتب عمارة لكل فتاة كما كتب عمارة لزوجته فهم يستطيعون أن يعيشوا فى ستر وان لم يكن فى رخاء • ولكن حفىنى لم يكن يملك شيئاً وهو حريص أن ينال المتعة التى رصد حياته لها فكيف اذن سيبرر تصرفاته المقبلة اذا لم يتظاهر أنه يصنع فى سبيل فواز وأمه بل ويزداد جرأة

على الحق فيدعى أنه ينظر أيضا الى مصلحة حماته ومصلحة  
آمال .

وحاولت سناء أن تذكره أن دخل والدته وأختها من  
العمارتين سيكشفهما بل أن دخلها هي من العمارة سيكون  
قادرا على مواجهة الحياة ، ولكنه قال في حسم :

— لقد تعودتم جميعا على العيش في سعة وهيهات أن  
تستطيعوا العيش في قلة .

— وماذا تريد أن تفعل ؟

— نذهب لنعيش مع أبيك في بيته .

— هل البيت باق له ؟

— انه قد كتبه باسمك واسم آمال في العام الماضي .

— وبعد ذلك .

— لاشيء . . . أولا تكون عيشتنا واحدة . وتجد والدتك  
وأختك رجلا معهما تعتمدان عليه .

— هل وافقتا ؟

— ان أمك هي التي طلبت هذا .

قالها الرجل في بساطة ومدوء ولو كنت شاهدا الحوار  
بينه وبين كريمة . . . ومالي لا أتيح لك أن تسمعه .  
قالت كريمة :

— أهكذا ينتهى عبد الفتاح صدقى يا حبنى ؟

— عبد الفتاح صدقى لا ينتهى أبدا يا كريمة هانم .

— ألا ترى اليه ؟

— شدة وتزول • انما أنا أرى أن تنتقل به الى بيتنا ،  
الأمر قد يحتاج لوجودى معه • ربما احتاج الى طبيب فى الليل  
أكون الى جانبكم •

— ربنا يابنى يطيل لنا عمرك • وهل أصبح لنا غيرك  
• • لا والنبى • لم يصبح لنا غيرك •

— فما رأيك ؟

— وكيف يمكن نقله يابنى وأنا كيف اذهب معه ؟

— بيتى كبير وأنت تعرفين •

— لكن اسمع • • أليس بيتنا أكبر • • لماذا لاتأتى أنت  
وسناء وفواز وتعيشون معنا • أولا أجد أنا رجلا أطمئن به  
ونوحده المعيشة •

— أترين هذا ؟

— أليس هذا هو المعقول ؟

— أمرك •

وانتهى الحوار •

ولكن حفنى الجبار يقول لسناء أن كريمة هانم هى التى  
طلبت • وهذا فى ظاهره حق • ولكنها طلبت لأنه جعلها هو  
تطلب • • هكذا حفنى • • أتذكر حين قلت لك أنك لن تستطيع  
أن تلم بجوانبه •

**وقالت سناء :**

— ولكن ماذا سنفعل ببيتنا هذا ؟

— ياستى لاتفكرى فيه الآن •

طبعاً يجب ألا تفكر فيه الآن أو بعد الآن فما كانت  
النقطة الا لما يفكر هو فيه بشأن هذا البيت •



بدأت الحفلات فى بيت حفى الوسىمى تضارب حفلات  
رشدى المهدى ، وبدأ حفى نفسه يقضى على رشدى المهدى  
فى صنعته التى عاش عمره كله بها ولها •

وعاد المال ينهمر على حفى وان كان انهماره من انهار  
أخرى ولكن الرجل لم يكن يعنى أقل عناية بمصادر المال الذى  
يصل اليه •

وكان شوقى سلام يأتى الى حفلات حفى بانتظام لا يخطئ  
وكان يأتى معه فى كل مرة بأربعة نفر تعرف بهم حفى  
وأدرك بذكائه الخارق أنهم يدبرون شيئاً ، ولكنه أيضاً أدرك  
بذكائه الخارق أنهم لا يريدونه أن يعلم عنه شيئاً فصمت وقد  
فطن أنه لو أظهرهم على ما يحسه فربما امتنعوا عن المجيء •

وفى صباح يوم دق جرس التليفون فى بيت عبد الفتاح  
صدقى الذى أصبح بيت حفى الوسىمى •

— أنا شوقى •

— أهلاً شوقى ••

— أين ستذهب فى الصباح •

— لا مكان •

— اذن فاذهب الى جروبى •

— ولماذا لاتأتى أنت الى هنا ؟

— اسمع ماأقوله ولاتناقش •• الساعة الحادية عشرة

فى جروبى عدلى •

• سلام عليكم

— وعليكم السلام •

- تذهب الى أخيك فوراً وتطلب منه أن يبيع ما يستطيع  
من أرض .
- ماذا تقول ؟
- ماتسمع .
- وما الذى يجعله يصدقنى ؟
- أخوك سياسى وهو يرى الحالة بعين الغيب وسيعرف أن  
الكلام ليس تخريفاً .
- كل أرضه .
- ان استطاع .
- وان لم يستطع .
- لا يبقى منها غير خمسمائة فدان . . خمسمائة على  
الأكثر .

\*\*\*

وقال حلمى باشا :

- خمسمائة فدان .
- على الأكثر .
- أترى هذا معقولا .
- اسمح ووكلى واترك الأمر لى .
- اننى أملك أكثر من ألف وخمسمائة فدان .
- هذا شأنى .
- تعال غدا خذ التوكيل .

\*\*\*

ذهب حفنى الى العزبة وصحب معه عدلى . وراحا يبيعان  
الأرض متظاهرين أن حلمى باشا يريد أن ينقذ أخاه .

واستطاعا فعلا أن يبيعا كل مايزيد عن الخمسمائة فدان  
وأحضرا الأموال وسلمامها الى حلمى باشا الذى وضعها فى  
خزانة بيته وانتظر الأحداث .  
ولم يطل به الانتظار .

وحين صدر قانون الاصلاح الزراعى الأول كانت الأرض  
التي يملكها لاتزيد عما فرضه القانون الا مائتى فدان  
استطاع أن يبيعها بسهولة مطبقا نفس القانون الذى كان  
يسمح لمن تزيد أرضه عن النصاب أن يبيعها .

حين قامت الثورة كان حفى صديقا للأغلبية الكاثرة  
منها • وقد جاءه شوقى الذى يتصدر منها مكانا مرموقا فى  
ليلة من لىالى بيته التى ازدادت ازدهارا مع الأحداث الجديدة  
وقال شوقى :

— قل لى يا حفى هل أساء أخوك حلمى الى الصحفى حسن  
هنداوى •

— أساء •• انه هو الذى جعله يذهب مندوبا عن المجلة فى  
حرب فلسطين وهو الذى •• النهاية لا أحب أن أذكر ما صنعه  
معه ولا ما كان يعطيه له من •• المهم ••

— هل أنت جاد ؟

— الأمر معروف • اسأل أى صحفى يخبرك •• لماذا ؟

— طيب وحسن العراقى هل آساء له أخوك ؟

— كل الاساءة •

— كيف ؟

— هو الذى رجا فايز حتى يكون مندوب المجلة فى

باريس •

— عجيبة •

— ماذا حصل ؟

— أنت لاتتصور كيف كان كل منهما يصر اليوم على أن

يلقى أخوك فى السجن مع المعتقلين السياسيين •

— هل هذا ممقول .. ماذا قالوا ؟

— قالوا ان الوجوه القديمة لابد أن تتغير وأن الناس لابد

أن تعرف أن حياة جديدة فى الطريق • ولابد لهؤلاء السياسيين

أن يخطفوا من الحياة ، وقلت لهم حتى الشرفاء ، فقال حسن

وخاصة الشرفاء لأن هؤلاء هم الذين يخشى منهم على الوضع

المجديد ، وأيد حامد كلامه فى صياغة أيدولوجية وألفاظ

رنانة •

— يانهار أسود وبعد •

— ولا بعد ولا قبل .. أصررت أنا وأصدقائك الذين

تعرفهم فاستثنى أخوك من الاعتقال •

\*\*\*

وهكذا اجتاز حلمى باشا كل ماوقع على زملائه من ضير

وأحسن السياسى المحنك أن الحياة فى مصر تغيرت ورأى أن خير

مايفعله أن يبتعد •

ينظر الى الجهلاء والمنتفعين فيجدهم أصحاب رأى يقال وينشر وينفذ ، وهو الذى كانت مصر عنده عقيدة كأنها دين يحرم من أن يقول رايه . . هذا الحق البسيط الذى ينبغى أن يتمتع به كل فرد من أفراد الشعب الحر . . ولكن أين الحرية فى بلد أصبح أسوة حفىنى هو الذى يحميه فيها ، ولم يكن يعرف عن حفىنى الا أنه انسان فشل فى كل ماعهد اليه من الحياة . ولم يرق اليه النجاح الساحق الذى يحققه حفىنى فى كل ليلة فى البيت الذى شهد زواجه وشهد مولد ابنه فواز الذى أسماه على اسم جده وكأنه انسان يعرف كيف ينتمى الى أسرة عريقة .

ولكن أصدقاء حلمى كثيرون . وما لم يرق اليه فى شهر بلغه نبؤه بعد أشهر وكأنما كان هذا الذى بلغه ستار الختام لحياته . فقد طلب أخاه فى التليفون وأمره أن يحضر اليه فوراً . وكان أمر حلمى عند حفىنى معناه النفاذ . فما أسرع ما قصد اليه وجلس منه تلك الجلسة التى تعودها معه ولم يستطع أن يغيرها وكأنه مازال ذلك التلميذ الذى لم يستطع أن ينال الشهادة الابتدائية .

كان حلمى قد استطاع أن يقف صلباً شامخاً أمام كل ما مر به وبمصر . ولكنه فى هذه المرة لم يستطع أن يبقى على هدوئه . كانت عيناه تلتصعان بدموع يمنعها الكبر أن تسيل فانفجرت نبضا على شفتيه ورعشة فى يديه لم يتح له أن يتحكم فيها وتخلج لسانه فى فمه .

– أحقا يا حفنى .. أحقا ..

– ماذا ياسى حلمى ؟

– أحقا .. أحقا ..

وأثرت روحه أن تخرج الى بارئها قبل أن تخرج الكلمة  
التي تجمدت على لسانه الى حفنى .  
ومات حلمى .. ومات عهد .

## ١٧

**انفرد** عدلى بين كل لداته من أبناء الأثرياء بأن المال كان موفورا لديه فلم يشك الفقر ولا القلة وكان له فى عمه حماية أى حماية ولكنه كان غير مرتاح قط كان يقول لى :

— الله وحده يعلم كيف استطاع عمى حفى أن يحصل على هذه الأسرار التى حفظ بها ثروتنا •

وكنت أحس أنه كان يريد أن يتعرف منى على مدى انتشار الحقيقة التى يتناقلها الناس عن عمه • كنت واثقا أنه يعرف ولا يريد أن يعرف وكنت أشفق عليه أن أظهره على مايقوله الناس وكنت أختار لنفسى طريقا ملتويا •

— ياأخى وأى عجيبة أن يحمى أخ أموال أخيه •



— لست من هذا أعجب وإنما أريد أن أعرف كيف وصل  
إلى هذه الأسرار .

— من أصدقائه .

— ما نوع هذه الصداقة وماذا وراءه وما مداها ؟

— وفيم يعنيك هذا . . لقد أنقذه أبوك مرة من الخراب  
وأنقذ هو أباك مرة في مقابلها .

— أما أبى فأنقذه بماله أما هو فماذا قدم لينقذ ابنى .

ولم يكن شيء يجعل عدلى يسكت عن هذا التساؤل كلما  
خلا به وبى مكان .

\*\*\*

لم يكن عدلى يستطيع أن يعيش دون أن يعمل فقد التحق  
بالوظيفة منذ تخرجه ولم يكن فى التحاقه بالوظيفة أمرا  
يستحق منه انعام نظرا أو امان فكر فهو حاصل على شهادة  
التجارة العليا وعين فى الدرجة التى يعين بها كل زملائه وكان  
تعيينه فى البورصة لأن عمه كان يعمل بها وصداقاته فيها  
مشهرة معلنة لا تحتاج الى البحث عما وراءها ان كان شيء  
وراءها .

ومرت على وفاة أبيه سنة وبعض السنة وهو مقيم فى  
بيته مع والدته التى بدأت تلح عليه أن يتزوج شأن كل أم  
لها ابن وحيد وتريد أن تطمئن أن حياة أبيه التى اعتسفت  
سمتدة فى حفيد يوحى اليها ببعض طمأنينة أن حلمى الوسمى  
لم يمت .

وكان عدلى يرى أن زواجه أمر طبيعى فهو ليس من رواد  
الليل ولا هو عرييد ولا صاحب لهو فسنة الحياة سنته والطريق

الذى رسمه المجتمع هو طريقه لا يريد أن يخرج عنه ولا أن  
يغير الكون أو يحطم ما جرى عليه عرف الحياة •  
وقد وجد فى ابنة خاله احمد نشيدته فهى فتاة متعلمة  
حصلت على شهادة الازدواج وذات جمال ناضر نقى وقلب يافع  
طازج مقبلة على الحياة اقبالة طهورا رصينة ، وهو منها ومن  
أسرتها فى امان أى امان • أمها كانت منه بمنزلة الأم وأبوها  
أبوه • وهما أسرتان لاتجمعهما صلة الرحم وحدها وانما  
يجمعهما أيضا قانون مجتمع واحد وخلق متشابه ، فهما وان  
كانا يعيشان فى بيتين الا أنهما فى تكوين أخلاقهم وتفكيرهم  
بيت واحد • حتى لقد كان كل بيت منهما يطلق على البيت  
الآخر كلمة البيت الثانى فلا يقال بيت الباشا ولا يقال بيت  
أحمد بك فى أى من المنزلين وانما يقال البيت الثانى • فهما  
اذن بيت واحد • فزواج عدلى من حورية أمر يكاد يكون مقررا  
بالأمر الواقع حتى أنه لو لم يحدث لكان شذوذا عن الطبيعة  
الكونية لا معنى له ولا داعى اليه • وكان من الطبيعى أيضا  
أن تقيم حورية مع عمتها فى نفس البيت •



حين أغلقت البورصة أبوابها كان عدلى قد أنجب ولده  
الأول منذ سنوات وكان من الطبيعى أن يسميه حلمى • ولم  
يطلق عدلى أن يعمل فى الوظيفة التى نقل اليها فقد كان  
لا يصنع شيئا الا أن يقبض المرتب فى آخر كل شهر وهذا أمر  
يأباه ضميره كما أن طبيعة عدلى ترفض أن يكون بلا عمل  
حقيقى وليس يرضى أن يتوارى أمام الناس وراء وظيفة  
بلا عمل •

كان قد تعرف وهو فى البورصة على أكبر المحاسبين شأنا  
وقد اختار منهم مكتب الدكتور فكرى الدهشان فقد كان

يأنس اليه وكان يحس منه أمانة منقطعة النظير كما أنه كان  
يعجب بعلمه النظري والعمل جميعا .

وقد كان الدكتور فكري من الذين يعجبون بوالده كل  
الاعجاب ولم يكن يخفى اعجابه هذا كلما دعا الحديث أن  
يبديه . قصد اليه .

— يادكتور أريد أن أعمل معك .  
— وتترك الحكومة ؟

— أذنت بالذات تعرف معنى أن يتناول الانسان مرتبا  
دون أن يعمل في مقابله شيئا وأنت بالذات تدرك معنى أن  
يكون الانسان في ريمان شبابه وفي استقبال القادم من الأيام  
دون أن يعد نفسه لذلك بالعمل والجهد .

— ولكن يا عدلي يا بنى عمل المحاسبين في مصر أصبح  
محدودا كما تعرف .

— وهل طلبت منك مرتبا ؟

— اذا كنت أنت لاتقبل أن تنال أجرا بلا عمل فاننى أنا  
أيضا لا أقبل أن يعمل محاسب في مكتبى بلا أجر .  
— أنت تعلم أننى والحمد لله موفور .  
— لايعنينى هذا فى شيء . . أنت ستعمل معى فلا بد أن  
تنال مرتبا .

— اذن فأنت ترفض أن أعمل معك ؟

— وهل تتصور هذا ؟

— هذا مافهمته من كلامك .

— ان ماقلته واقع لاشأن له بعملك معى فان مجرد ابداء  
رغبتك فى العمل معى يعتبر كأنك عملت فعلا فأنت تعرف  
رأىي فيك وفى المرحوم والدك .

— اذن .

— اسمع أنا لن أجد خيرا منك ليتولى أعمال مكتبى فى

مصر .

— ماذا ؟

— هذا هو الجديد . . لقد فتحت مكتبا فى الكويت .  
وأعتقد أنه سيشغلنى بعض الوقت عن المكتب هنا . والعمل  
الحسابى فى مصر كما قلت لك أصبح نادرا أو أقل من  
النادر وخاصة فى المكاتب الكبيرة مثل مكتبى وكنت فكرت أن  
أقفل المكتب هنا ولكنى سرعان ما طردت الفكرة فقد أحسست  
أنها أشبه ماتكون بالانتحار فالدنيا يا عدلى ليست فلوسا فقط  
وها أنت تبحث عن عمل مع أنك تستطيع أن تعيش على دخلك  
وهذا المكتب يمثل عندى كفاح عمرى كله فأنا اذن سأتركه  
فى رعايتك وأسافر أنا لإنشاء مكتب الكويت وسنكون على  
اتصال دائم اما بأن تأتى أنت الى الكويت أو بأن أجيء أنا الى  
القاهرة . . مارأيك ؟

— سأقدم استقالتي غدا ان شاء الله من الحكومة وان

كنت مندهشا مما سمعت .

— ومم الدهشة ؟

— أنت بلا ولد وقد كونت اسما عظيما ولاشك أنك

كونت ثروة فقيم اذن سفرك الى الكويت وهذا الجهد .

— عجيب شأن الناس . لماذا يظن الناس أن ما يصدق

عليهم لا يصدق على غيرهم . يارجل ألم تأت الى هربا من  
الفراغ ؟

— أنا آسف لك حق .

**كانت** الحياة الجديدة هي أصلح حياة لحسن هنداوى .  
وكأنما تم كل هذا الذى تم ليصبح حسن هنداوى فى  
الدؤابة العليا من القمة ، والحقيقة أنه كان يعرف طريقه كل  
المعرفة فاذا هو حوت شرس . يحرص كل الحرص أن يمزق  
بأسنانه الحادة المتراكبة كل من كان ذا فضل عليه فى ماضيه .  
استطاع أن يزج بفايز الى السجن أو أوحى الى مستمعيه أن  
عدلى لاحديث له الا الهجوم والتنقص واعتقل عدلى ولكنه لم  
يبت ليلته فى المعتقل فقد أدركه عمه مرة أخرى وخرج بعد  
عشر ساعات من اعتقاله فصدقات حفى لم تكن مقصورة  
على فئة بعينها انما هى تنداح وتتسع فتشمل كل ذى سلطان  
فى أى وقت . وكأنما كانت شقة حفى مظهرا لا يكتمل  
سلطان ذى السلطان الا به ، فلم يكن عجيبا أن يكون محاطا

بسياج من الأمان يستطيع أن يصمد عنه وعن كل من يهتم به  
أى عادية .

ولكن العجيب أو ربما لم يكن عجيبا أن حسن لم يحاول  
يوما أن يمد أباه بشيء بعينه على الحياة مع أن المال كان يجرى  
بين يديه سيلا لم يطف يوما بأحلامه . وبعد أن كان يعيش  
مع الأميرالاي فى بيته ابتنى هو لنفسه فيلا خاصة وطبعا  
أقامت فيها زوجته وحدها دون أهلها ودون ابنها وانما أقامت  
معهما ابنته التى أسماها جميلة .

أما حامد فقد فشا هو والآخر واعتلى مكانا سامقا ربما  
لا يطاول مكانه حسن الا أنه ليس بعيدا عنه كل البعد . وقد  
كان حامد بحاسته وبقدرته الفائقة على النفاق حريصا أن  
يجعل حسن راضيا عنه دائما كل الرضا .



كان عدلى جالسا فى سميراميس فى انتظار صديقه  
الصحفى فخرى عبد النبى الذى كان يعمل تحت رئاسة حسن .  
وجاء فخرى وهو ملتاع خائف لا يطيق أن يخفى من لوعته أو  
خوفه شيئا ولم ينتظر عدلى أن يسأله بل عاجله .

— مصيبة سوداء .

— ماذا . . قل ؟

— قرأت اليوم نعيًا لعم حسن هنداوى .

— نعم قرأته .

— أنت أيضا .

— وما العجيب فى هذا ؟

– يبدو أن أحدا لم يقرأه الا أنا وانت •  
– كيف ؟

– كان من الطبيعى أن أذهب الى العزاء كلمت زملائي  
فاذا هم جميعا يرفضون الذهاب ، منهم من يدعى المرض  
ومنهم من يدعى الشجاعة والعزوف عن النفاق • فقلت أذهب  
وحدى والأمر لله • البلدة ليست بعيدة عن القاهرة استأجرت  
سيارة أجرة وذهبت • • • ويا ليتنى مازهدت •  
وقال عدلى وطيف ابتسامة يتماوج على فمه •

– فعلا ياليتك مازهدت •  
– أنت أيضا تعرف •  
– لو كنت سألتنى لأخبرتك •  
– أأطلب منك أن تعزيه وأنا أعرف أنه حاول أن  
يعتقلك •  
– كنت سأرفض الذهاب ولكن ليس من أجل هذا  
السبب •

– فلماذا ؟

– أكمل حكايتك

– ذهبت فوجدت العزاء بلا سرادق ولا حتى كراسى  
وانما جلسنا على الأرض وتحتنا شريط من الحصى • وكان  
أبو حسن يستقبل العزاء وعليه معطف حائل اللون يملأ الرقع  
جوانبه جميعا •

– هذا هو السبب الذى رفض زملاؤك الذهاب من  
أجله •

– أكلهم يعرفون .. أليس هناك خائب غيرى .

– وفيم خوفك .

– أن يعرف أننى عزيزته .

وضحك عدلى وقهقهه ثم انخرط فى البكاء فى حزن شديد وأخذ فخرى وكأنما خشى أن يكون صاحبه قد أصابه مس من الجنون .

– الله .. عدلى .. عدلى ماذا بك ؟

وتماسك عدلى وصمت وناولته صديقه كوب ماء وشرب ثم تكلم وكأنما ينعى نفسه ..

– أهذه هى مصر .. يخاف فيه الشخص أن يعرف رئيسه أنه عزاء وعرف أنه سافل مع أبيه وضيع ساقط المروعة . كان من الطبيعى أن يخاف الشخص إذا لم يقيم بواجب العزاء أما أن تخاف – وأنت محق – لأنك قمت بالواجب فواضيعة مصر . ولا يخاف الشخص الذى لم يقيم بواجبه أو ببعض واجبه نحو أبيه أصل وجوده وصاحب اسمه . وتكون أنت يامن قمت بواجبك مرؤوسا ويكون الآخر رئيسا .. فلأى شيء صنع البكاء إذا لم يكن صنع لهذا الذى ترويه . وهو أهون مانراه .

\*\*\*

كيف أعيش فى مصر . لقد جربت أن أنافق وفشلت .. لا شجاعة منى ولكن طبيعة تكوينى ترفض أن تتيح لى هذه الميزة التى تتمتع بها الكثرة الكاثرة ممن أعرفهم .

مازلت أذكر ذلك اليوم الذى قمت به فيه بمراجعة دفاتر



رجل الأعمال الشهير مرجان علوان الذى نجا من التأميم لسبب  
لا يعرفه أحد . ربما كان له هو الآخر عم كعمى . المهم راجعت  
دفاتره فوجدت أنه لص من أكبر اللصوص الذين نسمع  
عنهم . ووقفت أمام دفاتره حائرا . مكتب الدكتور فكروى  
ليس فيه مثل هذا وان كان فيه ماعملت معه أو لما قبل هو أن  
أعمل معه . ولكننى أيضا لا أستطيع أن أرفض الزبون برأىي  
المفرد فهذا قرار يجب أن يتخذه صاحب المكتب نفسه الموجود  
الآن بالكويت .

كان على أن ألقى مرجان . وجاء الرجل فى الموعد  
المحدد .

— أنت يا عدلى بك رجل سمعتك مثل الجنىة الذهب .  
— ألف شكر .

— وليس هذا غريبا على من له أصلك واسم آبيك نار  
على علم .  
— ألف شكر يا مرجان بك .

— وأنا والحمد لله رجل لا أقبل مليما حراما . . وأنت  
اطلعت على دفاترى ومثلك لا تخفى عليه خافية ولو كان فيها  
لا قدر الله شيء لا ترضى عنه . .

ومضى الرجل يتحدث عن الشرف الذى يتمتع به وعفة  
اليدين وكيف أنه لا يأكل على الحكومة مليما واحدا . . وثبت  
أنه يملك مع ذمة اللص جرأته على الحق . وعزمت فى نفسى  
أن أؤيد كل كلمة يقولها عن نفسه وبدأت أرتب الحديث .  
أستغفر الله يا مرجان بك أنت رجل فوق كل الشبهات ولا يجرؤ  
أحد أن يشك فى ذمتك . . الى آخر هذا الحديث الذى تواضع

المنافقون على قوله لكل اللصوص فأنا أعرفه ولست أغباه .  
كان المهم فقط أن أقوله . فأنا لم أقله قط لمن لا يستحقه .  
ظللت أتمرن على الكلام طوال الفترة التي يتكلم فيها مرجان  
عن ضميره اليقظ ويده الشريفة وذمته النقية . ولم يكن  
حديثه قصيرا فالفترة التي أتيت لي للتمرين لم تكن قصيرة  
حتى اذا سكوت مرجان وجدتنى أقول فى عفوية وانطلاق دون  
أى ريث من تفكير .

— الحقيقة يامرجان بك أنك أكبر لص التقيت به فى  
حياتى .

وسكت ، وجوبه الرجل لحظة ثم انفجر ضاحكا بأعلى صوت  
له ووجدتنى أقول :

— ولكننى لا أمزح يامرجان بك .

وازداد ضحك الرجل . حتى اذا هدأ الضحك قال :

— العجيبة أن هذه هى الحقيقة ولكنى أسمعها لأول مرة  
وقد كنت أفكر ماذا أنا صانع اذا جابهنى بها أحد .

ولم أجد شيئا أقوله وكان الرجل غاية فى الذكاء فقد  
سرعان ما استرد وجهه ملامح الجد .

— ان الحكومة التى تسرق الأفراد لابد أن يسرقها  
الأفراد .

— الحكومة شخصية معنوية تمثل الشعب أجمع وأموالها  
أموال عامة لايجوز لأحد أن يسرقها والذين يتكلم عنهم  
يمثلون أنفسهم ولا يمثلون مصر . وعلينا أن نؤدى واجبنا  
نحو بلدنا حتى لو كان هناك من لا يؤدى هذا الواجب .  
— اذن فانت ترفض الدفاتر .

- أنا شخصيا لن أكون مسئولا عنها أما رفضها أو قبولها فمن حق صاحب المكتب الدكتور فكرى وحده .
- أنا أعرف مكانتك عنده ومادمت أنت رفضتها فهو أيضا سيرفضها . فدعنى أخذها ويادار ما دخلك شر .
- هذا اليك .
- أتصدقنى ان قلت لك شيئا .
- هذا يتوقف على ما ستقوله .
- أنا معجب بك غاية الاعجاب .
- ألف شكر .
- ولكنى لا أتمنى أن تعمل معى ولا أن تعمل لى .
- الآن صدقتك .

ولم أعجب من الدكتور فكرى حين رد على رسالتى التى قصصت له فيها ما كان من أمر مرجان ووجدته سعيدا بموقفى كل السعادة ولكن الدكتور فكرى فى الكويت . فكيف أعيش أنا فى مصر . ومع من أستطيع أن أعمل . بل مع من أتكلم . . كلام الناس فى مصر همس بل لقد انقطع الهمس خشية أن تشى النفس بالنفس . مع من أعيش . مع زوجتى . وابنى وأمى . ولكن الحياة لا تستقيم الا مع الحياة . اذا لم أر الى الناس وأجلس اليهم وأعيش حياتى كما ينبغى لانسان فى مجتمع أن يعيش فما الحياة . هذه مصرى أنا وهى مصر كل انسان فيها . فكيف تنحسر ملكيتها وتصبح مقصورة على عمى حنفى ومن يذهب الى شقته فى خوافى الظلام الذى لا يخفى شيئا .

كيف أعيش فى مصر . . واذا أنا استطعت فما مصير

حلمى انه الآن فى العاشرة من عمره وستلقفه فى غد هذه الحياة فأى الطريقين سيسير فيه وأى النجدين سيهتدى اليه .  
أهو سائر فى طريقى وطريق جده أم هو آخذ سميته الى طريق عمى . ان الدماء التى فى عروق حفنى هى الدماء التى فى عروقى . وهى نفسها التى فى عروق ابنى حلمى . ففى نفسه فجورها وتقواها . .

ان البيت الذى نشأ أبى ونشأنى هو البيت الذى نشأ حفنى وهو نفسه الذى سينشأ فى اجوائه وتعاليمه حلمى الحفيد فما مصيره .

واذا كان عمى حفنى قد اختار طريقه والحياة فى مصر فيها الجانبان فما مصير حلمى وهو لن يجد الا جانبا واحدا هو جانب عمى حفنى ورواد لياليه .

\*\*\*

جاءنى عدلى وعرض على حيرته تلك ووجد عندى الصمت المطبق . فقله كله حق . والله وحده يعلم مصائر الناس . ولا أستطيع أنا ولا أعتقد أن غيرى يستطيع أن يطمئنه . ولم أجد شيئا أجيب به حيرته الا أن أسأله .

— ماذا تتوقع ؟

— فى أى شأن .

— فى شأن مصر .

وصمت قليلا وقال :

— لم يبق الا الكارثة .

وذملت وأكمل :

— لكل أمر مستقر ولكل قورة نهاية • ومادامت الأمور  
قد بلغت هذا المدى فلا بد أن تنكشف عن قمة الهاوية اذا جاز  
هذا التعبير •

— أهذا ما تتوقعه •

— لا بد للسائر أن يقف ولا بد للصاعد أن يبلغ القمة  
أو يهوى ونحن صاعدون قدما على جبل من أوهام وفساد  
وليس للفساد قمة الا الهاوية •

وما لبثت أن جاءت ٦٧ تحمل في طواياها كل ماتنبأ  
به عدلى • وكان أبنه حلمى قد تخطى الحلقة الأولى من  
حياته • ولكن عدلى لقينى والدموع فى عينيه وهو يقول :  
— انها ليست على مصر الحاضر وحدها وانما على مصر  
الغد أيضا •

— أعوذ بالله

— لو رأيت حلمى ابنى وكيف أصيب فى سنه هذه  
الباكره بانهييار عصبى •

— كل الشباب كذلك •

— الشباب نعم لأنهم شهدوا غير ماكانوا يسمعون ورأوا  
عكس كل ما كانوا يتوقعون • أما حلمى فهو لم يصبح شابا  
بعد • فما مصير جيله اذا أشرقت حياتهم على الحروب  
وافتحوا مستقبلهم بالخراب •

\*\*\*

لست أدري أى الأسباب كان هو الأقوى عند عدلى حين  
قرر أن يسافر الى الكويت •

فقد حدث أن أصيب الدكتور فكرى بأزمة قلبية فى الكويت وحين شفى منها قرر أن يعود الى مصر وعرض على عدلى أن يقوم هو بأعمال مكتب الكويت .

— يابنى يا عدلى أنا ليس لى أولاد ومكتب الكويت يدر مكاسب طائلة وحرام أن أقفله دون أن تستفيد منه فلماذا لا تذهب تقوم بشأنه ويكون لك نصف الأرباح والنصف لى طول حياتى حتى اذا أختارنى الله الى جواره تكون أنت قد تعرفت على الناس هناك وبارك الله لك فى المكتب جميعه ، وفى مكتب مصر أيضا .

وقبل عدلى .. هل من أجل المال .. لقد كان عنده ما يكفيه .. آكان يريد أن يهرب من مصر .. أم يريد أن يهرب من نفسه فى مصر . ولكنه سيلقى مصر ونفسه فى الكويت أو فى أى مكان . ولو كان استشارنى ما نصحت له بالذهاب ، ولكن الانسان لا يستشير الا اذا كان مترددا فهو اذن لم يتردد وغادر مصر الى الكويت وتركنى أنا أقول لعله كان يريد أن يعمل أى شىء غير السكون والصمت والجمود فليس هناك سبب واحد يجعله يترك مصر وزوجته وابنه وأمه الا أنه كان يريد أن يصنع أى شىء .. أى شىء حتى ولو كان هذا الشىء ترك نفسه الى مالا يدرى .. لعله كان يريد أن يبحث عن نفس أخرى لاتضيق عليه الخناق ولاتلهيه بعذاب القلق .

ربما هرب من التراجع بين الأمل واليأس الى احدى راحتين . مسكين عدلى فما كان يعرف الى الهدوء سبيلا . ولو كان على غير ما هو عليه لكان الهدوء ملك يمينه ورهن اشارته .

**سمعنا** عن قصة ذلك المهندس الذى استدعاه صاحب  
أحد المصانع ليرى رأيه فى آلة توقفت عن العمل وكانت الآلة  
تساوى ملايين الجنيهات وكان المصنع قد أخذ قراره بالاستغناء  
عنها وشراء غيرها الا أن القائلين بأمر المصنع أرادوا أن  
يكونوا على ثقة من قرارهم فاستقدموا هذا المهندس ليعطى  
رأيه وليصدر قرار المصنع النهائى . ورأى المهندس الآلة  
وقال فى بساطة :

— أستطيع اصلاحها ويمكن أن تعمل بعد ذلك عدة  
سنوات أخرى .

ووافق صاحب المصنع ولكن المهندس طلب أجر اصلاحها  
للآلة خمسين ألف جنيه ولم يجد صاحب المصنع بدا من  
الموافقة .

ولبس المهندس حلة العمل وأمسك ببعض المفاتيح وواجه الآلة وربط مسمارا هنا وآخر هناك واستغرق عمله ساعة أو بعض الساعة وضغط على زر الآلة فعملت وعادت وكأنها قادمة لتوها من مصنعها - وخلع حلته وذهب الى صاحب الآلة وطلب أجره - ولكن صاحب المصنع بعد أن دارت الآلة ذات الجنيئات الملايين استكثر أن يدفع خمسين ألف جنيه من أجل ساعة عمل واحدة وقال للمهندس :

— أتريد خمسين ألف جنيه من أجل عمل ساعة واحدة -

**ولكن المهندس قال له في ثقة :**

— لا ياسيدى اننى اتقاضى خمسين ألف جنيه من أجل عمل خمسين سنة فالخبرة التى قدمتها لك فى ساعة واحدة اكتسبتها انا فى خمسين سنة -

وأمام هذا المنطق الحاسم لم يجد صاحب المصنع مناصا أن يدفع الأجر الذى اتفق عليه -

ولكن بعض الدول العربية مازالت تفكر بتفكير صاحب المصنع ، وقليلة هى الدول التى تفكر بتفكير المهندس - فالخبرة التى تقدمها مصر الى الدول العربية هى خبرة آلاف السنين تلقوها من أجدادهم الذين بنوا الأهرام مارين بكل ما مرت به مصر من تجارب فالصانع المصرى لا مثيل له فى العالم والعلماء المصريون يقفون مع علماء العالم على قمة واحدة والمتقف المصرى هو منارة العالم العربى أجمع -

فمالى أرى الناس فى الكويت تعاملنا نحن المصريين المقيمين فيها هذه المعاملة وقد شهدتهم يستقبلون الأدباء المصريين والعلماء والفنانين أعظم استقبال ويحتفون بهم كل الاحتفاء ويجلونهم غاية الاجلال - -



ولكن المقيم عندهم لا يلتقى من هذا شيئا • وأعرف أن  
الشعب الكويتي مثله مثل الشعوب العربية جميعا يحب مصر  
والمصريين غاية الحب ولم لا وقد تعلموا على مدرسيهم وحفظوا  
شعرهم وغنوا غنائهم • فما بالهم اذن اذا أقام معهم المصريون  
تكبروا وشمخوا عليهم بأنوف عربية من شأنها أن تعرف  
الكبرياء ولا يجوز لها أن تعرف التكبر • يذكرنا بيت  
الشعر القديم :

**وكان بنو عمى يقولون مرحبا  
فلما رأوني معذما مات مرحبا**

وعلم الله ما أصبحت مصر معدمة الا بظروف قاهرة  
فرضت عليها فرضا ولم تختبرها وعلى آية حال فقد انفقت  
مصر على الحروب العربية ما أبهظ مقدراتها بقدر ما أبهظها  
المتلفون الذين اضاعوا اموالها واذكر البيت القديم أيضا :

**يعيرني بالدين قومي وانما  
ديوني في اشياء تكسبهم حمدا**

اكان ذنبنا أن حاربنا نحن وخططنا بالمال دماءنا دفاعا  
عن العرب أم كان ذنبنا أن تولى أمرنا من جلب علينا هزيمة  
٦٧ • ولماذا اعتبرت هزيمة ٦٧ هزيمة لمصر وحدها ولم  
تعتبر هزيمة للعرب أجمعين •

يعيروننا في الكويت وفي العراق وفي دول الخليج  
بالهزيمة ونصلي نحن المصريين مرارة النجل والهوان وأصبح  
في نفسى :

**لم أكن من جناتها علم الله  
وانى بحرها اليوم صال**

أمن أجل هذا اللقاء تركت وحيدى حلمى وزوجتى

الحبيب حورية وأمي التي تتلهف على في غيبتى وتخشى أن  
يوافقها الأجل وأنا عنها بعيد .

ولكنى قبلت ما عرضه على الدكتور فكرى وان كنت  
أستطيع أن أضيع حق نفسى فما أنا بمستطيع أن أضيع حق  
رجل وهب لى ثقته واعتمد على . فما هكذا نشأت وما بهذا  
يرضى أبى .

فلأصلاها اذن أياما قاتمة ولأقضى للدكتور فكرى حقه  
على . بل ان هنا فى الكويت أيضا قوما وضعوا ثقتهم فى  
ما أحسب أنه يجوز لى أن أتخلى عن ثقتهم قبل أن أربى هنا  
ممن يساعدوننى من يطيق أن يحمل هذه الثقة ويؤدى الأمانة  
التي أؤديها . وليظن منهم من يظن أننى الى المال أسعى فأنا  
أعرف ما فى نفسى وحسبى هذا ارضاء لها .

وليس السعى فى سبيل المال أمرا تأباه الكرامة .

أنا هنا أعرف كيف أعامل من يسىء الى فان من كان  
عزيزا فى قومه يعرف كيف يكون عزيزا فى أى قوم .

وأنا أضع كرامتى فى مكان لا يستطيع أن يرقى اليه  
انسان فاذا تناول أحد على فائما الى نفسه يسىء وليس لى .  
وتعجبني كلمة قالها معاوية لابنه يزيد حين رآه يضرب غلاما  
له «أتعلمه الأدب بأن تضيع أنت أدبك» ولم يضرب يزيد غلاما  
له بعد ذلك قط . وأنا هنا لست على استعداد أن أعلم أحدا  
الأدب وأفقد فى سبيل ذلك أدبى فلا تذرع بالحلم وليقضى  
الله أمرا كان مفعولا .



تتابعت الأحداث فى مصر وكان عدلى يعود الى أهله

أسبوعاً في كل شهر وكان يعد مكتبه في الكويت ليقلب الأمر  
ويزور بعد ذلك مكتب الكويت أسبوعاً في كل شهر فقد كان  
حلمي يشب عن الطوق وكان عدلي مصراً أن يكون إلى جانب  
ابنه في هذه الفترة التي يتكون فيها أساسه فقد كان عدلي  
يرى أن يقوم هو بواجبه نحو ابنه ويترك المستقبل لمن عنده  
أم الكتاب •

حدثت ثورة مايو واسترد شعب مصر قدراً كبيراً من  
حريته وبدأ الناس يتنفسون جهاً بعد أن كانوا يتنفسون  
خفية وأصبح كل فرد في مصر يحاول أن يذكر الآخرين  
بنفسه بعد أن كان كل فرد في مصر يتمنى لو ينساه  
الآخرون •

كان عدلي في مكتبه بالكويت حين طلبته السيدة ألفت  
حشمت بنت أخي الدكتور فكري لتخبره أن الدكتور فكري  
قد عاودته الأزمة القلبية • وأنها تكلمه دون علم عمها ولكنها  
تدرك العلاقة بينهما وأحست أنه ينبغي عليها أن تخبره •

ووصل عدلي إلى القاهرة في أول طائفة ولم يقصد إلى  
بيته وإنما سارع من فوره ومعه حقائبه إلى بيت استاذة •  
وكان الأطباء قد منعوا الدخول إلى حجراته ولكن السيدة  
ألفت استثنت عدلي من هذا المنع وطفرت إلى وجهه الرجل  
فرحه حب لا تطفر إلا على وجه أب يرى ابنه •

— كيف أنت يا عدلي •

— طمأننا الله عليك يا دكتور •

— اطمئن •

— أرجو ألا تتكلم •

- اذا مت ذهبت الى مكان سعييت عمرى ان اذهب اليه
- وان عشت فأنا مطمئن بوجودك الى جانبى .
- أطال الله عمرك .
- لايهم . . مصر الآن بخير . . وما بنيتة أنا سيصبح
- فى يد أمينه . لم أعش عبثا يا عدلى يا بنى وهل هناك أجمل
- من أن يحس الانسان أنه لم يعيش عبثا .
- سأتركك لأنك تتكلم كثيرا .
- وما له دعنى أتكلم فاننى سأصمت طويلا .
- اتركك بخير . . هل تأمر بشيء .
- خذ بالك من نفسك ومن ابنك حلمى . . اجعله
- يصبح مثل أبيك أو مثلك على الأقل .
- وهل بيدى ؟
- حاول .
- أنا سعيد اننى رأيته .
- وسترانى دائما .
- ربما وانما أعتقد أنك انت لن ترانى .
- وخرج عدلى وكأنما كان الرجل يطلع على وجه الغيب
- فقد كان هذا آخر لقاء بينهما .
- واستمرت أعمال المكتبين فى مصر والكويت على حالهما
- لم تتغير فقد كان زبائن المكتب قد عرفوا عدلى وأطمأنوا الى
- عمله فلم يترك أحد منهم آيا من المكتبين .
- وكانت ألفت ميسورة الحال وكان زوجها ميسور الحال

أيضا ولكن عدلى أصر أن يكون لها مرتب ثابت من المكتب  
فاذا هي تلقاه :

— ما هذا المبلغ الذى أرسلته الى ؟

— أهو قليل ؟

— هو غير مفهوم •

— انه مرتب شهرى أعتقد أنك تستحقينه من مكتب

• عمك

— لم يصبح المكتب مكتب عمى •

— هو الذى أنشأه •

— ولكنك الآن تقوم بشأنه وأنت تعلم أننى والحمد

لله غير محتاجه •

— أعلم ذلك كل العلم ولكن أنا أقوم بما أراه عدلا •

— هل من العدل أن تعمل أنت وأتناول أنا مرتبا ؟

— لولا عمك ما عملت •

— لقد ورثت كل أمواله فقد باعها لى منذ سنوات دون

أن يتلقى ثمنا لها أما المكتب فقد كانت ارادته أن يؤول

اليك •

— أعلم ذلك •

— فما هذا المرتب الذى تريد أن تجريه على ؟

— أريخ به ضميرى •

— قهل فكرت فى ضميرى ؟

— اسمعى يا ألفت هانم هذا نقاش اشعر معه بنوع من

السعادة انقطعت عن الشعور بها منذ سنوات •

- والعجيبة آننى انا أيضا اشعر بجو أصبح غريبا على زماننا •
- فما رأيك أن يكون هذا المبلغ الذى قدرته لك نواة شئ طيب بيننا ؟
- كم هو ؟
- ألم تعديه ؟
- لا والله وجدت نقودا فى ظرف ومعه بطاقة منك فجئت اليك من فورى •
- أنت ست عظيمة •
- وأنت رجل عظيم •
- المبلغ مائة جنيه •
- هذا كثير •
- اسمعى ما رأيك لو أنك ادخرت المبلغ ثم نلتقى كل عام مثل هذا الشهر ونقرر جهة البر التى نقدمه اليها •
- موافقه •
- عظيم •
- ولكن انتظر • • باسم من يكون التبرع ؟
- باسمك طبعاً •
- أكون قد ادعيت لنفسى فضلا ليس لى •
- وجدتها •
- فقلها •
- باسم المرحوم الدكتور فكرى الدهشان •
- هو ما قلت •

## ٢٠

**ان** الذى يبنى مجده على أكتاف الآخرين يزول مجده  
بزوالمهم • فمجدك أن لم تصنعه يداك على أساس من الكفاءة  
والعمل الجاد هو سراب قد يفرح به الرأى ولكن اذا بلغته  
الحقيقة وجدته وهما من الوهم وهباء من الهباء •

ولكن الذين يخدعون أنفسهم مساكين فهم أول من يصدق  
أنفسهم حين تخدعهم • • وهم فى خداعهم هذا يعمون عن  
الحق ويطيشون عنه ويظنون أن مجدهم هم صانعوهم وهيئات  
لهم أن يتبينوا الحقيقة من أنهم نباتات متسلقة على أشخاص  
أخرى • فاذا شاء حظهم التمس وزال هؤلاء الآخرون طالتهم  
الحقيقة صريجه صارخه لا قبل لهم بمواجهتها ولا قبل لهم  
بتجاهلها وويل لهم من أنفسهم حينذاك • فالنفس المنزقة

والحقيقة التي تكشف الوهم وتجعل الدجل ينماع الى زوال  
ويتهافت الى تلاش وينهار الى هباء تجعل الواهمين الدجالين  
فى سعار من الجنون يتخبطهم الشيطان فيعرف الناس عنهم  
اعماق الاعماق التي كان يغشيها الوهم ويدود عنها الدجل  
الرؤية الصادقة •

وقد يغيب الحق عن الظهور بعض الوقت ولكنه فى  
موعده قادم لاشك • وهو فى قدومه موكب له طبل وزمر  
وزفاف كفيل ان يجعل الخداع مهتك الاستار والدجل مفضوحا  
ليس له من غطاء ولا وقاء •

لهذا لم اعجب وانا فى الكويت حين كنت اقرأ مقالات  
حسن فالعهد الجديد يرفض ان يعطيه ما كان يعطيه العهد  
الماضى • فاذا هو يبالغ فى مديح الماضى وهو فى مديحه  
لا يملك أدلة من واقع • فالهزيمة ماحقة والجراح من النفوس  
والجسوم مازالت تنزف وليس هناك نظرية واضحة المعالم  
يستطيع ان يتخفى وراءها كما كان يتخفى حامد وراء  
نظرية • وهكذا أصبح موقف حسن مضحكا • وكلما كتب  
ازداد الناس ضحكا منه ولكنه ضحك موجه مؤلم كله سخرية  
من ذلك الذى خدعهم حينما ثم تكشف أمره عن بلياتشو كانت  
الأصباغ تغطى وجهه ثم ازالها مياه الحرية فاذا هم يتبينون  
أن الوجه لم يكن وجهه وانما كان وجه الآخرين •

ان الشيوعيين حين يدافعون عن رأيهم يجدون نظريه  
مهما تكن فاسدة سفاحة قاتله للانسان فى الانسان الا انها  
على كل حال نظرية اعتنقها سفاكون وفرضوها على دول •  
وهكذا كان حامد يستطيع أن يقول ويجد ما يقول • أما  
حسن فعن أى شيء يدافع • • ليس فى يده الا وقائع كلها



عسف وبطش وجبروت واعتداء على كل ما هو انساني في  
الانسان جسما كان أو روحا أو كرامة •

ووجد حسن مدخله الى الحديث من باب ضيق حشر  
نفسه فيه فلم يخرج فقد راح يدافع عن الهزيمة ويبين أنها  
امر لا يمكن تلافيه وأن التفكير في حرب أخرى إنما هو  
الخراب الآخذ الشامل الذي لا خراب مثله • ويقرأ الجيش  
هذا الكلام فيزداد سخطا على حسن ويقرأ العرب هذا الحديث  
فيزدادون اشمئزا من الكاتب ورفضاً له •

فقد كانت الحرب هي الأمل الوحيد يتحدثون به وقد  
كنت أنا بعد الهزيمة واثقا أنه لا حرب هناك • وكيف تكون  
الحرب مع جيش هزم الجيش المصري في ساعات والجيش  
السوري في دقائق •

ولكني مع ذلك كنت لا أميت الأمل في نفس محدثي •  
وأذكر بيت الشعر :

إذا تمنيت نمت الليل مغتبطا  
ان المنى رأس أهوال المباليس

وقد كنت أعتقد اعتقادا راسخا أننا أصبحنا أكثر هوانا  
من كل مفاليس العالم • •

أما أنا فلست كاتباً وأنا لا أنشر رأيي على الناس فمن  
حقى أن أظن ما أشاء وأعتقد ما أريد أن أعتقد مادام هذا  
الظن وذلك الاعتقاد حبيسين في نفسي لا يخرجان منها الى  
كلام منشور في صحف •

أما الكاتب فإنه وان كان واجبه أن يكون انذارا للناس  
ونورا لهم ومصباحا على غدهم ، وكشفاً لأمسهم الا أنه

لا يجوز أن يكون لهم حسرة وبأسا • فإذا توجس وجب عليه  
أن يذكر مكان الأمن وإذا حذر تحتم عليه أن يبين طريق  
الرشاد • أما أن يكون ارتكاسة مع الحكام ومعولا مع الخراب  
وهزيمة مع الهزيمة فهذا ما لا يرضاه أحد من كاتب  
ولا يرضاه أحد له •

وقد كان حسن ارتكاسة وحطامامو معولا وخرابا وهزيمة  
في وقت معا •

في أول رمضان جئت الى القاهرة لأقضى الشهر مع  
حورية وحلمى ومع أمى • وبدأ الشهر • • بدأ طبيعيا ولكن  
ماكادت تمضى منه أيام ستة حتى انفجر فى العالم العربى  
ذلك الخبر الذى قلب موازين العالم أجمع •

مصر تعبر القناة •

كان حلمى فى تلك السن التى تبهرها الأنباء ولا تطل  
الى ما وراءها فإذا الفتى يكاد يجن من الفرح فهو رائح غاد  
فى البيت وفى يده الراديو أو وهو ممسك به وعيناها على  
التليفزيون التصق بهما والتصقتا به •

أما زوجتى فهى خائفة على الشباب الذى يحارب وهى  
فى نفس الوقت فرحة سعيدة • فهى تعتقد أنه لم يكن لنا  
سبيل الى استعادة الحياة الا بحرب أخرى ولتكن نتيجتها  
ما تكون • أما أمى فلا تترك كرسى الصلاة على السجادة فقد  
كانت لا تستطيع أن تصلى الا وهى جالسة وهى تدعو الله  
فى تجرد كامل لوجهه سبحانه أن يحمى أبناء مصر  
المحاربين •

أما أنا فقد كان أمرى عجيبا • • لقد توقعت هزيمة  
محقة : والآن وأنا أفكر بعد كل هذه السنوات أجدنى كنت

محققا فى تفكيرى . . والا فكيف لجيش هزم منذ ست سنوات فقط فى ست ساعات أن يعود الى حرب أشد شراسة بنفس الرجال ونفس السلاح ويريد أن ينتصر .

لقد كان فى الحرب الأولى مع العدو على أرض واحدة لا تفصله عنه حدود من طبيعة أو من صنع الانسان . والآن يريد أن يعبر القنال ويحطم خط برليف وما فيه من السنة لهب مثلوها لنا كنار جهنم ، ثم ينتصر .

أينهمز ولا حدود بينه وبين عدوه وينتصر وبينه وبين عدوه حواجز من بحار وجبال ونيران . . هيهات ؟؟

ولكن . الآن . لا بد أن أقول اذا لم يكن الجيش قد انتصر وأمامه كل هذه العقبات لما حقق المعجزة وقد شاء ربك من فوق سماوات سبع أن يقول لعباده آمنوا بى فان أكن قد قطعت عنكم رسالات السماء فانى أرحم بكم من أن أقطع عنكم معجزاتها .  
وتمت المعجزة .

ويمارى فيها أقوام فى نفوسهم احن وأحقاد مثل حسن وحامد ولكنها معجزة . وما لهذين ولأمثالهما ألا يماروا .  
والا فماذا كنا نريد منهم أن يقولوا . . أعيدوا الينا شلالات الأموال التى كانت تنسكب علينا وآيات المجد التى كانت تحيط بنا وطقوس الاجلال التى كانت تفرش تحت أقدامنا .

وما لهم ألا يماروا وقد خسروا بانتصار مصر طريقهم الى خراب مصر .

استعداد حلمى ابنى نفسه وأحس أنه انسان مكتمل وفى

يوم وقف اطلاق النار فوجئنا به على المائدة يقف والدمع في  
عينيه ويصيح بأعلى صوته . . أنا مصرى . . بابا أنا مصرى  
. . نينا أنا مصرى . . ماما أنا مصرى .

كانت بداية مشرقة لعامه المدرسى فقد كان فى الثانوية  
العامه وقد اختار هو دون أى تدخل من أحد أن يكون فى  
القسم العلمى . وكانت درجاته العلمية تتيح لى أن أستبشر  
خيرا باختياره هذا .

وكان حلمى فى الأجازة قد وثق صلته بقريتنا الرمايحه  
وقد أغراه فريد بن الحاج سعدون الذى أصبح يشرف على  
أرضنا بعد أبيه أن يربى بعض عجول بدلا من أن يترك  
العزبة خالية من البهائم تماما . وقد أحببت أن يرتبط عدلى  
بالرمايحه وشجعت تحمسه المراهق وفرح وبدأ مشروعه .  
وقد كان الفتى يعرف حقوقه وواجباته وكنت واثقا أن  
اشتغاله بالعجول لن يشغله عن الدروس وكنت أمزح معه  
قائلا :

— يا عدلى يا بنى العجول لاتغنى عن العقول .

ويبتسم فى ثقة ويقول :

— لاتخف .

\*\*\*

انتهى شهر رمضان وعدت الى الكويت لأقضى بها  
أسبوعين . . لقد عادت مصر الى مكانها بل انها عادت الى  
أرفع مكان تبوأته فى تاريخها ، وما لها ألا تعود وقد حققت  
النصر الوحيد فى العصر الحديث ولكن عجيبة . . أم تراها  
ليست عجيبة . لقد كانت الهزيمة هزيمة مصر وحدها ولكن

وبقدرة قادر أم ترانى يجب أن أقول بقدرة ظالم أصبح  
النصر نصر العرب أجمعين . . لا بأس فليكن كذلك . وهل  
مصر والعرب الا كما قال الشاعر :

وهبل أنا الا من غزية ان غوت  
غويت وان ترشد غزية أرشد

وانتهى الأسبوعان . وركبت الطائرة عائدا الى  
القاهرة . شعور عجيب يتولانى كلما عدت من الخارج الى  
مصر . مهما يكن المكان الذى كنت فيه والذى أعود منه الى  
مصر . أنا دائما مشوق اليها بكل حال هى عليه . أنا مشوق  
اليها والظلم يتغشاها ويتغشانى معها ومشوق اليها وحقى  
وحقوق المصريين مكفولة . مشوق اليها حتى بعد أن خامرها  
ماخامرها من طريق غير سوى وماء متفجر وكهرباء مقطوعة  
وتليفون لا ينطق . بل ربما أنا أشد شوقا اليها وهى فى  
تلك الحال من شوقى اليها وهى لاتعانى . وهل نعرف قيمة  
الأم الا اذا مرضت الأم . وهل نحبها فى مآلوف أيامنا قدر  
مانحبها وهى تعانى . وأمنا الخالدة تعانى فنحن أبناءها  
أعظم لها حبا وأكثر اليها لهفة وأشد عليها حرصا .

لقينى حلمى فى البيت وما هدا بى المقام حتى وجدته  
ينتهز فرصة صمت ويسارع قائلا فى لهفة وقد وضح لى أنه  
كان يختزن مايقوله منذ أيام وينتظرنى متعجلا عودتى  
ليعرض على مايعرض .

— يا بابا من المفروض أن يأتى الى العجول طبيب بيطرى  
ليرى ان كانت قد بلغت الحجم الذى تستحق معه الحصة  
المخصصة لها من العلف أم لا . وقد جاء الطبيب ورأى  
العجول وقرر أنها لاتستحق بعد تلك الحصة وقبلت رأيه

كأمر مقرر ولم أناقشه وخرج الطبيب من المنزل هو الذى يعمل معه ولكن ماهى الا دقائق حتى عاد الى التمارجى ليهمس فى أذنى اذا كنت تريد أن يقرر الدكتور حصة العلف فادفع خمسة جنيهات عن كل رأس وسألته لمن قال للدكتور قلت أهى تمغة أو ضريبة حكومية مثلا قال لا وانما هى اكرامية للدكتور ، قلت ولك قال الى تشوفه قلت ولكن الاكرامية من الاكرام والاكرام لا يكون بالعافية قال والله أمرك قلت أتركنى أفكر فى الأمر . والحقيقة أن المبلغ بسيط لا يستحق التفكير ولكننى يا بابا لا أتصور أن أبداً حياتى بالرشوة وفى نفس الوقت أرفض أن يقع على ظلم لأننى رفضت أن أقدم رشوة . . ماذا أفعل .

ولا أدري ان كان قد ظهر على وجهى ماشقيت به من ذلك الحديث أم لم يظهر ، فجعت فجيرة كبرى . ليس الأمر غريباً على ولكننى شأن الناس أرى الشيء وهو بعيد ولا أتوقع أن يلاقينى أنا فى طريقى . ماذا أنا قائل لابنى الآن أقول أقبل أن تكون راشيا . أهذه هى المثل العليا التى يريد أب مثلى أن يرسبها فى نفس ابنه . وماذا سيكون أمرى أمام ابنى وهو يرفض لنفسه أن يكون راشيا وأنا أقبل له هذا . أم أقول له أرفض وهو يريد أن يخوض الحياة وقد بدأ خوضها فعلاً بتلك العجول التى يرببها . وكيف يستطيع خوضها وهو بكل هذه الطهارة ويل لمصر مما مر بمصر .

قد يصلح الطريق فيها للسيارة ولكن ما أظن أنه سيصلح للمثل العليا . وقد لاتنقطع فيها الكهرباء ولكن نور الشرف سيتأخر عن الانارة . وقد يتحدث التليفون ولكن شقة عمى مازالت تعمل ومازال التليفون يستعمل فى إقامة لياليها .

### قلت حلمي في حسم :

- حلمي مادمت قد دخلت الى الحياة فينبغي أن تقرر طريقك فيها وحدك .. أنظر أنت ماذا تريد أنت أن تفعل وافعله .

### قال الفتى في حسم :

- بابا .. أنا لن أدفع مليما واحدا وليكن بعد ذلك ما يكون .

قلت في نفسي : لهفي عليك يا بني .. لقد اخترت طريقك لاشك في ذلك فاللهم يارب العالمين يا حق يا عدل يا سبحانه ثبته على هذا الطريق وان لقي فيه ملقى الحسين ابن علي .

وقررت أن أقيم في مصر . هنا بجانب ابني فانه في هذا الطريق سيحتاجني لأكون له نسمة هواء في هجيرته ونفحة دفاء في جليده .. أنا هنا .

### قال لى عدلى :

— ماذا أصنع الآن . . ان عمى حفىنى يرسل الى كثيرا  
من الزبائن وكلهم أصدقاءه وكلهم من ذوى الصداقات ذات  
النفوذ . وأنا لا أحب صداقاته هذه ولا أعرف ماتخفى  
ولا أدري أقبل أم أرفض .

وأسقط فى يدى فان كان هو يدرى ماوراء هذه  
الصداقات أو كان لا يريد أن يديرها فأنا أديرها كل الدراية  
فان قلت له أقبل خنت نفسى وخنته وان قلت له أرفض  
أقفلت مع دونه بابا واسعا من أبواب الرزق . وليس الرزق  
له وحده فربما كان فى وفرة تغنيه عن المال وتغنينى عن  
الحيرة ولكن الرزق أيضا للشباب الكثيرين الذين يعملون معه



والذين يريدون أن يتعرفوا على هؤلاء الناس ويشقوا طريقهم في الحياة كما شقه استاذهم عدلى • ولم أجد شيئا أقوله الا أن سألته :

— ألم تخبرنى عن موقفك من مرجان حين أراد لكتب الدكتور فكرى أن يكون مسئولا عن حساباته •

— أمازلت تذكر •

— وأنت أيضا يجب أن تذكر •

— فهمت ماتعنى •

— فلا حيرة اذن •

— فيما يختص بالزبائن لم تعد هناك حيرة •

— اذن •

— حيرتى لن تنتهى • • لن تنتهى •

وعرفت ماكان يقصده تماما ولكننى أيضا كنت سعيدا بتخلصى من الاجابة على سؤاله ولم أشأ أن أوقع نفسى في حيرة جديدة معه •



شمل السلام مصر واتهمها من اتهمها أنها باعت القضية بقبضة من الرمال وعلم الله أن مصر لم تبع القضية وانما أقامتها على أسس من المنطق والعقل بعد أن ظلت أعواما لا شيء الا هتافات وشعارات وصراخا لا معنى له ولا قوام ولا عمق • وعلم الله أن هذه الرمال انما هى أرض مصرية عزيزة على مصر • ولست أدري لماذا تكون أرض مصر وحدها هى الرخيصة وكل أرض غير أرضها عرض وشرف وكرامة

ومستقبل وماض وحاضر وتاريخ . لم أذهب الى الكويت وان كان مكتبى ظل يعمل به تحت اسمى . وأصبح من بين تلاميذى الذى مرتهم هناك من يستطيع أن يقوم بالعمل خير قيام ومن أعتقد أنه نال الثقة فى نفسه ومن الزبائن . وتركت أمر المكتب لم أعد أفكر فيه واستغرقنى عمل المكتب فى القاهرة فقد نشطت الحركة الاقتصادية فى مصر بصورة لم أر لها مثيلا فى حياتى واتسع مكتبى اتساعا لم أكن أنتظره ولكن الذى يحيرنى هو النظام الذى يقوم عليه الاقتصاد فى مصر . فهو نظام فريد فى العالم لا شبيه له .

فهو باليقين والقطع ليس نظاما شيوعيا وهو أيضا ليس نظاما اشتراكيا . وهو أيضا ليس نظاما رأسماليا . انما هو خليط من هذا جميعه . يأخذ من كل نظام بطرف والنظريات ليست على استعداد أن تقبل معها نظاما جديدا خلقت الظروف الشاذة فى حياة مصر ولم تخلقه التيارات الطبيعية التى تولدت عنها النظريات الأخرى مانجح منها ومأثبت فشله . والذى لاشك فيه أن هذا النظام المضطرب الذى كان الاقتصاد المصرى يمانيه هو ابن شرعى للنظام السياسى المترجح الذى كان يحكم مصر . فلا كان النظام فى مصر ديكتاتوريا كاملا يترأسه حاكم باطش مخيف ليس يبقى لأعدائه من باقية وليس يرعى فيهم حق اله أو كرامة انسان أو شرف آدمية . ولا كان النظام أيضا ديموقراطيا سلقا ومن أين له بالديموقراطية وقد قتلت أصولها منذ ربح قرن ولم تعد لها أدوات ولا أحزاب ولا أشخاص .

وبيد الحرية الوليدة وآثار الديكتاتورية قتل رئيس النظام وتغيرت الأوضاع فى مصر بعض الشيء فبقيت وجوه على المسرح وأخرى تبدلت بقوم آخرين انما الذى عنانى

بالذات أن شقة عمى قد أقفلت أبوابها وبدأ عمى يبحث عن  
يؤجرها منه إيجارا مفروشا . ولكن أن يكون وجوه القوم  
الذين كانوا يعمرون شقة عمى قد غابوا عن الواجهة فان  
أذناهم يملأون أرجاء مصر منتشرين فى كل مرفق من  
مرافقها ما لهم عنها من منصرف .

قالت له :

- أتقص على كل هذا وكأننى لا أعرفه .
- بل أعرف أنك تعرفه . . بل وتعرفه كل المعرفة .
- ففيم اذن أتعبت نفسك .
- لابد من شكوى لذى مروءة .
- أشكر لك حسن ظنك . . ولكن ماذا بعد الشكوى .
- أما جواب منك أو أظل أنا على حيرتى .
- وفيم الجواب وأنا لا أعرف بعد ما السؤال .
- ابنى .
- ماله .
- لقد انتهى من دراسة الطب .
- وهذه أيضا أعرفها .
- والأطباء فئة فيهم الملائكة وفيهم الوحوش الكاسرة  
السفاحة السفاكة .
- هو ماقلت .
- وحلمى ابنى يحمل دم جدى . وهذا الدم أخرج أبى  
وأخرج عمى . فالى أى فصيلة من الفصيلتين سينتسب

حلمى • وهل طريقه مسبعة الذئاب الكاسرة ام مسايح  
الملائكة • • لكم أخاف عليه • • ان الذى أشاهده فى مصر  
لايفرش الطريق الى مسايح الملائكة وهو مهياً كل التهيؤ أن  
يجمله الى الوحوش يميل •

— أولم يكن الأمر معك أشد عسفا وجورا وظلما •

— لو كنت واثقا أنه سيصبح مثلى ما احترت •

— ومن الذى يستطيع أن يعرف الغد •

— وأخاف عليه أن تطالعه سمعة عمى حيثما اتجه •

— وأى شيء تخشاه من هذه السمعة • • أتخشى أن تكون  
عائقا له أم تخشى أن تكون طريقا له مفروشا بالورد  
والرياحين والزئبق الذى كان يملأ شقة عمك •

— أخاف عليه من الأمرين كليهما • • فكل من الفرضين  
أشد هوانا من صاحبه •

— هل طالعتك أنت سمعة عمك !

— لست أذكر •

— فلماذا تخشاهما عليه وهى لم تهددك أنت وأنت الى  
عمك أقرب من ولدك اليه •

— الحيرة تقتلنى •

— ألم تشعر أنك أديت واجبك •

— كل انسان يطمئن نفسه بهذه الجملة •

— أتحس أن هناك شيئا كان يجب أن تصنعه ولم تصنعه

— لا أظن •

... أفلا تترك الأمر لله الذى ألزم كل انسان طائره فى  
عنقه • اترك ابنك يلزم طيره والزم أنت طيرك وتوكل على  
الله •

وصمت عدلى • • ولكن آكان صمت الطمأنينه وزوال  
الحيرة لا أظن • • بل واثق أنه على حيرته ماتزال مسلط عليه  
ما كتب على الانسان الا يعرف ماذا يكسب غدا • ذلك  
القانون الذى يتمثل فيه عذاب الحياة وتتمثل فيه متمتها  
أيضا •



# الفهرس

المجمعة

٥	نقوش من ذهب
٢١٥	خيوط السماء
٢١٥	١ - بكالوريوس التجارة
٢٢٧	٢ - مدرسة جديدة
٢٤١	٣ - نقلة
٢٥٦	٤ - انطلاق ٠٠٠ أم قيود
٢٦٧	٥ - البحث عن كرامة
٢٧٩	٦ - وحيد في الزحام
٢٩٢	٧ - هل المكتبة كتب
٣١٤	٨ - في الجامعة أشياء غير العلم
٣٣٠	٩ - عود على بدء
٣٤٧	١١ - الحسابات
٣٥٧	١٢ - افراج عن حبيس
٣٦٥	١٣ - سواتر
٣٧٤	١٤ - تاريخ
٣٨٣	١٥ - طريق بلا نهاية
٣٩٩	١٦ - الحق ٠٠٠ الحق

مؤلفات نروت أباطة - ٦٠٩

## المصممة

٤٠٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١٧ - الزواج والجنين والمسال
٤١٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١٨ - مشروع العمر
٤١٩	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١٩ - حتى الفمبار
٤٢٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٠ - الحقيقة
٤٢٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢١ - الجامعة نتكلم
٤٣٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٢ - فراءة
٤٣٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٣ - وقراءة
٤٤٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢٤ - خيوط السماء
٤٥٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	طائر في العنق





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٢٠٧١

---

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٩٠٤ - ٥



